ماري تابلوت

اللغة والجندر

الخطاب والتمايز اللغوي بين الجنسين



دراسات





ترجمة: محمود أحمد عبد الله

اللغة والجندر

اللغة والجندر

الخطاب والتمايز اللغوي بين الجنسين

تأليف: ماري تابلوت

ترجمة: ماري تابلوت

الطبعة الأولى 2022

الغلاف: ماهر عدنان

دار شهريار للنشر والتوزيع



Shahrayar Publishing and Distribution

العراق / البصرة

009647730800453- 009647814145195

بـريد إلكـتـرونـي: shahrayarbook@yahoo.com

التـرقيم الدولي ISBN: 978-9922-9859-3-0

ماري تابلوت

اللغة والجندر

الخطاب والتمايز اللغوي بين الجنسين

ترجمة:

محمود أحمد عبدالله





أعراف الكتابة

الرمز	المعنى
(.)	وقفة تصل إلى نصف ثانية
(..)	وقفة تصل إلى ثانية واحدة
(2.5)	التوقيت التقريبي للإيقاف المؤقت الأطول
=	الإغلاق (متابعة فورية)
هيه هيه	الضحك
(ه)	الضحك في الكلام
ههههه	الزفير
.ههه	الاستنشاق
(( ))	الميزات غير اللغوية وغيرها
(xx) (كلمة)	أقوال غير واضحة
> <	أسرع من الكلام المحيط
⌉	بدء حديث متزامن، أعلى
⌋	بدء حديث متزامن، أسفل
⌈	نهاية الكلام المتزامن، أعلى (لا يتم تمييزه دائماً)
⌊	نهاية الكلام المتزامن، أسفل (لا يتم وضع تمييزه دائماً)
[ ]	تشير إلى الكلام المتزامن
:	إطالة حرف العلة

فهرس الجداول

فهرس الأشكال



عشرون عاما مضت...

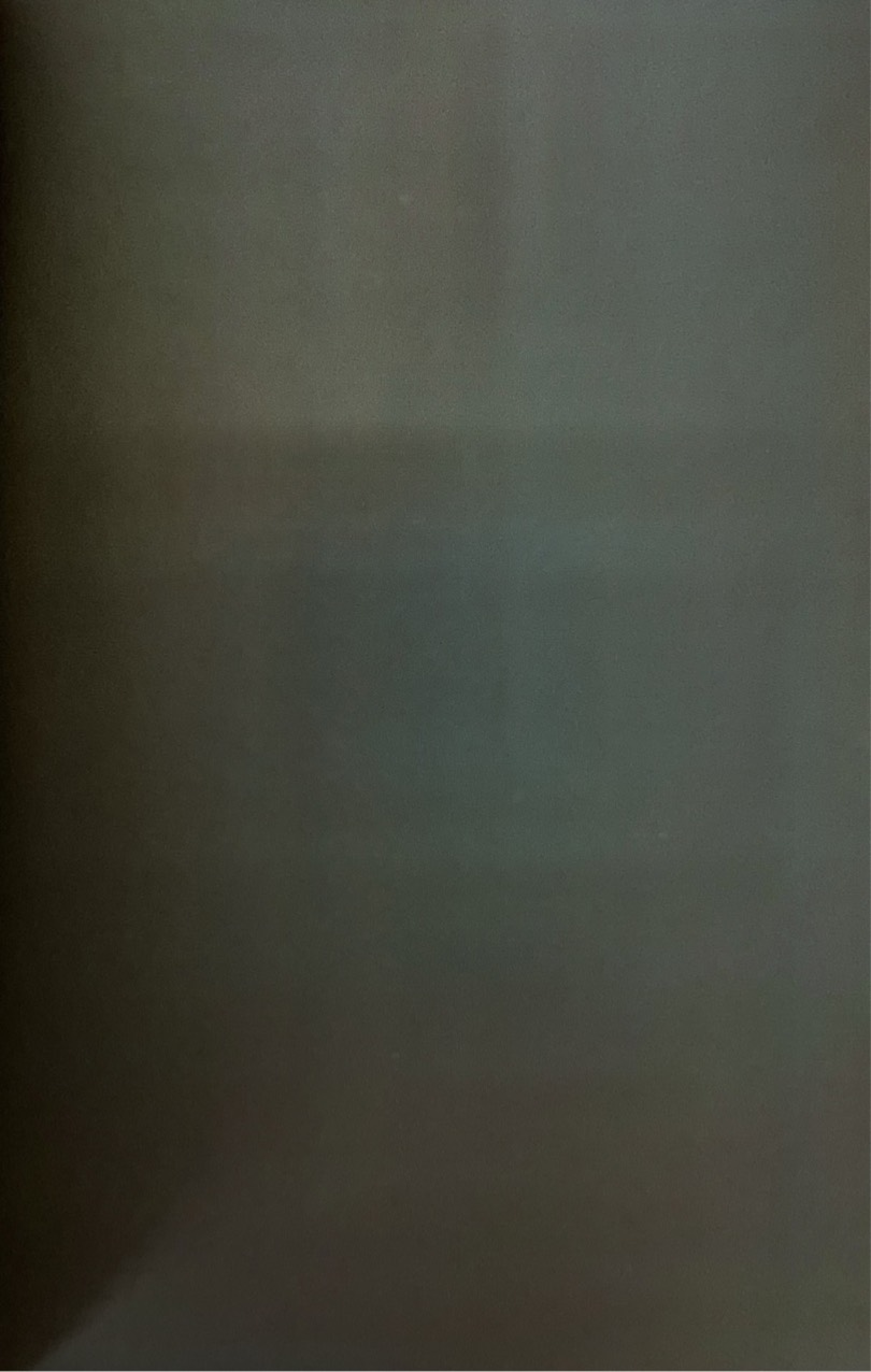
مقدمة للطبعة الثالثة

ظهر كتاب اللغة والجندر للمرّة الأولى في عام 1998. وكانت فرصة إنتاج طبعة ثالثة تمثّل تحدياً، بيد أنها موضع ترحيب كبير. واستمر مجال البحث في موضوع الكتاب نابضاً بالحياة. وفي تطوّر مستمر، فقد شهد تحوّلات كبيرة منذ أن نشر الكتاب للمرّة الأولى قبل عشرين عاماً. وتطوّر محتوى وشكل النص الأصلي من التدريس في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، وفي الوقت الذي ظهر فيه المجال في أحدث صوره. وهو بالتأكيد أوّل كتاب من نوعه يدرس الرجال والذكوريات. وإذا كنت أكتب كتاباً مثل هذا من الصفر، فهل كنت أتعامل معه بشكل مختلف؟ نعم بالطبع سأفعل. إنني بالتأكيد لن أدرج فصلاً عن الذكورية يركز فقط على الرجال المطابقين لجنسهم، مثلاً. وما فعلته في هذا المجلّد هو دمج رؤى وأبحاث جديدة مع العمل الراسخ، ممّا سمح لي بالحفاظ على لمحة تاريخية مهمّة. ويعطي المنظور التاريخي خلفية ضرورية لفهم التطوّرات الأكثر حداثة والتحدّيات الماثلة من الناحية النظرية. بالنسبة للإصدار الثاني، تعاملت مع التطورات الرئيسة الجديدة في هذا المجال، بكتابة فصلين جديدين تماماً. أحدهما يقوم بدرس الجندر والجنس، مع التركيز على المغايرة والمقاومة. وبالنسبة للنسخة الجديدة، أضفت إليها بعض الاهتمام بالمتحوّلين جنسياً حال تغطية قضاياهم. فيما يتناول الفصل الجديد الثاني للطبعة الثانية الحديث العام، لاسيّما في السياسة ومكان العمل. فضلاً عن تحديث تغطية الفصل بشكل عام في هذه الطبعة الجديدة، فقد أدرجت الانتباه إلى الهجوم المقلق لكراهية النساء عبر الإنترنت. وبالطبع، عديد من القضايا التي يتناولها الكتاب تستحق كتابة فصول- بل كتب- من تلقاء نفسها، ولكن في هذه المقدّمة للمجال البحثي سيكون ذلك مستحيلاً، بسبب قيود المساحة. وفي محاولة مني للتعويض عن هذه التغطية المحدودة بالضرورة، أشير إلى المصادر التي تقدّم مزيداً من التفاصيل في أقسام "مزيد من القراءات" لكل فصل.

الجزء الأول

التمهيدات

بثُّ الصور النمطيّة والنماذج المبكّرة



1

اللغة والجندر

التقسيم الجندري هو تقسيم مهم في المجتمعات جميعاً. وله أهمية كبيرة للبشر. فكون الفرد مولوداً ذكراً أو أنثى له عواقب بعيدة المدى عليه. إنَّه يؤثّر على طريقة تعامل العالم معنا وأسلوب تصرّفنا فيه. وهذا يشمل اللغة التي نستخدمها واللغة المستخدمة عنّا. أريد أن يجعلكم هذا الكتاب أكثر وعياً بالتقسيم الاجتماعي للجندر، وما ترتّب على ذلك من تقسيمات، فضلاً عن الوعي بدور اللغة في صنع هذه التقسيمات والحفاظ عليها.

حول هذا الكتاب:

سياسياً، تعدُّ أجندة هذا الكتاب أجندة نسوية. والنسوية هي شكل من أشكال السياسة مكرّس لإحداث تغييرات اجتماعية، وكبح إعادة إنتاج صور وأشكال عدم المساواة النسقية بين الرجال والنساء. ففضلاً عن اهتمام النسوية بدور الممارسات الاجتماعية والمؤسّسات في ترسيخ دعائم التمييز بين الجنسين، تنشغل النسوية بعلاقة اللغة بالتقسيم الجندري بالنظر إلى ما تلعبه اللغة من دور معقّد في تعزيز أشكال التقسيم الجندري في المجتمع وخلقها والحفاظ عليها والتفكير فيها. هذا الدور الذي تلعبه اللغة هو موضوع الكتاب الحالي. دراستنا له ستجعلنا نخوض في مجموعة واسعة من القضايا، بدايةً من التوقّعات القائمة حول كيف يجب على النساء والرجال التحدّث حتّى القيود المفروضة على وصول المرأة إلى صور الحديث العامة، وتقسيم "العمل" الحواري بين طرفي الحديث، وتمثّلات الذكورة والأنوثة في وسائل الإعلام، وغير ذلك من قضايا.

يبحث الجزء الأول والمعنون بـ"التمهيدات: بثُّ الصور النمطيّة والنماذج المبكّرة" في بعض الأعمال المبكرة التي دارت حول الفروق بين الجنسين في استخدام اللغة كما يبحث القوالب

النمطيّة عن النساء. وتوفّر فصوله الثلاثة مقدّمة تعريفية بالأعمال المبكّرة في هذا المجال وتمييزه المحوري، بل والإشكالي، بين الجنس والجندر.

يقدّم الجزء الثاني المعنون بـ"التفاعل بين النساء والرجال" مجموعة من الدراسات حول التراث الإمبيريقي الأنجلو أمريكي الذي يدور في إطار ما يُسمّى غالباً بإطار الاختلاف والهيمنة. ويغطّي هذا الجزء البحث في جوانب محدّدة من التفاعل المنطوق، بما في ذلك الادعاءات التي تمّ طرحها حول الفروق بين الجنسين بشكل مفصّل. فيقدّم فصلين من الفصول بحثاً في لغة الرجال والنساء مجمّعة ضمن مجموعة متنوّعة من مواقف وأنواع الكلام. وتتناول هذه الفصول بعض القضايا والمشكلات الثانوية الناشئة عن الدراسات المختلفة المقدّمة حتّى الآن، منها على سبيل المثال الصعوبات الناجمة عن تفسير الفروق بين الجنسين في ضوء ثنائيات من قبيل العام مقابل الخاص أو الدراية مقابل العاطفية. وينتهي الجزء الثاني بالنظر في مزيد من المشاكل الرئيسة، ويبحث الفصل الختامي فيه بعض أسس البحث النظرية وما تطرحه من مشكلات على الباحثين في علاقة اللغة بالجندر. ويركز هذا الجزء بشكل أساسي على الانشغال بـ"الاختلاف" ويتضمّن مناقشة تلقّي اللغويات النسويات لعمل ديبورا تانين الشهير حول "أنماط التفاعل" بين الذكور والإناث (1986، 1991، 1995).

ينتقل الجزء الثالث، المعنون بـ"الخطاب والجندر: البناء والأداء"، إلى المنظورات النقديّة حول الجندر واللغة والجنس. يقدّم هذا الجزء الختامي مقاربة متناقضة في دراسة اللغة والجندر، مقاربة ترتكز على خلفية نظرية مختلفة وتطرح أنواعاً متباينة من الأسئلة. ويحاول (أو يشرع في المحاولة) شرح كيفية "تفاعل" اللغات والأفراد والسياقات الاجتماعية وكيف يحافظ هذا التفاعل على العلاقات غير المتكافئة بين الجنسين. إنّه يقوم على وجه الخصوص بالتحليل النقدي للخطاب، وهو أسلوب في دراسة اللغة في السياق الاجتماعي يرتكز على النظريات الأوروبية حول الخطاب والذاتية. وبالنظر إلى الدراسات المعنية بتشكّل مجموعة متنوّعة من الهويات الأنثوية والذكورية، تعكس الفصول الموجودة في هذا الجزء الأخير من الكتاب درجة عالية من الاهتمام بوسائل الإعلام والثقافة الشعبية الموجودة في أبحاث اللغة والجندر في إطار التحليل النقدي للخطاب والاهتمام بالخطاب والتغيّر الاجتماعي الذي يعدُّ محورياً في تحليل الخطاب النقدي بشكل عام.

التمايز اللغوي بين الجنسين

إنَّ الأعمال الأولى عن الرجال والنساء واللغة تناولت التمايز بين الجنسين. فقد أجرى الأوروبيّون وغيرهم من "الغربيّين" المهتمّين بالأنثروبولوجيا دراسات حول الاختلافات المعنيّة. وتميل مثل هذه الدراسات إلى التركيز على "غرابة" الطبيعة الصوتية والمعجمية (أنماط الصوت والكلمات والتراكيب). فقد ركز قدر كبير من هذا النوع من البحوث على وجود ضمائر أو لواحق مختلفة خاصة بالرجال والنساء، سواءً كمتحدّثين أو كأشخاص يتحدّث إليهم أحد ما أو يتمُّ الحديث عنهم. فالتمايز الجنسي من هذا النوع غير شائع في اللغات ذات الأصل الأوروبي. فأنظمة الضمائر في اللغات الجرمانية- مثل الإنكليزية والدانماركية- تميّز الجنس فقط في صيغة ضمير الغائب المفرد (هو / هي). أي عندما يتحدّث فرد ما لآخر عن شخص ثالث، يتمُّ تحديد جنس الشخص الثالث. كذلك فإنَّ أنظمة الضمائر في اللغات الرومانية- على سبيل المثال الفرنسية والإيطالية والإسبانية والرومانية- متشابهة، باستثناء إشارتها للجنس في صيغة جمع الغائب (هم /هن، وما إلى ذلك). وتحتوي اللغة العربية العامية أيضاً على أشكال تمييز جنسية في صيغة ضمير المخاطب المفرد (أنت) إذ يعتمد الضمير الذي تستخدمه على ما إذا كان هذا الشخص ذكراً (إنتَ؟) أم أنثى (إنتِ؟) عند مخاطبة الشخص بضمير المخاطبة. (يمثّل الرمز ؟ نقطة توقّف لسان المزمار).

أمّا اللغات الأخرى فلها أنظمة ضمائر مختلفة جدّاً. فاليابانية معقّدة بسبب وجود مستويات مختلفة شكلياً وبسبب الحاجة إلى مراعاة حالة الشخص الذي تتحدّث إليه عند تحديد المستوى الواجب استخدامه. فهناك مثلاً مجموعة من الكلمات المختلفة لضمير المتكلّم (أنا). كما يوجد ضمائر رسمية يستخدمها كلٌّ من النساء والرجال: مثل الضمير واتاشي (أنا) والضمير وواتاكوشي شديد الرسميّة. كذلك تستعمل النساء فقط الضمير أتاشي بشكل أقلّ رسميّة، وعادةً ما يستخدم الرجال فقط الضمير بوكو (هناك أيضاً ضمير آخر، وهو أور، متاح للرجال إذا أرادوا إظهار رجولتهم). إذ يعتمد اختيار الضمير هنا على جنس المتحدّث وليس المرسل إليه. أي إذا كنت امرأة، فيجب عليك استخدام صيغة الضمير "الأنثوي" وإذا كنت رجلاً، فيجب عليك الاختيار بين ضمائر "الذكر". يبدو أنَّ اليابان في طريقها للتغيير. تقول الفتيات في المدارس الثانوية اليابانية إنهنَّ يستخدمن ضمير المتكلّم **بوكو** boku، لأنهنَّ إذا استخدمن **الأتاشي** لا يمكنهنَّ التنافس مع الأولاد (جوجاكو 1979،

مقتبس من أوكاموتو 1995 ص314). كذلك أبلغت النسويات بأنهنَّ يستخدمن نموذجاً آخر، وهو بوك boke، للإشارة إلى أنفسهن (رومين 1994: 111).

وفي بعض المجتمعات القبلية التقليدية، يمتلك الرجال والنساء مجموعة كاملة من المفردات المختلفة التي يستخدمونها (بينما يفترض أنَّهم يفهمون الأشكال "الذكورية" و"الأنثوية" ولكنَّهم لا يستخدمون كلهما). أحد الأمثلة المتطرّفة على هذه الظاهرة في اللغة التي استخدمها هنود الكاريبي (الذين سكنوا ما يعرف الآن بدومينيكا، في جزر الأنتيل الصغرى). عندما التقى مستكشفون من أوروبا بهؤلاء الأشخاص للمرة الأولى، اعتقدوا أنَّ النساء والرجال يتحدّثون لغات مختلفة. هذا ما قاله كاتب رحّالة أوروبي في القرن السابع عشر عنهم:

لدى الرجال عدد كبير جداً من التعبيرات الخاصة بهم، تعبيرات تفهمها النساء ولكنهنَّ لا ينطقن بها أبداً. ومن ناحية أخرى، فإنَّ النساء لديهنَّ كلمات وعبارات لا يستخدمها الرجال أبداً، وإلَّا سيكونون موضع سخرية. وهكذا غالباً ما تبدو النساء في محادثاتهنَّ كما لو أنَّ لهنَّ لغة أخرى غير لغة الرجال. (روشفورت، مقتبس عن جيسبيرسن 1922: 237)

من المرجّح أن يحدث هذا الوضع اللغوي في ثقافات مستقرّة ومحافظة، حيث الأدوار الاجتماعية للذكور والإناث غير مرنة. ومع ذلك، فإنَّ قبيلة معاصرة في البرازيل، وهي قبيلة كاراجا- التي يختلف كلام الذكور عن كلام الإناث في لغتها أكثر من أيّة لغة أخرى- تتعامل حالياً مع التغيّرات الثقافية السريعة والعميقة التي تؤثّر على كلِّ جانب من جوانب مجتمعها.

الجدول 1.1 الفروق في كلام الرجال والنساء في قبيلة كاراجا

كلام الذكر	كلام الأنثى	البرتغالية	الإنكليزية
هيتو	هيتوكو		منزل
أوت	كوتو		سلحفاة
بيسيليتا	بيسيكريتا	بيسكليتا	دراجة
نوبيوتيكسو	نوبيكوتيكسو	دومينجو	الأحد

ففي خطاب كاراجا، يتمُّ تمييز جنس المتحدّث صوتياً. وهناك اختلافات نسقية في الصوت بين أشكال كلمات الذكور والإناث، وتحدث حتى في الكلمات المستعارة من اللغة البرتغالية. هناك بعض الأمثلة في الجدول 1.1. لاحظ غياب (ك) و(كو) في كلام الذكر.

تقليدياً، يلتزم المتحدّثون في كراجا بالأدوار الاجتماعية المحدّدة بوضوح شديد للنساء والرجال. وهكذا يدلُّ استعمال أشكال التعبير المميّزة للذكور والإناث على هذه الأدوار المتمايزة وهو ما يعدُّ جانباً محورياً في هويّة قبيلة كاراجا. ونظراً لأنَّ الشباب يتعلّمون الآن القراءة والكتابة بلغتهم الأم، فسيتمُّ الاحتفاظ بهذه الأشكال المميّزة. ونتيجة لذلك، سيكونون أقل عرضة لفقدان إحساسهم بالهوية الثقافية في عملية استيعابهم داخل المجتمع البرازيلي الأكبر الناطق بالبرتغالية ممّا لو اضطرهم الحال إلى معرفة القراءة والكتابة باللغة البرتغالية.

إن الفروق بين الجنسين في اللغة من النوع الذي اهتممت به هنا في هذا الكتاب قد جرى تجميعها تحت مفهوم "التمايز المقصور على الجنس" في السبعينيات. وأصبح التمييز بين التمايز المقصور على الجنس والتمايز التفضيلي للجنس- الذي اقترحه للمرّة الأولى عالم لغوي أمريكي، وهو آن بودين- شائعاً لوصف نوعين مختلفين من السمات قيد البحث. فعلى عكس الاختلافات القائمة على الجنس، فإنَّ الفروق التفضيلية بين الجنسين ليست مطلقة؛ هي مسألة درجة. في حين أنَّ التمايز القائم على الجنس غير شائع إلى حدٍّ ما في اللغات ذات الأصل الأوروبي، لا يمكن قول الشيء نفسه عن التمايز التفضيلي بين الجنسين. وفي الفصول اللاحقة، سأركز على الأنماط التفضيلية للجنس في استخدام اللغة بدلاً من الأنماط التي تقتصر على الجنس من النوع الذي تحدّثت عنه حتّى الآن. وسيشمل ذلك، من بين أمور أخرى، فحص الادعاءات القائلة بأنَّ النساء يستخدمن أشكالاً من اللغة أقرب إلى صنع الهيبة من تلك المستخدمة من الرجال (أي أنَّهم يتحدّثن أكثر "بشكل صحيح") والمزاعم بأنَّ النساء يستخدمن أسلوباً تعاونياً في الحوار بينما يستخدم الرجال أسلوباً يعتمد على القدرة التنافسية.

إنَّ كلاً من الاختلافات المقصورة على الجنس والاختلافات التفضيلية للجنس مقيّدة بقيد الثقافة. ويعدُّ اكتسابها جزءاً مهمّاً من تعلّم كيفية التصرّف كرجال ونساء "على النحو اللائق" في ثقافة معيّنة. ويمكن أن يكون للفشل في اكتساب أشكال التعبير المناسبة واستخدامها عواقب وخيمة ومدمّرة على الفرد المعني. لقد حكى غريتشن فورتشن، وهو عالم لغوي أمريكي

في البرازيل شارك في إنتاج نظام الكتابة الأصلي الذي ما يزال يستخدم لدى قبيلة كاراجا، حكى قصّة شاب في قبيلة كاراجا لم يقم والداه بتصحيح استخدامه لأشكال التعبير النسائية (فورشن 1995). إنَّ اصطدام هذا الفرد بالمعايير اللغوية لمجتمعه يعني أنَّه أصبح من غير الملائمين ومصدراً للسخرية داخل عالمه الاجتماعي. وبالنسبة له كشخص غير لائق، مثّلت اللغة البرتغالية هوية جديدة ونوعاً من التحرّر.

يمكن أن يصبح التمايز اللغوي بين الجنسين موقعاً للنضال الاجتماعي لمجتمع بأكمله، وليس لفرد واحد فقط. فلم تعد صيغ الرجال والنساء اليابانيين مقصورة على الجنس- أي الأشكال المستخدمة حصرياً من جهة جنس واحد.

الجنس مقابل الجندر

يقودني هذا إلى التمييز بين الجنس والجندر. هذا التمييز يعدُّ اختراقاً مفاهيمياً لنسوية الموجة الثانية، وتعدُّ آن أوكلي، وهي عالمة اجتماع بريطانية نسوية، أوّل من وضحته بالتفصيل (أوكلي 1972). وفقاً للتمييز بين الجنس- الجندر، فإنَّ الجنس مؤسّس بيولوجياً، في حين أنَّ الجندر سلوك مكتسب. فالجنس في الأساس مسألة جينات وإفراز هرمونات وتطوّرات جسدية تنتج عن ذلك. فالجنس الذي أنت عليه ذكراً أو أنثى، بمقتضى ذلك، فمردّه أنَّ والديك قد منحاك كروموسوم إكس أو واي. هذه الكروموسومات هي التي تحدّد تطوّر الغدد التناسلية (الغدد الجنسية الجنينية) في المبيض أو الخصيتين. وعند بلوغ ثمانية أسابيع، تبدأ الغدد التناسلية للجنين الذي لديه كروموسوم إكس واحد وواي واحد في إنتاج هرمون التستوستيرون الذكري، وبعد ذلك يبدأ نمو الأعضاء التناسلية الذكرية. وبدون إنتاج هذا الهرمون يستمر الجنين كالمعتاد. أي أنَّه يستمر في التطوّر إلى أنثى. كان هذا الافتراض، بأنَّ الأنثى البيولوجية هي الأصل، فكرة جذّابة لعديد من النسويات في السبعينيات والثمانينيات، لأنَّها تتناقض بقوّة مع الافتراضات الذكورية التي تقول بأنَّ الذكر هو الأصل التي تغلغلت في كثير من الدراسات (هناك أمثلة مختلفة على هذا الافتراض في الفصلين الثاني والثالث). ومنذ ذلك الحين تمَّ الطعن على هذا الافتراض (فاوستوستيرلينج 2000: 204). والتفسير الذي قدّمته هنا بسيط بالضرورة. ومع ذلك، فإنَّ النقطة الأساسية هي أنَّ الجنس مسألة سمات جسدية وهو في الأساس ثنائي الشكل (أي له شكلان). فالفرد إمّا ذكر أو أنثى (ثنائيو الجنس يعقّدون الصورة، وسأتطرّق إلى هذه المسألة في القسم التالي).

على النقيض من ذلك، فإنَّ الجندر مؤسّس اجتماعياً. إذ يتمُ تعلّمه. فالناس يكتسبون الخصائص التي يُنظر إلها على أنَّها ذكورية وأنثوية. ففي اللغة اليومية، من المنطقي التحدّث عن امرأة "مسترجلة" أو رجل "أنثوي". فعلى عكس الجنس، الجندر ليس ثنائياً؛ يمكننا الحديث عن رجل أكثر ذكورية (أو أكثر أنثوية) من غيره. وينعكس هذا التباين بين الجنس والجندر في قواعد اللغة الإنكليزية. نحوياً يمكن أن يكون لدينا كلمات **مذكّر**، **أكثر ذكورية**، **الأكثر ذكورية** ولكنَّنا لا نمتلك كلمات **الرجل الأرجل*** **الأكثر رجولية*** (حسب العرف، تشير العلامة النجمية إلى صيغ غير نحوية أو غير موجودة في علم اللغة). ويتمُ تصنيف الناس حسب الجندر ومشاركتهم بفاعلية في عملية تصنيفهم جندرياً، كما سأبيّن في مناقشتي بالجزء الثالث، إذ سأهتمُ أيضاً ببعض الأنواع العديدة الممكنة من الذكورة والأنوثة.

ممَّا سبق يتضح أنَّ ما يسمّى بالتمييزات المقصورة على الجنس والتمييزات المفضّلة للجنس هي في الواقع طرق لتأدية الجندر. أي أنَّها جزء من التصرّف كرجال ونساء "مناسبين" في ثقافات معيّنة. وإذا كانت هذه التمييزات مسائل تتعلّق بالجنس البيولوجي حقّاً، فلن يظهر التنوّع الاستثنائي الذي تتسبّب فيه. ستكون على حالها في كلِّ مكان. لذلك سيكون من التضليل، وليس من المفيد على الإطلاق، الخلط بين الجنس والجندر. ومع ذلك، تختلف التفسيرات حول مدى تحديد الاختلافات بين الجنسين أو تعلّمها بيولوجياً. على سبيل المثال، هناك قدر كبير من الأدلّة التي تشير إلى أنَّ الرجال يميلون إلى أن يكونوا أكثر عدوانية من النساء. وعدد الرجال المدانين بجرائم عنيفة يفوق عدد النساء. وغالباً ما يستخدم وجود مستويات أعلى من هرمون التستوستيرون لدى الرجال مقارنةً بالنساء لتفسير هذا الاختلاف (يُعرف التستوستيرون باسم هرمون الذكورة وهو أمر حاسم في نمو الجنين الذكر، ولكنّه موجود أيضاً لدى النساء).

ومع ذلك، فإنَّ الأدلّة البحثية بعيدة كلّ البعد عن كونها قاطعة. يبدو أنَّ هناك علاقة بين مستويات هرمون التستوستيرون العالية والعدوانية، لكن من المستحيل بالتأكيد الادعاء بوجود صلة سببية محدّدة بينهما. وهذا يعني صعوبة القول على وجه اليقين بأنَّ هرمون التستوستيرون يجعل الناس عدوانيين. هناك الكثير من الأدلّة البحثية التي توثّق ميل الأولاد إلى العدوانية أكثر من الفتيات، حتّى في سن ما قبل المدرسة. ولا يمكن إرجاع الاختلافات في مستويات العدوانية بين الأولاد والبنات إلى الفروق الهرمونية، نظراً لأنَّ مستويات هرمونات

الأطفال لا تذكر. وفي الواقع، هناك بعض الأبحاث التي تقول بنقيض ذلك: قد تؤدّي عدوانية الشخص إلى زيادة مستوى هرمون التستوستيرون. إذاً لدينا وضعية الدجاجة والبيضة. والمشكلة لا تنتهي عند هذا الحد. ماذا نعني بالعدوان على أيِّ حال؟ المصطلح معروف بعدم دقته. انظر، على سبيل المثال، وصف النسوية الأسترالية لين سيغال لاستخدامه كمرادف لـ"الهيمنة" (1994: 182). كما يمكن استخدامه أيضاً بالاقتران مع ظواهر مختلفة جداً، بداية من الحزم في الندوات إلى القتل المتسلسل.

إذاً، هل ميل الرجال نحو العدوان المفرط سمة بيولوجية (أي جنسية)، أم تراه جانباً من جوانب الجندر الذكوري، وبالتالي فهو سمة من صنع المجتمع؟ أو ربّما كلاهما؟ حسناً، ربّما من الأفضل الاعتراف بأنَّ أنماط سلوك الناس تأتي من التفاعل بين البيولوجيا والممارسات الاجتماعية، إذ لا يمكن في النهاية فصل ما هو بيولوجي عمّا هو اجتماعي. ومن باب التوثيق، تبيّن وجود علاقة سببية بين هرمون التستوستيرون وحدوث العدوان عند الجرذان والفئران، لا بين البشر أو الرئيسيات الأخرى. كذلك تبيّن وجود مستويات أعلى من العدوانية بين الذكور منها بين الإناث، في بعض أنواع الرئيسيات، وليس كلّها. حتّى في هذه الحالة، ليس هناك حاجة للجوء للتفسير البيولوجي (بيم 1993: 34-35). فكما تلاحظ سيغال، فإنَّ:

> **ما هو بيولوجي وحده... غير قادر على تحديد مسار الخبرة والسلوك بالكامل. على سبيل المثال، يجب على جميع الناس أن يأكلوا، ولكن ماذا نأكل، وكيف ومتى وأين، وظاهرة أكل الخضروات، والحمية، وقواعدها، والسمنة، وفقدان الشهية، أعني حقّاً أنَّ أيّة ممارسة بشرية أو مشكلة تتعلّق بالأكل، لا يمكن بحال تصوّرها على النحو السليم، ناهيك عن فهمها، بالحديث فقط عن الميول البيولوجية. (1994: 186)**

إذاً، علينا أن نكون حذرين فيما نطرحه من ادعاءات بشأن العلاقة بين الجنس والجندر. فعندما يتمُّ ربط الجنس بالجندر، كما هو الحال في كثير من الأحيان، يوجد افتراض ضمني بأنَّ الاختلافات المحدّدة اجتماعياً بين النساء والرجال هي اختلافات طبيعية وحتمية. ولعلَّ الخلط بين الجنس والجندر له أسس سياسية: فغالباً ما يكون هذا الخلط ملازماً لإعادة التأكيد على الأدوار العائلية التقليدية أو تبرير الامتيازات الممنوحة للذكور. ضع في اعتبارك بعض الأمثلة. هذه بعض التعليقات التي سمعتها. وربّما تبدو مألوفة:

لا يُسمح للمرأة بفعل ما هو طبيعي هذه الأيام. تريد النساء العاديات إنجاب أطفال، ويريدن البقاء في المنزل، لكنهنَّ لا يستطعن ذلك.

حسناً، إنَّني أفترض أنَّ الأولاد يهيمنون بالفعل داخل الفصل. أوه، إنَّهم يستغلّون أجهزة الكمبيوتر، بشكل طبيعي. لا، الفتيات فقط غير مهتمات.

وما إلى ذلك وهلمَّ جرّا. (راجع سبيندر1995 لنفس الملاحظات الأسترالية المناظرة حول الأولاد في الفصول الدراسية). عندما يتمُّ محو التمييز بين الجنس والجندر، قد يتمُّ تبرير قلّة الفرص المتاحة أمام النساء والفتيات بأنَّ ذلك ضروري من الناحية البيولوجية، وهكذا لا يتمُّ دحض الأفكار السائدة عن الاختلاف بين الذكور والإناث في القدرات والحاجات والرغبات.

لذا فإنَّ الادعاء بأنَّ الجنس والجندر هما في الأساس الشيء نفسه حجّة محافظة. كما لاحظت أوكلي، "ففي مواقف التغيير الاجتماعي، قد تتولّى التفسيرات البيولوجية دور مدوّنة أخلاقية أقرب إلى الإقناع الأخلاقي بالدين" (1982: 93). هناك مجال بحثي شائع ومؤثّر مخصّص لرد السلوك البشري إلى التركيب البيولوجي. إذ يرد علم الأحياء الاجتماعي وعلم النفس التطوّري السلوك إلى أسباب وراثية. فقد زعمت إحدى المساهمات في هذا المجال بفترة التسعينيات بأنَّها برهنت على أنَّ الجينات هي التي تقف وراء ضعف الإنجاز التعليمي عند الأمريكيين السود (موريه وهيرنشتاين 1994)- بعبارة أخرى، إنَّ السود أدنى مرتبة وراثياً-. والتطوّر الأحدث لتلك التصوّرات هو ما ذاع شعبياً من كتب علمية تتناول "الجنس الدماغي" التي تصرُّ "إصراراً غير عادي على عدِّ الدماغ منبع الضغوط الاجتماعية" (فاين 2008: 69). وقد نعت نقّاد هذا النوع من الكتب بـ"الجنس العصبي" (فاين 2010) أو "علم الأحياء" الجديد (كاميرون 2009، 2014).

كذلك، فإنَّ الادعاءات القائمة حول التأثير المباشر للبيولوجيا على اللغة هي إدعاءات مثيرة للجدل بالقدر نفسه. إذ يتوافر قدر هائل من الأبحاث التي حاولت جعل قدرات الدماغ هي السبب من وراء الاختلافات الجنسية. والموضوع حسّاس للغاية من الناحية السياسية. وهكذا نجد الادعاءات المختلف عليها حول الاختلافات المعرفية تقول بأنَّ النساء يولدن ليكنَّ أفضل في تعاملهن مع اللغة من الرجال، فيما الرجال أفضل بالفطرة من النساء في التعامل

مع الأمور البصرية ومع المكان. هناك بالفعل بعض الاختلافات الطفيفة، ولكنّها موثّقة جيّداً (فيلبس وستيل وتانز 1987؛ وهالبرن 1992):

1- زُعم أنَّ الفتيات، إحصائياً، يمررن بمراحل تطوّر لغوي أبكر قليلاً من الأولاد.
2- قيل إنَّ الفتيات أقل عرضة للاضطرابات اللغوية، مثل التلعثم وصعوبات القراءة.
3- زُعم أنَّ نصفي الدماغ الأيمن والأيسر عند الفتيات والنساء ينموان بشكل مختلف عن الحال لدى الأولاد والرجال. وهذا يعني أنَّ مراكز الكلام ليست مؤسَّسة حصرياً في نصف الدماغ الأيسر؛ لذلك تعالج النساء الكلام على الجانب الأيمن أكثر من الرجال. والنتيجة هي قدرة المرأة على الكلام بشكل أفضل مقارنة بالرجل، إذا أصيب نصف مخّها الأيسر (من جرّاء سكتة دماغية، مثلاً).

غالباً ما يستخدم الفارق الثالث لتفسير الفارقين الأوّل والثاني. ومع ذلك، هناك مشكلة كبيرة في هذا. لدينا وضع الدجاجة والبيضة مرَّةً أخرى. كيف يمكننا أن نفترض أنَّ الاختلاف في التجانب[*] فطري؟ الأطفال حديثي الولادة لا ينطبق عليهم ذلك على الإطلاق. وفي الواقع، اكتشف بعض الباحثين أنَّ أدمغة الأولاد تميل إلى أن تكون أقل تجانباً. ويبدو التأثير البيئي سبباً منطقياً للغاية لتفسير الاختلافات. فهناك الكثير من الأدلّة التي تشير إلى أنّه يتمُّ التحدّث إلى الأولاد والبنات كلّ على حدة بشكل مختلف. إذ يبدو أنّنا نتحدّث إلى الفتيات الصغيرات أكثر، على سبيل المثال. ألا يمكن لهذا الحديث أن يحفّز أكثر تسهيل التعامل مع اللغة؟ يبدو ذلك من المرجّح جدّاً. وبعد أن أجريت أبحاث كثيرة لإثبات الاختلافات البيولوجية الأساسية في القدرات العقلية بين النساء والرجال، لم تنتهِ هذه الأبحاث لنتائج حاسمة (انظر هيد وماكنيللي 1997). فلم تدعم الأبحاث الحديثة الادعاءات المتعلّقة بالتجانب، على سبيل المثال، باستخدام طرق حديثة موضوعية يسّرت فحص الأشخاص الأصحّاء بدلاً من الاعتماد على ملاحظة الأشخاص الذين عانوا من تلف في الدماغ (فروست وآخرون 1999، نيخت وآخرون 2000).

---

[*] يقصد به تخصيص جانب واحد من الدماغ بوظائف بعينها، وكما هو واضح فإن الجانب الأيمن في دماغ المرأة يحتوي على مراكز الكلام على غير الرجل (المترجم)

إنَّ ما يثير اهتمامي هو أنَّ الناس يريدون إيجاد مثل هذه الاختلافات. فكما لاحظت عالمة اللغة البريطانية ديبورا كاميرون، فإنَّ "دراسات" الاختلاف "ليست بحثاً نزيهاً عن الحقيقة، ولكن في مجتمع غير متكافئ، فإن لها بُعد سياسي حتماً" (كوتس وكاميرون 1988: 5-6). وفي الآونة الأخيرة، جادلت عالمة الأحياء النسوية، آن فاوستو ستيرلنج، بأنَّ "علم الأحياء هو علم سياسة بوسائل أخرى"، وشدّدت على الحاجة إلى مواصلة العمل على "محاربة توجّهاتنا السياسية بالاستعانة بحجج من علم الأحياء". كما تحثّنا في أثناء ذلك على عدم "إغفال الحقيقة القائلة بأنَّ مناقشاتنا حول بيولوجيا الجسم هي دائماً مناقشات خلقية وأخلاقية وسياسية في الوقت نفسه بشأن المساواة الاجتماعية والسياسية وإمكانيات التغيير. وليس غير ذلك (فاوستو- ستيرلينج 2000: 255).

عندما نتعامل مع الأنشطة المكتسبة مثل نشاط التفاعل اللغوي، يمكننا عن يقين الحديث عن سلوك محكوم بالتمييز الجندري. والتفاعل اللغوي هو بوضوح سلوك مكتسب. وما من سبيل لتفسيره بالحديث عن دور القدرات الفطرية. وفي المجتمعات ذات الفروق بين الجنسين في استخدام اللغة، يكون الاختيار من بين مجموعة من الخيارات المعجمية جزءاً من أداء التمييز بين الجنسين. ربّما لا تكون كلمة "اختيار" هي الكلمة الصحيحة، لأنَّ الصيغ المستعملة من النساء والرجال تفرضها قواعد توجيهية. يمكن مقارنتها بالقواعد الإرشادية في اللغة الإنكليزية مثل "أن يوجد نفيين يعني ذلك الإيجاب" أو "لا تنتهي أبداً جملة بحرف جر". فإذا قام المتحدّثون بإنتاج صيغ غير مناسبة، يتمُّ تصويبهم. ومع ذلك، من المحتمل أن تكون عواقب انتهاك قواعد الجندر أكثر خطورة ممّا هو الحال بالنسبة للمتحدّثين باللغة الإنكليزية هذه الأيام. فمن حين لآخر، هناك استثناءات، فعندما لا يتمُّ تصحيح المتحدّثين في قبيلة كاراجي بالبرازيل فإنَّهم يعانون نتيجة لذلك، كما نعلم من بحث فورشن.

إذاً الجندر ليس بيولوجياً، بل هو نفسي اجتماعي؛ فينبغي دائماً النظر إليه في ضوء العلاقات الاجتماعية بين الناس. لقد جرى الطعن على حجج التمييز بين الجندر والجنس مع ذلك، كما هو الحال مع غيرها من الحجج ذات الصلة بالتمييز ما هو طبيعي وما هو مكتسب. وهو ما يسعى القسم التالي لتفسيره.

الجنس والجندر كثنائيات مزعجة

يبدأ مجلّد حول أبحاث اللغة والجندر بهذه الملاحظة: "مثلما قلّما نشكّك في قدرتنا على التنفّس، فنادراً ما نشكّك عادة في تقسيم البشر إلى فئتين: الإناث والذكور" (بيرجفال، بنج وفريد 1996: 1). إذ يعدُّ تخصيص أولوية للجنس عند الولادة (ليندستروم وناسلوند روبيرسون2015). وتواصل اللغويتان الأمريكيتان جانيت بينغ وفيكتوريا بيرغفال النظر في حاجة البشر إلى فرض فئات وحدود على التجربة من أجل فهمها. هذا شيء مألوف جدّاً لعلماء اللغة. فيمكن أن تكون الحدود في تجاربنا غامضة وملتبسة تماماً؛ تضع اللغة الأشياء في فئات واضحة، وتفرض حدوداً وقيوداً وتقسيمات على الواقع. وقد لاحظت بينغ وبيرغفال، مثلاً، أنَّ لدينا فئتين مميزتين هما "النهار" و"الليل"، لكنَّ الحدود الفعلية بينهما غير واضحة. فلا يمكننا أن نحدّد بدقّة متى يتوقّف النهار ويصبح ليلاً. فالنهار والليل من الفئات الثنائية التي تفرضها اللغة؛ فيما هما في الواقع متصلان. وبالمثل، فإنَّ علماء علم اللغة الاجتماعي المهتمّين باللهجة المستمرة معتادون على التعامل مع حدود غير واضحة. فقد يكون من الصعب جدّاً تحديد المكان الذي تنتهي فيه مجموعة متنوّعة من اللهجات أو اللغات وتبدأ أخرى. النقطة التي تشير إليها بينغ وبيرغال هي أنّه من الأفضل وصف خبرات كثيرة على أنّها متصلة وأنَّ الفئات ثنائية القطب ليست دقيقة دائماً.

لقد لاحظت بالفعل أنَّ الجندر هو سلسلة متصلة. فمن المنطقي الحديث عن درجات من الذكورة والإنوثة. يمكننا القول إنَّ شخصاً ما أكثر إنوثة من الآخر. لكنَّ من المؤكّد أنَّ الذكور والإناث من الفئات الواضحة، أليس كذلك؟ حسناً، عادةً نعم، لكنَّ الأمر ليس دائماً. فقد اتضح أنَّ الجنس هو أيضاً سلسلة متصلة. ففي القسم الأخير قدّمت المحدّدات الأساسية للنمو الجنسي للجنين. وفي بعض الأحيان تحدث الأشياء بشكل مختلف. على سبيل المثال، قد لا يتلقّى الجنين الذي يحمل الكروموسومات (X) و(Y) جرعته الحاسمة من هرمون التستوستيرون "الذكري" في غضون ثمانية أسابيع. ما يتلقّاه قد لا يكون كافياً أو إذا كانت الجرعة كافية، فقد تأتي في الوقت الخطأ. تؤدّي هذه "الأخطاء" إلى نمو ثنائي الجنس داخل الجنين. لا يولد كلّ الأفراد ذكوراً أو إناثاً. يولد البعض ذكوراً وإناثاً، ويولد البعض لا هم بالذكور ولا هم بالإناث، والبعض الآخر غير محدّد. وفقاً للأرقام التي ذكرتها بينغ وبيرغال، هناك طفل واحد ثنائي الجنس مقابل ثلاثين ألف طفل مولود. وتشير تقديرات أخرى إلى أن

الرقم أعلى من ذلك بكثير. فبحسب ما لاحظتاه فإنَّه "على الرغم من أنَّ ولادة الأفراد ثنائي الجنس ليست نادرة، فإنَّها غير مذكورة حتى في الصحف الشعبية التي تنقل بانتظام موضوعات شائنة مثل الجماع مع كائنات فضائية وعودة ظهور إلفيس". وفي المجتمعات الصناعية، جرى تأكيد التميز الثنائي بين الذكر والأنثى طبّياً. ويتمُ "تصحيح" الاستثناءات جراحياً وبالعلاج بالهرمونات. بما أنَّ هذا هو الحال، فليس من باب المفاجأة اعتراف الأطباء بأنَّ الجنس فضلاً عن الجندر الاجتماعي يتشكّلان اجتماعياً (بينغ وبيرغال 1996: 8-9).

وفي بعض الكتابات حول اللغة والجندر، هناك ميل لمعاملة الفئات الاجتماعية للمذكّر والمؤنّث على أنَّها ثنائية القطب. وينطبق هذا بشكل خاص على الأعمال التي تتناول أنماط التفاعل المميّزة للرجال والنساء، ولاسيّما الأنماط الشائعة (انظر الفصل الخامس). هذه الدراسات تفتح الباب أمام الحتمية، ولكنَّها تجعلها قائمة بشكل موارب. وهذا معناه أنَّها تتخلّص من الحتمية البيولوجية لكي تستبدلها بنوع من الحتمية الاجتماعية، وهي ليست بالأمر الأفضل. أعود إلى مشكلة الهوس بالاختلاف ثنائي القطب في الفصل السادس نهاية الجزء الثاني بوصفها موضوع اهتمام نظري. تعاملت بعض الدراسات المقدّمة في الجزأين الأوّل والثاني الجنس/ الجندر على أنَّه غير إشكالي، إذ حدّدت هدف بحثها على أنَّه تحديد الاختلافات في السلوك اللغوي بين أعضاء كلّ فئة ثنائية القطب: فالرجال يتحدّثون مثل هذا، والنساء مثل ذاك. فيما تجنّبت دراسات أخرى ذلك، ولم تشرع في بحث الارتباطات بين اللغة والجندر في حدِّ ذاتها بقدر ما بحثت علاقة اللغة بالأدوار الاجتماعية المصنّفة حسب الجندر (مثل الموقع في مجموعة عائلية).

لكنَّ الأمر لا يتعلّق فقط بأنَّ الجنس والجندر كلاهما يحتاجان لأن يُنظر إليهما على أنَّهما متواصلان. ففي النهاية، لا يصمد التميز بينهما ببساطة. تتفكّك الثنائية التي ينطوي عليها التميز بين الجنسين عندما تفكّر في أنَّ العوامل الثقافية والبيئية تؤثّر بشكل حاسم على إمكانية نمو الجنين حتى قبل لحظة الحمل (في الواقع قبل ذلك بوقت طويل، إذا كان يجب تصديق النصوص الاستشارية للآباء المحتملين). وفي مقال عن التأثير التكويني للثقافة على تطوّر الهيكل العظمي البشري، يجادل فاوستو ستيرلينغ بشكل مقنع بأنَّ "أجسادنا تشرب الثقافة جسدياً" (2005: 1495). "فتفسير الاختلاف باللجوء لثنائية الجنس- الجندر أو الطبيعة- التنشئة"، كما تقول، هو تفسير "يعجز عن تقدير الدرجة التي تكون فيها الثقافة

شريكاً في إنتاج أنظمة الجسم التي يشار من خلالها عادة إلى دور البيولوجيا في ذلك" (ص1516). إذاً، أيهما يأتي أوّلاً: الجنس أم الجندر؟ لا هذا ولا ذاك.

هناك أيضاً نوع آخر من المشاكل المتعلّقة بالمطابقة المفترضة بين الجنس والجندر. ففي كتاب "الرجولة الإنثوية"، يقوّض جاك هالبرستام (1998) الافتراض القائل بوجود روابط حتمية بين الذكورة والرجولة أو بين الإنوثة البيولوجية والإنوثة الاجتماعية. كذلك فإنّ دراسته التي بحجم كتاب حول "الذكورة بدون رجال" كان لها هدف شامل واحد: إظهار ظاهرة ذكورية الأنثى المنتشرة التي تمَّ تجاهلها بإصرار. وبفعله ذلك، يفصل الذكورة تماماً عن الرجولة، متحدّياً الأيديولوجية الجندرية القويّة التي تربط "الذكورة بالرجولة والسلطة بالسيطرة" (ص2).

وفي الختام، يعدُّ "الجندر"، بالنسبة للنسويات، بنية أيديولوجية تقسم الناس بشكل هرمي إلى فئتين، "الرجال" و"النساء". وبناءً على الاختلاف الجنسي، تفرض بنية الجندر تقسيم اجتماعي للعمّال وتقسيم للسمات البشرية للنساء والرجال، يختلف جوهره عبر الزمان والمكان" (لازار 2014: 186). هذا، في الأقل، هو الموقف الذي اتخذه التحليل النقدي النسوي للخطاب، الذي أعود إليه في الفصل السابع.

مزيد من القراءات

اللغويات والنسوية

لمناقشة الأسس النسوية للبحث في اللغة والجندر والجنس، انظر بوشلز (2014). ولمعاينة أهمية النسوية في هذا المجال، اقرأ ميلز ومولاني (2011).

التمايز القائم على الجنس والتفضيل الجنسي

تغطّي معظم مقدّمات علم اللغة الاجتماعي هذا الموضوع، على الرغم من عدم استعمال المصطلحات الفعلية. ويرد المسح الجيّد لبحوث الفروق المبكّرة بين الجنسين في المقال الذي ظهر فيه المصطلحان للمرّة الأولى: بودين (1975). والبديل هو الفصل المسمّى "اللغة والجندر" في كتاب ترودجيل (1995).

"جنس الدماغ"

ينتقد الفصل السادس من كتاب كاميرون (2007) كتاباً علمياً مشهوراً عن "جنس الدماغ" (بارون- كوهين 2003). وللوقوف على وصف بيولوجي مفصّل لمدى ضعف البحث عن "جنس الدماغ"، يقرأ الفصل الخامس من كتاب فاوستو- ستيرلينج (2000). انظر أيضاً كتاب كاميرون (2009، 2014)، وكتاب فاين (2010) وكتاب جوردان- يونج (2010).

الجنس – الجندر

لقراءة مفيدة حول الجنس والجندر ينظر في كورنيل وبيرس (2014)، والفصل الأوّل من كتاب إيكرت وماكنيل- جينيت (2003) وماك إلهيني (2014). وبالنسبة لقضايا الاستقطاب الجندري وتواصل الجنس- الجندر، فإنَّ كتاب بيرغفال وبينغ وفريد (1996) كتاب أساسي.

وانظر أيضاً كتاب بيم (1993) والمواقع الإلكترونية لجمعية إنتيرسيكس في فرعها في أمريكا الشمالية (www.isna.org) وفرعها في المملكة المتحدة (www.ukia.co.uk).



2

التحدّث بشكل صحيح

يبحث هذا الفصل في المسح اللغوي الاجتماعي الذي أجري على المتحدّثين باللغة الإنكليزية، ويُظهر أنَّ النساء يستخدمن باستمرار الصيغ "القياسية" للغة أكثر من الرجال. إذ يبحث تأثير القوالب النمطية الموجودة على نتائج المسح وتفسيرها. كما يناقش باختصار الفروق النوعية في النغم والجوانب الأخرى لجودة الصوت، إذ يكون تأثير التنميط مهمّاً.

النساء والرجال والإنكليزية "القياسية"

اللغة الإنكليزية ليست لغة متجانسة. فهي تختلف حسب ظروف التحدّث بها أو كتابتها. بعبارة أخرى، يعتمد تنوّع اللغة الإنكليزية على مكان استعمالها وأسباب ذلك، وتوقيته وطريقته والفاعل المستخدم لها بطبيعة الحال. وستختلف لغة الفرد الواحد وفقاً لاحتياجات السياق الاجتماعي، من حيث مستوى الشكليات التي تتطلّبها العلاقة بين المتحدّث والمستمع وما يتحدّثان عنه، فضلاً عن جوانب أخرى من البيئة الاجتماعية. كذلك تختلف اللغة الإنكليزية التي قد تستخدمها في بثِّ الأخبار اختلافاً كبيراً عن اللغة الإنكليزية التي تستخدمها للتحدّث عن آخر فيلم شاهدته، أو عند إلقاء محاضرة حول الفيزياء الفلكية.

تختلف أنماط اللغة الإنكليزية أيضاً وفقاً للموقع الجغرافي، سواء داخل الحدود الوطنية أو خارجها. ويزداد تنوّع أنماطها في الجزر البريطانية. إذ يتحدّث الناس في مناطق مختلفة أنواعاً مختلفة منها- لهجات إقليمية- مع اختلافات مميّزة جداً. كذلك تمتلك الولايات المتحدة أيضاً أنماط إقليمية متميّزة، على الرغم من أنّها ليست متنوّعة بشكل لافت للنظر كما هو الحال في بريطانيا. ولدى الدول الأخرى لغات وطنية مميّزة: الإنكليزية النيجيرية، والإنكليزية الجنوب أفريقية، وما إلى ذلك. فضلاً عن اختلاف اللغة حسب المنطقة الجغرافية، فإنَّ اللغة

تختلف عمودياً، إذا جاز التعبير. يؤثّر التعليم والفرص الاجتماعية والاقتصادية لأسرة الشخص على لغته. على سبيل المثال، من المرجّح أن يتحدّث طلّاب الجامعات في بريطانيا وأن يكتبوا الإنكليزية البريطانية "القياسية" بدلاً من لغتهم العامية المحلّية، بغض النظر عن منطقة إقامتهم. سيبدو الطلّاب من بلفاست وبرمنغهام ولندن مختلفين نوعاً ما. وفي الواقع، قد يجدون في البداية صعوبة في فهم بعضهم البعض. لكنّهم سيستخدمون قواعد ومفردات متشابهة جداً؛ سيكون لديهم جميعاً اللهجة الاجتماعية نفسها. عندما يتعرّفون على بعضهم البعض، ستتقارب لهجاتهم؛ أي أنّهم سيبدؤون في تسوية الاختلافات في النطق، من دون أن يدركوا ذلك بشكل شبه مؤكّد. وقد أفاد كثير من الطلّاب أنّه عندما يعودون إلى منازلهم في العطلات، يلومهم أصدقاؤهم القدامى في المدرسة بأنّهم "يتحدّثون حديث أهل الذوات".

دراسات التدرّج الاجتماعي

نتج جزء كبير من الأعمال المبكّرة غير النسوية حول اللغة والجندر من دراسات أوسع للهجات الاجتماعية. كانت هذه الدراسات مسوحاً لغوية اجتماعية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وادعت، من بين أمور أخرى ادعتها، بأنّها تميّز تمييزاً مثيراً للاهتمام بين اللغة المستخدمة من النساء والرجال: أي أنَّ النساء عبر الطبقات الاجتماعية، يفضّلن باستمرار استخدام السمات المرتبطة باللغة القياسية ذات الوجاهة أكثر من الرجال. ولقد أجريت الكثير من هذه البحوث على اللغة الإنكليزية، ولكن كانت هناك نتائج مماثلة تمَّ التوصّل إليها حول مجموعة من اللغات الأخرى.

إن أكثر المسوح شهرة هو ما قام به اللغوي الأمريكي ويليام لابوف ودرس التنوّع اللغوي في مدينة نيويورك (لابوف 1966). وتضمّن هذا النوع من البحوث دراسة الأنماط اللغوية واسعة الانتشار، مع الاهتمام المحوري بعمليات تغيّر اللغة (ما الذي يسبّب التغيّر اللغوي؟ وفي مجتمعات معيّنة، من بدأه ولماذا؟). ويشار أحياناً إلى الحقل البحثي ككل باسم علم اللغة الاجتماعي أو نظرية التباين. لقد كان أكثر صرامة ونسقية من الأعمال المبكّرة في علم اللهجات. كانت دراسات التدرّج الاجتماعي في الستينيات والسبعينيات محاولات منسّقة لأخذ عيّنات ممثّلة لمجموعات من الناس. ولم يكن علم اللهجات في بواكيره أكثر منهجية واحتوى على افتراضات متحيّزة جنسياً. وغابت الإخباريات في علم اللهجة التقليدي تقريباً، وإذا جرت الحاجة لتبرير غيابهنَّ، يلوح في الأفق القول بأنَّ النساء مصدر ضعيف للهجة "الأصيلة".

كانت نقطة البداية هي تحديد بعض السمات اللغوية التي من المعروف عامةً بأنَّها سمات متباينة: أي المتغيّرات اللغوية. من الناحية النظرية، يمكن أن تكون هذه المتغيّرات سمات من أيِّ نوع؛ وفي الممارسة العملية، ركز علماء سوسيولوجيا اللغة في الغالب على عناصر النطق. وقد تبيّن لهم أنَّ المتغيّر الذي يتكرّر في عديد من لهجات اللغة الإنكليزية هو (ng)، الصوت الأخير في كلمات مثل "المشي" **walking** و"الضحك" **laughing**. يحتوي هذا الصوت (ng) على متغيّرين، أي يمكن نطقه بطريقتين مختلفتين:

المتغير: **(ng)**

التنويعات: [ŋ] [n]

أوّل هذين المتغيّرين، وهو [n]، وهو النطق الذي غالباً ما يتمُّ تمثيله بـ n عند التهجئة: 'walkin و laughin'. وهو النطق الشائع لـ(ng) في العامية. فالمتغير الثاني، [ŋ]، هو الصيغة القياسية.

يعتمد مدى استخدام الشخص الواحد لأحد المتغيّرات بدلاً من غيره على خلفيته الاجتماعية وعلى الإجراءات الشكلية التي يتطلّبها الموقف. ولكي يقوم لابوف بجمع البيانات اللازمة لتغطية هذين العاملين، تواصل مع عيّنة من سكّان نيويورك بهدف تمثيل طبقات اجتماعية مختلفة وأجرى مقابلة اجتماعية لغوية. لقد تمَّ تصميم المقابلة لاستنباط مجموعة من "أساليب" الكلام، بداية من الأساليب المقصودة عن وعي والرسمية للغاية إلى الأساليب غير المقصودة وغير الرسمية. ووجد لابوف، كما توقّع، أنّه كلّما ارتفع المستوى الاجتماعي وكلّما كان أسلوب الكلام أكثر رسمية، تكرّرت متغيّرات الوجاهة كثيراً. ووجد أيضاً أنَّ النساء في كلِّ طبقة اجتماعية ينتجن باستمرار صيغاً مرموقة أكثر من الرجال في الطبقة نفسها.

أجرى بيتر ترودجيل، وهو عالم لغوي بريطاني، مسحاً في نورويتش على غرار مسح لابوف في نيويورك. بالنسبة للبعد الاجتماعي في معالجة النتائج التي توصّل إليها، قام ترودجيل بتقسيم الأشخاص بحسب الطبقة. لهذا استخدم مقياس سجل العموميات، الذي على أساسه تمَّ تصنيف المشاركين لطبقة معيّنة على أساس مجموعة من العوامل، بما في ذلك

مكان الإقامة والتعليم. وتمَّ تصنيف الرجال أيضاً حسب مهنهم ودخولهم. وبالنسبة للنساء، تمَّ استخدام مهنة الزوج ودخله، أو عمل الأب إذا لم تكن المرأة متزوّجة.

يعرض الجدول 2.1 التفصيلي نتائج ترادجيل بالنسبة للمتغيّر (ng) في عيّنة نورويتش. يبيّن الجدول حدوث المتغيّر غير القياسي [n] كنسبة مئوية (إذ إنَّ "صفر" يعني لا شيء على الإطلاق؛ و"مائة" تعني دائماً). وكما يتبيّن من الجدول، تستخدم النساء في معظم الحالات نسبة أقل من المتغيّر العامي غير القياسي [n] مقارنة بالرجال في الطبقة الاجتماعية نفسها.

غالباً ما يتمُّ تقديم هذا النوع من المعلومات بطريقة يسهل الوصول إليها بتكثيف النتائج الخاصة بالأساليب المختلفة، كما في الجدول 2.2. ييسر تقليل عدد الرسوم البيانية عملية تفسيرها من المرّة الأولى، ولكن ذلك في الواقع يبالغ في تبسيط الصورة، لأنَّه يغضّ الطرف عن الاستثناءات. فلم يتمّ تضمين استثناءات الاتجاه العام. وما وجده ترادجيل هو نمط واحد لمتغيّرات أخرى. إنَّ المسوح اللغوية الاجتماعية مثل مسح ترادجيل تضع أيدينا على الاتجاهات العامة، ولكنّها تخفي بيديها كثيراً من الاستثناءات عند عرض النتائج. لقد توصّل ترادجيل إلى نتائجه، إذ تمَّ أخذ عيّنة مكوّنة من خمسين شخصاً. وبالنظر إلى حجم العيّنة، يصعب تعميم النتائج.

الجدول 2.1 الفروق في استعمال (ng) في نورويش بحسب الجنس والطبقة والأسلوب
(تكرار استعمال المتغيّر غير القياسي (n))

	قراءة قائمة كلمات	قراءة قطعة	رسمي	غير رسمي
طبقة وسطى وسطى				
ذكر	0	0	4	31
أنثى	0	0	0	0
طبقة وسطى دنيا				
ذكر	0	20	27	17

أنثى	0	0	3	67
طبقة عاملة عليا				
ذكر	0	18	81	95
أنثى	11	13	68	77
طبقة عاملة وسطى				
ذكر	24	43	91	97
أنثى	20	46	81	88
طبقة عاملة دنيا				
ذكر	60	100	100	100
أنثى	17	54	97	100
المصدر: ترودجيل 1972				

الجدول 2.2 الفروق في استعمال (ng) في نوريش بحسب الجنس والطبقة فقط

(تكرار المتغير (n) غير القياسي)

	الطبقة الوسطى الوسطى	الطبقة الوسطى الدنيا	الطبقة العاملة العليا	الطبقة العاملة الوسطى	الطبقة العاملة الدنيا
الذكر	4	27	81	91	100
الأنثى	0	3	68	81	97
المصدر: ترودجيل 1995: 70					

فضلاً عن عناصر المقابلة اللغوية الاجتماعية المذكورة أعلاه (المأخوذة من لابوف)، طلب ترودجيل أيضاً من المبحوثين التقييم الذاتي. ووجد أنَّ النساء غالباً ما يبالغن فيما يقلنه (أي، يزعمن استخدامهن للصيغ القياسية فيما لا يفعلن)، بينما يميل الرجال إلى عدم الدقة في الإبلاغ (يزعمون أنَّهم يستخدمون صيغاً لغوية عامية وغير قياسية أكثر مما فعلوا بالفعل).

تفسير الاختلافات

كيف يمكننا تفسير هذا النمط من الاختلافات؟ يشير ترودجيل إلى أنَّه، مثلما يسمّى بالاختلافات المقتصرة على الجنس في المجتمعات التقليدية (النوع الذي نظرنا إليه في الفصل الأوّل)، فإنَّ هذه الاختلافات في استخدام اللغة هي نتيجة التوجّهات الاجتماعية نحو السلوك المناسب للمرأة والرجل.

واقترح ترودجيل أنَّ النساء يستخدمن متغيّرات الوجاهة أكثر من الرجال لأنهنَّ أكثر وعياً بالمكانة. هذا لأنَّهنَّ أقلّ أماناً اجتماعياً وأكثر عرضة للحكم عليهنَّ بناءً على مظهرهن مقارنة بالرجال. ومن ناحية أخرى، يتمُّ الحكم على الرجال من خلال ما يفعلونه، إذ لا يتعرّضون لضغوط استخدام متغيّرات الوجاهة. فضلاً عن ذلك، فإنَّ الصيغ غير القياسية الموجودة في اللغة العامية، والمستخدمة في الغالب من الطبقة العاملة، لها دلالات ذكورية تحفّز الرجال على استخدامها، وليس النساء.

اعتمد ترودجيل على تمييز لابوف بين الوجاهة المعلنة والخفيّة، لتفسير الإفراط والنقص في الإبلاغ الذي اكتشفه في التقييمات الذاتية للمبحوثين. فقد أحبّت النساء تصوير أنفسهنَّ على أنهنَّ يستخدمن صيغاً راقية، ويملن إلى القول بأنهنَّ يفعلن ذلك في الغالب أكثر ممّا هو عليه الحال في الواقع. وهذا يبيّن رغبتهن في الوجاهة المعلنة. ومن ناحية أخرى، أحب الرجال الاعتقاد بأنَّهم يستخدمون اللغة العامية أكثر ممّا فعلوا في الواقع. ووجدوا أنَّ الصيغ غير القياسية تحمل نوعاً آخر من المكانة الخفيّة أو وجاهة غير معلنة.

بعض المشاكل

وبحسب ترودجيل، فإنَّ أوّل شيء يجب ملاحظته هو أنَّ زيادة استخدام النساء للصيغ القياسية الراقية فيما يقل استخدام الرجال لها، أمر يستوجب التفسير. فلماذا سلوك من

يستخدمون الصيغ القياسية في الغالب هو السلوك الذي يحتاج إلى شرح، وليس العكس؟ وقد عارضت الناقدات النسويات لدراسات التدرّج الاجتماعي هذا المثال الدال على عقلية ذكورية عملياً، إذ ينمُّ عن افتراض ضمني بأنَّ سلوك الرجال "طبيعي"، فيما يختلف سلوك النساء عن المعتاد، فيبدو الأمر وكأنّنا نتعامل مع انحراف أحوج إلى التفسير (كاميرون وكواتس 1988؛ هولمز 1992).

ولو نظرنا للأمر من منظور معاصر، فإنَّ الادعاء بأنَّ النساء أكثر "وعياً بالمكانة" من الرجال يبدو غريباً بشكل واضح. فهل تنشغل النساء حقّاً بتقليد الوجهاء أكثر من الرجال؟ من المؤكّد أنَّ مثل هذا الادعاء يحتاج إلى دعم بالأدلّة، وهو ما لم يكن كذلك (انظر دوشار 1978: 305؛ جرادول وسوان 1989: 53-55). كما يوجد زعم يقول إنَّ انخفاض مكانة النساء ودنوّها، لاسيَّما النساء اللواتي لا يعملن بأجر، يجعلهن يحاولن اكتساب مكانة أعلى بالطريقة التي يتحدّثن بها باستخدام صيغ قياسية راقية. ولو توفر أي دليل على ذلك- دليل يثبت إنْ وجد أنَّ العاملات يستخدمن صيغاً معيارية أقل من النساء العاملات في المنزل- فعندئذٍ سيعزّز ذلك الادعاء القائل بأنَّ النساء يستخدمن النماذج القياسية لنيل الوجاهة العلنية. ومع ذلك، فإنَّ البحث الذي تمَّ إجراؤه حول الاختلافات بين النساء اللواتي يعملن أو لا يعملن لم يقدّم الدعم اللازم. وفي الواقع، استخدمت النساء العاملات في المنزل صيغاً معيارية أقل من النساء العاملات في الوظائف مدفوعة الأجر (انظر للمناقشة القسم التالي الذي يتناول "قوى السوق والشبكات الاجتماعية").

فضلاً عن ذلك، إذا كانت الوجاهة السرّية هي التي تحفّز الرجال على استخدام الصيغ العامية، فمن الواضح أنَّ الرجال أيضاً "واعون بالمكانة". وعندما قام ترودجيل بوضع تعميم شامل وغير مدعّم بالأدلة حول النساء، فقد مارس امتيازاً ذكورياً قديماً تعرّض منذ ذلك الحين لوابل من النقد من النسويات. (سنصادف في الفصل الثالث لغويين آخرين فعلوا الشيء نفسه).

إنَّ ربط خطاب الطبقة العاملة بالذكورة يأتي من المسح الذي قام به لابوف في مدينة نيويورك. ولكن يزداد استخدام الصيغ العامية في المواقف غير الرسمية بين النساء والرجال من معظم الخلفيات الاجتماعية. فعندما يكون الناس في أوقات الراحة، فإنَّهم يتحدّثون حديثاً أقل رسمية ويميلون إلى الحديث باللغة العامية. فلماذا يجب اعتبار استخدام اللغة

العامية غير الرسمية سلوكاً ذكورياً؟ إنَّ في ذلك استبعاد لخطاب نساء الطبقة العاملة، كما لاحظت اللغويات النسويات: "لماذا يجب أن ترتبط اللغة العامية بالذكورة؟ وهكذا توجد نتيجة ضمنية قويّة تقول بأنَّ نساء الطبقة العاملة يقعن خارج ثقافة الطبقة العاملة: ففي حين أنَّ للرجال معايير جماعية داخلية (عامية)، فإنَّ النساء دائماً "عاجزات" يذعنَّ لمعايير الطبقة العليا" (كاميرون وكواتز 1988: 17).

وبحسب تفسير ترودجيل، فإنَّ النساء يقلّلن من تكرار استعمال الصيغ غير القياسية لأنَّ هذه الصيغ تحمل في طيّاتها صفات الطبقة العاملة من "خشونة وصلابة"، فيما هي صيغ مقبولة بين الرجال، ولكنَّها لا "تعدُّ خصائص أنثوية مرغوبة"؛ بين النساء، فهنَّ يفضّلن "التأدّب والرقي" بشكل أكبر. هنا مرَّةً أخرى لدينا الذكر هو المعيار عند التطبيق. فلغة رجال الطبقة العاملة هي الشيء الحقيقي: فيما تنحرف نساء الطبقة العاملة عن القاعدة، التي هي قاعدة ذكورية. حقّاً يتوافر دليل على أنَّ الناس في بعض المجتمعات يعدّون الكلام الخارج على المعايير أكثر ملاءمة للرجال، ويميلون إلى ربطه بالذكورة (جيمس 1996: 113-114). يكرّر ترودجيل ببساطة هذا الربط المنطقي ومفهوم الملاءمة.

ليست التفسيرات المستندة إلى المكانة لنتائج المسح اللغوي الاجتماعي هي المشكلة فقط. بل إنَّ الطريقة التي أجريت بها المسوحات أثّرت على طبيعة النتائج. فعند تصنيف النساء في فئة طبقية بعينها، تمَّ افتراض بنية الأسرة التقليدية، إذ يكون الأب هو المعيل، وتتحدّد المكانة الاجتماعية للأسرة بأكملها منه. ويتمُّ تقييم الزوجات على أساس مهنة أزواجهن ومكاسبهم. ونتيجة لذلك، ربَّما يتمُّ تصنيف النساء بشكل خاطئ في الغالب.

يبدو من المحتمل جدّاً أنَّ الطريقة التي تمَّ بها تصنيف الطبقة الاجتماعية للنساء، أي فيما يتعلّق بالرجال في حياتهم، يمكن أن تكون مسؤولة عن بعض النتائج. وفي دراسات التدرّج الاجتماعي المبكّرة، تولّدت مشاكل كثيرة عانى منها علماء سوسيولوجيا اللغة فيما يتخذونه من أساليب في جمع موادهم ومعالجتها. لقد شابت دراساتهم شوائب التحيّز والقوالب النمطية التي عانت منها أيضا الدراسات الباكرة الأخرى حول الاختلافات بين الرجال والنساء. ولقد تضمّنت بدائل مقاربة التدرّج الاجتماعي لموضوع التباين اللغوي الانتباه إلى أنماط تفاعل الناس، ومجتمعات الكلام التي يعيشون ويعملون فيها. وسأعرض بإيجاز لبعض هذه الأبحاث فيما بعد.

قوى السوق والشبكات الاجتماعية

استند هذا النوع من الدراسات إلى افتراضات مختلفة حول أسباب استخدام الناس لصيغ الكلام القياسية أو العامية. إنَّها تنطلق من فرضية تقول بأنَّ الأشخاص الأكثر اندماجاً في الشبكات الاجتماعية المحلّية هم أكثر استخداماً للغة العامية. ولقد طرحت هذه الدراسات سؤالاً مختلفاً: فلم تسأل لماذا تعدُّ لغة النساء أكثر التزاماً بالمعايير من لغة الرجال، ولكنَّها تساءلت عمَّا هي الشروط التي تدعم استخدام الناس للهجات المحلّية.

كان الانتماء للجماعة قضية رئيسة: كيف كانت أنماط علاقاتهم في العمل وفي أوقات الفراغ؛ سواء أكان المبحوثون يعيشون في مجتمعات مترابطة ومتماسكة أم لا. إذ يتأثّر كلام الناس بأنماط تفاعلهم في مجتمعات الكلام التي يعيشون ويعملون فيها. وبالطبع تختلف المجتمعات فيما بينها بشكل كبير. ففي بعض المجتمعات، تنحصر النساء في المجال الخاص فيما لدى الرجال اتصالات اجتماعية أوسع. وفي مجتمعات أخرى، يمكن العثور على الوضع المعاكس: النساء هنَّ اللاتي لديهن اتصالات اجتماعية أوسع، واتصالات الرجال هي الأكثر تقييداً.

تبنّى بعض الباحثين منظور **قوى السوق**، إذ عدّوا الاقتصاد العامل الحاسم الذي يؤثّر على استخدام الصيغ القياسية أو العامية. ورأوا العمل بأنماطه وعلاقاته هو العامل الحاسم، وتجنّبوا الاعتماد على فكرة البنية الطبقية الموجودة مسبّقاً التي ميّزت دراسات التدرّج الاجتماعي. مثلاً، عندما أجرت باتريشيا نيكولز بحثها حول المجتمع الأسود في كارولينا فسّرت استخدام صيغ لغة الكريول في ضوء الاختلافات بين الجنسين في طبيعة العمل (نيكولز 1983). ووجدت أنَّ العديد من النساء لديهنَّ وظائف تنقلهنَّ إلى خارج مجتمعهنَّ المباشر، فضلاً عن ذلك، مما يضرّهنَّ- ويجبرهنَّ- على استخدام صيغ أكثر التزاماً بالمعايير اللغوية وأقل ارتباطاً بمحلِّ إقامتهنَّ. ومن ناحية أخرى، فضّل الرجال العمل في أماكن إقامتهم وفي وظائف لا تتطلّب اللغة الإنكليزية القياسية.

ركز باحثون آخرون على فكرة قوّة الشبكة الاجتماعية. فقد قاموا بدراسة التباين في ضوء الشبكات الاجتماعية بديلاً لمنظور الطبقة الاجتماعية، مثلهم في ذلك مثل منظور قوى السوق (ووفقاً لمنظور الطبقة يتم اختيار الصيغ القياسية أو الدارجة من أجل تأمين الوضع

الاجتماعي). فمن وجهة نظر الشبكات الاجتماعية، فإنَّ إحكام الروابط المجتمعية- وليس الوضع الاجتماعي- هو ما يحدّد الخيارات اللغوية. بمعنى آخر، أنت تتحدّث بالطريقة التي تتحدّث بها ليس للصعود على السلم الاجتماعي ولكن بسبب الأشخاص الذين تتواصل معهم بشكل منتظم يومياً، وبسبب الحاجة إلى الانتماء إلى مجتمعك، لتتوافق مع الناس من حولك.

يرتبط هذان البديلان لمنظور التدرّج الاجتماعي- قوى السوق والشبكات الاجتماعية- معاً ارتباطاً وثيقاً من حيث أنَّ تماسك أو ترابط الروابط المجتمعية يتأثّر بشدّة بقوى السوق. كلاهما تجنّب منظور "صعود السلّم الاجتماعي" الوارد في دراسات التدرّج الاجتماعي.

الاشارات الجندرية

إذاً، هناك اختلافات ملحوظة في أنماط النطق لدى الرجال والنساء. وفي حين اختلفت فيه النتائج، كان الأكثر اتساقاً هو أنَّ كلام المرأة، بشكل عام، يحتوى على صيغ راقية أكثر من كلام الرجل. لقد ثبت أنّه من غير المرضي تفسير هذا الاختلاف في ضوء مفهوم الطبقة والوعي بالمكانة الاجتماعية، ولكن من الواضح أنَّ النطق يستخدم للإشارة إلى الجندر. وهذه الإشارة إلى الجندر مرتبطة بالتأكيد بالولاءات المجتمعية وأنماط العمل بطرق معقّدة للغاية، فضلاً عن ارتباطها بالمعايير والتوقّعات حول السلوك الجندري. ففي بعض المناطق، هناك صيغ لغوية محلّية معيّنة يستخدمها الرجال بشكل ملحوظ، من الطبقة العاملة والطبقة الوسطى، أكثر من نظرائهم من الإناث. فعلى سبيل المثال، في منطقة تينيسيد- وهي منطقة في شمال شرق إنكلترا ذات هوية إقليمية قويّة- هناك طريقتان لنطق الحرف الساكن (k) بين حرفين متحرّكين في كلمة مثل local؛ فهناك المتغيّر القياسي [k] والمتغيّر المحلّي العامي، وقفة المزمار [ʔ]. إذ تشير عديد من الدراسات المحدودة التي أجريت في المنطقة إلى أنَّ الرجال يستخدمون دائماً المتغيّر المحلّي تقريباً، في حين أنَّ نطق النساء لهذا المتغيّر المحدّد أقل (كويج 1986؛ ريج 1987؛ تيرنر 1988). يبدو أنَّ هذا المتغيّر الفردي [ʔ] يساهم على نحوٍ ضئيل في بناء هويات الذكور في منطقة تينيسيد. أنتقل إلى قضايا اللهجة والذكورة في سياق اجتماعي آخر في الفصل التاسع، في قسم بعنوان "الرجال الحقيقيون في الطبقة العاملة في كاتالونيا".

جودة الصوت والجنس والجندر

كما هو الحال دائماً، تسبّب ذلك الصوت العميق الأجش بعض الشيء في ارتعاش العمود الفقري لأني.

ديان هاميلتون، صحوة عاطفية

كان صوتها ناعماً ولطيفاً ومنخفضاً، الأمر الممتاز في المرأة.

وليام شكسبير، الملك لير

عندما ترد على الهاتف ويتحدّث المتصل، فإنّك تحدّد فوراً إذا ما كان ذكراً أو أنثى. ونادراً ما تخطئ. كيف هذا؟ من الواضح أنَّ هناك اختلافات بين أصوات النساء وأصوات الرجال. لكن ما هذه الاختلافات، وهل هي مسألة بيولوجية أم أنَّها مكتسبة ثقافياً؟

إنَّ الصور النمطية مألوفة بما فيه الكفاية. يبدو البطل في رواية ميلز وبون عميقاً وأجش، كما في الاقتباس الأوّل أعلاه. نسمع خلاصة الذكورة في التعليق الصوتي القاسي والحصوي والرنيني في المقاطع الدعائية، لاسيّما في أفلام الحركة. وصوت المرأة عالي النبرة وناعم، ولاهث أو حاد (لاسيّما إذا كانت شقراء). فمن المفترض أن يكون صوت الرجال مرتفعاً، بينما يجب أن يكون صوت المرأة "ناعماً ولطيفاً ومنخفضاً". هذه الصور النمطية متغيّرة ثقافياً، داخل اللغة الواحدة وبين اللغات.

يُنتج الصوت جسدياً وتتأثّر جودته بشكل واضح بتشريح جسم صاحبه (لافير 1994: 398). لكن هل علم التشريح وحده هو المسؤول عن الاختلاف بين الرجال والنساء في جودة الصوت؟ للإجابة على هذا السؤال، أحتاج إلى التفكير في الأصل البدني للصوت: أعضاء الكلام. يتمُّ إنتاج الكلام دائماً من خلال منع تدفّق الهواء في حالة الزفير. عندما نتحدّث، نستخدم أعضاءنا في الكلام لمنع مرور الهواء في طريقه من رئتينا إلى العالم الخارجي، عبر السبيل الصوتي. ويتمُّ تحديد درجة الصوت- مدى ارتفاع أو عمق الصوت فعلياً- من خلال معدّل اهتزاز الحبال الصوتية في الحنجرة، أو "صندوق الصوت". (ضع يدك على حنجرتك وقل شيئاً؛ ستشعر بحبالك الصوتية تهتز). ومع ذلك تعتمد الطريقة التي ينظر بها الآخرون إلى جودة الصوت على شيء آخر، وهو: الرنين. يتمُّ تحديد الرنين من خلال أبعاد السبيل

الصوتي (من الحنجرة إلى الشفتين). وفي الواقع، لديك ثلاثة تجاويف صوتية: الحلق والفم وتجويف الأنف.

يعتمد معدّل اهتزاز الحبال الصوتية (تردّدها الأساسي) بشكل محوري على طولها وسمكها، تماماً كما لو كنت ستضرب أحجاماً مختلفة من شريط مطاطي أو أوتار غيتار. كما أنّه يعتمد على توتّر العضلات. ستهتز الحبال الصوتية المتوتّرة بسرعة أكبر، وبالتالي تنتج نغمة أعلى من تلك المتراخية، وهو أمر ستكون على دراية به إذا سبق لك ضبط الغيتار أو أيّة آلة وترية أخرى. قد يقع التردّد الأساسي النموذجي للذكور في نطاق 100-150 اهتزازاً في الثانية (هرتز أو هـ.ز)، بينما قد يقع التردّد الأساسي للمرأة النموذجية في نطاق 200-250 هرتز. يتكوّن الصوت الناتج عن الحبال الصوتية المهتزّة من مضاعفات هذا التردّد (الذي يشكّل بنيته الهارمونية). وتعمل الأبعاد المختلفة لغرف الرنين لدى الرجال والنساء على تضخيم أجزاء مختلفة من هذا الطيف التردّدي. قارن هذا بالفارق الذي ستحصل عليه بين آلتين لهما أشكال مختلفة من غرف الرنين المزوّدة بالأوتار نفسها.

يُسمَع التردّد الأساسي وتوتّر الحبال الصوتية والبنية الرنّانة معاً كجودة صوت. وعند الكلام، يغيّر الأشخاص نبرة صوتهم بشكل كبير، من أجل إنتاج نغمة. وإلّا فسيتمُ إنتاج الكلام بطريقة رتيبة لا تطاق. تميل درجة الصوت إلى الارتفاع مع جهارة الصوت؛ على سبيل المثال، وعند الصراخ. وبالطبع، يمكن للناس "وضع" الأصوات: يمكننا التلاعب عمداً بأعضائنا الصوتية لإجراء تعديلات جذرية على جودة صوتنا.

لجودة الصوت- إذاً- محدّدات تشريحية: طول الحبال الصوتية وسمكها، وتواتر الاهتزاز والانطباع الناتج عن النغمة، وقدرة غرف الرنين. ونظراً لأنَّ الرجال البالغين يميلون في المتوسّط إلى أن يكونوا أكبر من النساء البالغات، فقد يبدو أنَّ هذا يفسّر أصوات الرجال ذات النبرة المنخفضة. فالرجال لديهم تفاحة آدم أكبر (غضروف درقي)، وبما أنَّ الحبال الصوتية مرتبطة بهذا الهيكل، يميل الرجال لأن يكونوا أطول. هناك أيضاً دليل على أنَّ الرجال لديهم قنوات صوتية أطول. يُظهر العمل التجريبي (فانت 1966) أنَّ لدى الرجال بلعوم أطول من المرأة بمقدار 2.3 سم في المتوسط.

إنّني الآن بحاجة إلى تعقيد الصورة من خلال النظر في أصوات الأطفال. فالأطفال الذكور والإناث متشابهون جدّاً في الحجم، إذ يكون الأولاد في المتوسّط أكبر قليلاً. لذلك قد نفترض أنّه لا يوجد فارق كبير في تشريح أصواتهم. فعند الولادة، يكون معدّل التكرار الأساسي للأولاد أعلى بشكل طفيف من الفتيات، وهو اختلاف طفيف يُعزى عادةً إلى زيادة توتّر العضلات لدى الأولاد. ويظل معدّل التكرار إمّا أعلى أو تقريباً مثل الفتيات حتّى سن البلوغ. عامل جسدي آخر يؤثّر على درجة الصوت المدركة هو تأثير الهرمونات. يصل الأولاد سنَّ البلوغ عندما تبدأ أجسامهم في إنتاج كميات من هرمون التستوستيرون أو هرمون الذكورة. هذا هو الهرمون الذي يؤدّي إلى النضج الجنسي: نمو الخصيتين، ونمو شعر العانة. وفي الوقت نفسه تنمو تفّاحة آدم. ويزداد حجم الحنجرة وأنسجة الحبال الصوتية، ممَّا يتسبَّب في انخفاض الصوت بقدر الأوكتاف، وأحياناً بشكل مذهل تماماً. وفي العصور الوسطى، كان المغنّون الصبيان يُخصون في بعض الأحيان قبل سن البلوغ، حتى لا يفقدون أصواتهم الذكورية السوبرانية عالية القيمة. ولعلَّ النكات الخاصة بالإخصاء التي تدور حول الرجال الذين يتحدّثون فجأة بأصوات عالية نكات تستند إلى مخاوف الذكور، لا إلى الحقائق. فنمو الحنجرة لا رجوع فيه. ولا تظهر الهرمونات في الصورة حتّى سن البلوغ، والتكرار الأساسي للفتيات والفتيان في عمر معيّن هو نفسه تقريباً. ومع ذلك، يمكن للناس التعرّف على جنس المتحدّثين قبل سن البلوغ. نحن لا نحدّد الأطفال الصغار على أنّهم فتيات والكبار من الأطفال على أنّهم أولاد. ففي دراسة تجريبية مع مجموعة من الفتيات والفتيان الذين تتراوح أعمارهم ما بين 4 و 12 عاماً، نجح المستمعون في التعرّف على جنس المتحدّث بنسبة 81 في المائة من الوقت (ساكس وليبرمان وإريكسون 1973). وتكهّنوا بوجود سببين متكاملين لذلك. كان المستمعون يقدّرون عمر الطفل وحجمه أوّلاً قبل الحكم على جنسه. وكان الأطفال يتلاعبون بجودة صوتهم من أجل التوافق مع معايير الكلام الذكوري والأنثوي.

إذا كان الخيار الثاني صحيحاً- أي إذا كان الأطفال يعدّلون جودة صوتهم لتتوافق مع معايير الكلام المناسبة بين الجنسين- فمن الواضح أنَّ ذلك يدلّل على تعلّم الفروق الصوتية بين الذكور والإناث. وقد أظهرت دراسة عن طبقة الصوت بين البالغين في جنوب إنكلترا أنّه على الرغم من وجود اختلافات في معدّل طبقة الصوت بين الرجال والنساء، إلَّا أنَّ هناك أيضاً قدراً كبيراً من التداخل (جرادول وسوان 1983). إذ استخدم الرجال في الدراسة فقط الجزء السفلي من معدّل طبقة صوتهم. فعلوا ذلك باستخدام أنماط التنغيم الرتيبة نسبيّاً.

أظهرت النساء تبايناً أكبر في التنغيم؛ كما اختلفن من واحدة إلى أخرى أكثر من الرجال. ولعلّ تلاعب المتحدّث بمعدّل طبقة الصوت مرناً. فالرضع، على الرغم من صغر حجمهم، لديهم معدّل صوتي ضخم، أكبر بكثير من أيّ شخص بالغ في دراسة جرادول وسوان. فالبالغون قادرون على زيادة معدّلهم، مع الممارسة (ضع في اعتبارك، على سبيل المثال، خفّة الحركة الصوتية للفنانين الانطباعيين والمقلّدين للنساء).

لذلك يبدو حقّاً كما لو أنَّ هناك استعراضاً للجندر متضمّناً في طبقة الصوت. إذ يبدو أنَّ الاختلافات بين الجنسين محدّدة ثقافياً وتشريحيّاً. ويتمُّ إبرازها أو حتّى المبالغة فيها. فكما لاحظت جاكلين ساكس:

> **يمكن للرجال والنساء البالغين تعديل مفاصلهم، وخفض أو رفع تردّداتهم الصوتية، لإنتاج أصوات لتكون على شاكلة الأنماط النموذجية للذكور والإناث. فمن المفترض أن يتمَّ تحديد هذه الأنماط النموذجية ثقافياً. بمعنى آخر، قد يحاول الرجال التحدّث كما لو أنّهم أكبر ممّا هم عليه في الو اقع، وقد تتحدّث النساء كما لو كنَّ أصغر ممّا هنَّ عليه في الو اقع. (ساكس 1975: 154)**

قد تدل طبقة الصوت على جنس المتحدّث. إذ يبدو أنَّ زيادة الحيويّة النغمية هي سمة من سمات كلام المرأة. وقد كشفت دراسة جرادول وسوان أنَّ النساء في جنوب إنكلترا يستخدمن طبقة صوت أعرض بكثير من نظرائهنَّ من الرجال. وتمتلك عديد من النساء في الولايات المتحدة طبقة صوت عريضة، وذروتها تتجلّى في الصرخة الزائفة والمعروفة للمرأة الأمريكية. كذلك يستخدم عديد من الرجال الأمريكيين طبقة صوت أضيق من طبقة صوت الرجال البريطانيين. وتختلف معايير النطاق الصوتي بين الرجال والنساء بدرجة كبيرة. بالنسبة لآذان البريطانيين، على سبيل المثال، غالباً ما يشعر الدنماركيون بالملل، ولاسيّما الرجال؛ على العكس من ذلك، يعتقد الدنماركيون أنَّ البريطانيين يبدون صوتياً مبالغين عاطفياً وأنَّ الرجال البريطانيين مخنّثون.

وماذا عن الصور النمطية الأخرى؟ هناك بعض الأدلّة على أنَّ أصوات النساء تميل لأن تكون أكثر خفوتاً من أصوات الرجال (هينتون وبلادون 1985). والصوت الهامس ظاهرة معروفة لدى علماء الأصوات. إنّها تنطوي على نشاط أقل للأحبال الصوتية: إغلاق جزئي

واهتزاز رخو، أي الهمس. ربّما يمكن رؤيتها بمجرّد أن يحتل الكلام مساحة صغيرة قدر الإمكان. ومن المفترض أنّها ليست عن وعي أو متعمّدة. ربّما يمكننا مقارنتها بحضور الجندر عن غير قصد حال وضع الساقين عند الجلوس: فركب الرجال ممتدّة، في حين تكون ركب النساء مطوية أو حتى متقاطعة.

يمكننا أن نختم بالعودة إلى الصوت الأجش لبطل ميلز وبوون Mills & Boon المقتبس في بداية هذا الجزء. فالخشونة الصوتية ناتجة عن وجود مخاط في الحلق. ويتسبّب التحفيز الجنسي في زيادة إنتاج الأغشية المخاطية. لذلك، يكون للخشونة أحياناً سبب هرموني، لكنّها ليست متعلّقة بالجنس. فقد تعرّضت البطلة للإثارة بفعل "الصوت الأجش قليلاً" للبطل؛ هذا يعني فقط أنّها أثيرت بفعل حقيقة أنّها تثيره (فرغبة بطلات ميلز وبون هي رد فعل بشكل أساسي؛ انظر تالبوت 1997 ط1). وهل هو صوت خشن؟ إنّه فحسب دخّن عدداً كبيراً جدّاً من السجائر.

مزيد من القراءات

الرجال والنساء وصيغ الوجاهة

تحتوي معظم الكتب الدراسية في علم اللغة الاجتماعي على تغطية للمسوحات اللغوية الاجتماعية والجندر (مثلاً ميشري وآخرون 2009). وبعض الأعمال الأساسية هي لابوف (1990؛ أعيد طبعه لدى شيشري وترودجيل 1998)؛ وميلروي وميلروي (1993؛ أعيد طبعه لدى شيشري وترودجيل 1998)؛ وإيكيرت (1989؛ أعيد طبعه في كوبلاند وجافورسكي 1997، 2009)؛ وكواتس (2016). ويحتوي آخر كتاب أيضاً على نقد تفصيلي لدراسات اللهجات الأولى. وهناك نقد لدراسات التدرّج الاجتماعي، أكثر تفصيلاً من دراساتي، لدى كاميرون وكواتس (1988). والمجموعة التي يظهر فيها هذا الفصل هي مجموعة جيّدة للبحث الكمّي حول التمايز الجنسي (كواتس وكاميرون 1988).

التحديد التشريحي والثقافي لجودة الصوت

للوقوف على تفسير آخر للأساس المادي للصوت ومناقشة السلوك المكتسب، انظر الفصل الثاني من كتاب جرادول وسوان (1989). ولمزيد من التفاصيل والأوصاف القصيرة

للتجارب التي انتهت للنتائج المستخدمة أعلاه، انظر سميث (1985). والفحص النقدي الحديث لكيفية تمييز الأصوات هو كتاب أزول (2013). وبالنسبة للصوت والتوجّه الجنسي، انظر كتاب جواديو (1994) وسميث وباكوب وروجر (2003) بشأن "الشاذ الصائت" وكتاب بوديسفا وكاجينو (2014) نظرة عامة حول الدراسات المنجزة في علم الصوتيات الاجتماعي والجندر والجنس.

3

"لغة المرأة" و"اللغة صنيعة الرجل"

يبحث هذا الفصل في الادعاءات النسوية المبكّرة حول اللغة. إذ يعرض لفرضية روبن لاكوف التي تقول بأنَّ هناك "لغة نسائية" مميّزة، تتميّز بالأدب المفرط، وانعدام الثقة والحرص على الإرضاء، كما يطرح ادعاء ديل سبندر القائل بأنَّ اللغة "من صنع الرجل".

يوجد في علم اللغة اهتمام طويل الأمد بالتغيّر اللغوي. وكان مترجمو القواميس في القرن الثامن عشر قلقين من ذلك، فحالوا دون وجود ما يرونه تأثيرات مفسدة. فيما تقبّل علماء اللغة المعاصرين حتمية التغيّر اللغوي وركزوا طاقاتهم بدلاً من ذلك نحو الكشف عن الآليات المسبّبة له. فلقد اهتم علماء سوسيولوجيا اللغة، الذين درسنا مسوحهم في الفصل الثاني، بما يحفّز تغيّرات الصوت، حيث تشرع شرائح من السكّان صوب استخدام طرق نطق مختلفة. وإحدى السمات الثابتة نوعاً ما في هذه الجهود هو أنّها لم تنظر بشكل إيجابي إلى المرأة مهما كانت مساهمتها في التغيّر اللغوي المزعوم.

اهتمام مبكّر

استندت كثير من الكتابات الأولى حول هذا الموضوع إلى التكهنات، وتكرّرت فيها ببساطة الصور النمطية والأحكام المسبّقة في تلك الفترة. وما يدل على ذلك هو المثال الكلاسيكي لفصل واحد بعنوان "المرأة"، ظهر عام 1922، في كتاب ***اللغة: طبيعتها وتطورها وأصلها*** للنحوي الدنماركي أوتو جيسبرسن. ينقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء، يتناول كلّ منها جانباً مختلفاً؛ على سبيل المثال، يتناول جزء واحد منها "الطفل" (وعنوانه هو العنوان نفسه)

ويظهر الفصل المعنون بـ"المرأة" في الجزء المسمّى "الفرد والعالم"، جنباً إلى جنب مع "الأجنبي" (من بين أمور أخرى). إنَّ مجرد حضور هذا الفصل، الذي تمّت إضافته بكل جدّية في كتاب جيسبرسن الأكاديمي عن اللغة، يشير إلى أنَّ اللغة التي تستخدمها النساء تنحرف عن الشيء الحقيقي. فلا يوجد بالطبع أي فصل أو جزء يسعى للتركيز على "الرجل" أو يحمل مثل هذا العنوان.

ويدّعي جيسبرسن أنَّ مساهمة المرأة في اللغة هي بغرض الحفاظ على "نقائها"، وهي مساهمة ناجمة عن إحجامهنَّ غريزياً عن الخشونة والابتذال (كيف يتناسب هذا مع تجربتك؟):

> **ما من شك في أنَّ النساء مارسن تأثيراً كبيراً وشاملاً على التطوّر اللغوي بإحجامهنَّ الغريزي عن التعبيرات الخشنة والمبتذلة وتفضيلهن للتعبيرات المهذّبة و(في مجالات معينة) يفضّلن العبارات المتوارية وغير المباشرة. وفي معظم الحالات، سيمارسن هذا التأثير في المجال الخاص وفي حضن الأسرة... ولا يمكن التغلّب على الرؤية الأنثوية، وهناك سبب لتهنئة تلك الأمم، ومن بينها الأمة الإنكليزية، حيث تضع المرأة في المكانة الاجتماعية العالية بما يكفي لتأمين قدر أكبر من النقاء والتحرّر من الفظاظة في اللغة ممّا كان يمكن أن يكون عليه الحال لو أن الرجال هم من بيدهم أمر الكلام. (جيسبيرسين 1922: 246)**

لكنّه يؤكّد، مع ذلك، أنَّ لغة الرجال هي التي تتمتّع بالحيوية والخيال والإبداع. وبدونها، "هناك خطر أن تصبح اللغة ضعيفة وفاسدة". ويواصل طرح ادعاءات أكثر تحديداً حول الاختلافات في استخدام اللغة فيما بين الرجال والنساء. وتبدو هذه الادعاءات مؤشّرات على ذكاء الذكور وأهميتهم؛ ويبدو المؤلف مسيئاً في حقِ المرأة (على الرغم من النبرة اللطيفة الواردة في المقطع المقتبس أعلاه). ويؤكّد أنَّ لدى النساء قاموس مفردات أضيق وأنَّ المفردات التي لديهنَّ لا تُستخدم دائماً بشكل صحيح. مثلاً، تستخدم النساء ظروف التكثير "مع تجاهل معناها الصحيح، كما هو الحال في الألمانية riesig klein [صغير جدًّا]، الإنكليزية جميلة جدًّا" (1922: 247). ويقول بأنَّ النساء يعانين من عدم القدرة على إكمال جملة، فعلى الرغم من ثرثرتهنَّ، فحديثهنَّ لا معنى له.

ليس لهذهِ الادعاءات دليل يعتمد عليه. هي مجرّد تخمينات من جانب صاحبها. وربَّما يصح القول عن حقٍ بأنَّ النساء في تجربة جيسبرسن لديهن قاموس مفردات ضيّق من نظرائهنَّ من الرجال؛ بما أنَّ النساء حُرمن من مستوى التعليم المسموح به (لبعض) الرجال، فمن الجائز توقّع أن يكون لديهنَّ عدد أقل من الكلمات. ومع ذلك، فإنَّ الادعاء بأنَّ النساء أكثر ثرثرة (أي يتحدّثنَّ أكثر من الرجال) هو ادعاء لغوي شعبي مألوف فيما يتوافر الآن مجموعة كبيرة من الأدلّة التي تقول بنقيض ذلك. فلقد تمَّ اقتراح (على سبيل المثال، في كتاب سبيندر1985) ألا يقاس كم ما تتحدّثه النساء بكم ما يتحدّثه الرجال، ولكن بكم ما تصمت عنه.

التحيّز الجنسي

يدور التحيّز الجنسي حول التمييز على أساس الجنس، وعلى أساس افتراضات تقول بأنَّ النساء مختلفات عن الرجال وأدنى منزلة منهم. إنَّه اصطلاح يصف السلوك الذي ينتقص من المرأة انتقاصاً ممنهجاً؛ على حدِّ تعبير المعجم النسوي (كرامارا وتريشلر 1985: 411)، وهو "مفهوم، مركزي في حياة النساء، ظل لسنوات عديدة بلا كلمات تعبّر عنه" كما هو:

السلوك، وسياسة واللغة أو أيّ تصرّف آخر يقوم به الرجال أو النساء يعبّر عن رؤية مؤسسية أو ممنهجة أو شاملة أو متسقة بأنَّ المرأة أقل منزلة.

لقد جرى صك مصطلح التحيّز الجنسي نهاية الستينيات، ربَّما على غرار مصطلح العنصرية. وفي وقت سابق من هذا العقد، تم استخدام مصطلح الشوفينية الذكورية، الذي اخترعته الطالبات الناشطات، لانتقاد مواقف نظرائهنَّ من الرجال. ولدينا الآن المزيد من التعبيرات المنتهية باللاحقة ism (مثل التفرقة العمريةageism) التي تؤدّي وظيفة مماثلة، أي تمييز مجموعة من الافتراضات العنصرية وتحديد النظام الاجتماعي القائم عليها.

بدأت مبادرات الإصلاح اللغوي النسوية في الولايات المتحدة، وكانت النصوص الرائدة التي أوجزتها بإيجاز في هذا الفصل مؤثّرة للغاية. كانت الموارد الأخرى عبارة عن مجموعة بعنوان التحيّز الجنسي واللغة (نيلسين وآخرون 1977) ومقال بعنوان "الانتقاص الدلالي للمرأة" (شولز 1975). وتمَّ إدراج المقال في المجموعة الأولى التي تمَّ تحريرها في هذا الحقل المعرفي الناشئ آنذاك الذي أصبح يُعرف بحقل "اللغة والجندر" (ثورن وهينلي 1975).

منذ أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، نشأت تحديات أمام الممارسات الجنسية في المجالين العام والخاص. وقد اشتمل هذا على صراع حول الأمور جميعها، بما في ذلك اللغة المحايدة بين الجنسين أو اللغة الشاملة. فتحدّت النسويات استخدام الضمير "هو" وكلمة رجل وبشر Mankind كضمائر عامة وأسماء تستعمل للإشارة إلى الإنسانية بشكل عام بدلاً من استعمالها للذكور على وجه التخصيص. فقد كان الشغل الشاغل أن ترسي مثل هذه الكلمات مبدأ الذكر كمعيار Male-as-Norm وتستبعد النساء. ومن المثير للاهتمام، أنَّ هناك تجدّداً مؤخّراً للقلق من شمولية اللغة، وهو الأمر الذي لا ينطوي فحسب على استبعاد النساء ولكنّه يؤكّد ثنائية الجندر تأكيداً مطلقاً (انظر، مثلاً، مناقشة ديبورا كاميرون حول موضة المراهقين في كتاب كاميرون 2018، ط1).

ولقد أثيرت قضية أخرى وهي كيف يتمُّ تمثيل الرجال والنساء في الصحافة والإعلانات والمحادثات اليومية وما إلى ذلك. على سبيل المثال، انزعجت النسويات من الطريقة التي يتمُّ بها تعريف المرأة بوصف سماتها الجسدية، مثل لون الشعر (أشقر، أحمر)، أو بالحديث عن جاذبيتها للرجال، أو غير ذلك (بوصفها بأنّها مذهلة، كلبة). كما لم يرق لهنَّ تعريف المرأة بالحديث عن المنزل والأسرة، وبالحديث بشكل خاص عن علاقتها بالرجل. ضع في اعتبارك أيضاً تباين الألقاب الشرفية التقليدية "**السيد Mr** بل **السيدة Mrs** و**الآنسة Miss**": وهي ألقاب يتمُّ بها فقط تمييز الحالة الزوجية للمرأة ومدى "توفّرها". فيما هدف اللقب الجديد، **أستاذة**[1] **Ms**، إلى محو هذا التباين. ولقد نجح إلى حدٍّ كبير في السياقات المهنية في الولايات المتحدة. ومع ذلك، فإنَّ الأمر أقلّ نجاحاً من ذلك في بريطانيا، إذ يتعيّن على المرأة التي تملأ نموذجاً لتختار من بين خيارات **السيدة**، و**الآنسة** و**الأستاذة**.

ومن القضايا الخلافية الأخرى، القوالب النمطية المهنية والافتراضات الذكورية بالعمل. فاستخدام اللاحقة "رجل" في الأسماء المهنيّة من قبيل القول رجل أعمال Business**man**، وساعي بريد Post**man** هو استخدام يجعل المرأة في مثل هذه المهن غير مرئية. حتّى الأسماء المحايدة في الظاهر، مثل سائق وكاتب، والأسماء المهنيّة المحايدة مثل طبيب، يُفترض أنّها تشير

---

[1] إنّ كلمة أستاذة هي الكلمة الشائعة في الاستعمال اللغوي اليومي في الشارع العربي، وهي كلمة لا تعني معلمة، ولكنّها كلمة محايدة بعيدة عن بقية المفردات الأخرى: سيدة أو آنسة، وهي الأوفق لتكون ترجمة لكلمة Ms (المترجم).

إلى الرجال، ومن هنا تتولّد الحاجة إلى الأسماء المركّبة من قبيل طبيبة **Lady doctor** (وليس الطبيب)، والسائقة **Women driver** (وليس السائق). ويشير هذا التباين إلى أنَّ مهن الطب والقيادة هي مهن لجندر بعينه وينظر لها باعتبارها من أعمال الرجال. وإنّه لأمر مشجّع أن تبدو الكلمات المركّبة الآن غريبة بعض الشيء. فنادراً ما تصادف كلمات مركّبة مماثلة يوجد بها كلمة رجل أو ذكر. وفي الواقع، لا أجد سوى شخصين يحمل اسمهما اللاحقة ذكر وهما الممرض **Male nurse** والداعر **Male prostitute**، على الرغم من احتمال وجود غيرهما، وربّما حال الإشارة إلى العاملين في وظائف منخفضة الأجر. وهكذا من خلال الإشارة إلى أوجه الاختلاف بين الجنسين عند الإحالة إليهما، قام منتقدو الممارسات الجنسية بالكشف عن عدم حياد التصنيفات القائمة فيما كانت تعدُّ محايدة سلفاً. فقالوا بمجرّد تمييز الكلمات على أنّها تخص الأنثى، يتمُّ الحط منها على نحو ممنهج، وغالباً ما تكتسب دلالات تدعو للازدراء (شولز 1975). قارن مثلاً الفارق بين الأعزب والعانس.

يعدُّ تصنيف الأشخاص جزءاً من خبرة الوصف والترتيب؛ ويعكس العلاقات والهويات الاجتماعية القائمة ويحافظ عليها. فتصنيف الناس هو قوّة معيارية قوية. ويتطلّب تحدّي التمييز الجنسي القائم في تصنيف النساء منظوراً نقدياً لأعمال "التصنيف" الحاصلة في اللغة الإنكليزية، وهو منظور نقدي بمعنى إظهار الروابط الخفية بين اللغة والسلطة والأيديولوجيا.

أثارت أشكال عدم التناسق في وصف الرجل والمرأة في مفردات اللغة الإنكليزية النقد النسوي. فالرجل الذي يكره النساء تسمّيه الإنكليزية بكاره النساء **Misogynist**. فيما لا تتوافر الإنكليزية على كلمة مماثلة ملفتة تصف المرأة التي تكره الرجل. كذلك ما الكلمة المماثلة لكلمة المرأة الشهوانية **Nymphomaniac** أو كلمة الفاسقة **Slut** بالنسبة للرجال؟ من الصعب العثور على كلمة واحدة. وهناك ثغرات معجمية في اللغة الإنكليزية تخون، عند كشفها، النزعة المركزية الذكورية السائدة. ومن الصعوبة بمكان التحدّث عن تجارب النساء لأنَّ التعبيرات الخاصة بهنَّ ليست متاحة بسهولة (وهي مشكلة ترد لاحقاً في الفصل الحالي في القسم المعنون بـ"اللغة من صنع الرجل").

بالطبع، التحيّز الجنسي في اللغة أوسع مجالاً من مسألة قاموس المفردات. ولقد انخرطت النساء في كفاح طويل الأمد من أجل معاملتهنَّ على قدم المساواة مع الرجال، لاسيَّما في مكان العمل. وقد اشتمل هذا على تحدّي الممارسات المنحازة جنسياً عند التفاعل، بما في ذلك

جهود النساء ليتمَّ التعامل معهنَّ بجدّية. هذا هو السياق الذي دخلت فيه كلمة "أستاذة" حيّز الاستخدام، كطريقة لوضع المرأة على قدم المساواة مع الرجل. فلم تكن الحالة الزوجية أبداً مشكلة للرجال في مكان العمل؛ ولا يجب أن تكون كذلك بالنسبة للنساء.

وقد كانت المصطلحات الأخرى المستخدمة في مخاطبة النساء مدعاة للقلق. إذ عندما تخاطب شخصاً ما، فإنّك تختار كلماتك من نسق اصطلاحات المخاطبة. والمصطلح الذي تختاره- وما يقوله لك الشخص المخاطب- يعتمد على من تخاطبه وعلى علاقتك به. إذ نجد أنَّ الأصدقاء المقرّبين ينادون بعضهم بأسمائهم الأولى وقد يستخدمون مصطلحات لطيفة. وكثير من الناس هذه الأيام على علاقة مألوفة مع أصحاب العمل. ومع ذلك، فهم ليسوا دائماً في وضع متماثل. يكون الموظّفون "ودودين" فقط إذا حصلوا على موافقة أصحاب العمل. ويميل الآباء، والبالغون عموماً، إلى استخدام مصطلحات عاطفية مثل المحبوب أو الخنزير والأسماء الأولى مع الأطفال، ولكن عند مخاطبة البالغين، يُطلب من الأطفال عموماً "إظهار الاحترام" بطريقة ما. ومنذ بضع سنوات، كان موظّفة الاستقبال في عيادة طبيبي يخاطب جميع المرضى بشكل عشوائي بكلمة مثل وردة Flower، حتَّى كبار السن من الرجال. أظنُّ أنَّ لهذا علاقة بالطريقة التي يتمُّ بها معاملة المرضى في الرعاية الطبية كالأطفال. وكانت موظّفة الاستقبال أمّاً من الأمهات، ممّا يريح المرضى عند مخاطبتهم كما لو كانوا أطفالاً. ولم أسمعها تخاطب الأطباء في العيادة بالطريقة نفسها؛ فكانت تقول للواحد منهم "دكتور". وربّما وجد بعض المرضى أنَّ سلوكها رعائياً (أو هل ينبغي اعتباره أومومياً؟).

كذلك يمكن استخدام اصطلاحات مخاطبة النساء بطريقة رعائية. هذا هو الاستخدام الذي رأت فيه النسويات تحيّزاً جنسيّاً. فيمكن استخدام مصطلحات التعبير عن الود، على سبيل المثال، لتقليل مساهمات المرأة الجادّة عند النقاش. ففي اجتماع في العمل، تخاطب المرأة الوحيدة بكلمة "عزيزتي" **Honey** على نحوٍ يحطُّ من شأنها، ويتمُّ التقليل من قدرها أمام زملائها الذكور. وتعتمد مصطلحات الخطاب الودّية مثل عزيزي أو عزيزتي أو حبيبي أو حبيبتي أو أي شيء آخر؛ سواءً كانت ودّية أو مهينة على علاقات الأشخاص المعنيين، وعلى علاقات القوّة الموجودة بينهم، وعلى درجة المسافة الاجتماعية بينهم. ويعدُّ التقييم السلبي لأصوات النساء من الممارسات اللغوية المتحيّزة جنسيّاً (مثل الصراخ والصوت العالي وما إلى ذلك)،

ولحديثهنَّ (بوصفه تافهاً، مجرّد ثرثرة) وكذلك ما يسود من معتقدات لغوية عن النساء بأنهنَّ يتحدثنَّ باستمرار.

إنَّ اصطلاحات الإحالة والمخاطبة متغيّرة ثقافياً وخاضعة للتغيّر. ويبدو أنَّ كلمة الرفاق "Guys" والفتيان "Lads"، على سبيل المثال، يتمُّ استخدامها الآن لتشمل الجنسين في بعض الدوائر. هذا يحدث فقط لأنَّ النساء يؤكدن أحقّيتهنَّ بها. فكما تشير كاميرون (2018 ط2)، "تطالب النساء بها وتتغيّر معانيها نتيجة لذلك؛ من الممكن أنّه في غضون مائة عام من الزمن، سيعرف مؤرّخو اللغة والمتخصّصون في أصول اللغة فقط أنَّ كلمة الرفاق Guys الموجودة في جملة "مرحباً يا رفاق" كانت تستعمل يوماً بمعنى "الرجال".

لغة المرأة

إنَّ العمل النسوي المبكّر حول اللغة والجندر هو كتاب روبن لاكوف ***اللغة وموضع المرأة***، الذي ظهر للمرّة الأولى عام 1973 (انظر لاكوف 2004، ط1)، وفي شكل كتاب عام 1975 (لاكوف 1975، 2004، ط2). وفي هذا الكتاب المؤثّر، طرحت لاكوف فرضية حظيت باهتمام كبير من قبل النسويات الأخريات. إذ ادعت أنَّ هناك "لغة نسائية" مميّزة. وأشارت إلى كلٍّ من اللغة التي تستخدمها النساء واللغة المستخدمة عنهنَّ. وبحسب ما جادلت به، فإنَّ النساء "يختبرن التمييز اللغوي بطريقتين: الطريقة التي يتمُّ بها تعليمهنَّ استخدام اللغة، والطريقة التي يعاملهن بها عند استخدام اللغة العامة" (لاكوف 2004، ط2: 39). وسأركز على الطريقة الأولى هنا.

حرصاً من لاكوف على التأكيد على الأسباب الثقافية، افترضت أنَّ النساء يستخدمن اللغة بطريقة مميّزة، تتميّز بعدم اليقين والضعف والأدب المفرط. واقترحت مجموعة من الميزات- من المفترض أن تعبّر عن عدم اليقين وانعدام الثقة- كنموذج لخطاب النساء. ضع في اعتبارك أنّها كانت تحاول فقط وصف العادات اللغوية للمرأة فيما تسمّيه "أمريكا الوسطى"؛ ولم تكن تدّعي أنّها تصف كلَّ النساء في كلِّ مكان. فضلاً عن ذلك، تنتقل بين الادعاءات حول السلوك الفعلي والادعاءات حول التوقّعات النمطية. وبعض الميزات التي تهتمُّ بها هي العناصر المعجمية:

مفردات عمل المرأة: وهي مجموعة من الكلمات المتعلّقة بأنشطة المرأة واهتماماتها، مثل تجمع Shirr، وتطوي Dart. وتقول لاكوف بأنّها سيتمُ استخدامها من الرجال فقط على سبيل السخرية.

مصطلحات الألوان الدقيقة: وهي كلمات مثل البنّي الفاتح Beige، بنّي فاتح للغاية Ecru، والزبرجد. وتفيد لاكوف بأنّها رأت رجلاً "لا حول له يكتم الضحك على مناقشة بين شخصين آخرين تدور حول ما إذا كان يجب وصف غلاف الكتاب بأنّ لونه "أرجواني فاتح" أو "بنفسجي" (2004: ط2، 43). وتستنتج من هذا أنّ مثل هذه الفروق الدقيقة من وجهة نظر الرجل تافهة ولا تستحق الملاحظة.

الصفات العاطفية: كثير من الكلمات لها معنى عاطفي (تعبيراً عن المشاعر)، وليس معناها مرجعياً (يتعلّق بشيء ما أو حالة ما). وتقترح لاكوف أنّ مجموعة واسعة من الصفات المستخدمة في التعبير عن الموافقة أو الإعجاب، يتمُ تمييز عديد منها بقوّة على أنّها صفات أنثوية، مثل صفة إلهي Divine، ورائعة Adorable. وتشير هي إليها بعدّها صفات "فارغة".

الصيغ المفرطة في التهذيب: هنا تشير لاكوف إلى أشياء مثل تجنّب الكلمات البذيئة والاستخدام المكثّف للتعبير الملطّف. والتعبيرات الملطّفة هي تعبيرات خفية وغير مباشرة (على سبيل المثال قول رحل بدلاً من مات). ويستخدم الناس كلمات بذيئة للتعبير عن مشاعر قويّة، ولكن بالنسبة للنساء فمن المفترض أن تكون كلمات "غير محبوبة". وتقارن لاكوف هاتين العبارتين الافتراضيتين: (أ) يا عزيزي، لقد وضعت زبدة الفول السوداني في الثلاجة مرّةً أخرى، و(ب) اللعنة، لقد وضعت زبدة الفول السوداني في الثلاجة مرّة أخرى. وتقترح أن يعرف الناس المتحدّث (أ) أتراه امرأة أم (ب) رجل، مع الاعتراف بأنّ بعض النساء أصبحن قادرات على التلفّظ بالعبارة الثانية "علناً من دون أن تجفل" (2004، ط1: 44). والغريب، تبدو العبارات المهذّبة كأنّها عبارات سلبية. (لاحظ أنّ الكلمات البذيئة يمكن أن تسمّى كلمات "فارغة". فهي مثل الصفات "الفارغة" التي من المفترض أن تستخدمها النساء، يتمُ استخدامها للتعبير عن المشاعر، أي أنّ معناها من النوع العاطفي وليس المرجعي). وكثير من الميزات التي تقترحها لاكوف، مع ذلك، هي جزيئات الخطاب وأنماط التنغيم، وهي سمات، مثل الكلمات البذيئة، ليس لها في الواقع أي وظيفة مرجعية، ولكنّها تعمل بشكل فعّال. وتؤدّي معظمها إحدى وظيفتين: إمّا إضعاف أو تقوية قوّة ما يقوله الشخص.

التحوّطات: هي عناصر "حشو" كما في عبارة "كما تعلمون"، وكلمة "حسناً"، التي تقلّل من قوّة الكلام. وغالباً ما نستخدمها للتعبير عن التردّد ممّا يجعل العبارات أقل دوغمائية. فتدل العبارات في بعض الأحيان على عدم اليقين، ولكن ذلك ليس دائماً. مثلاً، يمكن استخدام **"نوعاً ما"** لإضعاف قوّة التاكيد الذي قد يتسبّب في الإساءة، كما هو الحال في عبارة "جون قصير نوعاً ما". وتؤكّد لاكوف أنَّ استخدام النساء لهذِهِ التحوّطات ينبع من الخوف من الظهور بمظهر ذكوري للغاية إن كنَّ حازمات وقلن المراد مباشرة" (2004، ط1 : 79).

أداة التاكيد "جدًا": كما هو الحال في العبارة "أنا أحبه جدًّا!" تصف لاكوف هذه الأداة بشكل يدعو للحيرة بأنّها من أدوات التحوّط أيضاً. إذ تفترض فيها أنّها تضعف قوّة شعور المتحدّث. فيما يتمُّ النظر إليها لاحقاً على أنّها أداة تعزيز (مثل كلمة جدّاً **very**).

علامات الاستفهام: وكما يوحي اسمها، فهي علامات توضع على منطوق لتجعل منه سؤالاً، مثل القول "أليس كذلك؟" وفقاً لكلام لاكوف، فإنّها تحوّل العبارة إلى سؤال، إذ تضعف قوّتها. وتجعل لاكوف منها مؤشّراً على السعي للحصول على الموافقة.

التنغيم الزائد: يزداد االتنغيم في عديد من اللغات، بما في ذلك عديد من لهجات اللغة الإنكليزية، يزداد عند النقطة الأخيرة من الأسئلة. كما هو الحال مع علامات الاستفهام، فمن المفترض في التنغيم الزائد أن يحوّل العبارة إلى سؤال، وبالتالي يضعف قوّتها ويجعل من كلام المتحدّث غير مؤكّد. هذا مثال لاكوف: (أ) متى يكون العشاء جاهزاً؟ (ب) أوه... حوالي الساعة السادسة...؟

القواعد النحوية بالغة الصواب: بحسب ما تقوله لاكوف، "ليس من المفترض أن تتحدّث المرأة بفظاظة" (2004، ط1: 80). ما تشير إليه هنا هو ميل النساء إلى استخدام الصيغ اللغوية القياسية أكثر من الرجال (انظر الفصل الثاني). فمن خلال "الصواب البالغ"، يبدو أنّها تشير ضمنياً إلى أنّها أكثر صحّة ممّا ينبغي أن تكون عليه.

التشديد المؤكّد: تشير لاكوف إليه على أنّه التحدّث بالتشديد، كما هو الحال في "يا له من فستان جميل!"، وتقترح أنَّ النساء يستعملنه لأنهنَّ يتوقّعن عدم أخذهنَّ على محمل الجد. وفيما يبدو أنَّ ما تتطرّق إليه هنا هو اتساع نطاق طبقة الصوت عند النساء (انظر الفصل 2).

ومن السمات الأنثوية المفترضة الأخرى التي ذكرتها لاكوف عدم وجود روح الدعابة. فلا يمكن للمرأة أن تقول النكات؛ ليس هذا فقط، بل لا "يفهمنها" أيضاً. وبحسب رواية لاكوف الكاملة للأمر، فمن غير الواضح ما إذا كانت تنوي وصف الاستخدام أو الصور النمطية، أي ما تفعله النساء بالفعل أو ما يدّعي الرجال أنّهم يفعلونه. فيما يتعلّق بروح الدعابة، من الواضح أنّها تعيد صياغة صورة نمطية سلبية، من المفترض أنّها صور يجري تداولها (أو تمّ تداولها) في أمريكا الشمالية (وربّما بين الرجال وليس النساء).

إنّ الأثر العام لكلّ ذلك هو طرح صورة عن لغة المرأة بعدِّها أقل شأناً وقاصرة. فيما تعدُّ لغة الرجال، ضمنياً، لغة أسمى وهي القاعدة التي تنحرف عنها النساء. وفي هذا الكتاب التأمّلي المبكّر، فسّرت لاكوف الفروق بين الجنسين في استخدام اللغة في ضوء عجز النساء: كيف أنّ لغة النساء لا تتوافق مع لغة الرجال. وبفعلها ذلك، أعادت صياغة الأفكار المسبّقة القائمة حول حديث النساء عن غير قصد. ويبدو أنّها أحياناً تردّد صدى شكاوى جيسبرسن: قارن وجهة نظرها حول الصفات "الفارغة" مثل صفة **الإلهي** مع نظرته حول ظروف التكثير "المستخدمة بشكل غير صحيح" مثل الظرف "**بشكل فظيع**". بالنظر إلى الماضي، يبدو غريباً أنّ هذا العمل النسوي الأوّل حول الفروق بين الجنسين كان يجب أن يعكس الصور النمطية الذكورية بشكل واضح. لكن، بالطبع، من السهل أن تكون حكيماً بعدما حدث. ولقد دعمت الأبحاث اللاحقة في بعض الأحيان ادعاءات لاكوف حول استخدام النساء بشكل أكبر لعناصر خطابية محدّدة، ولكنّها لم تدعم تفسيرها لها.

شابَ كثير من الأبحاث التي أثارتها تكهّنات لاكوف ميل نحو هذه التكهّنات وكأنها تكهّنات راسخة. وفي كثير من الأحيان لم يكن الباحثون لغويين ولديهم فهم محدود جدّاً للغة. على سبيل المثال، عملوا في ضوء افتراض أساسي مفاده أنّ أيّة ميزة لغوية معيّنة، مثل علامة الاستفهام، لها دائماً الوظيفة نفسها. فيما هي على العكس من ذلك لها وظائف مختلفة، كما أوضح عديد من اللغويين. فنجد عالمة لغوية من نيوزيلندا، وهي جانيت هولمز، تميّز بين نوعين أساسيين منها. فقد تكون علامات الاستفهام مرجعيّة بأن تزيد التنغيم نهاية الجملة أو تكون علامات عاطفية بأن تنتهي بتنغيم خافت. ويدلُّ استعمال علامة الاستفهام المرجعيّة على عدم اليقين بشأن محتوى معلومات الكلام؛ فقد أنهي جملة بها إذا كنت بحاجة للتحقّق من دقّة ما أقوله. وهذا الاستخدام هو الذي يدور في ذهن لاكوف. في حين تكون علامة الاستفهام

العاطفية مختلفة؛ فهي لا تشير إلى عدم اليقين. وهي تنقسم إلى نوعين بحسب تقسيم هولمز لها: علامة التيسير التي تعبّر عن التضامن أو التقارب، وتُستخدم عادةً لتشجيع المشارك على المساهمة في الحديث، وعلامة التلطيف، التي تهدف إلى تخفيف الطبيعة المهدّدة للانتقادات أو الأوامر. فيما يلي بعض الأمثلة (تشير الشرطة المائلة للأمام (/) والكلمات أعلاه إلى ارتفاع الصوت في النهاية؛ فيما تشير الشرطة المائلة للخلف إلى الخفوت عند النهاية:

المرجعية يستخدم الرجال علامات الاستفهام أيضاً، أليس كذلك/؟

العاطفية - التيسيرية الأمر يتعلّق بظهرك، أليس كذلك \؟

العاطفية – الملطفة كان ذلك سخيفاً، أليس كذلك \؟

اكتشفت هولمز أنَّ النساء استخدمن علامة الاستفهام التيسيرية أكثر من الرجال في عيّنات الحديث في الأوساط التعليمية. ومن ناحية أخرى، استخدم الرجال أكثر علامة الاستفهام المرجعية. وقد تمَّ توضيح توزيع هذه الأنواع المختلفة من علامات الاستفهام في بيانات الجدول 3.1. وأظهرت النتائج التي توصّلت إليها هولمز أنَّ النساء في عيّنتها أوردن بالفعل علامات الاستفهام أكثر من الرجال. لكنهنَّ لم يستخدمنها للإشارة إلى عدم اليقين. وكانت علامات الاستفهام التي يطرحنها غالباً من النوع التيسيري، ويستخدمنها للتعبير عن التضامن مع الشخص الآخر ولتشجيعه على الانضمام إليهنَّ.

جدول 3.1 توزيع علامات الاستفهام وفقا لجنس المتحدث ووظيفة العلامة

	الأنثى	الذكر
المرجعي	18(35%)	24 (61%)
العاطفي		
الميسرة	30 (59%)	10(25%)
الملطفة	3 (6%)	5 (13%)

الإجمالي	51	39

المصدر: هلومز 1984: 54.

جدول 3.2 توزيع علامات الاستفهام وفقا لجنس المتحدث ودوره

	الأنثى	الذكر	الإجمالي
دور قيادي/ميسر	38 (73%)	23 (59%)	6 (67.8%)
دور غير قيادي	13 (25%)	16 (41%)	29 (32.2%)

المصدر: هلومز 1 84: 57.

كما وجدت أنّه عندما يطرح الرجال علامات الاستفهام، فإنّهم يميلون إلى أن تكون علامات مرجعية، ويستخدمونها للإشارة إلى عدم اليقين أو الضغط للتوصل لاتفاق.

ونظرت هولمز أيضاً في توزيع علامات الاستفهام وفقاً للدور. وميّزت بين الأدوار التيسيرية وغير التيسيرية (كما توجد بين المعلم والتلميذ). والنتائج التي توصّلت إليها موضّحة في الجدول 3.2. وبحسب ما رأت، عندما كانت النساء في عيّنتها يقمن بالتيسير، استخدمن علامات الاستفهام أكثر من الرجال. وفي الأدوار غير القيادية، استخدمن علامات أقل قليلاً من الرجال.

كما اتضح، إذاً، في دراسات هولمز للوظائف المختلفة لعلامات الاستفهام، كان استخدام الرجال أقرب إلى تفسير لاكوف؛ أي أنَّ الرجال يستخدمونها للتعبير عن عدم اليقين بشكل متكرّر أكثر من النساء. كما بحثت "دون" استعمال علامات الاستفهام في البيئات التعليمية. إذ جمعت (1988) بعض الأمثلة من سكن الطالبات. كانت المتحدّثات صديقات يتحدّثن أثناء تصفّح مجلة معاً. لقد وجدت عدداً قليلاً من التكرارات لعلامات الاستفهام المرجعية، بما فيها العلامات التالية:

العلامات المرجعية

س: هل لديك كريم بافس في هذا البلد أو هل تسمها "بروفيترول"؟

ل: بروفيترلوز

ج: كريمات بافث كريمات من نوع مختلف، أليس كذلك

لكنّها وجدت عدداً كبيراً من علامات الاستفهام العاطفية. ويبدو أنّها من خواص التفاعل الودّي بين النساء. فيما يلي بعض الأمثلة فقط على العلامات العاطفية التي وجدتها في عباراتها.

علامات الاستفهام العاطفية:

س: يجب أن أعترف أنّها صور جديدة إلى حد ما

ك: هي كذلك، أليس كذلك؟

س: عطر جورجيو يبدأ من 28 جنيه إسترليني!

ل: تحبينه، أليس كذلك؟

س: إممم إنّه جميل

ل: حصلنا جميعاً على صفر في الرياضيات!

س: الله هذا حدث سريع معك يا لويزا، أليس كذلك؟

ل: (تضحك) يا للسخرية! لقد كنت سريعة جدّاً اليوم، أليس كذلك يا كلير؟

في المثال الأخير، يبدو أنَّ علامة الاستفهام الثانية تعمل بشكل مختلف. أعتقد أنَّ لها معنى مرجعياً، على الرغم من وجود تنغيم منخفض. إذ تضغط لويز على كلير للتوصّل إلى اتفاق، كجزء من دفاعها عن نفسها.

لذا، بالعودة إلى فرضية لاكوف، دعمت الدراسات الإمبيريقية بعض تكهّناتها. يبدو أنَّ النساء يستخدمن كثيراً من علامات الاستفهام، على سبيل المثال، في بعض المواقف. ما لم تدعمه الأبحاث الإمبيريقية هو توصيفها "لغة المرأة" على أنّها لغة مؤقّتة وغير مؤكّدة. ومن المحتمل أن تكون تكهّناتها قد تأثّرت بشدّة بالصور النمطية حول خطاب المرأة؛ فقد يكون

السبب، على سبيل المثال، أنّها فسّرت علامات الاستفهام الخاصة بالنساء بطريقة وفسّرت نظيرتها لدى الرجال بطريقة أخرى. وكما تقول هولمز، فإنَّ ضعف التحوّط لدى شخص ما هو من المؤهّلات الواضحة لدى شخص آخر. وتفسّر هولمز، التي بحثنا استنتاجاتها حول علامات الاستفهام، هذه الأسئلة بشكل مختلف. لقد كانت تقوم بوضع مجموعة من الأدلّة الداعمة بعدّها سمة من سمات حديث النساء- في نيوزيلندا، في الأقل (انظر هولمز 1995؛ أيضاً الفصل الخامس في هذا المجلد).

كانت تأمّلات لاكوف المبكّرة قيّمة للغاية. وكانت هي البداية. ولا تكمن قيمة استكشافها المبكّر للقضايا المتعلّقة بالنوع واللغة في تحديد خصائص خطاب معيّن بقدر ما تكمن في الحجّة السياسية التي كانت تقدّمها، أي "تُحرم النساء بشكل ممنهج من الوصول إلى السلطة، على أساس أنهنَّ غير قادرات على الاحتفاظ بها كما يتّضح من سلوكهنَّ اللغوي" (2004، ط1، 42). ويجادل الكتاب ككل بأنَّ "صور الحديث "المهذّب" المستخدمة من قبل النساء وعنهنَّ ومعهنَّ... هي في الواقع خانقة، واستبعادية، وقاهرة" (2004 ط 1، 102). كانت تأمّلات لاكوف حول التأدّب اللغوي بمثابة تنبّؤات سابقة على بحوث لاحقة حول الموضوع ضمن مجال البراجماتية الناشئ آنذاك.

الآن تبدو فرضية لاكوف واضحة ومبسّطة للغاية. وما تنمُّ عنها من مشاكل رئيسة تتمثّل في:

1- استندت إلى تحديد مجموعة من السمات اللغوية المفترض أن تكون نموذجية للغة المرأة.
2- لقد عزّزت نموذج عجز لغة المرأة.
3- قيامها بتفسير الفروق بين الجنسين في استخدام اللغة من خلال فكرة عجز النساء وقصورهن، أسّس ضمناً عدَّ أساليب الرجال في الحديث الاستخدام الأصيل والمحايد للغة.

لكنَّ كتاب لاكوف يعدُّ علامة فارقة. لقد حدّدت جدول أعمال البحث النسوي في اللغة في السبعينيات والثمانينيات. وللتذكير هناك مساهمتان رئيستان قدّمتهما وهما تصويرها لما يمكن أن نطلق عليه الآن بنية أيديولوجية قويّة للسلوك الأنثوي المفضّل (إيكرت 2004؛

تالبوت 2003) ونظرتها الثاقبة لعبارة "اللعنة إذا فعلت، اللعنة إذا لم تفعل" كجانب من جوانب استخدام المرأة للغة.

"اللغة صنيعة الرجل"

يعدُّ كتاب ديل سبيندر "اللغة صنيعة الرجل" عملاً مبكّراً مهمّاً حول اللغة والجندر. فعندما ظهرت للمرّة الأولى عام 1980، جذبت قدراً كبيراً من اهتمام وسائل الإعلام. وكانت نقطة انطلاق المؤلّفة هي أنَّ اللغة الإنكليزية تجسّد رؤية معيّنة للعالم وتحدّد وعي المتحدثين بها:

تساعد اللغة في تشكيل حدود و اقعنا. إنَّها وسيلتنا لترتيب العالم وتصنيفه والتلاعب به. ومن خلالها نصبح أعضاء في مجتمع بشري، ويصبح العالم مفهوماً وذا مغزى، ونخلق العالم الذي نحيا فيه. (سبيندر1985: 3)

ما توضّحه هنا هو نسخة من النسبية اللغوية. وادعاؤها المركزي هو أنَّ "اللغة الإنكليزية حرفيّاً من صنع الرجل وأنَّها ما تزال في الأساس تحت سيطرة الذكور" (1985: 12). إذاً اللغة الإنكليزية، بحسب سبيندر، هي "لغة الرجل". وكما تقول، هي لا تريدنا أن نفهم عبارة "من صنع الرجل" كعبارة مجازية، ولكن أن نفهمها واقعة حقيقية. وبمقتضى ذلك يجب على النساء استخدام معاني ليست خاصة بهنَّ، إذ يحتكر الرجال إنتاج المعنى، وبالتالي إنتاج إدراكنا للواقع. ولا يتمُّ ترميز معاني المرأة في اللغة، إذ يتمُّ تحديد "الواقع" من قبل الرجال. فاللغة تقوم بترميز النسخ الذكورية للأحداث. إنَّها تعكس مصالح الذكور وفي الكلمات تحيّز للذكور.

اسمحوا لي أن أتناول بضعة كلمات على سبيل المثال: العانس والمداعبة والأمومة والعمل. عندما كتبت سبيندر كتاب اللغة صنيعة الرجل، لم يشمل التعريف الاجتماعي لمفهوم "العمل" رعاية الأطفال غير مدفوعة الأجر والرعاية المنزلية، إذ استبعد المفهوم ما فعلته عديد من النساء استبعاداً، بل إنَّ العمل المنزلي، بحكم تعريفه، ليس عملاً، ممَّا يؤدّي إلى تكرار تعليق محقّر للذات: "إنَّني لا أعمل. أنا ربّة منزل فقط".

في حين أنَّ العانس امرأة لم تتزوّج من قبل ولا تحمل الكلمة دلالات ملفتة على عكس كلمة "أعزب". أمَّا كلمة المداعبة، فهي بالطبع العنصر الذي يمكن التخلّص منه عند الجماع وبحدث قبل "الشيء الحقيقي"، ألا وهو الإيلاج. أمَّا الأمومة فهي هدف كلّ امرأة في الحياة: ذلك أنَّ "المجتمع... شرعن معنى الأمومة الذي يعني إشباع الأنوثة، ويعدُّ شيئاً جميلاً، يترك المرأة مفعمة ومليئة بالبهجة "(سبيندر 1985: 54).

تحدّد سبيندر المشاكل التي تواجهها النساء في محاولتهن التعبير عن صور أخرى من الأمومة. إنَّ الحديث عن الأمومة كشيء أقل من رائع تماماً لن يجعل المرأة تحظى بالقبول وقد يتمَّ عدّها عصابية. ونتيجة لذلك، فإنَّ عديداً من النساء غير مستعدّات، وبالذات للولادة. كثيراً ما تحجب الأمّهات المعلومات الحيويّة عن بناتهنَّ حول المعاناة المحتملة للولادة.

وهكذا غالباً ما يتمُّ الاقتباس من سبيندر ملاحظاتها حول موضوع تذبذب المرأة. إذ يُنظر إلى النساء على أنهنَّ مبالغات لأنَّه من الأفضل ألَّا يقلن أيَّ شيء على الإطلاق. كما لوحظ من قبل في هذا الفصل، تقاس مساهمة النساء في الحديث بالصمت؛ فأيّ حديث لها هو كثير. وتلاحظ سبيندر أنَّه عندما تتحدّث المرأة، يجب أن يكون حديثها "حديثاً بصيغة يقبلها الرجال" (ص 84). يمكن رفض الرؤى النسائية للواقع بعدّها رؤى غير شرعية: "هناك مجموعة من الكليشهات التي يمكن استدعاؤها لتبرير رفض الذكور لكلمات النساء". لكنَّها عادة ما تكون اختلافات حول موضوع "أعتقد أنَّ لديك قضية ولكن لماذا عليك أن تطرحها بقوّة/ عدوانيّة/ بطريقة غير عقلانيّة/ عاطفيّة؟" (ص84-85). وهذا يعني أنَّ ما تقوله النساء يمكن رفضه، لأنَّ الطريقة التي يتمُّ التعبير عنها بها غير مقبولة للرجال، بغضِّ النظر عمَّا تتحدّث عنه النساء بالفعل. الطرق الأخرى المتاحة للرجال لإسكات النساء هي التحدّث معهنَّ أو عدم الاستماع لهنَّ ببساطة. وفقاً لـ سبيندر، فإنَّ الرجال يحجبون بشكل فعّال توصيفات النساء للواقع. ويتمُّ قمع معاني المرأة بشكل ممنهج.

تعدُّ الأفكار التي طرحتها سبيندر ذات أهمية بالغة. وتجاوز كتابها حركة المرأة، إذ استطاع الوصول لجمهور واسع للقضايا النسوية. ويجب أن نكون ممتنّين لتحدّيها المعروف على نطاق واسع للتمييز الجنسي المتأصّل في اللغة الإنكليزية. وفي الألفية الجديدة، من المحتمل أن يكون فهم سبندر لأزمة المرأة فهماً مشتركاً بين ملايين من الناس في العالم الغربي. ومن المؤكّد أنَّ تصوّراتها عن الأمومة والعمل ليست مثيرة للجدل بأيِّ حال من الأحوال كما كان الحال في

زمانها. وربّما يعدُّ أمراً مغرياً تجاهل ملاحظاتها بوصفها قديمة الطراز ولم تعدّ ذات أهمية. سيكون ذلك التجاهل خطأً.

ولكن هناك مشاكل في تفسيرات سبيندر. أوّل ما نحتاج إلى مراعاته هو تصوّرها الأحادي للغة. إنّه بالتأكيد (ولحسن الحظ) مبالغ فيه. فإذا كانت اللغة شبه متجانسة كما تدّعي، فلن تتمكّن من كتابة كتابها في المقام الأوّل. التغييرات ذاتها التي وثّقتها ستكون مستحيلة. على سبيل المثال، عندما ناقشت كلمة **عمل**، أشارت إلى اصطلاحات جديدة، مثل مصطلح النوبة المزدوجة، الذي ساعد في تغيير تصوّرنا لطبيعة العمل. وبالمثل، قد نفكّر في "الصور" الجديدة للواقع التي ناقشتها، مثل الصورة المروّعة للأمومة التي "ليست تعليقاً غير عادي" (ص 55). إذا لم تكن مثل هذه المفاهيم البديلة والتخريبية للأمومة عادية، فإنَّ اللغة وصورة الواقع الاجتماعي التي تطرحها لا تعد قيداً غير قابل للإصلاح كما تدّعي أحياناً. وفي الواقع، لا توجد، ولم تكن هناك، لغة إنكليزية واحدة متجانسة (باستثناء ما قد نجده في القاموس).

ومن الأفكار ذات الصلة أنّها عند ادعائها أنَّ الرجال يحتكرون إنتاج المعنى، تميل إلى تكثيف إدخال الكلمات والمعاني الجديدة معاً في اللغة عند تدوينها (أي عند صنع القواميس). تاريخياً، الرجال هم الذين جمعوا القواميس، وكانت الاستشهادات المستخدمة لشرح الكلمات هي استشهادات لمؤلّفين ذكور. لكنَّ اللغة لا توجد أساساً في القواميس، إنّها موجودة لدى من يستخدمونها، رجالاً ونساءً.

إنَّ استخدامات سبيندر المتغيرة والمتضاربة أحياناً للمصطلحات الأساسية تضعف حججها. هذه مشكلة خاصة بـ"المعنى". ماذا تقصد بالضبط عندما تقول إنَّ معاني المرأة "محظورة"؟ في الواقع، إنّها تستخدم هذا التعبير بثلاث طرق مختلفة. لا حرج في هذا في حد ذاته، لكنّها لا تعترف بذلك، وبالتالي فإنَّ الأفكار التي تثيرها غير واضحة. ونتيجة لذلك، فإنَّ حججها أقل دقّة وحسماً ممّا يجب أن تكون عليه؛ فقد يكون لها الحق في القيام بذلك مع المؤمنين بأفكارها، ولكنّها على خطأ إن أرادت إقناع أشخاص جدد. لنعاين هذه الطرق الثلاث المختلفة لاستخدامها تعبير "معاني المرأة محظورة":

1- يركز المعنى الأوّل للعبارة على المحتوى الدلالي. فكما رأينا، تجادل سبيندر بأنَّ النساء مجبرات على استخدام كلمات ذات معانٍ متحيّزة للذكور. إذ تعكس الكلمات مصالح

الذكور. ولنعاين بعض الأمثلة التي قدّمتها: استخدام كلمة العمل للإشارة إلى العمل المأجور فقط؛ واستعمال معاني العانس والمداعبة. ما تتحدّث عنه هنا هو الكلمات المفردة ومحتواها الدلالي. فمعاني المرأة محظورة لعدم وجود كلمات تعبّر عنها. هذه الطريقة في استخدام مصطلح "المعنى" تأتي من فرع علم اللغة المعروف باسم علم الدلالة.

2- يركز المعنى الثاني للعبارة على التعبيرات الأكثر طولاً. فكما تشير أيضاً إلى أنَّ معاني النساء محظورة لأنَّ اللغة تُستخدم لطرح ادعاءات متحيّزة للذكر والتصوّرات الذكورية للأحداث. هنا لا يقتصر المعنى على الكلمات الفردية ومحتواها الدلالي فحسب، بل يتعلّق بالجمل والمقترحات والآراء. على سبيل المثال، توضّح العبارات التي تتحدّث عن الأمومة كمصدر من مصادر تحقّق المرأة المعنى المقبول في المجتمع. فالتصوّرات الأخرى للأمومة "محظورة"، أي غير شرعية. وفي علم الاجتماع، أدّى التحيّز الذكوري إلى استبعاد الأعمال المنزلية من الأعمال التي يمكن دراستها، ممّا يسر التعبير عن "المعاني الذكورية لوجود المرأة" فقط (سبيندر: 1985: 95). هذا المنظور "للمعنى" هو منظور فلسفي أكثر منه دلالي. وقد يصادفه المرء في علم الاجتماع، وليس في علم اللغة.

3- يركز المنظور الثالث على التفاعل. وكما رأينا سابقاً، تقول سبيندر أيضاً بأنَّ الرجال يحظرون المعاني النسائية بمنع النساء من التحدّث: وذلك بتجاهل مساهماتهنَّ في الحديث، أو بالسماح بهذه المساهمات فقط "في شكل مقبول للرجال"، أو بإسكاتهنَّ تماماً. إنَّ حجب معاني النساء عن طريق منعهنَّ من التواصل يختلف تماماً عمَّا كنت أهتم به حتى الآن. إنَّها ليست مسألة حظر المعاني، بل قمع الكلام.

ولا ينتهي التشوّش المفاهيمي في كتاب اللغة صنيعة الرجل عند هذا الحد. فهناك أيضاً استخدام متعجرف لكلمات مثل "بنية" و"رمز" و"كلمة" كما لو كانت كانت مترادفة (وهي ليست كذلك)؛ ومع قصر نظر غريب، تتخذ سبيندر من الملاحظات النظرية المتحيّزة للذكور حول اللغة كدليل على التحيّز الذكوري داخل اللغة الإنكليزية نفسها. ويمكن العثور على تفصيلات هذه الارتباطات والتناقضات المفاهيمية الأخرى في مراجعة مطوّلة أجرتها ماريا بلاك وروزاليند كوارد (1998).

لقد فكّرت في وجهة نظر سبيندر المتجانسة للغة. فقوّة الذكور، في روايتها، هي أيضاً متجانسة. ومن المفترض أنَّ الرجال جميعاً في وضع يسمح لهم بالسيطرة على النساء جميعنَّ. ويجب قطع الصلة المباشرة التي تشير إليها بين السلطة والذكورة. والطريقة التي ترى بها سيطرة الرجال على النساء، تبدو كما لو كانت ترى هذه السيطرة والقوّة مسألة مكتسبة بيولوجياً- شيء لا يمكننا فعل أي شيء حياله- بدلاً من عدِّها امتيازاً ممنوحاً ثقافياً وسياسياً، ويمكن الطعن عليه. وعند الحديث عن الرجال في مواقع السلطة والتغلّب على النساء، يجب أن نكون أكثر تحديداً: في أيّة مؤسّسات، وفي أيّة مواقف يحدث هذا؟ تقول لين سيغال، وهي ناقدة لسبندر، عن حق: "بدلاً من الكتابة، كما تفعل سبيندر، عن تحكّم الرجال عبر التاريخ والتحكّم الشامل في المعاني، أشعر أنّه من الأفضل لنا دراسة كيف يمكن لمجموعات معيّنة من الناس التحكّم في المؤسّسات المحدّدة التي تؤسّس أطر المعاني السائدة" (سيغال 1994: 29).

وإذا قمنا بالجمع بين هذا المنظور وادعاء سبيندر بأنَّ معاني المرأة محظورة، فهذا يقودنا إلى التفكير في الكيفية التي يختلف بها تأثير طرق التحدّث في السياقات المؤسّسية على النساء والرجال. وهذا يثير أسئلة مثل ما يلي: ما حقوق التفاعل في موقف معين؟ من الذي يُسمح له بإخبار من أن يصمت، على سبيل المثال؟ هل تمَّ تقييد وصول النساء إلى أنواع معيّنة من الحديث أو الكتابة؟ ماذا عن الأحقّية الممنوحة للمتحدّثين أو الكتّاب المختلفين؟ هل هناك ممارسات للتقليل من شأن حديث المرأة أو كتابتها؟

الخلاصة والمقدمة إلى الجزء الثاني

لقد نظرت في هذا القسم التمهيدي في بعض الأعمال المبكّرة، ولكنّها مؤثّرة في هذا المجال، ووضّحت التأثير السائد للقوالب النمطية الموجودة حول الجنسين. نحن بحاجة إلى الحرص على تجنّب إعادة إنتاج هذه الصور النمطية عندما ندرس اللغة والجندر. ويتوافر هذا القسم على ثلاث نقاط محدّدة لها أهمية خاصة. وتستحق مزيداً من التعليقات قبل أن أنتقل إلى إلقاء نظرة فاحصة على بعض الأبحاث الإمبيريقية في القسم التالي.

أوّلاً، نحتاج إلى الاهتمام بالجندر وليس الجنس. هذا الكتاب ليس عن علم الأحياء. فموضوعه هو السلوك المكتسب اجتماعياً. وفي القسم التالي، سأستمر في إظهار أنَّ الجندر

وحده متغيّر مفرط في التبسيط. إنّه يتفاعل مع العمر أو الطبقة أو المكانة، ومع الثقافة في الأقل. وتحدث الفروق بين الجنسين بسبب الأدوار الاجتماعية للرجل والمرأة. إنّها تتأسّس على الأنواع Genres المنطوقة والمكتوبة التي ينشئها الرجال والنساء، وعلى ما يمكنهم الوصول إليه، سواء تمّ تشجيعهم على المشاركة في الخطاب العام أو الخاص، أو تمّ توقّع ذلك أو كان لديهم القدرة.

ثانياً، لا يمكننا أن نتوقّع العثور على قائمة تحقّق بسيطة تفصل لغة الرجال والنساء على أساس الأشكال اللغوية. أعطيتك فكرة عن الوظائف المتعدّدة للأشكال اللغوية في دراستي لمحاولة لاكوف المبكّرة تحديد "لغة المرأة". إنَّ الارتباط الفردي بين الشكل والوظيفة أمر مستحيل. ويمكن لميزة لغوية واحدة أن تعمل بطرق مختلفة، وفقاً لسياق التفاعل الذي يتمُّ استخدامها فيه. نحن بحاجة إلى التحوّل من تفصيل السمات اللغوية إلى فحص ديناميكيات التفاعل.

ثالثاً، الانتباه إلى اللغة، وإلى تغييرها، لن يحلَّ بمفرده اللامساواة الاجتماعية التي وقفت عليها سبيندر في كتابها اللغة صنيعة الرجل. إذ تلعب اللغة دوراً مهمّاً في الحفاظ على الوضع القائم، لكنَّ القصة بأكملها ليست كذلك بأيِّ حال من الأحوال. فالمشكلة في نهاية المطاف ليست "اللغة الذكورية" ولكن قوّة وامتياز الذكور من دون منازع في أبنيتنا الاجتماعية. وما يمكن أن يتسبّب فيه الانتباه للغة هو تجريد طبيعة سلطة الرجل وامتيازاته ونظام العلاقات الاجتماعية، الذي يطلق عليه أحياناً "النظام الأبوي"، الذي يدعمها. ولا يساعد عدّ اللغة هي المشكلة في حدِّ ذاتها. إنّه ادعاء يفسد المياه ببساطة. يكمن الاهتمام النسوي باللغة في الدور الذي تلعبه، جنباً إلى جنب مع الممارسات والمؤسّسات الاجتماعية الأخرى، في عكس وخلق واستدامة الانقسامات بين الجنسين في المجتمع.

مزيد من القراءات

وجهات النظر اللغوية الشعبية / النحاة الأوائل

أعيد طبع فصل جيسبرسن المعنون بـ"المرأة" في كتاب كاميرون (1990). وللحصول على تفاصيل حول الخلفية التاريخية المبكّرة، انظر الفصل الثاني في كتاب كوتس (2016).

للتغطية الأساسية، انظر ميلز (2008). يقدّم كتاب هيلينجر وباولز (2007، ط) مزيداً من التفاصيل والتأسيس النظري. انظر أيضاً إيكرت وماكونيل جينيت (2003)، ولاسيّما الفصلين الثاني والسابع. والفصل الأخير هو وصف للتصنيف كممارسة اجتماعية.

لغة النساء عند لاكوف

يوفّر تحليل سابق حول كتاب "اللغة ومكان المرأة" النص الأصلي مع التعليقات التوضيحية من جهة المؤلف، فضلاً عن التعليقات الإضافية من عديد من المساهمين الآخرين (لاكوف 2004 ب). وتستخدم إحدى المساهمات في هذا المجلّد بنية لغة المرأة لاستكشاف الأسلوب "المهذّب" لرائدة الأعمال التلفزيونية مارثا ستيوارت في "أسلوب الحياة" (ديفيز 2004). وفي موضع آخر، تمَّ تطبيق أسلوب تحليل بنية لغة المرأة لوصف الأداء المبالغ فيه للأنوثة من قبل الممثّلين المؤدّين لأدوار نسائية (باريت 1999، 2004) والعاملين في الجنس عبر الهاتف (هوول 1995).

كتاب سبيندر اللغة صنيعة الرجل

لقد أشرت بالفعل إلى مراجعة بلاك وكوارد (1998). كذلك يستكشف كتاب كاميرون النسوية والنظرية اللغوية (1992، ط1) أيضاً المشكلات المتعلّقة برؤية سبندر. انظر أيضاً سيغال (1994: 23–37).



الجزء الثاني

التفاعل بين النساء والرجال



5

سرد القصص

هذا هو الفصل الأول من فصلين يركزان على أنواع محدّدة: أنماط الأنشطة اللفظية، مع تحديد أدوار محدّدة للمشاركين. أعرض في الفصلين كليهما ما تمَّ إجراؤه من بحوث، صراحةً أو ضمناً، ضمن إطار نظري يُعرف عموماً باسم "الاختلاف والسيطرة". يبحث هذا الفصل في القصص ويتساءل: كيف يشارك الرجال والنساء في سرد القصص؟ بالاعتماد على عمل لعديد من الباحثين في هذا المجال، أقوم بفحص كيفية سرد القصص ولماذا، بالإضافة إلى ما تدور حوله. وفي الفصل الحادي عشر، أعود إلى سرد القصص ببعض المناقشات حول قصص الخروج عن مجتمع المثليين.

دراسة القصص

تأتي الروايات الشفوية في أشكال عديدة وفي عديد من المواقف المختلفة. وقد تتجلّى في صورة عروض لرواية حكايات ذات طابع رسمي للغاية، أو في هيئة حكايات مختلطة بالثرثرة غير الرسمية، وما يقال على مائدة العشاء حول أحداث اليوم، والحديث عن أحدث الفضائح في أثناء تناول القهوة... وهناك طرق عديدة لدراسة القصص. ركز بعض الباحثين بشكل أساسي على محتوى القصة: ما تدور حوله القصص من موضوعات وشخصيات ومواقف، وطريقة تنظيم السرد. فيما ركز آخرون، لاسيَّما المتخصّصون منهم في علم اللغة، على الحديث الذي يتمُّ فيه إنتاج القصص وتفسيرها: كيف يقوم الأشخاص بإنتاج القصص، وكم عدد الرواة، ودور الجمهور، وطبيعته ومدى مشاركته. وممَّا يثير الاهتمام أيضاً ما يفعله الناس بالقصص عندما يحكونها، وما غايتهم من حكيها. مثلاً إحدى الوظائف المحدّدة هي

"سرد الحكايات"، وهو استخدام تكتيكي للقصص التي تمّت دراستها في التفاعل اليومي القائم بين الأطفال (جودوين 1993).

يقدّم هذا الفصل مجموعة مختارة من الأعمال المتعلّقة برواية القصص اليومية. وسأبدأ بالتركيز على محتوى القصة، وأطرح نتائج دراستين. ومع ذلك، سأدرس أيضاً الخطاب الذي يتمُّ فيه إنتاج القصص، بدلاً من الاكتفاء بدراسة موضوعها في غالب الفصل. كما ألقي نظرة فاحصة على الإنتاج المشترك لزوجين من الأشخاص لحكاية واحدة عن تجربة مشتركة، وأختتم بتحديد نتائج دراستين منفصلتين لأحداث محكية على موائد العشاء العائلية.

محتوى القصة

أجرت باربرا جونستون دراسة عن رواية القصص اليومية في أمريكا الوسطى، إذ درست ثماني وستين قصة محادثة تحدث بشكل طبيعي بين أفراد الطبقة الوسطى البيضاء في فورت واين، إنديانا (جونستون 1990). وقد نشأت الروايات بشكل عفوي في المحادثات الحاصلة في منازل الأهالي فيما بين الأصدقاء وأفراد العائلة، وبين الأشخاص الذين يعرفون بعضهم جيّداً. لم تكن جونستون مهتمّة في المقام الأوّل بالاختلافات بين الجنسين على هذا النحو- لقد مثلت جزءاً صغيراً فقط من دراستها الأولية- لكنّها وجدت اختلافات ثابتة بين القصص التي ترويها النساء وتلك التي يرويها الرجال. وأفاضت في دراسة هذه الاختلافات في العمل اللاحق (جونستون 1993). وفي هذا العمل اللاحق، ركزت على قصص التجربة الشخصية، وبلغت ثماني وخمسين: ثلاث وثلاثون روتها النساء وروى الرجال خمساً وعشرين قصة.

إنَّ الرجل هو عادةً بطل قصته في القصص التي قامت الباحثة بالنظر فيها، وعندما لا يكون الراوي هو البطل، فإنَّه يروي قصة عن رجل آخر. يتحدّث الرجال عن مآثر تظهر مهاراتهم وشجاعتهم وذكاءهم. وما يرويه رجال فورت واين من قصص إنَّما يعكس التوقّعات الثقافية المحلّية، بحسب ما لاحظته جونستون ذلك أنَّه: "من المتوقّع أن يصطنع الرجال المخاطر، أو يستغلّون ما يواجهونه منها كفرص لاستعراض ذواتهم" (1990: 67). فتحكي قصصهم عن تحدّيات، أمّا كانت قد جرت فيما بينهم، أو واجهوها مع عالم الطبيعة. وفيما يلي تلخيصاً وضعته جونستون لقصتين منها:

يتعرّض شاب للإزعاج من قبل رجل آخر في حانة. ولكنه يقول الحق المحدّق لوضع حدٍّ لما يجري؛ إنَّه مع الآخرين، لكن لا أحد يشارك في هذا الحوار.

يقوم اللاعبون في فريق الكرة شبه المحترف بصب الماء المثلّج على مدير العلاقات العامة بالنادي، كطقس من طقوس البدء؛ يستجيب الضحية بالطريقة الذكية الصحيحة، بالشروع في غناء أغنية "طقس عاصف" (جونستون 1993: 70).

كرواة، يولي رجال فورت واين اهتماماً بالتفاصيل الوصفية، لاسيَّما التفاصيل الدقيقة المتعلّقة بالموقع في الزمان والمكان. وعلى النقيض من ذلك، غالباً ما تدور قصص النساء حول أشخاص آخرين، ذكوراً وإناثاً. إنهنَّ لا يجدن الحل حلاً فردياً، بل يجدنه في الدعم الجماعي المتبادل، ومن المرجّح أن يجعلن الراوي أحمق أكثر من جعله بطلاً. فيما يلي ملخّصات جونستون لقصتين:

ما يعدُّ خطأً محرجاً (أن تقول "إله الخير" بدلاً من "صباح الخير" باللغة الإسبانية) يتمُّ تجاهله عندما يضحك المتحدّث الأسباني عليه، لأنَّه ذلك الرفيق اللطيف.

امرأة تحاول إنقاذ ابن أختها الغارق كادت تغرق أيضاً، لكن أختها تقترض طوق نجاة وتنقذ كليهما. (جونستون 1993: 71)

يقلُّ اهتمام النساء، كراويات، بتهيئة المشهد مقارنة بالرجال من الرواة. وتكون التفاصيل حول الأشخاص (مثل أسمائهم) أكثر تكراراً من التفاصيل الخاصة بمكان الأحداث وزمانها. وبعض قصص النساء مليئة بالحوارات. وهذا مقتطف من قصة روتها شابة عن ضابط شرطة قام بإيقافها وقت كانت سائقة عديمة الخبرة:

ثم قلت "ما المشكلة هنا؟"

قال "حسناً سيدتي ... آه ... لم تتوقفي عند إشارة التوقف"

قلت "ماذا؟"

أعني أنَّني كنت مجنونَة!

قلت "ماذا؟"

فيقول... يقول،

"إنه ال"

لقد بدأ للتوفي القعقعة،

"إنَّه قانون ولاية إندي إنديانا يتعيّن عليك التوقّف تماماً... قبل علامة التوقف، دا دا دا دا،

قلت "لقد فعلت!"

قلت "هناك ممر مشاة هناك والعلامة قبل ذلك"

قلت "أين كنت جالساً على أي حال؟" ((يضحك))

يقول "لقد كنت على حق في أن موقف السيارات بجوار الكنيسة" وموقف السيارات هذا في الخلف هنا ((يشير إلى الطاولة))

لا يمكنك حتى رؤية علامة التوقف

قلت "عذراً"

قلت "لم ترني"

قال "إنَّه قانون ولاية إنديانا دا دا دا"

(جونستون 1990: 76)

وهكذا في هذه الحوارات الجارية بين الناس، تعيد النساء بناء العلاقات الاجتماعية بين الشخصيات في سردهنَّ. إنهنَّ يدخلن العالم الاجتماعي في قصصهن. وهذا الاهتمام بالواقع الاجتماعي أقل وضوحاً في قصص الرجال. وتتلخّص النتائج التي توصّلت إليها جونستون حول الفروق بين الجنسين في سرد القصص اليومية في فورت واين أدناه:

الرجال	النساء
غالباً ما يكون الراوي هو البطل، ودائماً رجل	غالبا ما يكون الأبطال أشخاصاً آخرين من الجنسين
واقع فردي	واقع اجتماعي
تحديات بين أفراد، أو تحدٍ للطبيعة	معايير المجتمع والخوف من الخروج علها، والعمل المشترك والاعتماد المتبادل
المهارة وسعة الحيلة والبطولة	الحيرة والخوف والمهارة بفعل الحظ
الاستفاضة في التفاصيل الخاصة بالمكان والزمان ووصف الأشياء	مزيد من التفاصيل حول الشخصيات، والشخصيات المسماة، والحوار.

وتختلف الدراسة الثانية لمحتوى القصة نوعاً ما. إذ تدرس ساندرا سيلبرشتاين روايات الحب عبر ثلاثة أجيال، كما تبحث تناقض خصائص قصص الرجال والنساء (سيلبرشتاين 1988). لقد استخلصت قصصاً من عائلتين من أمريكا الشمالية، من مقابلاتها مع أعضائها الأربعة عشر. العائلة الأولى يهودية، والأخرى من البروتستانت الأنجلوساكسونيين البيض. وفي هذه القصص المستنبطة، لاحظت الاختلافات في دوافع المفردات المستخدمة من الجنسين. إذ تتمحور روايات الحب النسائية حول الاضطرار إلى اتخاذ قرار: "الحاجة إلى اتخاذ القرار- للرد" (ص 139). وكدافع، تستشهد بعض النساء بآراء أخريات. وفي قصص النساء اليهوديات، تبرز الأخلاق والالتزام تجاه الأسرة. وهناك اختلافات في قصص النساء عبر الأجيال. فيما بين الشابات، يتكرّر التأكيد على الاستقلال. وتلاحظ سيلبرشتاين أنَّ هذا التأكيد يميّزهنَّ كنساء، نظراً لأنَّ الرجال لا يحتاجون إلى الإدلاء بهذه التأكيدات، فسيبدو حقّاً أمراً غريباً إذا فعلوا: "تخيّلوا رجلاً يؤكّد.. لم أذهب إلى الكلّية لمقابلة زوجة- لقد ذهبت للحصول على درجة" (ص139). وعلى النقيض من ذلك، تدور روايات الحب عند الرجال حول التخطيط والغزو، وقد تنطوي على قرار في البداية، كما فيما يلي: "شعرت بذلك، يا للروعة، انظر إلى تلك الفتاة. سأحصل على هذه الفتاة (ص141). إنَّهم لا يتغيّرون من جيل لجيل.

تجادل سيلبرشتاين بأنَّ روايات الحب التي روتها العائلتان لها ليست مجرّد روايات تاريخية لما حدث في حياتهما، ولكنَّها قصص يستخدمونها في إنشاء الفئات الاجتماعية للجندر والحفاظ عليها. إذ تركز قصص النساء على الاستجابة للرجال من خلال اتخاذ القرار، بينما يركز الرجال على تخطيطهم الفعّال للأحداث. وهناك تشابه مذهل بين هذه الروايات غير الخيالية وما يحدث بين الأبطال النمطيين للغاية في الروايات الرومانسية الشعبية (تالبوت 1995 ط1، 1997 ط1).

زوجان يرويان قصة

ليست كلّ الروايات عبارة عن قصص؛ بعضها عبارة عن تقارير. ويفترض في التقرير أن يقدّم المتحدّث الحقائق المجرّدة؛ فيما يفترض في القصة أن تكون ممتعة وتجذب انتباه المستمع. وبحسب ما تقوله ليفيا بولاني (1985: 12-13)، فإنَّ "أي والد تلقّى (تقريراً) كئيباً عن أحداث اليوم بدلاً من أن يتلقّى (قصة) رداً على فرحة (حسناً، عزيزي، ماذا حدث في المدرسة اليوم؟") سوف يشهد على الاختلاف بين القصة والتقرير.

لقد كنت أبحث حتى الآن في بعض الدراسات حول ما يصنعه النساء والرجال برواياتهم اليومية. إنَّني بحاجة الآن إلى الجمع بين الاهتمام بمحتوى القصة والاهتمام بالخطاب الذي تظهر فيه القصص. إذ يركز هذا القسم على قصة فردية منتجة بشكل تعاوني حول تجربة مشتركة. رويت القصة في سياق محادثة غير رسمية في منزلي ذات مساء. والمشاركون اثنان من الأزواج البيض من الطبقة الوسطى يعيشان في بريطانيا. الراويان هما سيلفي، فرنسية وتتحدّث اللغة الإنكليزية بطلاقة، وزوجها البريطاني كريس. لقد دار الحديث حول أحد المعارف المشتركين الذي أصاب طفلاً مؤخّراً على الطريق. هذا الحادث هو مفتاح رواية الزوجين عن اصطدامهما بكلب. لقد عرضت الحديث بصورة مفصلة للغاية من أجل الوقوف على بعض جوانب نوعية اللغة المنطوقة، التي اتسمت بالحيوية والسرعة الشديدة أحياناً.

ولكي أقوم بدراسة القصة، سأحتاج إلى إطار عمل. لهذا سأستخدم نموذجاً مشهوراً من ستة أجزاء لبنية القصة (لابوف والتيزكي 1967؛ لابوف 1972 ط1):

1. ملخّص ... ما الذي تدور القصة حوله؟ رسم مصغر للقصة.
2. التوجيه ... من وماذا ومتى وأين؟ بناء الشخصيات والمشهد.

3. الفعل الإشكالي... ماذا حدث بعد ذلك؟ ثم؟ ثم ...؟
4. التقييم ... وماذا في ذلك؟ كيف كانت القصة مثيرة للاهتمام ولماذا؟
5. القرار... كيف انتهت القصة؟
6. كودا... هذا كل شيء، انتهت القصة. العودة إلى المحادثة.

ومن المفترض أن تأتي هذه النقاط بالترتيب المعطى بدقّة، باستثناء "التقييم". ويشمل التقييم الحفاظ على اهتمام المستمع ويمكن أن يحدث طوال الوقت. إنَّه العنصر الحاسم الذي يحوّل السرد من تقرير كئيب إلى قصة. ويتخذ التقييم أشكالاً عديدة؛ ليس الأمر صريحاً دائماً مثل تقديم حدث مع "اسمع، هذا هو الشيء الجيد!" إنَّ التمثيل الدرامي والتكرار والتفكير والتقييم في القصة أدناه كلّها ادعاءات تقييمية لقيمة القصة. ويمكننا أن نرى التقييم منذ البداية، وذلك في الجزء الذي قدّمته سيلفي كملخص في السطور من 23 إلى 28. إنّه يحتوي على صفة وظرف مؤكدين ("هذا الكلب ***الدموي*** سار ***مباشرة*** إلى السيارة") وعبارة تقييمية ("حقّاً مزعج في الآن ذاته"). وتبدأ القصة في السطر 23:

1. بريان: هيه حقاً عندما قالت سيلفي >> ذلك عنه
2. سقطت أرضاً قبل أن تبدو هكذا
3. << مثل الكسبرة (شيء مثل الجزر) فيما الرجل
4. كريس: ههههههه
5. بريان: مطالبة تأمين السيارة
6. سيلفي: ((تأخذ كأس النبيذ)) وتقول (شكراً)
7. ماري: أوههه
8. كريس: ههههه
9. بريان: (.) إيه إيه إيه (.)> الرجل الذي سقط
10. أرضاً < قال بأنّه سقط ثلاث مرات
11. قبل ذلك
12. ((ضحك لمدة طويل؛ حوالي 6 ثوانٍ))

13. سيلفي: مخيف جداً عندما يسير طفل باتجاه سيارتك

14. يمكنني أن أخبرك

15. بريان: نعم نعم

16. سيلفي: أوف

17. بريان: حسناً، لقد أخبرتكم بذلك، لقد تجوّلت حول

18. هذه العقارات القليلة والعقارات هادئة ثم

19. > فجأة استدرت عند الزاوية < وهناك

20. عشرات (من الأطفال) يلعبون في الطريق

21 . كريس: مم؛

22. تعرفون .. هههههه

الملخّص

23. سيلفي: اتجه كلب ناحية السيارة فجأة و

24 . (.) هيه توقفنا (.) وتوقف الكلب

25. (.) وبدأنا في السير مرة أخرى وبمجرد أن تحركنا

26. سار هذا الكلب الدموي مباشرة نحو السيارة

27. لم يكن هناك ما يمكننا القيام به (..)

28. حقاً أصابنا الاحباط أوانها

29. بريان: (نعم)

30. (> تذكر أنك أخبرتني<) (.)

31. كريس:: نعم< ولكن لم يكن هناك <؛ (.)

32 . لم نتوقف بالفعل. (0)

33. كان أمامنا شخص واحد واحد تقريباً

34. (لقد خفضنا السرعة لأقصى درجة)

التوجيه

35. كريس: تقصدين الشخص الذي ضربناه على طريق بلاكبول

36. سيلفي: نعم طريق بلاكبول بتلك (.)

37. السيارة المزدوجة

38. كريس: نعم (كنت) أقود على بعد ستين

39. بريان: مم

40. كريس: ويمكنك أن ترى هذا الكلب على مسافة منك

41. في المحمية المركزية (..) و

42. يمكنك أن تراه يعبر منتصف الطريق

43. عبر نصف الطريق =

44. بريان: = نعم

45. كريس: لقد كان (.) كما تعرف (.)

46. أوه اللعنة > أبطأ جداً <

47. لذا فقد تباطأت إلى حوالي ثلاثين (.)

48. براين: (مم)

49. وتلتقي عينك بعين الكلب (.)

50. مثلما تلتقي بعين إنسان (0)

51. ثم توقف وجعلني أبطيء السرعة (.)

52. برايان: مم =

53. كريس: وظننته على ما يرام

54. ولم يكن .. (.) ولم يكن كلباً غبياً

55. بريان: نع(م)

56. كريس: نعم، لذا بدأت في رفع السرعة مرة أخرى (.)

57. وأزعجني فجأة أن الكلب (.) قفز

58. أمام السيارة

59. بريان: هههه

60. كريس: ((يصفق بيديه بصوت عال))

61. بريان: مم

62. كريس: ورأيته خرج من مؤخرة السيارة

63. في المرآة

64. بريان: هههه

65. كريس: كان يعرج (.)

66. ومضى على جانب (جانب الطريق)

67. (ولم نستطع) التوقف لأنه كانت هناك إصلاحات بالطريق و (كان هناك)

68. بريان: (مم)

69. سيلفي: والسيارات خلفنا أيضاً

70. لم يكن هناك بد (لا يمكننا التوقف)

71. كريس: (عندما خرج -)

72. بريان: (xxxxxxxxxxxx)

(قرار المرشح)

73. سيلفي: لذلك ذهبنا إلى نقطة الشرطة

الفعل الإشكالي

74. كريس: عندما عاد الكلب للظهور من أسفل السيارة جهة الخلف

75. سيلفي: أوه

76. بريان: مم

77. كريس: في المرآة (.) ارتد للطريق

78. برايان: هههه نعم

79. كريس: وهناك ثقل (xx) (.) شعرت أنه يذهب

80. من أسفل

81. بريان: نعم نعم

82. سيلفي: مم

83. كريس: صوت قوي في الأمام و

84. وفرقعة تحت مقعد السائق وفرقعة مرة أخرى

85. من المحور الخلفي (.) ثم (.)

86. ارتد للطريق للوهلة (.)

87. ماري: ونهض بعد ذلك؟

88. بريان: = نهض وعرج؟

89. كريس: نهض ونزل زحفاً

90. سيلفي: زحف يا (الله)

القرار

91. كريس: (شعرت) حقا بالإعياء (.)

92. وكانت سيلفي تبكي

93. برايان: مم

94. سيلفي: لقد كنت مستاءة للغاية

95. برايان: حسناً كنت (كنت)

96. كريس: (كنت) كنت مصابا بالإعياء بسبب الكلب

97. وكنت أيضاً منزعجاً جداً لأنه

98. (.) ضرب السيارة وترك تجويفاً كبيراً في مقدمتها

99. (هههههه)

100. برايان: (هههههه)

101. كريس: هههههه ولم تسامحني سيلفي

102. (قالت قالت)

1.3. بأنَّها ظنتني قاسي القلب

104. ((ضحك من الجميع)) =

105. سيلفي: (بالطبع كنت) أبلهَ غبياً

106. (هههههه)

107. كريس: (ههههه)

108. ((يهدأ الضحك لمدة ثانيتين أو ثلاث))

109. بريان: نعم كنت ذاهباً إلى توسون فجأة...

((يتابع ليروي قصة جديدة))

إن الرواية التي قدّمها كريس وسيلفي ليست مجرّد تقرير. من الواضح أنَّها قصة، مع بذل الكثير من الجهد لإضفاء الطابع الدرامي على تسلسل الأحداث، علاوة على التفكير فيها وتقييمها.

وتمَّ تصميم هذا النموذج الخاص ببنية القصة لدراسة الروايات الشفوية المستخلصة. وما إن يتمّ استخلاصها، توضع الروايات بشكل مصطنع. مقارنة بالقصة في المحادثة أعلاه، كانت جميعها "منظمة" إلى حدٍّ ما. وفيها رواة منفردون وتنتهي بخاتمة: طريقة ربط واضحة للعودة إلى التدفق الرئيس للحديث (مثلاً، يتمُّ قول جملة "كانت تلك هي قصتي"). ولم يتمّ استخلاص قصة الزوجين؛ حدث ذلك بشكل طبيعي في أثناء محادثة المساء. وهناك، كما رأينا، راويان. ولا يوجد مقطع ختامي: المحادثة تنتقل مباشرة إلى قصة أخرى حول موضوع ذي صلة (يحاول بريان أن يبدأها في السطر 95، وينجح في السطر 109). تبدأ القصة في السطور 23-28، إذ تقدّم سيلفي مقطعًا سرديا صغيرًا قائما بذاته، وربّما لم يكن المقصود منه رواية قصة كاملة على الإطلاق. ثم يعدل كريس مقطعها السردي القصير في السطر 31، وهو تعديل أقرته سيلفي في عرضها لإكمال الكلام في السطر :34

31. كريس:: نعم< ولكن لم يكن هناك <؛ (.)

32 . لم نتوقف بالفعل. (0)

33. كان أمامنا شخص واحد واحد تقريبا

34. سيلفي: (لقد خفضنا السرعة لأقصى درجة)

ثم يتولّى كريس مهام الراوي الرئيس، ويتعامل مع مقعطها السردي الصغير كملخّص بينما ينطلق في توجيه السرد وبناء الفعل الإشكالي. وفي بداية توجيه السرد، تؤيّد سيلفي ما يقال مرّةً أخرى، ممّا يؤكّد الطبيعة المشتركة لما يقال:

35. كريس: تقصدين الشخص الذي ضربناه على طريق بلاكبول

36. سيلفي: نعم طريق بلاكبول بتلك (.)

37. السيارة المزدوجة

هناك راويان للقصة، وقراران مختلفان.

تكتمل سلسلة الأفعال الإشكالية الاثنى عشر المميّزة التي يرويها كريس عند السطرين 65-66. ثم تطرح سيلفي بعض العناصر الأكثر تقييماً لما يحدث (الأسطر 67، 69)، وتقدّم حلاً: الفعل الأخير من جانبهم (السطر 73):

67. سيلفي: (ولم نستطع) التوقّف لأنّه كانت هناك إصلاحات بالطريق و(كان هناك)

68. بريان: (مم)

69. سيلفي: والسيارات خلفنا أيضاً

70. لم يكن هناك بدٌّ (لا يمكننا التوقّف)

71. كريس: (عندما خرج -)

72. بريان: (xxxxxxxxxxxx)

73. سيلفي: لذلك ذهبنا إلى نقطة الشرطة

يبدأ كريس في التقييم عن طريق التكرار، ويقدّم "نقاط بارزة معدّلة" مروّعة من السطور 71 إلى 89 قبل تقديم قرار مختلف: كيف تجلّت محنتهم.

ينتج الزوجان كلاهما عدداً كبيراً من العناصر التقييمية. ويساهم المستمعون أيضاً في تقييم القصة، لاسيّما في السطور 87-88، إذ نجح تكرار كريس في استخراج ردود صوتية من جمهوره:

87. ماري: ونهض بعد ذلك؟

88. بريان: = نهض وعرج؟

89. كريس: نهض ونزل زحفاً

90. سيلفي: زحف يا (الله)

هذه التعبيرات الخاصة بعدم التصديق تدفع لمزيد من التقييم من جهة الرواة: باستعمال أداة التأكيد مع إعادة كريس نطق كلمة زحف مثلما تكرّرت كلمة نزل زحفاً. يعبّر الزوجان عن تقييمهما للأمور بشكل مختلف. يتجلّى استمتاع كريس بالطبيعة المروّعة للقصة في استخدامه الدرامي للمؤثّرات الصوتية وفي تكراره لها. فيما تهتمُّ سيلفي بإثبات إحباطها وسلوكها المسؤول.

تمثّل قصة التجربة المشتركة التي حكاها الزوجان معاً تمثيلاً أو ترسيخاً "للزوجية". لقد قلت بأنَّ القصة تخلو من خاتمة، ولكن يمكن النظر إلى الحلقة الأخيرة الصغيرة المستدعية للأسماء كخاتمة. إنَّها تتخطّى إطار القصة، وتميّزهما برباط الزواج:

101 كريس: هههه ولم تغفر لي سيلفي ذلك

102 (قالت قالت)

103. بأنَّها ظنّتني قاسياً <هيه

104. ((ضحك بين الحضور)) =

105. سيلفي: (بالطبع كنت) أبله غبيّاً

106. ههههه

107. كريس:: هههه

كلاهما يطرحان تسلسلاً مختلفاً للأحداث، واستخدامات مختلفة للتقييم وأنواعه. إذ ينتج كريس قصة "حركية"، فيما تقدّم سيلفي قصة "عاطفية". لكنَّهما يحكيانها معاً، ويختتمها كريس بالتعبير عن ضيقهما المشترك. وبشكل حاسم، تتلاحم قصتهما. وينهار هذا التعاون مع دخول قصة أخرى في الليلة نفسها، وينتهي الأمر بكريس بتقديمها كمونولوج (انظر تالبوت 1992، ط1، مقال بعنوان "أتمنّى أن تتوقّف عن مقاطعتي!").

على مائدة عشاء عائلية

يتناول هذا القسم الأدوار الاجتماعية التي يؤدّيها الرجال والنساء في مؤسّسة الأسرة. ما المساهمات التي يقدّمها الآباء والأمّهات في حكايات مائدة العشاء؟ ما يلي وصف محدود لدراستين عن رواية القصص اليومية على مائدة العشاء في عائلتين من والدين. تدرس الدراستان التنشئة الاجتماعية للطفل داخل الأسرة.

مقارنة بين ثقافتين

الدراسة الأولى دراسة مقارنة لحكايات مائدة العشاء في أسر يهود أمريكيين وإسرائيليين من الطبقة المتوسّطة (بلوم-كولكا 1993). قامت شوشانا بلوم-كولكا بدراسة عملية إنتاج القصص في محادثات مائدة العشاء لثماني عائلات في بوسطن وثماني عائلات في القدس. وتمَّ جمع بياناتها لمشروع أكبر يديره فريق من الباحثين. وفي كلِّ مناسبة كان أحد أعضاء فريق البحث، الذي كان من الخلفية الثقافية للعائلة نفسها، حاضراً كملاحظ. كان هذا الشخص ضيفاً على مائدة العشاء العائلية، وكان تقديم العائلة لنفسها في أثناء التفاعل مع الشخص الخارجي هو موضوع الدراسة (مما يوفّر أسلوباً لطيفاً للتغلّب على مشكلة ملاحظة الحديث الطبيعي). وموضوع الاهتمام الرئيس في الدراسة بالنسبة لنا هنا هو مساهمة الوالدين في قيامهما بدورهما كأب وأم. ومع ذلك، لكي نرى هذه الأدوار في سياق حديث مائدة العشاء، سنحتاج إلى مراعاة ما يفعله الآخرون الحاضرون أيضاً.

هناك الكثير من القواسم المشتركة بين أحداث مائدة العشاء الأمريكية والإسرائيلية. إذ يعدُّ تناول الطعام على مائدة العشاء مناسبة رئيسة لتنمية قدرة الأطفال على السرد في البيئتين الثقافيتين كلتيهما. فالأطفال مشاركون نشطون، على الرغم من اختلاف طريقة مشاركتهم كما سنرى. وكل من القصص الموجودة على موائد العشاء في بوسطن والقدس، كثيراً ما يتمُّ إنتاجها بشكل تعاوني، بالتفاعل، على الرغم من دورانها حول تجربة شخص واحد. بعبارة أخرى، مثل قصّة الزوجين التي نظرنا إليها في القسم الأخير، فهي ليست مجرد مونولوجات.

ومع ذلك، هناك اختلافات كثيرة. تشارك العائلات الأمريكية في الدراسة في جلسات طقسية "كيف كان يومك؟" في أثناء تواجدها على الطاولة. وتركز على فعل القول وهناك

الكثير من الحديث عن الحديث (خطاب على الخطاب)، مثلاً حول من هو التالي. فيما يلي، تريد ساندرا ذات الأربع سنوات المشاركة:

ساندرا: أمي لمن سأقول كيف يمرُّ يومي؟

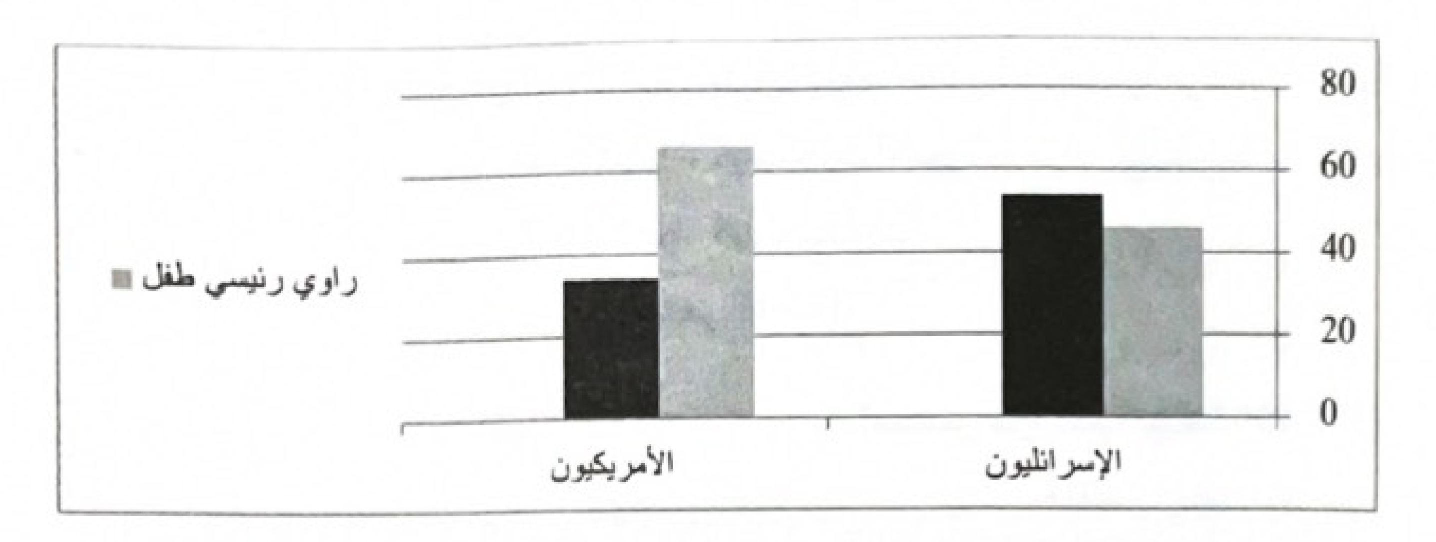
الأم: حسناً، دعنا نسمع كيف يمرُّ يومك.

ساندرا: حسناً (.) لقد لعبت الألغاز...

(بلوم-كولكا 1993: 377)

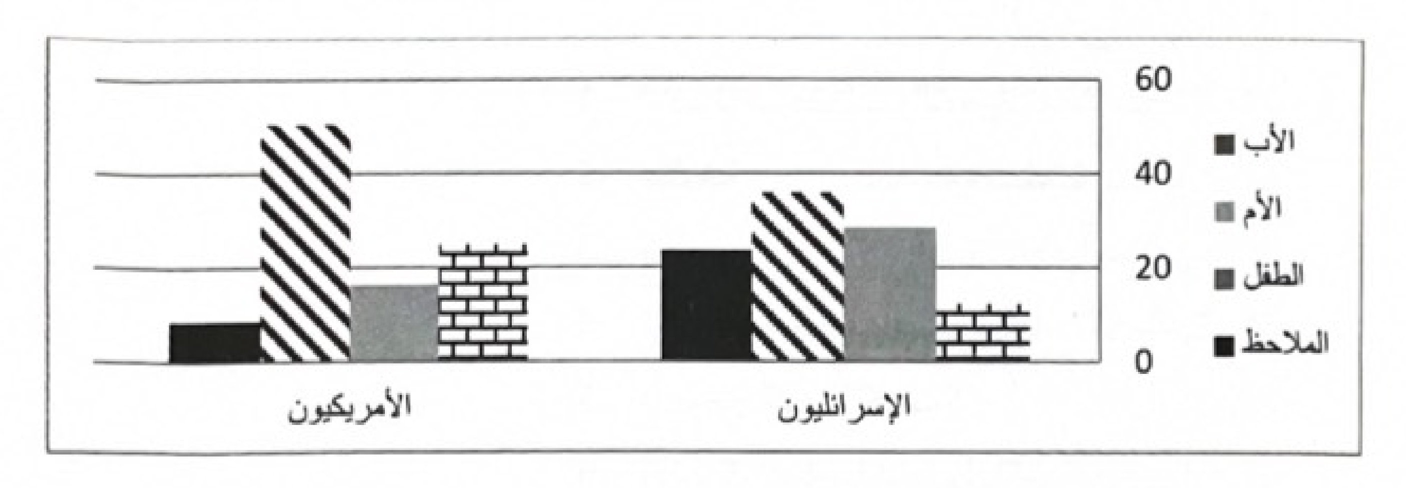
إنَّ الأطفال هم الرواة الرئيسون لثلثي القصص ويقدّمون نصفها بأنفسهم. وبالنسبة للآباء، فإنَّهم يقدّمون المزيد. ويبادر الغرباء بالقليل (انظر الشكل 4.1 والشكل 4.2 لتوزيعات الراوي الرئيس والمقدّمة السردية على التوالي). ما يعنيه هذا هو أنَّ الأطفال في دائرة الضوء كثيراً. وفي كثير من الأحيان يقدّمون روايات عن أنشطتهم في ذلك اليوم، وعندما لا يفعلون ذلك، فإنَّ الوالدين، ولاسيّما الأب، يدفعونهما للقيام بذلك. إنَّ موائد العشاء الأمريكية رسمية، ويدور الحديث فيها حول طقوس "اليوم" ومدى تنفيذ الأطفال لها على النحو الصحيح. والملاحظون حاضرون كمستمعين مهتمّين. ويشارك الأطفال بإنتاج قصصهم الشخصية، ولكنَّ القليل جدّاً منهم يشارك كمستمعين مهتمّين. ويبدو أنَّ الوالدين يتحمّلان مسئولية ترفيه الملاحظ. وتُترك مسؤولية الطعام للأم.

وعلى عكس موائد العشاء الأمريكية في الدراسة، تبدو الطاولات الإسرائيلية غير رسمية لدرجة الفوضى. وغالباً ما تكون هناك روايات عن أحداث اليوم في حكايات موائد العشاء الإسرائيلية، ولكنَّها ليست بالطابع الطقسي نفسه أو تلقّي الضوء على الأطفال. يتمُّ توزيع دور الراوي الرئيس بشكل متساوٍ بين البالغين والأطفال مقارنة بطاولات العشاء الأمريكية، إذ ينتج البالغون أكثر قليلاً (انظر الشكل 4.1). ويتمُّ توزيع مقدّمة القصة أيضاً بشكل متساوٍ، إذ يقدّم الآباء أقل عدد (انظر الشكل 4.2). وفي حين ركزت العائلات الأمريكية على رواية القصص، تركز العائلات الإسرائيلية على القصص نفسها. ويعبّر المستمعون عن اهتمامهم بالحكاية طول الوقت، وينتجون بشكل متكرّر محفّزات تعاونية وتفسيرات وقائية لمعلومات القصة. وفيما يلي مثال على الدخول التعاوني في القصة.



الشكل 4.1 الرواة الرئيسون: تقسيم مساحة السرد

المصدر: بلوم-كولكا 1993: 367



الشكل 4.2 بداية السرد على موائد العشاء الإسرائلية والأمريكية

المصدر: بلوم-كولكا 1993: 368

لاحظ إكمال الأم في السطر الرابع لكلام الملاحظ في السطر الثالث، وحثّها في السطر السادس:

1. الملاحظ: بالأمس كنا
2. كنت في المنزل
3. في بنينا و =
4. الأم: وشيفيكا؟ =

5. الملاحظ: وشفيكا نعم.
6. الأم: إذا، كيف جرت الأمور؟
7. الملاحظ: كان لطيفاً جدًّاً.

((وتستمر القصة))

(مقتبس من بلوم-كولكا 1993: 371)

السمة اللافتة للنظر في القصص الإسرائيلية هي روايتها بأصوات متعدّدة. أي، يبدو أنّ الجميع يتدخّل في بناء القصة. إحدى هذه القصص قصة كوميدية عن الأب وهو ينقذ بطيخة هاربة. إنّه يروي حادث سيارة، كانت الأم مشاركة فيه في اليوم نفسه، ويتمُّ تقديم الحادث كحادث مرح. يقدّمه الأب بنفسه على هذا النحو (نعومي وروتي ابنتان، تبلغان من العمر ثمانية أعوام و11 عاماً):

1. الأب: لقد حفظت بالأمس
2. بطيخة
3. بالأمس
4. الملاحظ: أوه هههههههههههه
5. ناعومي: كيف؟ كيف؟
6. روتي: كيف قمت بحفظها؟
7. الأب: .. لن تصدّقوا ذلك...

((يتابع))

(مقتبس من بلوم-كولكا 1993: 393)

هذا النوع من الاستماع النشط جدًّاً يسمّى أحياناً "أسلوب المشاركة العالية" (تانين 1984). فالكل يشارك فيه، بما في ذلك الأطفال. وعلى الرغم من أنَّ الأب هو الوحيد الذي عاين هذا الحدث، فإنَّ الجميع على الطاولة يشاركون في روايته كحكاية (باستثناء ابن يبلغ من العمر أربع سنوات). يبدأ التعاون الأكثر كثافة من الجمهور عندما يكمل الأب مرحلة

الفعل الإشكالي؛ أي بمجرّد أن تكون النتيجة السعيدة للقصة واضحة. وهو الموضع الذي يبدأ فيه المقتطف التالي:

1. الأب: لقد أعدتها بأمان
2. إلى ذراعي
3. الفتاة الصغيرة
4. روتي: الطفلة
5. الباكية
6. الأم: أوقفت
7. السيارة
8. لقد أوقفت الـ
9. الأب: مررت بها.
10. أوقفت السيارة
11. الأم: لقد فرملت وخرجت
12. من السيارة وأنقذت
13. البطيخة؟
14.
15. الأب: لقد أعطيت العائلة بطيخاً
16. وأنقذت حياة
17. عائلة هناك
18. الأم: وماذا قالت
19. لك
20. هذه الأسرة؟
21. الملاحظ: أوه ههههههههه
22. الأب: شكراً جزيلاً لك
23. حقاً وشكراً مرة أخرى"
24. الأم: لا أحد يفعلها
25. في الولايات

26. الأب: ففي الولايات
27. هناك تقليد لحفظ
28. البطيخ
29. الأم: إنَّه هنا فقط
30. شخص ما سيخرج
31. من السيارة
32. الأب: ماذا تقولين
33. أشياء من هذا القبيل
34. روتي: موجودة في الولايات
35. هيه هيه؛
36. الأب: هم مؤدّبون جداً
37. في هذه الأمور
38. الملاحظ: لكنَّ البطيخ
39. لو قام الطفل بمطاردة
40. البطيخ لأصبحت
41. الأمور
42. خطيرة جدّاً
43. الأب: لا. كانت هناك
44. مشكلة
45. أعني مشكلة المرأة
46. كانت إما
47. البطيخة
48. أو الطفل
49.
50. الأم: وقرّرت
51. أن تختار الطفل
52. مبكّراً جدّاً

53. الأب: قرّرت أن تختار
54. الطفل لكن
55. الطفل اختار
56. البطيخة

(مقتبس من بلوم-كولكا 393:1993-394)

يتعاون الزوجان في هذا المقتطف في تحويل موضوع القصة من "إنقاذ بطيخة" إلى "إنقاذ عائلة". فبعد سؤال المرأة الذي تطلب فيه التوضيح في السطور 11-14، أعاد الزوج صياغة موضوع القصة ("أعطيتها بطيخة وأنقذت حياة الأسرة هناك"). يعزّز الملاحظ هذا التحوّل في السطور 38-42، من خلال تغيير النغمة الكوميدية إلى نغمة جادّة ("ربَّما أصبحت الأمور خطيرة للغاية"). يختتم الوالدان القصة بانتقال مشترك في المنظور نحو الأم واهتمامها بالطفل.

"الأب أعلم"

تدرس الدراسة الثانية الأحداث السردية للعائلات الأمريكية فقط، العائلات التي توصف بأنَّها أمريكية أوروبية من الطبقة المتوسطة. إنَّها تبحث دور القص اليومي في توطيد موقع الأب في السلطة والحفاظ عليه (أوشز وتايلور 1992 ط1، 1992 ط 2، 1995). قامت إلينور أوشز وكارولين تايلور بالتسجيل لسبع عائلات من والدين في كاليفورنيا خلال أمسيتين. وفي جزء من هذا الوقت، جلست العائلات على مائدة العشاء. وعلى عكس الباحثين في الدراسة السابقة، لم يشارك أوشز وتايلور في الوجبة، لذلك لم يكونا حاضرين كملاحظين. ومع ذلك، قاما بعمل تصوير فيديو للأحداث الجارية كلَّ مساء، تاركين كاميرا الفيديو تعمل عندما تجلس العائلات لتناول الطعام. كان اهتمامهم، مثل بلوم- كولكا، بالتنشئة الاجتماعية للأطفال. وبدلاً من النظر إلى الاختلافات الثقافية، ركزا على كيفية تعلّم الأطفال السلوك الجنسي داخل ثقافة واحدة. وكان تركيزهم على "تجلّي الجندر" في الممارسات السردية. وكما تبيّن، وجدا أنَّ الأب في كلِّ عائلة يتمُّ التعامل معه ليكون الجمهور الأساسي والقاضي والناقد لأفراد الأسرة الآخرين. وقد أطلقوا على ذلك آلية "الأب أعلم".

الآباء	الأمهات	الأطفال
19	21	60

الإجمالي: 100

الشكل 4.3 أبطال القصص على سبع موائد عشاء في كاليفورنيا

المصدر: بيانات من كتاب أوشز وتايلور 1995: 102

تعاملت القصص والتقارير مع التجارب الشخصية للرواة خلال اليوم، كما هو الحال في روايات بلوم- كولكا اليومية. أولاً، بحثت أوشز وتايلور، مثل بلوم، عمن هو البطل أو الراوي الرئيس في السرد ومن يقدّمه. كما يبحثان عن المتلقّي الأساسي- أي الشخص الذي يتمُّ توجيه السرد إليه مباشرة- وعن "إشكالية" السرد. ويشير تحديد المشكلة إلى مناقشة عناصر القصة والاستعلام عن الراوي (على سبيل المثال، التشكيك في كفاءة الراوي). ما يهمُّ هنا هو من تتلقّى روايته هذه المعاملة ومن تتلقّى روايته غيرها.

وعندما يكون شخص ما هو البطل في قصة يومية، يتمُّ وضع تجاربه واهتماماته في دائرة الضوء. ولهذا جوانب إيجابية وسلبية. هذا يعني أنّها محور الاهتمام بالتأكيد. ولكن هذا قد لا يعدُّ أمراً طيباً. فليس الأمر هو تلقّي الثناء. قد يكون بعض الاهتمام الذي يتلقّاه بطل الرواية غير مرحّب به. وكما تشير أوشز وتايلور "هذا الاهتمام ليس دائماً زائداً، نظراً لأنَّ أفعال الشخصيات وأفكارهم ومشاعرهم ليست فقط موضع ثناء، ولكنّها أيضاً معرّضة من العائلة للتدقيق والسخرية والطعن عليها والنقد" (1995: 101). كونك بطل الرواية يضع الراوي في موقف ضعيف، تضعه العائلة تحت المجهر. وقد وجد أوشز وتايلور أنَّ الأطفال هم في أغلب الأحيان الأبطال. وقلّما كان الآباء هم الأبطال (انظر الشكل 4.3).

بالنظر إلى ضعف الأبطال، فإنَّ من يقدّم السرد له أهمية كبيرة. إنَّ المقدِّم هو الذي يحدّد من سيكون محور الاهتمام (والهدف المحتمل للنقد). وفي الدراسة، كان الوالدان في أغلب الأحيان هم المقدمون للحكاية، ولاسيّما الأم (انظر الشكل 4.4). وبالتالي، كان الآباء والأمهات في الغالب مسئولين إلى حدٍّ كبير عن جعل أطفالهم أبطالاً.

ويختار المقدِّم أيضاً المتلقي الأساسي. وقد يكون هذا صريحاً (كما في الأمر "أخبر والدك عن X") أو ضمنياً. دور المتلقّي الأساسي دور قوي. ومن يتولّ ذلك يحقُّ له أن ينتقد ويقيم أفراد الأسرة الآخرين، كأبطال ورواة. والشخص الذي يشغل هذا الموقع كثيراً ما يتمُ التعامل معه كقاضٍ للأسرة. وقد وجدت أوشز وتايلور، كما هو متوقّع، أنَّ الوالدين غالباً ما يتمتعان بهذا الموضع المتميّز المتمثّل في المتلقي - القاضي (انظر الشكل 4.5).

الآباء	الأمهات	الأطفال
32	39	29

الإجمالي: 100

الشكل 4.4 مقدمو الحكاية

المصدر: بيانات من كتاب أوشز وتايلور 1992 ط1: 320

الآباء	الأمهات	الأطفال
55	40	21

الإجمالي: 116

الشكل 4.5 المتلقون الأساسيون

المصدر: بيانات من كتاب أوشز وتايلور 1992 ط1: 323

وغالباً ما يبدأ الآباء بسرد القصص نيابة عن أطفالهم بأنفسهم كمتلقّين أساسيين، كما في المقتطف التالي:

الأب: قالت والدتك بأنّك فكرت في الانضمام إلى فريق السباحة؟

لوسي: ((تومئ بكلمة نعم مرة واحدة بشكل قاطع)) (1.00)

الأب: ((يومئ بكلمة نعم)) (.) (جيد)

((يستمر التقرير))

(أوشز وتايلور1995: 105)

وفي بعض العائلات، غالباً ما ترشّح الأمهات الآباء، بالبدء بالسرد مع إيراد مقدّمة مثل "هل تريد أن تخبر أباك بما حدث لك اليوم؟" وفي معظم الأسر، تعرف النساء الكثير عن حياة أطفالهم اليومية أكثر من الرجال، نظراً لأنهنَّ غالباً ما ينهون العمل مبكّراً وقد سمعوا ما حكاه أطفالهم قبل العشاء. ولكن، لأسباب مختلفة، لا يكفي هذا السبب بمفرده، لشرح سبب كون الآباء هم المتلقّون الأساسيون لروايات الأطفال في كثير من الأحيان. ومن جهة يعرف الآباء في العائلتين الكثير عن يوم أطفالهم بعد وقت العشاء أكثر ممّا تعرفه الأمهات، ولكن لا يتمُّ عكس الوضع (أي، لا توجد أمثلة على جملة "أخبر والدتك عن كذا"). ومن جهة أخرى، عندما يتطوّع الأطفال بالحكي بأنفسهم، فإنَّ الفضل يعود لأمهاتهم، اللواتي يعرفن المزيد عن يومهم بشكل عام، فيميلون إلى مخاطبتهن، ولا يوجهون حديثهم نحو آبائهم. فضلاً عن ذلك، فإنَّ الشخص الوحيد الذي لا تعرف الأسرة ككل يومه هو الأب، لكنّه لا يُدعى إلى الحكي عن ذلك. ولا يختار أيّاً من الوالدين الأطفال كمتلقٍّ أساسي (لا توجد أمثلة على "أخبر الأطفال عن كذا").

إجمالاً، تُظهر طريقة توزيع الكلام على طاولات العشاء العائلية وضعا في اتجاه واحد ولا يوجد فيه تبادل للحكي: "يشير النمط العام إلى عدم تناسق أساسي في نشاط السرد العائلي، إذ يتمُّ الحكي عن حياة الأطفال للآباء، ولكن لم يقم الآباء بالحكي عن حياتهم لأطفالهم (أوشز وتايلور 1995: 105). شبّهت أوشز وتايلور ما يجري بمصطلح البانوبتيكون (بنثام 1791؛ فوكو 1979). ويشير المصطلح إلى مبنى (مثل سجن به برج مراقبة) يمكّن شخصاً واحداً من مراقبة مجموعة من الأشخاص الآخرين من دون أن يراه أحد. بحيث تضع بنية الجلسة العائلية الشبيهة بالبانوبتيكون من الملاحظ شخصاً في موقع سلطة على أولئك الذين يخضعون للدراسة. وبالمثل، فإنَّ دور المتلقّي الأساسي، الذي يُمنح غالباً للآباء في بيانات أوشز وتايلور، يجعل أفراد الأسرة الآخرين في موقع الملاحظين. وتلعب النساء دوراً مهمّاً في تثبيت أزواجهن في هذا الدور.

وبالإضافة إلى ملاحظة ما جرى في حديث مائدة العشاء في هذه العائلات، قامت أوشز وتايلور أيضاً بفحص إشكاليات القصص والتقارير. إذ تنطوي عملية تحديد الإشكاليات على مناقشة عناصر السرد أو دراسة الراوي بوصفه السارد. وقد وجدتا ذلك في نصف الروايات بالضبط، ومعظمها تحدث بين الوالدين. ذلك أنَّ عشرة بالمائة فقط كانت "من صنع الذات". وغالباً ما أخذ الآباء دوراً محدّداً المشكلات (أي الشخص الذي يحدّد المشكلات)، وقلّما قام الأطفال بذلك. وكانت الأمهات هنَّ في الغالب مصدر المشكلات (أي الشخص المستهدف بعدّه المشكلة)، وقلّما قام الآباء بذلك الدور (انظر الشكل 4.6).

محدد المشكلات

الآباء	الأمهات	الأطفال
116	80	33

مصدر المشكلات

الآباء	الأمهات	الأطفال
67	84	78

الإجمالي: 116

الشكل 4.6 محددو المشكلات ومصادرها

المصدر: بيانات من كتاب أوشز وتايلور 1992 ط1: 325

غالباً ما كانت روايات النساء موضع شك من أزواجهنَّ. وهنا مثال واحد. المرأة قامت توّاً بتعيين مساعد لها في العمل. لقد استجوبها زوجها بالفعل حول هذا الموضوع بشكل مطول:

1. الأب: ((يأكل الحلوى)) حسناً (.)
2. أرى عن يقين بأنَّك (.) كما تعرفين

3. أنَّك رئيس عادل (.) منذ متى
4. تعملين هناك؟
5. الأم: ((وهي تقوم بغسل الأطباق في الحوض))
6. منذ خمسة عشر عاماً في يونيو
7. الأب: خمسة عشر عاماً (.) ولديك فتى
8. ((يلتفت للنظر إليها مباشرة))
9. عمل لبضعة أسابيع
10. وأنت تعملين (ماذا تعملين) بالطريقة التي يريدها
11. الأم: ههه ((الأب يبتسم قليلاً (؟)
12. ثم يعود إلى تناول الحلوى))
13. (..) الأمر ليس من واجبي
14. الطريقة التي يريدها (.) إنَّها تساعد
15. في إنجازي المزيد من العمل
16. إنَّني أعمل بصعوبة
17. لا أريد أن أعمل بصعوبة
18. الأب: ((أدار الكرسي إلى جانب وجهها)
19. حسناً (.) أنت الرئيس، الأمر متروك لك
20. لتحديد المعايير ((يتبع))

(مقتبس من أوشز وتايلور 1995 : 108)

إنَّه يشكك في كفاءتها بشكل ضمني في السطور 7-10 والأسطر 18-20. يميل الأزواج إلى التشكيك في زوجاتهن كبطلات، ممَّا يعني في كثير من الأحيان أنَّ الزوجات عديمات الكفاءة. والنساء، من جانبهنَّ، ينخرطن أيضاً فيما يضعه الأزواج من شكوك. وبعيداً عن انتقادهنَّ كبطلات، فإنَّ النساء يشكّكن في فهم الأزواج للروايات، كما في السطور 11-15. ويفعلن ذلك في الغالب دفاعاً عن أنفسهنَّ أو دفاعاً عن الأطفال. وقد تعرّضت النساء اللاتي كانت رواياتهنَّ موضع شك لوابل من النقد من أزواجهنَّ، في عائلتين.

إنَّ الأطفال هم في الغالب الطرف المتلقّي. ونادراً ما يطرحون شكوكاً، لكن عندما يفعلون ذلك، يكون الأب غالباً هدفهم. (يمكن العثور على التفاصيل الإحصائية الكاملة في كتاب أوشز وتايلور1992 ط 1، 1992 ط2.) فهنا مثال على قصة الأب الذي تحدّى ابنه:

الأب: وأمرت الزلزال بالتوقف (.) و(فعل)

الابن: ((ممتعضاً)): هيه؛ هههه كاذب سروالك (يحترق)

الأب: (قلت) "الزلزال توقف على الفور أنت تخيف أطفالي ولن نتسامح مع هذا"

الابن: لا، أنت لم تفعل

الأب: أتقول لا؟

الابن: لا

الأب: حسناً (.) كنت أظن ذلك

الابن: كنت تظن ذلك؟

(مقتبس من أوشز وتايلور 1992ط 1: 312)

يقوم الأولاد بذلك بنسبة خمسين بالمائة أكثر من البنات. وأحد الأمثلة المدهشة يأتي من الاستهداف الذاتي للأم في سرد عن ابنها البالغ من العمر سبع سنوات وهو يأكل الفلفل الحار عن طريق الخطأ في مطعم من المطاعم. يصوّر الطفل الأمر على أنَّه تجربة مضحكة في البداية، ولكن بعد أن قامت الأم بالتشكّك في موقعه كراوٍ (مصرّة على جدّية الأمر) قام بتغيير المسار، وانتهى بذلك:

الابن: ((يشير ويمدُّ يده حتّى يلمس خدَّ الأم بإصبع السبابة)) **خطؤك (.) خطؤك**

الأم: ((صانعة إيماءة)) هو خطئي

الابنة: هههه ((بهدوء))

الأم: ظننته كذلك ((الابن يقرص خديها وهي تتحدّث)) ممم (.) فلفل أخضر (.). هههه ((يبعد يديه بعيداً)) أوو هذا مؤلم يا حبيبي

الإبن: هو خطؤك. يتوجّب على فعل ما أريد فعله مرّةً واحدة.

(مقتبس من أوشز وتايلور 1992 ط 1: 315)

هذا الطفل الصغير لا يحدّد المشكلة (حدّدتها له والدته في الواقع)، ولكنّه أيضاً ينفّذ العقوبة. شبّهت أوشز وتايلور الاستهداف الذاتي للمرأة بإطلاق النار على القدمين.

إنَّ الرجال هم قضاة الأسرة. لا يرجع السبب في ذلك إلى أنَّهم غالباً ما يصنفون باعتبارهم المتلقّي الأساسي للروايات، على الرغم من أنَّ هذا أحد الأسباب المهمّة. إنَّهم يستغلّون الدور بشكل كامل، ويحدّدون المشكلات أحيانا في كلِّ قصّة أكثر ممّا يفعل أفراد الأسرة الآخرون. أيضاً، عندما يكون الرجال المتلقّين الأساسيين، يرتفع مستوى اكتشاف المشكلات بشكل عام. ويرجع هذا إلى حدٍّ كبير إلى أنَّ النساء هنَّ اللاتي يتعاملن مع أزواجهنَّ: بـ"التشكيك المضاد" دفاعاً عن أنفسهنَّ وأطفالهنَّ. فضلاً عن ذلك، يتدخّل الرجال، فيجدون مشاكل في الروايات التي تكون النساء- وليس أنفسهم- المتلقّيات الأساسيات لها. بشكل عام، فإنَّهم يأخذون في اعتبارهم إيجاد المشكلة على أنّه حقٌّ لهم، كجزء من دور الأب والزوج: يبدو أنَّ دورَ محدّد المشكلات هو امتياز خاص لدور الأب/ الزوج، ممّا يدلُّ على الأيديولوجية القائلة بأنَّ "الأب أعلم"، والتربية على الامتياز والرؤية الأبوية في النشاط السردي ومن خلاله وإعادة ترسيخها (أوشز وتايلور 1995: 112). وبقدر ما تضع النساء الرجال بانتظام في دور المتلقّي الأساسي، فإنهنَّ يساهمن في تعيين أزواجهنَّ كقضاةٍ للأسرة.

تساهم الإنتاجات السردية للعائلة على العشاء في التنشئة الاجتماعية للأطفال. وفي الوقت نفسه الذي ينصب فيه الآباء كشخصيات ذات سلطة، فإنَّ الأباء يجعلون الأمهات في موضع الأشخاص الذين يتعرّضون للنقد بشكل شرعي (على عكس موقف الأم القوي، في علاقتها بأطفالها، بوصفها المتحكّمة مباشرةً في السلع والخدمات: الشوكولاتة، ورقائق البطاطس، والمصروف...). وهكذا يتعلّم الأولاد بانخراطهم في اكتشاف المشاكل أن يكونوا أزواجاً وآباءً. فيما تتعلّم الفتيات وفق المفترض أن يصبحن مصدر المشكلات.

ما كنت أبحث عنه للتوِ هو نتائج دراسة أجريت خلال أمسيتين مع سبع عائلات أمريكية، ويجب ألّا ننسى ذلك ونعمّم على البشرية جمعاء. كان هناك تباين حتّى في عيّنة أوشز وتايلور الصغيرة. وتدعم أبحاث بلوم-كولكا ذلك. وممّا رأيناه، من المتوقّع أن يؤدّي الأطفال الأمريكيون على نحوٍ أفضل؛ فهم يتعرّضون لقدر كبير من الضغوط عند التحدّث. وقد تكون الطبيعة الطقسية في دراسة بلوم-كولكا ناتجة عن حضور الملاحظ كضيف؛ أو ربّما كان هناك شيء يهودي أمريكي أو بوسطني على وجه التحديد. ربّما كانت هذه الأسر فقط. ومع ذلك، فإنّه يتعارض تعارضاً ملحوظاً مع الحديث على مائدة العشاء في الثقافة الأخرى. ففي الأسر الإسرائيلية، لا يبدو أنَّ الأطفال في دائرة الضوء مثل نظرائهم الأمريكيين.

التعميم من نتائج البحوث

تعدُّ رواية القصص اليومية مجالاً غنيّاً للبحث. بالكاد قمت بعمل موجز لها في هذا الفصل، بالنظر في بعض دراسات محتوى القصة ودراسة الخطاب الذي يتمُّ به إنتاج القصص: بالنظر في الإنتاج المشترك للزوجين لسرد واحد ذي تجربة مشتركة وفي الأحداث السردية على موائد العشاء العائلية. وهذه ليست سوى عيّنة صغيرة من البحوث التي أجريت على القصص. وترد إشارات لغيرها في نهاية هذا الفصل.

اسمحوا لي أن أختم ببضع نقاط حول التعميم من نتائج البحوث. إنَّ الموضوعات التي بحثنا عنها محدّدة ثقافياً للغاية ولا يمكننا أن نتوقّع العثور على أنماط التفاعل نفسها عبر الثقافات. وفي حالة دراستي، على سبيل المثال، إذ قمت بدراسة قصّة واحدة تمَّ إنتاجها بشكل تعاوني عن كثب، استخدمت نموذجاً للسرد يعتمد على التسلسل الزمني. ولا أدّعي أنَّ هذا النموذج قابل للتطبيق عالمياً: فما يعدُّ بناءً سردياً "مناسباً" متغيّراً ثقافيّاً. وهناك أيضاً، كما أشرت بالفعل، حدٌّ للمدى الذي يمكننا فيه التعميم من نتائج تخص جماعات معينة للتطبيق على الثقافة الأوسع التي تنتمي إليها هذه الجماعات. وسيكون من العبث، مثلاً، التعميم من نتائج دراستي على الأزواج جميعهم في كلِّ مكان. إنَّ الخصوصية الثقافية وصغر حجم العيّنة، كلاهما، قيدان على قابلية تعميم نتائج البحث.

مزيد من القراءات

النساء والرجال كرواة للقصص

دُرست أبعاد رواية النساء والرجال في كتاب كوتيز (1996، 2003، 2005). والفصل الأخير هو فصل في مجموعة دراسات في كتاب الدراسة السوسيولغوية للسرد (ثورنبورو وكوتيز 2005). وحول سرد القصص الحوارية كنوع أدبي، انظر الفصل السادس من كتاب إيجينز وسلاد 2005). ويوجد دراسة في صيغة كتاب حول سرد القصص اليومية وهي دراسة أوشز وكابز (2001).

حديث مائدة العشاء

يوجد دراستان أخريتان عن حديث مائدة العشاء والتنشئة الاجتماعية للأطفال هما دراسة كيندال (2006) ودراسة بو (2005). وانظر أيضاً كتاب تانين (2014)، ويعدُّ كتاب بلوم- كولكا (1997) سرد بطول كتاب لأبحاث أجريت عبر الثقافات حول حكايات مائدة العشاء.

5

المحاورة

هذا هو الفصل الثاني من فصلين يتناولان أنواعاً معيّنة، ومحور اهتمامه هو نوع المحاورة، وهي نوع خاص من الحديث غير الرسمي. ويبحث تقسيم العمل في المحاورة، وسوء التواصل ما بين الرجال والنساء، و"أساليب التفاعل" المائزة، واستراتيجيات التعبير عن التهذيب.

المحاورة كنوع أدبي

ركزت في الفصل السابق على الحكي في المحاورات اليومية. الآن أريد أن أحوّل انتباهكم إلى المحاورة نفسها. يستخدم مصطلح "محاورة" أحياناً، بشكل فضفاض للغاية، للإشارة إلى اللغة المنطوقة، وإلى التحدّث عامةً. وعندما أقوم بتعريف نوع المحاورة، فإنَّني أركز بشكل أكثر تحديداً على نوع بعينه من الحديث. فالمحاورة كنوع أدبي ما تزال واسعة المدى، لكنَّها تتميّز بارتباط المشاركين فيها بعلاقة ودية وغير رسمية. ويمكننا أن نسمّيها بالدردشة أو النميمة في أكثر حالاتها ودّية وغير رسمية. ولعلَّ أهم شيء في الدردشة ليس ما يتمُّ الحديث عنه بقدر جريان الحديث في مجراه. والدردشة حديث ودّي، حديث يمضي غايةً في ذاته (وفي بريطانيا، يعدُّ الطقس هو الدعامة الأساسية لمثل هذا الحديث). وكل ما تدور حوله المحاورة هو الحفاظ على قناة الاتصال مفتوحة (وهذا ما يُعرف بالوظيفة العاطفية phatic للغة). إنَّها بمثابة اللاصق الاجتماعي الحيوي الذي يحافظ على استمرار العلاقات.

يتماثل الناس في أسلوب مشاركتهم في المحاورة، إذ يتدفق الحديث مدّاً وجذراً فيما بينهم، وهي خصيصة مميّزة للمحاورة، حتّى بين الأشخاص الذين يشغلون مواقع اجتماعية مختلفة للغاية، مثلما نجد في محاورة المعلّم والتلميذ. فلكلٍّ منهم نصيب في الحديث فيها. ومن المرجّح

أن يكون دورهم في الحديث قصيراً جدّاً. فالمحاورة على نقيض غيرها من الأنواع الأخرى، مثل المحاضرة أو المقابلة، ليس فيها شخص واحد يجري على لسانه كلّ الحديث، أو أنَّ شخصاً واحداً يطرح أسئلة جمّة والآخر يجيب عليها. فإذا حدث ذلك في نوع ظنّناه محاورة، فسنقول على الأرجح: "ما نحن بصدده في ظلِّ الأسئلة المطروحة؟ هل هذه مقابلة أم ماذا؟

إنّنا نرى المحاورة فعلاً شخصياً، ولكنّنا نخوضها أيضاً في الأماكن العامة. فقد نشارك فيها في المحال التجارية، وهي أماكن عامة، مع المساعدين في المتاجر، الذين ربّما هم من الغرباء بالنسبة لنا. كذلك فإنَّ المحاورة جزء مهم من العلاقات القائمة داخل العمل بالنسبة لمعظم الناس. لذا، بشكل عام، فإنَّ من الصعوبة بمكان التمييز بين المحاورة العامة والخاصة. فالفارق بينهما ليس واضحاً، ولكنّه فارق في الدرجة. ومع ذلك، تختلف المحاورة عن أنواع الحديث العام من نواحٍ مهمّة. تخيّل اثنين من المتحدّثين على المنصّة، يتجاذبان أطراف الحديث فيما بينهما في الفواصل الموجودة بين الكلمات الملقاة. ستجد أنَّ كلماتهم للاستهلاك العام، فيما دردشتهم ليست كذلك.

لقد حدّدت الوظيفة الشعورية phatic بوصفها أهم ميزة للمحاورة. هذا لا يعني أنَّ ما تمَّ الحديث عنه غير ذي صلة على الإطلاق. ولقد حدّدت الناشطة النسوية الأمريكية، ديبورا جونز، أربعة أنواع مختلفة من المحاورات بين النساء التي تعدُّها صنوفاً متباينة من أحاديث النميمة. فهناك برأيها "**الحديث المنزلي**"، وهو حديث ربّات البيوت الذي يعادل لديهنَّ "الحديث في المتاجر"؛ **وحوارات "الفضائح"**، التي تنطوي على مراقبة سلوك النساء الأخريات؛ **وحوارات "الشكاية"**، وهي شكل من أشكال الحديث عن المشاكل التي تشمل الشكوى من الرجال وتقولها النساء لغيرهن؛ وأخيراً **"الدردشة"**، وهي محاورة عاطفية تماماً (جونز 1990). والقاسم المشترك بينها هو تبادل الخبرات الشخصية في المحاورة (وأحياناً ما يكون ذلك، بالمناسبة، في صورة حكائية). ولعلَّ "النميمة" نوع من المحادثات المرتبطة بالنساء بشكل نمطي. ووفقاً لجونز، ثرثرة النساء هي "لغة حميمة"... تنشأ عن تضامن النساء وعن هويّتهنَّ كأعضاء في جماعة اجتماعية تجمعها مجموعة من الخبرات" (ص244). ولقد كانت مساهمة اللغوية البريطانية جينيفر كواتز في اللغويات النسوية تتمثّل في إعادة التقييم الإيجابي لأنواع الحديث التي من المفترض أن تشارك فيها النساء، ولاسيّما أحاديث النميمة، التي يُنظر إليها تقليدياً بشكل سلبي (كواتز 1996، 1988). فيما أظهر باحثون آخرون أنَّ

الرجال يشاركون في تلك الأحاديث أيضاً (جونسون وفينالي 1997- واتخذ الباحثون تعريفاً أضيق للقيل والقال على أنّها حديث خبيث عن أشخاص آخرين في غيابهم، كاميرون 1997).

تقسيم العمل الحواري

درست باميلا فيشمان الحديث بين المقرّبين، في دراسة لها حول أدوار الجنسين في المحادثات الخاصة. وكان الحديث المدروس ما بين ثلاثة أزواج، وتمَّ تسجيله بشكل منفصل، في منازلهم (فيشمان 1998، 1983). كان الأزواج أمريكيين من البيض ومن الطبقة الوسطى ومن جنسين مختلفين. يعيشون في شقق صغيرة بحيث يمكن التقاط معظم محادثتهم، بما في ذلك الحديث بصوت عالٍ من الحمّام وغرفة النوم. تركتهم فيشمان مسيطرين على جهاز التسجيل؛ في أغلب الأحيان كان الرجال هم من يعتنون بشريط التسجيل، وغالباً ما يقومون بتشغيل الجهاز من دون علم زوجاتهم.

كانوا يتركون جهاز التسجيل يعمل لفترات من ساعة إلى أربع ساعات؛ ما يعادل اثنتي عشرة ساعة ونصف في المجمل.

بصراحة، ما وجدته فيشمان في هذه المحادثات هو أنَّ النساء يقمن بأصعب المهام عند محاورة أزواجهن: "كما هو الحال مع العمل بمعناه المعتاد، يبدو أنَّ هناك تقسيم للعمل عند المحاورة. الأشخاص الذين يقومون بأعمال الصيانة الروتينية، أعني النساء، ليسوا هم نفس الأشخاص الذين يتحكّمون في عملية الحوار أو يستفيدون منها (فيشمان 1983: 99). فاهتمّت فيشمان في تحليلها للمحادثات بتوزيع الأسئلة، والحدّ الأدنى من الردود، وما يجذب الانتباه، ومتى يبدأ الموضوع ودرجة استيعابه. وهذا ما وجدته:

الأسئلة

طرحت النساء ثلاثة أضعاف الأسئلة التي طرحها الرجال. وكما ترى فيشمان، فإنهنَّ بحاجة إلى الحصول على ردود من الرجال ويطرحن أسئلة تعبّر عن اهتمامهن للانخراط في التفاعل.

الحدّ الأدنى من الردود

هذه هي أصوات "المستمع المهتم" (مثل ممَّ، نعم). ويطلق عليها أحياناً التعليقات الداعمة أو التعليقات الخفية. هي جزء أساس من الحديث التعاوني (لقد رأينا الكثير منها في الفصل الخاص بالقصص). وجدت فيشمان أنَّ النساء استخدمنها بشكل داعم لتطوير الموضوع. فيما قام الرجال بحجبها أو تأخيرها لتقليص الموضوع، وهو ما رأته فيشمان دالاً على عدم التعاون.

جواذب الانتباه

استخدمت النساء "ياه تعرف ماذا؟" لجذب انتباه أزواجهنَّ. ولفهم هذا، نحتاج إلى النظر في السياق الذي يظهر فيه هذا النوع من الأسئلة. فغالباً ما يتمُّ استخدامها بعدِّها الجزء الأول من التسلسل المسبق:

أ: "ياه هل عرفت؟"

ب: "ماذا؟"

هذا نوع من التمهيد الذي يستخدم لجذب الانتباه قبل طرح الموضوع. ومن المعتاد أن يحاول الأطفال جذب انتباه الكبار. واستخدمته النساء في بيانات فيشمان. كما استخدمنها لجذب الانتباه بعد تأخّر أو حجب الحدّ الأدنى من الاستجابة.

بدء الموضوع والاستيعاب

إنَّ "نجاح" الموضوعات هو ما يهم هنا. باختصار، نجحت موضوعات الرجال دائماً، ولم يتمّ تناول موضوعات النساء كثيراً. وبحسب فيشمان، فإنَّ نجاح موضوعات الرجال يرجع إلى الجهود الداعمة للمرأة. فقد ذكرت أنَّ النساء استخدمن الحد الأدنى من الردود (مثل أسلوب "المستمع المهتم") بشكل داعم، لتطوير الموضوع، بينما حجب الرجال أو أخّروا الحدّ الأدنى من الردود، لتقليص الموضوعات.

وتختتم فيشمان كلامها بملاحظة مفادها أنَّ النساء يتمّ دفعهنَّ إلى العمل التفاعلي ذي المكانة المنخفضة، تماماً كما يتمُّ دفعهنَّ إلى وظائف متدنّية المكانة. فقد رأت الاختلافات في

اللغة التي يستخدمها الأزواج والزوجات في المحاورة كمظاهر للنظام الاجتماعي الأكبر في التفاعل اليومي. فمثلما يوجد تقسيم غير متكافئ للعمل على أساس الجنس، كذلك فإنَّ الحوار مقسّم بشكل غير متساوٍ. كانت النسخة الأصلية من ورقتها تحمل عنواناً معبّراً إلى حدٍّ ما "العمل التفاعلي الوضيع".

كانت دراستها صغيرة جدّاً بالطبع؛ ثلاثة أزواج فقط. لكنّها ليست الوحيدة التي تُظهر الرجال يتصرّفون تصرّف الأقوياء وهم في صمت داخل المنزل. وقد نظرت فيكتوريا ديفرانسيسكو في تفاعل سبعة أزواج وتشابهت النتائج التي توصّلت إليها مع نتائج فيشمان إلى حدٍّ كبير. ولقد سعت لتوسعة أساليب فيشمان بدمج آراء الأشخاص المعنيين عن طريق المقابلات الفردية التي قامت فيها بدراسة مقتطفات من المحادثات المسجلة. كانت لدى جميع النساء شكاوى مماثلة بشأن أزواجهنَّ:

أعربت النساء جميعاً عن قلقهنَّ بشأن جذب انتباه أزواجهن وذكروا الجهود الإضافية التي بذلنها لمحاولة القيام بذلك. قالت امرأة تدعى ساندي: "إنَّه لا يتحدّث معي! وإذا كان أمر الحديث متروك له، فلن نتحدّث". لقد وصفت استراتيجيات جذب الانتباه، وكانت تثيره إذا شكّت في عدم إنصاته لها؛ واستخدمت استراتيجيات الشعور بالذنب والغيرة، وطرحت عمداً الموضوعات التي يستمتع بها. (دو فرانشيسكو 1991: 418)

وتطرح دوفرانشيسكو مقطعين من محاورة دارت بين زوجين:

1- ماري: ذهبت إلى ديانا اليوم لتناول طعام الغداء معها
2- وأكلت سلطة هل تعرف؟ (.)
3- باد: آها =
4- ماري: = التقيت أمك صدفة =
5- باد: = التقيت بمن صدفة؟
6- ماري: (.) والدتك (.)
7- حتّى أنّها لم تكن تعرف من أنا
8- باد: (.) آه

9- ماري: (.) لقد كانت تقف عند أكياس اللحوم

10- وكنت أنظر لها أخذت بالك

11- لقد اشتريت السلطة واستدرت

12- وكانت تقف عند أكياس اللحوم ثمَّ

13- انطلقت ثمَّ- (.)

14- باد: عودي إلى الخلف ((يخرج هو))

15- أف كوعيَ! (4.5)

16- ((دوي الباب؛ ويعود الزوج)) (..) إمم (.)

17- ماري: لذلك تابعتها بعيني في

18- المتجر (.) وكانت ()

19- باد: حسناً عليك تذكر أمي

20- أمي لديها رؤية نفقية أيضاً، أعني

21- إنَّها لا ترى شيئاً سوى المضي قدماً...

22- ماري: لقد فهمت هذا (.) لقد تحدّثت

23- إلى دويل اليوم؟ (.) و(.) وكما تعرف

24- فسّرت له حقيقة أن كما تعرف

25- شهر أبريل قادم، وربَّما سأضطر إلى (.)

26- باد: (.) عفواً افتحي الباب الخلفي

27- سأعطي هذا لـ(الكلاب) (...)

28- ((يعود الزوج))

29- ماري: سأضطر إلى إلغاء

30- موعدي

(منقول عن دوفرانشيسكو 1991: 417-18)

قال الزوج في أثناء محاورته، بأنَّه "لم يشعر بالرغبة في التحدّث" وقت المحاورة وأنَّه "سمع ما قيل كلّه من قبل" (1991: 418). غاية أمره أن يعطي انطباعاً بعدم رغبته في خوض الحوار: إذ يصدر صوتين فقط من الأصوات الدالة على "المستمع المهتم" (السطران 3 و 8)، ويقاطع

زوجته ثلاث مرّات (السطور 14 و 19 و 26)، بل ويغادر الغرفة مرّتين.. يبدو أنّه قام بوضعٍ خفَّف من وطء الحديث بجملة لاذعة في السطر 19، وقاطع حكيها فجأة.

لقد توصّلت في بعض الدراسات التي أجريتها بشأن الانقطاعات (تالبوت 1992 أ) أيضاً إلى أنَّ الزوج والزوجة قد يكون لهما حقوق مختلفة في التحدّث. فالشركاء في دراستي ليسوا وحدهم في المنزل، لكنّهم يتواصلون مع الأصدقاء. لقد التقينا بهم بالفعل في الفصل الأخير، عندما قدّمت إنتاجاً سردياً تعاونيّاً لزوجين. وخلال محاورة الأمسية، انخرط الزوجان نفساهما في رواية قصة أخرى بشكل مشترك. ومع ذلك، وفي هذه الحالة، ينهار التعاون: يُسكت الزوج فعلياً زوجته (وأيّ شخص آخر) بالكلمات: "أتمنى أن تتوقّفي عن مقاطعتي! ومع ذلك هي من تقاطع وأتساءل؟ فلِمَ يبدو الأمر كذلك عندي.

مهما كانت أفكاري، شعر الزوج بوضوح بأنّه تمَّت مقاطعته. ولم أتابع تسجيل المقابلات، كما فعلت دوفرانشيسكو، لكنّني طلبت من الزوجين انطباعاتهم عن محاورة المساء بعد ذلك مباشرةً. ولاحظت كيف قاطعته زوجته طوال الوقت. واتفقت معه. ما فعلته شكواه هو مقاطعة مساهمة زوجته في تطوير السرد، وهي مساهمة تتألّف من الإجابة على أسئلة الجمهور الملفتة وتصحيح بعض تفصيلات كلامه. بدا أنَّ الزوج يعترض على مشاركتها له. كما وضعت الشكوى حدّاً لمساندة جمهوره. وانتهى به الأمر بإلقاء ما تبقّى لديه في شكل مونولوج، الذي أشكُّ كثيراً في أنّه ترك الأثر الذي يريده. وحينما قام بشكواه، ربّما انتابته مشاعر الانزعاج من فقدان خيط (روايته) للقصة بسبب مساهمات الآخرين، وليس مساهمات زوجته فقط.

لكن هل قاطعته؟ هذا ممكن إذا لم يتوجّب عليها أن تساهم في المحاورة في المقام الأول. فالمشكلة هي أنَّ تحديد الانقطاعات بحدِّ ذاتها مسألة إشكالية (انظر تالبوت 1992الطبعة1). فلا يمكن التعرّف عليهم بالوسائل الآلية فقط، مثل البحث عن موضع يتحدّث الناس فيه في الوقت نفسه. وتبدو بعض الأعمال المبكّرة حول الانقطاعات كطرق "لممارسة القوّة" في المحاورة، تبدو الآن مبسّطة، لأنّها حاولت القيام بذلك (ويست وزيمرمان 1983، وويست وزيمرمان 1975). فإذا وجدنا شخصين أو أكثر يتحدّثان في الوقت نفسه، فهذا لا يعني بالضرورة حدوث مقاطعة، كما أظهر بحث جينيفر كواتز في محاورة النساء فقط (كواتز 1988). وقد أوضح عمل ديبورا تانين حول أسلوب المشاركة العالية أيضاً أنَّ الكلام المتزامن

يمكن أن يكون نقيضاً للمقاطعة (تانين 1984). ولقد رأينا في العيّنات المختلفة من الروايات اليومية التي فحصناها في الفصل الأخير، رأينا قدراً كبيراً من التدخّلات في الحوار التي اتسمعت بطابعها التعاوني ولا تعدُّ انتهاكاً لتدفّق الحوار. فعلى العكس من ذلك، عندما لا يكون هناك حديث متزامن على الإطلاق، قد يقوم شخص ما بمقاطعة المتحدّث في أثناء حواره (كما هو الحال في السطور 14 و 19 و 26 من بيانات فرانشيسكو الواردة أعلاه). فالمقاطعات هي انتهاكات لعملية نقل الحوار للطرف الآخر، إذ يقوم شخص ما بالحديث بدلاً من شخص آخر له حقُّ الحديث. وتتعاظم كثيراً في عين الناظر (أو ربّما أذن الشخص المقاطع).

سوء التواصل

غالباً ما يقضي الأطفال وقتهم في اللعب في أثناء نموّهم في جماعات أحادية الجنس. وتميل جماعات لعب الأولاد والبنات إلى أن تكون مختلفة إلى حدٍّ ما، إذ يكبر الأطفال، إلى حدٍّ ما، في ثقافات خاصة بنوع الجنس؛ يتعلّمون عن أشياء مثل كيفية التفاعل بطرق ودّية مع أقرانهم بدلاً من الكبار. وبالتالي، فإنَّ تعلّم الحديث بين الجنسين يمكن أن يكون مشكلة كبيرة في مرحلة البلوغ. في الأقل هذا ادعاء قدّمه عديد من اللغويين الأمريكيين. أول من فعلها هو دانيال مالتز وروث بوركر (1982). إذ إنّهم بإعادة دراسة بعض أبحاث اللغة والجنس حتّى الآن (أي حتّى بداية الثمانينيات)، أعادوا النظر في النتائج من جهة سوء التواصل بين الرجال والنساء البالغين. من بين النتائج الحالية التي أعادوا النظر فيها كانت تلك التي توصّلت إليها باميلا فيشمان حول تقسيم العمل في المحادثات، التي نظرنا إليها في القسم الأخير.

تتضمّن مقاربة ماتز وبوركر عاملين مؤثرين رئيسين. وتكمن أصولها في العمل اللغوي الاجتماعي لجون جومبيرز وزملائه حول سوء التواصل بين الثقافات. درس هذا العمل كيف تؤدّي الاختلافات في الخلفية الثقافية إلى سوء الفهم؛ على سبيل المثال، ما يجري بين المتحدّثين البريطانيين والهنود الذين يتحدّثون الإنكليزية. إذ يتسبّب عدم التطابق في التوقّعات عند الحديث في مشاكل للأقليات في الثقافة المضيفة؛ فقد يُنظر إلى أنماط التجويد المستخدمة من المتحدّثين الهنود على أنّها مفاجئة وغير مهذّبة من منظور أرباب العمل البريطانيين المحتملين. وتمثّل العامل المؤثّر الكبير الآخر لدى ماتز وبوركر هو البحث المكثّف الذي أجرته مارجوري هارنيس جودوين حول الأطفال الأمريكيين من أصل أفريقي عند اللعب. يلعب الأولاد والبنات في جماعات متجانسة في الجنس؛ ووجدت جودوين بعض

الاختلافات اللافتة للنظر بين هذه الجماعات (وجدت أيضاً عديد من أوجه التشابه، التي تجاهلها مالتز وبوركر بالمناسبة). وسوف ألقي نظرة على بعض النتائج التي توصّلت إليها قبل الانتقال إلى النظر في سوء التواصل بين البالغين.

أصبحت جودوين جزءاً من المشهد في حي الأطفال في فيلادلفيا، إذ تابعتهم بكاميرا فيديو في أثناء اللعب. وفحصت أسلوب هؤلاء الأطفال في تنظيم أنفسهم اجتماعياً في أثناء لعبهم في الشارع: فقد درست ديناميات جماعتهم واستراتيجياتها اللغوية. التخطيط لما يجب فعله وجعل الآخرين يتماشون معك هو ركن مهم في اللعب. كما يتضمّن ذلك اللعب اتخاذ القرارات والاتفاق على مسار اللعب. كلّ هذا يتطلّب إصدار توجيهات من نوع ما.

لعبت الفتيات في ثنائيات وثلاثيات، في جماعات صغيرة غير هرمية. وكان هناك شراكة في صنع القرارات ومفاوضات في الوضع الأدنى؛ بعبارة أخرى، لا أحد يجب أن يكون القائد. وشارك الجميع في وضع اقتراحات حول ما يجب القيام به؛ وحصل التوافق فيما بينهنَّ بشكل عام. وعند إصدار التوجيهات، تميل الفتيات إلى استخدام صيغ تعبيرية مثل "دعونا"، والضمير نحن الشامل وأدوات الشرط مثل "يمكن". وفي اللعبة التي أخذت منها المقتطفات جميعها، كانت الفتيات يبحثن عن زجاجات مصنوعة من الزجاج، حتًّى يتمكّن من قطع رأسها وليصنعن منها حلقات:

دعونا نخرج هذه أولاً

سنقوم بعرض كامل للحلقات آه يمكننا استخدام اللاصق (2.4)

(جودوين 1980: 166)

قلّما قامت الفتيات باستعمال الصيغة "يجب"، التي تحمل في طيّاتها معنى إصدار الأوامر بطابعها الحتمي. لكن عندما فعلن ذلك، كان ما اقترحنه فعلاً أو التزاماً مشتركاً:

1. شارون: بام.. أنت تعرفين ما يمكننا القيام به
2. (.) علينا تنظيفها أولاً
3. علينا تنظيفها
4. بام: هاه

5. شارون: علينا أن ننظفها أولاً
6. بام: أعرف (لأنَّ بها جراثيم)
7. شارون: (اغسلوها ورصوها؛
8. فقط في حالة تعرّضها للجراثيم

(جودوين 1980: 167)

عندما لم توافق الفتيات، لم يكن لديهنَّ صعوبة كبيرة في التفاوض عند نشوب خلاف بينهنَّ. فعلى سبيل المثال، عند الوصول إلى مجرى حضري (وبالتالي قذر) وقت بحثهنَّ عن الزجاجات، يترتّب على ذلك ما يلي:

1. بام: هل سنواصل السير؟
2. نيتي: سنواصل السير لنعرف من
3. أين تأتي هذه المياه؟ المرحاض
4. بام: إذاً أمشي فيه بقدمي القذرة، أسير فيه ولا يهمني
5. إذا جاءت المياه من المرحاض
6. يمكنك غسل قدميك بسهولة

(جودوين 1980: 169)

لا تدّعي جودوين أنَّ الفتيات لا يمكنهنَّ استخدام صيغ التعبير المباشرة، لكنهنَّ لا يستعملنها في تفاعلاتهنَّ الحميمة. إنهنَّ يستخدمنها عندما يلعبن في المنزل أو المدرسة، وعند أداء دور الوالد أو المعلّم. كما يستخدمنها أيضاً عند إخبار الأطفال الصغار بما يجب عليهم فعله وعندما يكنَّ في مواجهات عدائية للغاية، بما في ذلك مع الأولاد.

الآن دعونا نلقي نظرة على الأولاد. لقد تجمّعوا في فرق هرمية أو "عصابات". وفي إحدى المرّات، كان فريقان من الأولاد يصنعون "نبلة" من شماعات المعاطف، تمهيداً لمعركة ما. وأصبح صنع النبل نفسه موضع تنافس شديد بين الفريقين. وانخرط الأولاد في مفاوضات حول أوضاعهم؛ بعبارة أخرى، كانوا يتنافسون على تحديد من هو القائد. ولعب اختيارهم لاستراتيجيات اللغة دوراً رئيساً في هذا. فأخذت توجهاتهم عادةً شكل أوامر صريحة. وغالباً ما تكون هذه التوجهات في صيغ شديدة الحدّة، مثلما يتعلّق ببساطة برغبات المتحدّث:

اعطني السلك... انظر يا رجل، أريد كمّاشة قطع الأسلاك الآن أريد كماشة! أخبرتك يا رجل أنّها متجمّعة نوعاً ما هنا الآن لا يمكنني تحمله.

(جودوين 190: 160)

يستخدم القائد فقط هذه الأوامر بنجاح. وفيما يلي يحاول هوبي ذلك ويفشل:

هوبي: أعطني الأشياء

شوبر: اسكت.. اسكت شفاهك الكبيرة

(جودوين 1980: 159)

إنَّ السلوك الذي ينتهجه الأولاد سيكون موضع استهجان بين الفتيات (وبالمثل، طوال دراستي في بريطانيا، أتذكّر أنَّ "التسلّط والتباهي" هما الخطيئتان الكبريتان بين الفتيات). ويمكن تلخيص التباين بين جماعة الأولاد وجماعة البنات في ديناميات العمل والاستراتيجيات اللغوية على النحو التالي:

الفتيات	الفتيان
التنظيم الاجتماعي	
غالباً في زوجين	جماعات كبيرة
صديقات حميمات	عصابات
لا يوجد تراتب هرمي	يوجد تراتب هرمي
مرحباً دعونا نستعمل هذا أولاً ثم نعود ونحصل على الباقي	اعطني الكماشات ابتعد عني

يوجد الكثير جداً منها	يا رجل اهبط
سنلوّنها ونلوّن الأشياء	هنا حيث أقف
يمكننا التجوّل بحثاً عن الزجاجات	

استخدم ماتز وبوركر (1982) أدلّة تقول بوجود هذه الاختلافات الثقافية بين الأطفال لتفسير سوء التواصل بين البالغين. ففي زعمهما أنَّ المرأة والرجل يتربّيان في ثقافتين فرعيّتين مختلفتين. ويكبران ولكلٍّ منهما توقّعات مختلفة حول السلوك الودّي والحواري. وهناك تشابه بين الجندر والعرق هنا، فالفصل بين الجنسين في الطفولة يؤدّي إلى أنماط مختلفة من التفاعل، وبالتالي يكون ذلك وقوداً لسوء الفهم. مثلما هو الحال بالنسبة للناس المنتمين لثقافات مختلفة، لا يحسن الرجل والمرأة التواصل لأنَّ ما يتوقّعانه من الخطاب مختلف. ومع وضع هذا في الاعتبار، نظر ماتز وبوركر من جديد في نتائج فيشمان وفسّراها تفسيراً مغايراً. مثلاً، لاحظوا عدم التطابق بين الرجال والنساء فيما يتصل بتوقّعات استخدام الحدِّ الأدنى من الردود (ممَّ، نعم). فلقد تعلّمت النساء استخدامها كمشوّشات مستمع مهتم. في حين لم يفعل الرجال ذلك. لذا تتساءل النساء: لماذا لا يستمع الرجال أبداً؟ ويتساءل الرجال: لماذا تتّفق معك النساء دائماً؟

هذا العمل على دراسة سوء التواصل بين الرجال والنساء منذ ذلك الحين تطوّر وتحرّك صوب رؤية لأنماط تفاعل مختلفة ومتميّزة بين الذكور والإناث. وأطرح ذلك في القسم الأخير من هذا الفصل. ومع ذلك أحتاج أولاً إلى أن ألقي نظرة على مجموعة واسعة أخرى من الأعمال حول النساء والرجال والتأدّب، التي بُنيت عليها.

التأدّب

يؤسّس الناس صداقتهم نوعاً ما بتقاربهم مع بعضهم والاهتمام المتبادل فيما بينهم. ويُطلق على هذا النوع من السلوك الودود أحياناً "التأدّب الإيجابي" (براون وليفينسون 1987). فالتأدّب الإيجابي ينطوي على اهتمام الناس بـ"الوجه الإيجابي" لبعضهم البعض: حاجتهم إلى أن يكونوا محبوبين، وأن يتمَّ قبولهم. والمصطلح ليس تقييمياً. فنحن نسميه التأدّب الإيجابي لتمييزه عن التأدّب السائد بين الغرباء والمرؤوسين، الذي يتصل بـ"الوجه السلبي": حاجة

الناس إلى التحرّر من التعرّض للمضايقة وتقييد حركتهم. فالتميز هنا بين السلوك الودّي والسلوك المحترم. وربّما يكون الأخير- النوع السلبي- مألوفاً أكثر على أنّه "سلوك مهذّب"، وأقرب إلى مفهومنا عن التأدّب كما هو مستخدم في اللغة اليومية. ومع ذلك، فإنَّ النوعين كلهما من التأدّب الإيجابي والسلبي يمثّلان زبت الشحم الحيوي اجتماعياً الذي يجعل الناس يتحدّثون. على كلٍّ، فإنَّ الإشارة إلى الصداقة لا تقل أهمية عن التعبير عن الاحترام.

هناك بحوث تشير إلى أنَّ للرجال والنساء طرقاً مختلفة في تعبيرهم عن مشاعر الود. وقد تمَّ العثور على نساء يقمن باستخدام الكثير من استراتيجيات التهذيب، بما في ذلك في المحاورة الوديّة. وتقدّم جانيت هولمز صورة مفصّلة لاستخدام المرأة المكثّف لاستراتيجيات التأدّب في نيوزيلندا (هولمز 1995). هي في الغالب من النوع الإيجابي: التحوّطات، والتعزيزات والمجاملات (وجدت هولمز أيضاً أنَّ النساء يعتذرن كثيراً: أي يستخدمن استراتيجية مهذّبة سلبية). وأدوات التحوّط والتعزيز عناصر نمطية؛ أي العناصر التي تعدّل قوّة البيان إمّا بإضعافه أو تقويته. نحن نستخدم التحوّطات لتجنّب التصريح بالأشياء بشكل قاطع، لتجنّب أن نبدو متزمّتين للغاية وواثقين من أنفسنا. والأمثلة عليها تتمثّل في كلمات **نوعاً ما**، **بعض الشيء**، **قليلاً**، **إلى حدٍّ ما**، **تقريباً**. وتُستخدم أسئلة التأكيد (من قبيل **أليس كذلك؟**) أحيانا كأدوات تحوّط. في حين تكون أدوات التعزيز عبارة عن أساليب لتقوية مشاعر الحميمية والتعبير عن الاهتمام الشديد. والأمثلة على ذلك كلمتا **حقًّا** و**هكذا**. تستعمل أدوات التعزيز بين النساء لتعضيد التضامن بين المتحدّث والمخاطب. إنّها تعمل كمواد تشحيم اجتماعية، وتخلق علاقة أو تحافظ عليها، كما في المثال أدناه. تلتقي زميلتان في العمل بعد عطلة نهاية الأسبوع، وتتبادلان الملاحظات حول التأثير المفيد للتعرّض للقليل من أشعة الشمس الإنكليزية على وجههما الشاحب:

سارة: مرحباً سالي (.)، كيف الأحوال؟ حسناً؟

سالي: مرحباً سارة (..). ههه أوه، ليست في غاية السوء (1.5)

يبدو أنّك حظيت بعطلة نهاية أسبوع جيدة!

سارة: أوه نعم، تراهنين! كنت في الخارج في الشمس طوال عطلة نهاية الأسبوع (..) وتلوّن كامل أنفي باللون الأحمر البارحة.

سالي: حسناً، إنّه ليس موجوداً الآن (.) تبدين رائعة.

سارة: ممَّ شكراً احتجت قليلاً من اللون الأحمر طوال الشتاء في هذا الموضع من جسدي (.) أنت تبـ أنت تبدين في حال طيب (.) هل أستطيع رؤيتك جالسة تحت الشمس.

سالي: حقاً؟ يا إلهي (.) بقيت تحتها لمدة ساعة تقريباً.

سارة: أوه، نعم، يمكنك رؤية اللون الأحمر في وجهك (.) إنّه يناسبك.

هذا الحوار يحمل بعض التشابه مع طقوس الإطراء التي نوقشت في كتاب تانين (1994: 209-11).

لقد وقفت في الفصل الثالث عند بعض أعمال هولمز حول عنصر معيّن يستخدم كوسيلة للتحوّط، ألا وهو أسئلة التأكيد. فكما تبيّن لنا هناك، وجدت أنَّ الرجال والنساء يميلون إلى استخدام أسئلة التأكيد كتحوّطات بطرق مختلفة. ويستخدم الرجال كثيراً أسئلة التأكيد المرجعية بهدف التحقّق من دقة ما يقال. ويشير هذا النوع من أسئلة التأكيد إلى عدم اليقين بشأن محتوى المعلومات الواردة في الكلام المنطوق (أي الشك في المحتوى المرجعي). فيما تستخدم النساء كثيراً الأسئلة التأكيدية ذات الطابع العاطفي. هذا النوع من الأسئلة لا يشير إلى عدم اليقين، ولكنَّه يستخدم عادةً لتشجيع المشارك على المساهمة في الحديث، أو لتخفيف التهديد المحتمل للنقد أو الطلب. ولقد وجدت هولمز هذا النمط العام- الرجال يركزون على الوظيفة المرجعية للغة (المعلومات)، والنساء على الوظيفة العاطفية (المشاعر)- مع مجموعة من أدوات التحوّط والتعزيز.

إنَّه في كثير من الدراسات التجريبية، تبيّن أنَّ الرجال يستخدمون استراتيجيات التأدّب بدرجة أقل بكثير من النساء، وذلك في مجموعة من المواقف وفي عديد من الثقافات واللغات المختلفة. ويدرس براون وليفينسون (1987) استراتيجيات التأدّب بلغة شبه القارّة الهندية (التاميلية)، وفي إحدى لغات المكسيك (لغة تزيلتال، إحدى لغات المايا)، وكذلك باللغة الإنكليزية. ما الذي سنفعله بهذا الاختلاف بين الجنسين؟ هل الرجال أقلّ أدباً أم أنَّهم يعبّرون عن تأدّبهم بشكل مختلف؟

يمكننا بحث هذه المشكلة من خلال الاهتمام باستراتيجية مهذّبة واحدة بشيء من التفصيل. لهذا اخترت نوعاً من الكلام المؤدّب أدباً إيجابياً: أعني المجاملة. فالمجاملات من أكثر الطرق إثارة للاهتمام، وربّما الأكثر وضوحاً، لتكون سبيلاً من سبل التعبير عن التأدّب بشكل إيجابي. فهي طريقة تشعر المتلقّي بأنّه شخص مثير للاهتمام، وله قيمته، ومقبول. وتعرّف هولمز المجاملة على النحو التالي: "المجاملة فعل الكلام الذي ينسب الفضل صراحة أو ضمناً إلى شخص آخر ليس هو المتحدّث، وعادة ما يكون الشخص المخاطب، بأن ينسب له شيئاً "جيّداً" (ملكية، وسمة، ومهارة إلخ) شيئاً يعدُّ موضع تقدير إيجابي من قبل المتحدّث والمستمع" (1986: 485).

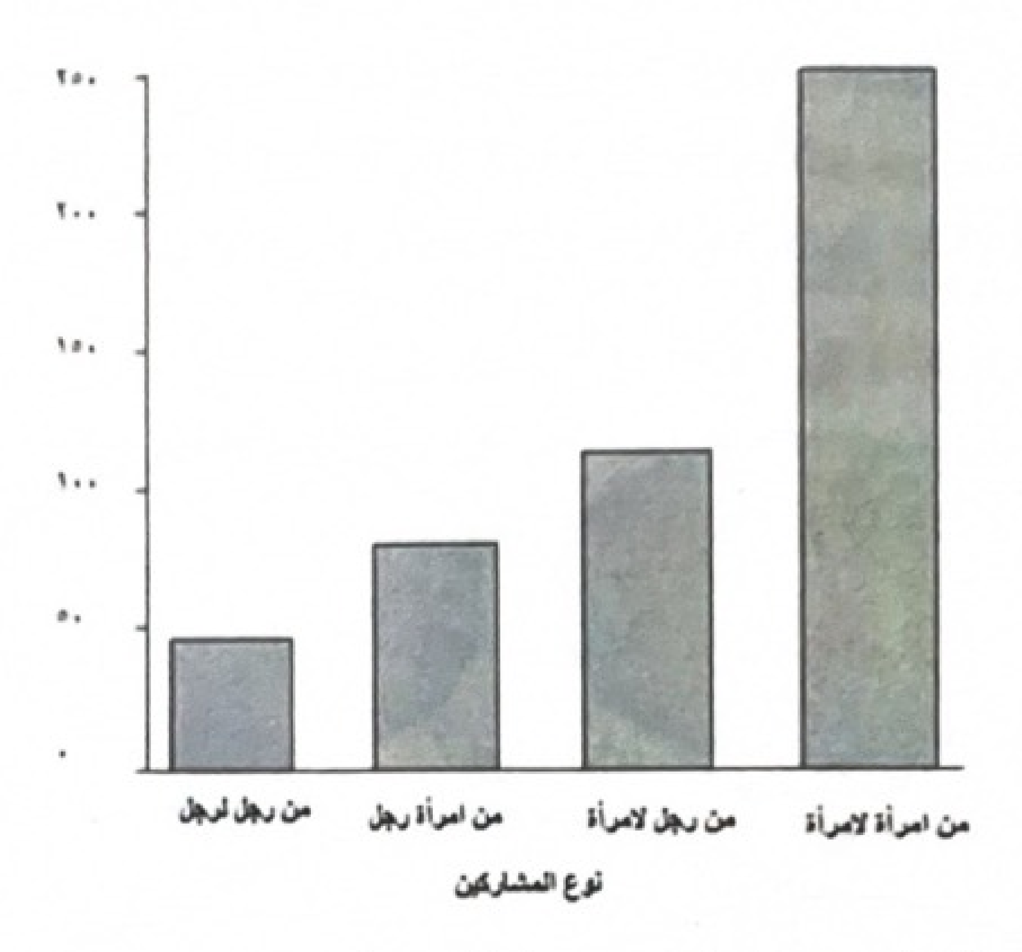
إنَّ المتحدّثة عند قولها ملاحظة نقدية إيجابية مثل **هذه سترة لطيفة**، قد تكون ودودة ومجاملة في المقام الأول. هذا لا يعني أنَّ الملاحظة غير صادقة، لكنّها قد لا تكون الشغل الشاغل للمتحدّثة عندما تنطق بها. فتركيزها منصب على العاطفة بدلاً من الوظيفة المرجعية للغة. إنّها تقيم علاقة وثيقة مع صاحب السترة أو تحافظ عليها بدلاً من نقل المعلومات حول السترة نفسها. هذا لا يعني أنَّ المجاملات خالية من المعنى المرجعي. يجب أن يكون لها موضوع، فقد اختيرت كلمة "**جيّد**" للثناء.

تتأثّر المجاملات وطريقة نظر المتلقين لها بعلاقة القوّة بين المجامل والمتلقّي، وكذلك بنوع التفاعل الذي ينخرطان فيه. فمثلاً، عند التفاعل بين المعلّم والتلميذ في الفصل الدراسي، لن يكون حال المجاملة كما هو حالها إذا كانت في محاورة بين ندّين. لذا فإنَّ وظيفة عبارة "**هذا جيّد حقّاً**"، كتعليق حول عمل شخص ما، تعتمد على من ينطق بها، ولمن، وفي أي موقف. والحال كذلك في مجاملة معلّم لتلميذ في الفصل فهي مختلفة عن غيرها في حوار بين أصدقاء. فهي تعدُّ مديحاً من شخص أعلى في المقام أكثر من كونها تعبيراً عن الصداقة. ففي المحاورة، قد يؤثّر عدم تناسق القوّة بين الأشخاص المشاركين فيها على تصوّر المتلقّي للمجاملة. ولنفترض أنَّ التلميذ نفسه كان في محاورة مع المعلّم خارج الفصل الدراسي، سنجده في حيرة من أمره في تفسير المجاملة الواردة من المعلّم نفسه، حتّى لو كانت الصياغة واحدة. فهل تعدُّ المجاملة في معنى المديح من شخص أعلى مقاماً (وفي هذه الحالة يعيد المعلّم تأكيد التسلسل الهرمي داخل الفصل الدراسي)؟ أم هي في معنى أنَّ المعلم يحاول إقامة علاقة صداقة معه؟ أم أنَّ للمجاملة المعنيين نفسهما في الوقت ذاته؟

تنطوي أفعال الكلام مثل المجاملات دائماً على تناقض. ويتمُ استخدامها في المواقف الهرمية، كما هو الحال في مثال الفصل الدراسي (أو من مدير إلى سكرتير في بيئة العمل، أو من الوالدين إلى الطفل). ولأنَّ هذا حالها، فقد تكون مربكة بعض الشيء. ولعلَّ علاقات القوّة مهمّة في فهم معنى المجاملات. فمن الممكن استخدام فعل المجاملة ليس فقط بطريقة ودّية، ولكن كوسيلة لتأكيد القوّة على المتلقّي لها. ذلك أنَّ المجاملات يجوز دوماً تفسيرها كبرهان على العلاقات الهرمية، حتّى ولو لم يكن المجامل يقصد ذلك. كذلك من الممكن تفسير المجاملة على أنّها استهزاء متعالٍ.

وقد تساعدنا هذه الملاحظات حول استراتيجية التأدّب الإيجابية الوحيدة المتمثّلة في المجاملة في تفسير أسباب قيام الرجال باستعمال استراتيجيات التعبير المهذّب أقل من النساء. فمع الأخذ في الاعتبار البحث الذي وقفنا عليه في القسم الأخير، حول التنشئة الاجتماعية للأولاد في جماعات هرمية، قد يكون الرجال حساسين لاختلافات القوّة ويفسّرون استخدام الناس لأفعال الكلام مثل المجاملات على أنّها محاولات لتأكيد القوّة، على أنّها ادعاءات ترسيخ علو المقام في التسلسل الهرمي. فإذا كان المتلقّي يعتقد أنَّ المجامل يفعل ذلك، فسيتمُ عدّ المجاملة بمثابة تهديد. ضع في اعتبارك أنّه ليس الرجال وحدهم من يمكنهم تفسير المجاملات على أنّها تهديد أو رعاية، كما ستشهد أيّة امرأة تمَّ تهنئتها على وقوف سيارتها بنجاح.

ليست القوّة المتغيّر الاجتماعي الوحيد الذي يؤثّر على طريقة تفسير المجاملات. من المهم أيضاً معرفة مدى معرفة المجامل والمتلقّي لبعضهما البعض؛ إذ يتمُ تبادل المجاملات عادةً بين الأصدقاء والمعارف. فعند قيامنا بمجاملة شخص ما، نفترض درجة من الحميمية. وقد يُنظر إلى المجاملة كتهديد إذا كان المتلقّي لها لا يجد مبرّراً لتلك العلاقة الحميمة المفترضة؛ إذا كانت المجاملة، مثلاً، من شخص غريب تماماً. كذلك فإنَّ المرأة الشابة التي تتلقّى ملاحظة إيجابية من رجل في موقع إنشاءات قد لا تقبلها كمجاملة. إذاً، تؤثّر كلّ من القوّة والمسافة الاجتماعية على المجاملة. ولذا من المرجّح أن تختلف المجاملات من ثقافة لأخرى، مثل غيرها من استراتيجيات التعبير المهذّب.

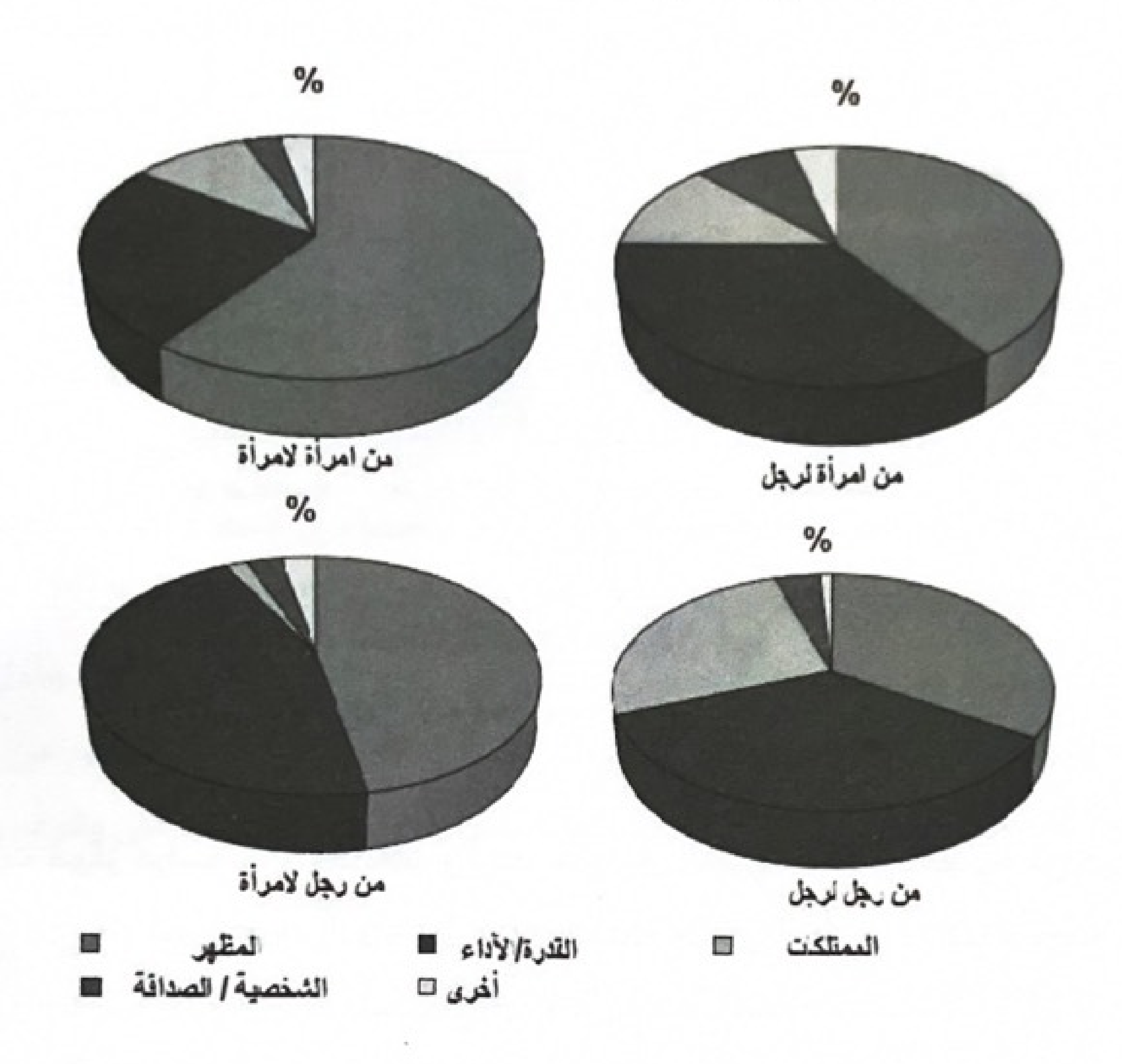


الشكل ١،٥ المجاملات ونوع المشاركين فيها

المصدر: هولمز ١٩٩٥: ١٣٢

أجرت هولمز دراسة عن المجاملات والردود عليها بين النيوزيلنديين، ومعظمهم من الباكيها Pakeha (أي من أصل أوروبي). واستطاعت بمساعدة جامعي البيانات أن تقوم بجمع 484 مجاملة واستجابة مدوّنة جرت بشكل طبيعي. وتبيَّن لها أنَّ للنساء النسبة الأكبر. ويمكننا أن نرى من الشكل 5.1 كيف تم توزيع المجاملات حسب الجندر. كانت المجاملات أقل تواتراً بكثير من الرجال، ولاسيّما فيما بينهم. فهل من المرجّح أن ينظر إليها الرجال كتهديد؟ هل هم غير مرتاحين لتكرار الإطراء التضامني الذي تنخرط فيه النساء، عادّين أنَّه محاولات لتأكيد السلطة بدلاً من التقارب؟ الشيء الوحيد الذي ظهر بشكل لا لبس فيه في نتائج أبحاث هولمز هو أنَّ الناس حسّاسون للغاية تجاه مكانتهم عند تلقّيهم لسلوك المجاملة، ليس فقط الرجال ولكن النساء أيضاً. ووجدت هولمز أنَّ أكبر نسبة من المجاملات كانت بين الأشخاص من المكانة نفسها. وفي المواقف الهرمية إذ توجد علاقات قوّة غير متكافئة، تقل المجاملات إلى حدِّ الندرة. وإن حدثت، فمن المرجّح أن تجري على لسان الشخص الأكثر قوّة.

كذلك قامت هولمز بدراسة اختيار موضوع المجاملة. ووجدت أنَّ الناس يمتدحون على المظهر أو القدرات أو الممتلكات أو على شخصياتهم. هنا كان الاختلاف في التوزيع حسب الجندر أقل لفتاً للانتباه، لكنَّه ما يزال مميّزاً تماماً. وكانت أكثر من نصف المجاملات بين النساء مجاملات تتعلّق بالمظهر، فيما بلغت الثلث بين الرجال (انظر الشكل 5.2).

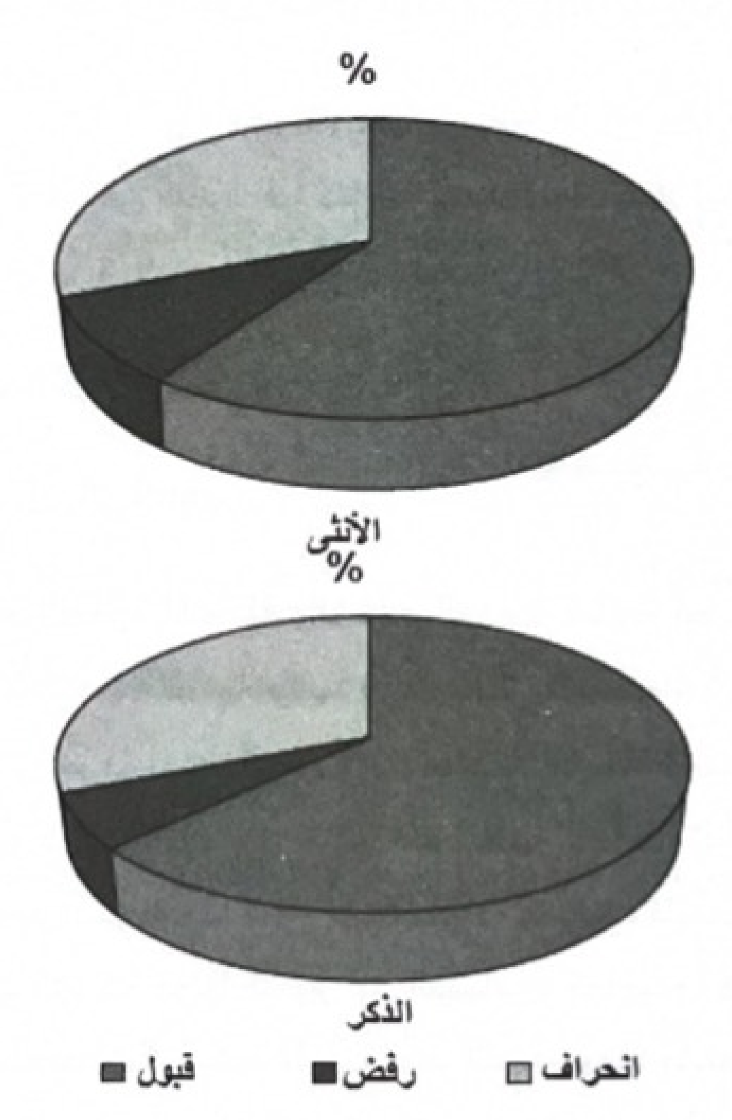


الشكل ٥,٢ موضوع المجاملة ونوع المشاركين
المصدر: مقتبس من هولمز ١٩٩٥: ١٣٢

وانقسمت الردود على المجاملة إلى ثلاثة أنواع عامة: القبول أو الرفض أو الانحراف. كان توزيعها الإجمالي بين النساء والرجال متشابهاً جدّاً في دراسة هولمز بنيوزيلندا (الشكل 5.3). فمن المرجّح أن يقبل كلٌّ من الرجال والنساء، عادةً بموافقة رمزية (**شكراً؛ نعم**) وعبارة موافقة (**أعتقد ذلك أيضاً**). ومع ذلك، يوجد بعض الفروق بين الجنسين في اختيار الاستراتيجية المستخدمة لرفض المجاملات وتجاهلها. فكانت النساء أكثر عرضة من الرجال لرفض المجاملات بالاختلاف معها (**أخشى ألّا أحب ذلك كثيراً**)، وهناك احتمالات أخرى

للتشكيك في دقّة الكلام (**هل الجمال هو الكلمة الصحيحة؟**) أو تحدّي صدق المتحدّث. (**أوه، أنت لا تعني ذلك حقّاً!**). وبشكل هامشي كان الرجال أكثر ميلاً للابتعاد عن المجاملة بتجاهلها وتغيير الموضوع (**يا إلهي، هل هذا هو الوقت؟**)، أو التصرّف بطريقة مراوغة.

يتناقض الميل العام لقبول المجاملات في الدراسة النيوزيلندية مع النتائج الواردة حول موضوعات أخرى وتشير إلى الاختلافات الثقافية المحتملة. ذلك أنَّ بعض الأبحاث الماليزية حول الردود على المجاملة، كان الرفض أكثر تكراراً من القبول، لاسيّما من النساء (أزمان 1986). ويمكن تفسير هذه النتيجة بسهولة من خلال الضغط الماليزي لفرض التواضع وتجنّب الثناء على الذات، لاسيّما بين النساء.



الشكل ٥،٣ ردود المجاملة ونوع المستجيب
المصدر: مقتبس من هولمز ١٩٩٥: ١٤٠

لقد كنت أدرس استراتيجية مهذبة إيجابية واحدة عن كثب وتوصّلت إلى إجابة جزئية للسؤال: هل لدى النساء والرجال أفكار مختلفة حول كيفية التعامل مع الآخرين؟ تخبرنا

الإجابة عن النساء أكثر ممّا تخبرنا عن الرجال، لأنّنا نظرنا إلى المجاملات كتعبير عن التضامن بين النساء. ولم تكن مفيدة للغاية من جهة صداقة الرجال. ولقد وجدنا ما لا يفعلونه. هل هناك المزيد من المادة؟

إنّ فكرة بعض الرجال عن التعبير عن مشاعر الود تتضمّن السجال؛ وغالباً ما يبدو أنّهم مستمتعون بالنقد اللطيف. لقد لاحظت بقدر أقل كثافة أنّ بعض أصدقائي الذكور يواصلون التعبير عن مشاعر التذمّر الخافتة مع بعضهم، كجزء من تفاعلهم الودّي. ومثال على ذلك الشكوى البسيطة التالية، التي تمّ الإدلاء بها بهدوء تام، ولا تبدو مزعجة بشكل خاص على الإطلاق (لم يولِ المتلقّي سوى القليل من الاهتمام). كانوا مع مجموعة من الناس يحضرون كلمة يلقيها أحد الروائيين. اشترى المتحدّث والمخاطب بالحديث نسخة من رواية المؤلف في ذلك المساء:

ديف: إي! ابتعد عن كتابي! اقرأ كتابك. عندما تعرف رجلاً لسنوات، تظنُّ بأنّك تثق به. ثم ماذا يفعل؟ يأتي ويبدأ في قراءة كتابك.

كيث: وضعت كتابي في حقيبتي

ديف: لا عليك. اثنِ كتابك.

يبدو أنّ الإساءة اللفظية المتبادلة والشتائم الوهمية شائعة أيضاً. وتعدُّ من الطقوس المعتادة في بعض السياقات الثقافية. وقد أجريت بعض الأبحاث حول الإهانات الطقوسية بين الأولاد والرجال: في زمر المراهقين السود في نيويورك (لابوف 1972 ب)، وبين الأولاد الأتراك (دونديس وليتش وأوزكوك 1972)، وفي غرفة خلع الملابس في لعبة الرجبي بنيوزيلندا (كوبر 1991). يبدو من الجلي تسمية هذا النوع من السلوك بالسلوك المهذّب بشكل غريب، ولكن إذا عوملت الإهانات التي يتمُّ قولها كتعبير عن التضامن، كما يبدو، فإنّها تعامل كـ"إشارات ودّية"، تماماً مثل المجاملات الإيجابية المهذّبة عند النساء. وهذا يشبه النمط الذي وجدته هولمز فيما يتعلّق بالنساء، كما لاحظت هي نفسها. فالرجال تهدّدهم المجاملات، لكنّهم يستخدمون الإهانات لتدعيم أواصر الصداقة.

لكن ليس الرجال فقط هم من يفعلون ذلك. ففي السرد الجماعي الذي وقفنا عليه في الفصل الرابع، قد تتذكّر أيّها القارئ أنَّ الزوجة أطلقت على زوجها لقب "العجين الغبي". وعلى حدِّ علمي، لم تستخدم هي أبداً كلمات مسيئة مع أيِّ شخص آخر (باستثناء نفسها في بعض الأحيان). ربَّما يمكنك القول إنَّها تتبنَّى طريقة ذكورية لإظهار المودّة لزوجها. ويوجد بعض الأدلّة على استخدام الإهانات كتعبير عن التضامن بين النساء في الولايات المتحدة. فلقد سجّلت لوريل ساتون استخدام كلمة "داعرة" و"عاهرة" ككلمات للتعبير عن العاطفة بين النساء (ساتون 1995). كذلك بحثت دونا إيدار الإهانات الناشبة في النزاعات المرحة القائمة بين جماعات من الفتيات (إدار 1990، مقتبس من جودوين 2003: 239).

أنماط التفاعل بين الرجال والنساء

انظر لهذا الجزء من المحاورة الجارية بين الزوج والزوجة على العشاء:

الزوجة: فظيع ذلك الاجتماع الذي اضطررت للذهاب إليه اليوم.

الزوج: أين عقد؟

الزوجة: في مبنى ن ل س. اتسم الناس فيه بعدوانية بالغة.

الزوج: مم من كان هناك؟

الزوجة: ياه المندوبون المعتادون عن كافة الدوائر الحكومية. لقد شعرت حقاً بالإحباط في مرحلة ما، كما تعلم، وبالإهانة الشديدة.

الزوج: يجب أن تكوني أكثر حزما يا عزيزتي. لا تدعي الناس يدوسون عليك ويتجاهلون ما تقولينه.

(هولمز 1992)

لقد أصيبت الزوجة بالاحباط قليلاً من هذه المحاورة. وشعرت أنَّ زوجها قد فاته المراد ممَّا تقوله. ماذا فعل؟ أعطاها نصيحته. وهي ماذا تريد؟ قليلاً من التعاطف.

إنّها النصيحة والتعاطف؛ أو بعبارة أخرى، حل المشكلات ومشاركتها. هذه إحدى التناقضات القائمة بين توقّعات الرجال والنساء في المحاورة التي تمّت مناقشتها في عرض تقديمي معروف للاختلافات بين رؤيتين ثقافيتين في حديث الرجال والنساء (تانين 1991). وقد ذهبت اللغوية الأمريكية ديبورا تانين إلى القول أمام جمهور عام بأنَّ الرجال والنساء في سلسلة كتب المساعدة الذاتية مختلفون في أنماط التفاعل (تانين 1986، 1991، 1995). فقد حظيت هذه الكتب الشعبية باستقبال عدائي من اللغويات النسويات (سأضع يدي على السبب في الفصل السادس). واستخدمت ديبورا مجموعة متنوّعة من التعارضات الثنائية للوقوف على مختلف أنماط الحديث الجاري بين النساء والرجال:

التعاطف	حل المشكلات
الوئام	الإبلاغ
الإنصات	النصح الممزوج بالتوبيخ
خاص	عام
ترابط	مكانة
دعم	معارضة
حميمية	استقلال

تتداخل هذه الفئات كثيراً، لكنّها كاشفة كثيراً لدى الناس وتؤثّر فيهم. ولعلَّ تمييز ديبورا بين حديث الوئام وحديث الإبلاغ أمراً مثيراً للاهتمام. ويمكننا تشبيه هذه الثنائية بالتمييز الذي يقيمه هولمز بين وظائف اللغة العاطفية ووظائفها المرجعية. تقول تانين إنَّ الحوارات بالنسبة لمعظم النساء تدور حول الوئام: إذ تدور حول إقامة الصداقة وتوطيد العلاقات. فكثير من طاقة النساء في الحديث تذهب في مسار التأكيد على الأمور المشتركة بينهنَّ. فالتفاعل بينهنَّ غير هرمي؛ إذ إنهنَّ يناضلن من أجل التضامن. ولقد ألقيت نظرة على المجاملات في القسم السابق ورأيت أنَّ النساء يستخدمنها كوسيلة للتعبير عن الصداقة والتضامن. كما وجدت أنَّ النساء يتفقن كثيراً مع محاوريهنَّ، ذلك في الأقل بين الطبقة

الوسطى البيضاء في الولايات المتحدة. ولأنَّها طريقة للانخراط في محاورة ودّية، فإنَّها متغيّرة ثقافياً. وتذكر تانين الصعوبات التي واجهتها في التحدّث مع النساء اليونانيات، اللائي لم يقبلن "التوافق المطلق" وسعين جاهدات لإيجاد شيء يختلفن عليه (1995: 238-9).

وتتابع تانين فتقول بأنَّه يمكن أن تكون المحادثات مختلفة نوعاً ما بالنسبة لمعظم الرجال. ويمكن أن تكون تنافسية للغاية. إذ يميل الرجال إلى استخدام المحادثات كمجالات للتفاوض والحفاظ على المكانة، بحيث يميلون إلى استعراض المعرفة والمهارة، وعروضهم في ذلك تهدف إلى جذب الانتباه والحفاظ عليه. وفيها يكون للنكات ورواية القصص ونقل المعلومات أهميتها. كذلك يركز الرجال على الإخبار بدلاً من الوئام. وتدور محادثاتهم حول نقل المعلومات، والتحدّث لغرض ما، وإظهار الخبرة. هذا الاهتمام بتوفير المعلومات وإثبات الخبرة يتقاطع مع الأنواع المنطوقة الأخرى، كما أظهرت بعض الأبحاث حول الرجال اليونانيين الذين يقدّمون التوجيهات (ديندرينوس وبيدرو 1994). ووجدوا أنَّه بعد أن طُلب منهم معلومات، أصرَّ الرجال اليونانيون على إمداد البعض منها، سواء كان ذلك صحيحاً أو خاطئاً. وأعطوا توجيهات سيّئة بدلاً من لا شيء على الإطلاق! وتمَّ التعامل مع طلب التوجيهات كطلب أو ترخيص للعرض الذاتي العلني.

تلاحظ تانين أنَّ الرجال نفسهم الذين يتحدّثون بصراحة ويتحدّثون في جماعات يصبحون هادئين وغير متواصلين في المنزل، أو هكذا تشكو زوجاتهم. وهي تشير إلى الصورة النمطية المألوفة في أمريكا الشمالية للزوج الصامت الذي يقبع وراء الصحيفة عند الإفطار، ممَّا يشير إلى أنَّ الرجال لا يهتمّون بالدخول في محادثات مع زوجاتهم لأنَّهم لا يرون طائل من ذلك. لكنَّها لاحظت ببساطة أنَّ هذا يظهر أنَّ الأزواج والزوجات لديهم أفكار مختلفة حول الحديث في المنزل. بالنسبة للرجال، فإنَّهم يعدُّون المحاورة منتدى لعرض الذات. وإنَّهم يقيمون الحوار في إطار تنافسي، إمَّا يربحون أو يخسرون. فيما المنزل هو ملاذ حيث يتمُّ فيه إيقاف الضغوط: "الراحة في المنزل تعني الحرية من الاضطرار إلى إثبات أنفسهم ونيل الإعجاب من خلال العروض اللفظية" (تانين 1991: 86). هذا بالتأكيد يفسّر لنا لماذا كان الأزواج الذين التقينا بهم في القسم الخاص بتقسيم العمل بالمحاورة، لماذا كانوا قليلي الكلام. ووجهة نظري الخاصة هي أقل- نوعاً ما- ترفّقاً وأكثر انسجاماً مع تفسيرات فيشمان وديفرانشيسكو لنتائجهم (انظر سابقاً ما ورد في هذا الفصل).

وفي وصف تانين لأساليب المحاورة المتناقضة بين النساء والرجال، تؤدّي الاختلافات في الأسلوب إلى صعوبات بسيطة، ولكنّها منتظمة، تقع بين الأزواج. ويجد العديد من الأزواج بعضهم مثيرين للإزعاج؛ وتفسّر تانين هذا الانزعاج في ضوء عدم وجود تفاعل حواري مرض. هنا أحد الأمثلة العديدة له. تكرّر امرأة على مسامع زوجها ما قاله لها أحد الأشخاص. لقد فعلت ذلك لأنّ ما قالته يتشابه بقوّة مع فكرة أثارها زوجها سابقاً واعتقدت أنّ هذا سيسعده. وهي، في الواقع، توافق زوجها، وتجعل هذا التوافق يدعم مقامه. ولما أصابها الفزع، تحدّى زوجها فزعها بطرح رأي معارض:

> **حتى عند تأكدها من وضعها لبذور الاتفاق، جنت حصاد الخلاف. بالنسبة لجون، فإنّ طرح وجهة نظر مختلفة هو مساهمة أكثر إثارة للاهتمام من الموافقة. لكنّ مارج تجد عدم اتفاقه مثارا للخلاف... بالنسبة إلى مارج، يحمل الخلاف رسالة تهديد للألفة. ولا يرى جون في الخلاف تهديداً. على العكس تماماً، فهو يعدّ القدرة على التعبير عن الخلاف علامة على العلاقة الحميمة.** (تانين 1991: 168)

تخبرنا تانين بأنّ الزوج شعر بدعمها له، لكنّ فكرته عن الدعم "تتخذ موقف معاكسا- وهو الموقف الذي يتوقّعه الرجال ويقدّرونه أكثر ممن النساء" (ص 168).

إنّ أعمال تانين الشائعة حول الفروق بين الجنسين هي عبارة عن قصص وتكهّنات إلى حدٍّ كبير. ومع ذلك لا ينطبق هذا على ما يلي: دراسة شيّقة حول الحديث بالفيديو بين أزواج من الأصدقاء في أربع فئات عمرية، تبدأ من الأطفال الصغار حتّى الكبار (تانين 1990، 1991). وبحثت كيفية مواءمتهم جسدياً، بما في ذلك عيونهم، وفي تقديمهم للموضوعات وتطويرها. كانت هناك اختلافات لافتة للنظر بين أزواج الأصدقاء الذكور والإناث في المحاورة في كلّ عمر. ووجدت أنّ لفتيات الصف الثاني قواسم مشتركة مع النساء في منتصف العشرينات من العمر مقارنةً مع الأولاد في سنّهم. ولقد تمّ وضع هذه الأزواج من الأصدقاء في وضع تجريبي مصطنع إلى حدٍّ ما. إذ تمّ وضعهم في مكتب أمام كاميرا فيديو وتمّ تكليفهم بمهمّة إجراء محاورة موسّعة. وتماشت الصديقات جسدياً مع بعضهنّ البعض ونظرن لبعضهنّ مباشرة. وقمن بسرعة بإنشاء موضوعات للحديث واستمرّوا فيها لبعض الوقت. فيما قام الأصدقاء الذكور، ولاسيّما الأولاد الصغار، بمحاذاة أجسادهم وعيونهم بشكل أقل بكثير وأنتجوا أجزاءً صغيرة من الحديث حول مجموعة واسعة من الموضوعات.

وإليكم بعض التفاصيل عن أصغر الأطفال، الأطفال في سنّ السادسة. كانت الفتيات هادئات للغاية. وجلسن قريبات من بعضهنّ، ينظرن بثبات إلى وجوه بعضهنّ. فيما لم يكن الصبيان ساكنين. جلسوا منفصلين، يتلاعبون ويسلّطون أعينهم في الغرفة، وفي كلّ مكان ما عدا تجاه بعضهم. وطُلب من الطرفين كليهما التحدّث عن "شيء جاد". فكان رد فعل الأولاد توجيه وجوههم صوب الكاميرا، والتلفّظ ببعض الكلمات الوقحة، ومضايقة بعضهم البعض، وإلقاء النكات، وفوق كلّ ذلك سعوا للقيام بشيء ما (بدلاً من القيام بمهمّة المحاورة المطلوبة منهم). فيما شرعت الفتيات في المهمّة بجدّية، وإيجاد مواضيع للحديث عنها تتوافق مع التعليمات التي أُعطيت لهنّ: التحدّث عن شيء جاد.

جين: ذات مرّة، كان عمّي، آه، لديه مزرعة ثيران مثل هذه المزرعة؟ في ميلورث؟ وضربت قرون الثور رأسه..

إلين: هذا جاد

(تانين 1990: 185)

فيما يبذل الأولاد قصارى الجهد ليكونوا سيئي التصرّف، كانت الفتيات بالضبط مجموعات زوجية فاضلات كما هو متصوّر.

ووفقاً لهذه المجموعة من الأبحاث حول أساليب المحاورة بين الذكور والإناث، تميل النساء إلى التركيز على الوئام والوظيفة العاطفية الداعمة للمحاورة؛ على نطاق واسع، لتكون موجّهة نحو التعامل مع الآخرين. ومن ناحية أخرى، يميل الرجال إلى التركيز على الإخبار وعلى الوظيفة الإعلامية للمحاورة. لكنَّ هذه الانقسامات ذات طبيعة إشكالية. إنَّ إقناع شريكك المتكلّم بأنّك بارع يتضمّن القدر نفسه من التركيز على الجوانب الشخصية لإبراز كم أنت شخص مهتم. ومن الواضح أنَّ الفتيات البالغات من العمر ست سنوات اللاتي تحدّثن في "أمور جادّة" كنَّ قلقات بشأن المحتوى المعلوماتي لمحادثاتهنَّ، كجزء من قلقهنَّ من مدى قدرتهنَّ على إرضاء مصمّمة التجربة. وتعدُّ الخلافات طرقاً سهلة للتذكّر، لكنَّها يمكن أن تؤدّي إلى التبسيط المفرط. إنَّها مريحة، لكن يجب ألّا ننسى أنَّ هذا مسألة درجة أو تركيز. فعندما نتحدّث عن وظيفة جزء معيّن من الحديث، علينا أن نضع في اعتبارنا أنَّ اللغة متعدّدة

الوظائف. فالناس لا تقوم أبداً بفعل شيء واحد فقط في كلِّ مرَّة. حتَّى التباهي المفرط يجب أن يكون تباهياً بشيء ما.

متساوون، لكن مختلفون!

رسمت البحوث المقدَّمة في هذا الفصل صورة لمعالم الاختلاف القائم بين الذكور والإناث في المحاورة بصورة شديدة التعميم. يغيب عنها بشكل ملحوظ العوامل الاجتماعية المهمَّة، عوامل الطبقة والعرق. ولقد وقفت على الجهد المتعلّق بتقسيم "العمل" في المحاورة، وسوء التواصل بين الرجال والنساء كأمر "عابر للثقافات"، والاختلافات بين الجنسين في استراتيجيات التأدّب في المحاورة والجهود المبذولة بشأن التعريف بأساليب مميّزة للذكور والإناث في المحاورة.

هل الأمر يتعلّق فقط بأنَّ النساء والرجال متساوون، ولكنَّهم مختلفون، إذاً، في تفاعلهم الحواري؟ هذا هو الانطباع العام الذي تحصل عليه من قراءة الكثير من الأعمال في هذا المجال، ولاسيّما كتب تانين (باستثناء عملها الذي وقفنا عنده في القسم الخاص بتقسيم العمل في المحاورة). ولعلّنا في حاجة إلى النظر في عواقب استخدام هذه الأساليب المختلفة للحديث، لاسيَّما في أماكن العمل (ولكي نكون منصفين لتانين، فقد فعلت ذلك أحياناً؛ ففي كتاب حديث لها صدر لها في العام 1995، تستكشف عواقب أساليب الحديث المزعومة في الشغل). وكما تلاحظ كوتز، فإنَّ النساء محرومات في العديد من السياقات العامة: "النساء لغوياً في وضع غير مؤاتٍ مزدوج عند دخولهنَّ المجال العام: فهنَّ أولاً، أقلّ مهارة (عادةً) في الخصومة، فالخصومة تتطلّب التركيز على المعلومات كما هو متوقّع؛ ثانياً، يتمُّ تقييم أنماط الخطاب (الأكثر تعاوناً) التي يتقنونها بطلاقة بشكل سلبي في مثل هذه السياقات (كوتز 1995: 14). إنهنَّ يتجنّبن "التسلّط والتباهي"، على سبيل المثال. ولكن كيف يتمَّ تفسير ذلك في مجموعة مختلطة، وفي بيئة مهنية؟ فالمرأة المسؤولة عن مجموعة من القوى العاملة التي ليس بمقدورها ولن تستطيع التصرّف بطرق "متسلّطة" ولن تكون معتزّة بذاتها إنَّما تقع في المحظور فيُنظر إليها كمسئول غير كفؤ.

إنَّ البدائل الممكنة بالنسبة للنساء هي الشروع في استخدام الاستراتيجيات اللغوية المرتبطة بالرجال؛ لكنّها ليست تلك الاستراتيجيات التي يتمُّ تفسيرها بشكل مختلف عندما

تستخدمها النساء؟ فالنساء هنا في مأزق مزدوج ومحرج: إذ يتمُ تشجيعهنَّ على تبنّي الجرأة "الذكورية" في حياتهنَّ المهنيّة، ولكن يُنظر إليهنَّ على أنهنَّ تصادميات وعدوانيات إذا فعلن ذلك. وقد كانت مارغريت تاتشر؛ بغض النظر عن الموقف من عملها السياسي، تتلقّى بعض الهجمات اللاذعة الشرسة عندما تولّت منصب رئيس الوزراء، هجمات لا علاقة لها بسياستها وكل ما له صلة بجنسها. فمجرد تبني طريقة مختلفة للتفاعل ليس بالضرورة أمراً جيّداً على أيّ حال. وهناك اعتقاد بأنَّ الخصائص النموذجية لتفاعلات المرأة هي خصائص تتطلّب المزيد من اللجوء لأساليب الحديث الاستكشافية، من النوع المفيد لفحص الأفكار والقضايا. وإذا كان الحال كذلك، فلماذا يتمُ قمعها؟ أعود إلى عديد من القضايا التي أثيرت هنا في الفصل السادس، إذ أقوم بفحص نقدي لنماذج "الاختلاف" و"الهيمنة" التي تؤسّس للبحوث الدائرة حول المحاورة التي وقفنا عليها. فعلى وجه الخصوص، قمت بدرس الانتقادات التي أثارتها كتب تانين الشائعة حول أساليب المحاورة بين الذكور والإناث والمشاكل الرئيسة المتعلّقة بالانشغال المهيمن بـ"الاختلاف".

مزيد من القراءات

يعالج الفصل الثالث والرابع من كتاب إيكرت وماكونيل جينيت (2003) مجموعة من الموضوعات التي يغطّيها هذا الفصل، بما في ذلك النميمة والمجاملات. انظر أيضاً كتاب بيشلر وكوتز (2011). وهناك كتابان مفيدان بشأن مشاكل فئتي "التنافسية" و"التعاون" كفئات ثنائية القطب وهما كتاب هيويت (1997) وكاميرون (1997). وسأشير إلى القراءات التي تستكشف مشاكل القضايا الأخرى المعروضة في هذا الفصل في القراءات الإضافية للفصل السادس.

النميمة

هناك مجموعة من المقالات عن النميمة أعيد طبعها في كتاب كوتز (1998). كذلك يراجع أيضا كتاب جويندوزي (2001) وبيلكينجستون (1998). وللتعريف بالنميمة كنوع، اقرأ الفصل السابع من كتاب إجينز وسلاد (2005). وقد وقف كتاب جودوين (2007) على نشاط النميمة في جماعات الصداقة بين الفتيات، ولاسيّما الفصل السادس. ويتوافر كتاب جونسون ومينهوف (1997) على ثلاثة فصول تتناول الرجال والنميمة. فيما يبحث كتاب

تالبوت (2003) الصور النمطية ويحتوي على مناقشة للصورة النمطية المرنة بشكل خاص: المرأة النمّامة.

النساء والرجال والتأدّب

لقد أشرت بالفعل إلى كتاب هولمز (1995)، وهو سرد بحجم كتاب لبحث تمَّ إجراؤه في نيوزيلندا. وتستكشف أعمالها الأخيرة الأدب في الحديث بمكان العمل (هولمز 2000؛ هولمز وشور 2005). ولمزيد من القراءات تراجع أعمال ميلز (2002، 2003، 2005).

6

الاختلاف والسيطرة وما وراءهما

يتناول هذا الفصل الأخير من الجزء الثاني بعض الأسس النظرية للبحوث المقدّمة حتى الآن وما تطرحه من مشكلات على الباحثين في اللغة والجندر والجنس. ويركز بشكل أساسي على الانشغال بـ"الاختلاف" ويتضمّن مناقشة تلقّي اللغويات النسويات لعمل ديبورا تانين الشهير حول "أنماط التفاعل" بين الذكور والإناث.

العجز والهيمنة والاختلاف

دعونا نعاود النظر في الشواغل الأولى لعلاقة اللغة بالجندر وكيف ساهمت في بناء البحث النسوي. وخوفاً من الوقوع في خطر التبسيط المخل، يمكننا تحديد ثلاثة أطر: "العجز" و"الهيمنة" و"الاختلاف". ولقد سبق لي أن ناقشت في الفصل الثالث تأثير العجز والهيمنة على البحوث الأولى في علاقة اللغة والجندر. وطرحت في الجزء الثاني البحوث التي تشتغل ضمن أطر الهيمنة والاختلاف، وكان ذلك بشكل أكثر وضوحاً في الفصل الذي يركز على بحوث المحاورة (الفصل الخامس).

وبحسب ما يرد في إطار العجز، فإنَّ النساء محرومات من استخدام اللغة. ويقدّمن أنفسهن على غير يقين، ويفتقرن إلى السلطة. ولعلَّ النص الأكثر شهرة (وبهذا المعنى، هو النص الرئيس) الذي يطرح هذا الرأي هو كتاب لاكوف اللغة وموضع المرأة (لاكوف 1975، 2004 ب)، وأشرت إليه في الفصل الثالث. هذا الكتاب المبكّر يعطي الانطباع بأنَّ لغة النساء هي لغة التابع والعاجز. فاللغة التي يستخدمها الرجال، ضمنياً، هي القاعدة التي لا تتوافق معها النساء. وما يزال نموذج العجز مستخدماً على نطاق واسع في برامج التدريب على تأكيد الذات، وذلك منذ السبعينيات (كروفورد 1995).

أمّا في إطار الهيمنة، فيتمُّ تفسير أنماط اللغة على أنّها مظاهر للنظام الاجتماعي الأبوي. ومن ثمَّ فإنَّ عدم التناسق في استخدام اللغة بين الرجال والنساء يُفسَّر على أنّه تأكيد لامتياز الذكور؛ على سبيل المثال، يُنظر إلى المقاطعة كـ"طريقة" لممارسة "القوّة في التفاعل وجهاً لوجه" (ويست وزيمرمان 1983: 111). والكتاب الأكثر شهرة الذي يستخدم إطار الهيمنة هو كتاب سبيندر "اللغة صنيعة الرجل" (1985)، وقد فحصته في الفصل الثالث. وكما لاحظت هناك، لدى المؤلفة رؤية متماسكة حول القوّة الذكورية. يبدو الأمر كما لو أنَّ جميع الرجال في وضع يسمح لهم بالسيطرة على النساء جميعاً، وهذا ليس هو الحال بوضوح. ومن بين الأبحاث الأخرى المعروفة التي تستخدم نموذج الهيمنة عمل فيشمان حول تقسيم العمل داخل المحاورة، الذي بحثته في الفصل الخامس. ولقد وجدت فيشمان في دراسة لها لثلاثة أزواج في المنزل، أنَّ الزوجات عملن بجد لمواصلة المحادثات مع أزواجِهن، وقمن بجهد جهيد لتطوير موضوعات الرجال، وما إلى ذلك. ورأت فيشمان الاختلافات التي وجدتها على أنّها مظاهر للنظام الاجتماعي الأكبر في التفاعل اليومي. إذ مثلما يوجد تقسيم غير متكافئ للعمل في مكان العمل على أسس جنسي، كذلك فإنَّ "العمل" في المحادثات الخاصة ينقسم بشكل غير متساوٍ.

وترجع أصول إطار الاختلاف في تفسير أنماط استخدام اللغة إلى العمل السوسيولغوي لجون جومبيرز وزملائه حول سوء التواصل بين الثقافات. ولقد عرضته في الفصل الخامس. وبحسب هذا الإطار التفسيري، فإنَّ الفتيان والفتيات يقضون أوقاتهم في ثقافات فرعية داخل تنظيمات اجتماعية مختلفة. يتعلّم الأطفال قواعد التفاعل الودّي من أقرانهم، وليس من الكبار. لقد نشؤوا في ثقافات جندرية Gender specific. إذاً، يعتمد نموذج الاختلاف على تفسير ثقافي مزدوج للتنشئة الاجتماعية الحاصلة للذكور والإناث. وتمَّ تقديمه كبديل لنموذج الهيمنة في تفسير أنماط استخدام اللغة. فيُعاد تفسير السلوك التفاعلي الذي كان يُنظر إليه سابقاً كسعي ذكوري للسيطرة على النساء عند التفاعل على أنّه ظاهرة "متعدّدة الثقافات"، نتيجة لعدم التطابق فيما يتوقّعه الرجال والنساء بشأن طبيعة التفاعل. لقد تمَّ طرح نموذج الاختلاف لشرح أسباب سوء التفاهم بين النساء والرجال.

وكما تلاحظ كاميرون، فإنَّ الهيمنة والاختلاف يمثّلان، من الناحية التاريخية، لحظات معيّنة في تاريخ الحركة النسوية: "كان نموذج الهيمنة لحظة الغضب النسوي، للشهادة على

الاضطهاد في جوانب حياة المرأة جميعها، في حين يعدُ نموذج الاختلاف لحظةَ الاحتفال النسوي، واستعادة القيمة وإعادة تقييم التقاليد الثقافية المميّزة للمرأة (1996: 41). إنَّ ما قدّمته أعلاه هو صورة مبسّطة إلى حدٍّ ما للأطر الثلاثة: العجز والهيمنة والاختلاف. ومن الناحية العملية، هناك قدر كبير من التداخل بينها، ومن الناحية الزمنية لم تتطوّر بشكل خطّي كما أشرت. فيمكن استخدام نموذجي الاختلاف والسيطرة معاً، إذ يكمل كلٌّ منهما الآخر. ومن ناحية أخرى، يتمُّ دمج الرجال والنساء في ثقافات فرعية للذكور والإناث. ومن ناحية ثالثة، تؤثّر العلاقات الاجتماعية، وهي علاقات أبوية، على الرجال والنساء بشكل مختلف وتعمل لصالح الرجل.

يعدُّ نموذج الاختلاف والهيمنة من أوائل النماذج المقدّمة لتحليل العلاقة بين اللغة والجندر في العلوم الاجتماعية، وتحديداً في علم اجتماع اللغة وعلم الاجتماع (مثلاً كتاب ثورن وهينلي 1975). وتعدُّ اللغوية ديبورا تانين من أشهر المؤيّدين لإطار الاختلاف. ورأينا عملها حول أسلوب الذكر وأسلوب الأنثى في المحاورة في الفصل الخامس. ولعلّها في كلٍّ من كتبها المشهورة وعملها الموجّه للقرّاء الدارسين، تحافظ على اتخاذ موقف محايد بعناية فيما يتعلّق بهذين الأسلوبين. إذ تتجنّب إصدار أحكام قيمية، وتصرُّ على أنَّ أنماط المحاورة المميّزة للنساء والرجال التي وصفتها صحيحة بشكلٍ متساوٍ. وبالمثل، فإنَّ علماء سوسيولوجيا اللغة لا يصدرون أحكاماً قيمية عند وصف لغات مختلفة مثل وصف اللهجات الاجتماعية والإقليمية؛ من وجهة نظر سوسيولغوية، فاللغات صالحة كلّها على قدم المساواة. وغالباً ما يتمُّ اتخاذ هذا الموقف دفاعاً عن تنويعة من اللغات الموصومة (على سبيل المثال لا يعدُّ عالم سوسيولوجيا اللغة أنَّ اللهجات الاجتماعية أفضل ولا أسوأ من لغة ما لها مكانتها، ولكنّها مختلفة فقط عنها). لذا، فإنَّ موقف تانين يتماشى مع الحياد والنسبية في سوسيولوجيا اللغة.

يتمتّع نموذج الاختلاف أيضاً بقدر واسع من الاهتمام في العالم بأسره؛ أي في مؤسّسات أخرى غير الأوساط الأكاديمية. فما زال يحظى بشعبية لدى الصحفيين وغيرهم من كتّاب وسائل الإعلام الجماهيري، بما في ذلك المعلنون (تالبوت 2008). واستخدمته شركة للهاتف لتحفيز الاستخدام الاجتماعي للهاتف في بريطانيا منتصف التسعينيات. وبعض إعلانات شركة تيليكوم البريطانية عبرت عن التناقض الحاصل بين استخدام الرجال والنساء للهاتف،

وصوّرت النساء على أنهنَّ جيّدات في التواصل ويعرفن أهمّية الحديث العاطفي (حسناً، سيفعلون ذلك، أليس كذلك؟). وتُعدُّ كتب تانين الرائجة من أكثر الكتب مبيعاً، وهي متوفّرة في نوادي الكتب. ويتمُّ بيعها ككتب للمساعدة الذاتية. وتظهر هذه الكتب وملخّصات لها في المجلات النسائية، وتعتمد على سوق سلع المساعدة الذاتية وتغذيها: الكتب والدورات التدريبية وكتيبات التدريب على الإدارة. وتقرأ النساء كتب العلاقات- وهي تمثّل الجزء الكبير من كتب المساعدة الذاتية- بشكل حصري تقريباً. إنَّ الأعمال المعاصرة للبروفيسور هيغينز الذي كتب هذه الكتب هي المعتادة للغاية. وتميل مثل هذه الكتب إلى أن تتكوّن من قوائم تشمل ما يجب فعله وما لا يجب، وغالباً ما تمزج بين نماذج الاختلاف والعجز، أو بالأحرى رد الاختلاف إلى العجز. ويحتوي بعضها على بعض الأمثلة الصارخة جدًّاً لإلقاء اللوم على الضحية، كما هو الحال في هذا المثال من كتاب بعنوان "مهارات القيادة للنساء: تحقيق التأثير كمديرة": "تحدّثي مباشرةً وتعاملي بحزم عند مقاطعتك". تشير الإحصاءات إلى أنَّ النساء يسمحن بمقاطعتهن بنسبة 50% أكثر من الرجال. لا تساهمي في تلك الإحصائيات (مذكورة في كاميرون 1995 أ: 37-8).

حسناً، ربَّما لا ينبغي أن نلوم الباحثين الأكاديميين بشكل مباشر على ما يفعله مؤلّفو كتب المساعدة الذاتية بنتائج أبحاثهم. ومع ذلك، كما تشير كاميرون (1996: 34)، فإنَّ أيَّ شخص ينشر عملاً حول موضوع حسّاس أو موضع تنازع يحتاج إلى أن يكون على دراية بتأثيره على العالم ككل.

عيوب نموذج الهيمنة

توجد مشاكل معيّنة في إطار الهيمنة. والعيب الرئيس فيه هو أنَّ هيمنة الذكور غالباً ما يتمُّ التعامل معها كما لو كانت مسألة تتعلّق بالسياق. ولكن، كما أشرت سابقاً، ليس الرجال كلّهم في وضع يسمح لهم بالسيطرة على النساء جميعنَّ. مثل هذا التصوّر الأحادي للنظام الأبوي لا طائل من ورائه. وفي الحقيقة، إنَّه أسوأ من ذلك. ومن السهل دحضه. كلُّ ما يحتاجه الناقد هو تقديم مثال واحد مضاد: "هذا العمل الذكوري المهيمن هو حمولة من القمامة، لأنَّ أمي/ جَدتي/ عمتي هنَّ رؤساء لوالدي/ جدّي/ عمي". قد تكون هذه الملاحظة مألوفاً للغاية.

إذا أردنا طرح ادعاءات حول هيمنة الذكور، فنحن بحاجة للابتعاد عن التبسيط. وهذا يتطلّب منّا مزيداً من التحديد الدقيق. ماذا يحدث في المدارس والمنزل على سبيل المثال؟ كيف تختلف أنماط هيمنة الذكور عبر الثقافات المختلفة، وفي سياقات مختلفة داخل الثقافة الواحدة؟ نحن بحاجة إلى التفكير في أيّ نوع من المؤسّسات، وفي أيّ وضع من الأوضاع وفي أي نوع أدبي يمكن للرجال أن يسيطروا على النساء، وكيف تساعدهم تلك المؤسّسات والأوضاع والأنواع على القيام بذلك. ولعلّ من الأمثلة الدالّة على ما يجري في مؤسّسة الأسرة ما قمت بدرسه من بحث تفصيلي في الفصل الرابع، ذلك البحث الذي ركز على ديناميات حكايات مائدة عشاء الأمريكيين البيض. فلم يكشف هذا البحث عن سلطة أبوية متجانسة يمارسها الآباء على أفراد الأسرة الآخرين، بل كشف شيئاً أكثر إثارة للاهتمام. لقد رأينا أمّهات يتواطأن على مناورة الآباء في مواقف تشبه السيطرة والحصانة غير المباشرة. إذ يستخدم الآباء نوع الحكايات اليومية على مائدة العشاء العائلية للتعبير عن توجّه "الأب العليم" وفرضه.

أخيراً سأطرح ملاحظة أخيرة حول إطار الهيمنة قبل النظر في عيوب نموذج الاختلاف. يواجه الباحثون المتبنّون لنموذج الهيمنة مشكلة أخلاقية في مجال لغة الحياة الخاصة. فعند القيام بدرس لغة الحياة الخاصة، لعلّك تعتمد على حسن نية الناس. فإذا سمح لك الناس بتسجيل محادثاتهم الخاصة، فإنّهم يقدّمون لك خدمة كبيرة. وقد يقيد ذلك طبيعة النتائج. بكل بساطة، من غير المرجّح أن يكون الرجال سعداء بالتفسيرات التي يطرحها الباحثون الذين يدرسون هيمنة الذكور على المحادثات. وعلى الباحث الذي يجري بحثاً من هذا النوع أن يتعامل مع الأزواج الدفاعيين والجرحى الموجودين ضمن عيّنته. ولقد أجريت بعض الأبحاث حول المحادثات الخاصة بنفسي (تالبوت 1992 الطبعة الأولى). وتناولت فيها مسألة الانقطاعات ووجدت فيها أنّ للزوج والزوجة حقوقاً مختلفة في التحدّث. ووجدت صعوبة في التعامل مع البيانات التي جمعتها وانتهى بي الأمر بالشعور بعدم الارتياح والحرج ممّا كنت أفعله. كانت قيمي وأهدافي الخاصة والمهنيّة متضاربة، ممّا جعلني أشعر بعدم الارتياح. فليس من السهل البدء في التعرّف على عادات الناس اللغوية عندما يسمحون لك بالدخول في حياتهم الخاصة. هذه معضلة للباحثة الفرد و"ضحاياها" الراغبين في التعامل معها بالطريقة التي يظنونها الأفضل.

عيوب نموذج الاختلاف

لا يقدّم نموذج الاختلاف الصعوبة الأخلاقية والعملية المذكورة للتوّ (ومن الممكن أن يكون هذا قد ساهم في شعبيته بين علماء اللغة). فمن غير المرجّح أن يسيء حياد تانين الدقيق للرجال: "لا شيء يؤلم أكثر من أن يتمّ إخبارك بسوء نواياك فيما تراها حسنة، أو أن يتمّ إخبارك بأنّك تفعل شيئاً خاطئاً فيما تعلم بأنّك تفعل ذلك على سجيّتك فقط" (1991: 297-8). هذه الملاحظة المهدّئة تبدو حقّاً كما لو أنّها موجّهة إلى الأزواج الجرحى الذين ذكرتهم! فهي تبذل قصارى جهدها في اهتمامها بالمساواة.

يميل البحث في اللغويات النسوية إلى التركيز على الاختلافات في استخدام اللغة لدى النساء والرجال. وسأعالج في الأقسام الفرعية التالية بعض المشكلات المتعلّقة بهذا الانشغال المهيمن بالاختلافات بين الجنسين، ودراسة مسألة قمع السلطة على وجه الخصوص التي نجدها حاضرة في نموذج الاختلاف. وعند قيامي بذلك، سأركز بشكل كبير على كتب تانين الشهيرة، لأنّها معروفة جيّداً ومؤثّرة. وما لم أذكره خلاف ذلك هو أنَّ المشكلات التي سيتمُّ تناولها تنطبق أيضاً على الأعمال الأخرى التي تلتزم بإطار الاختلاف.

قمع السلطة

يعدُّ إهمال موضوع السلطة مشكلة رئيسة في نموذج الاختلاف وكذلك تفسيره لسوء التواصل بين الثقافات. وقد ركز معظم ناقدي تانين عليها (على سبيل المثال، كاميرون 1995، ط1). وعلى غرار ما قام به مؤيدو نموذج التباين الثقافي بين الجنسين، تعيد تانين تفسير ما عدُّ في موضع آخر سلوكاً مهيمناً (فإذا لم تتمكّن من الحصول على كلمة، فذلك ليس لأنّه يسيطر على المحاورة؛ فما يحدث هو مجرّد أسلوب تنافسي...). وتتمثّل إحدى المشكلات الرئيسة في مقاربة "الثقافتين"- بمفردها، وعند تطبيقها- إنّما في تجاهلها عواقب الاختلافات، وتنتج وهماً بأنَّ الرجال والنساء، ببساطة، متساوون، ولكن مختلفين.

تمضي أسطورة "متساوون، ولكن مختلفين" جنباً إلى جنب مع التركيز المحدود على الأفراد وتجاهل الاعتبارات الاجتماعية الأوسع. هذا هو الحال مع دراسة تانين لأنماط تفاعل الذكور والإناث. فقد تمَّ وضع إحباطات المحادثات اليومية التي ناقشتها تانين بالكامل في حدود العلاقات الشخصية بين أشخاص متساوين، بعيداً عن البنية الاجتماعية وعدم تناسق القوّة

الذي غالباً ما يحكم مثل هذه العلاقات الشخصية. ولا ترفض تانين تماماً هيمنة الذكور كتفسير لأنماط الاختلاف، لكنَّ مفهومها عن الهيمنة محدود للغاية. فقد وضعته في حدود النيّة الفردية. تذكّروا كلماتها عن الطمأنينة المهدّئة للأشخاص الذين قيل لهم إنَّ "نواياهم سيّئة" (مقتبس في الصفحة 100). إنَّها تركز على ما هو شخصي، على الرجال الأفراد الذين يتصرّفون عن قصد، وتتجاهل البنية الاجتماعية، التي تجعل الرجال يتصرّفون بطرق مهيمنة سواء عن قصد منهم أو بدونه. ولا يوجد مساحة في رؤيتها للهيمنة غير المقصودة. ومع ذلك، يمكن أن يهيمن الرجال سواء كانوا ينوون ذلك أم لا. فالهيمنة غير المقصودة هي احتمال لا يمكن استبعاده، وهو ما لا تقوم به مقاربة سوء التواصل (أوشيدا 1992: 559). فالنوايا ليست كافية لتفسير أنماط السلوك الجندري.

إنَّ مفهوم الثقافتين نفسه في حاجة للتمحيص. إنَّه يقوم أيضاً بإخفاء تأثير السلطة. إذ يتمُّ تقديم الثقافتين الفرعيتين المتميّزتين اللتين يتمُّ فيهما تربية الأولاد والبنات اجتماعياً من دون أيِّ تفسير لسبب وجود مجموعات لعب من الجنس نفسه في المقام الأول. يتمُّ التعريف بالثقافتين فحسب. على أيِّ حال، فإنَّ الفصل بين الجنسين مبالغ فيه بالتأكيد. فالواقع أكثر تعقيداً وإثارة للاهتمام. ولقد وجدت باري ثورن أنماطاً معقّدة من الاختلاط والانفصال بين الجنسين في دراسات إثنوغرافية موسّعة أجريت على مدرستين أمريكيتين (ثورن 1993). كما وجدت أيضاً دليلاً على أنَّ مجموعات الصداقة خارج المدرسة هي مجموعات أكثر اختلاطاً، وتستشهد بحكايات عن الصداقات بين الفتيات والفتيان التي تحدث خلف ستار في المجال العام للمدرسة (ص50).

وتلوح في الأفق مماثلة بين الجنس أو الجندر والعرق: إذ يتمُّ مقارنة الحديث بين الجنسين بالحديث عبر الثقافات. فالناس من ثقافات مختلفة يسيؤون فهم بعضهم، وكذلك الرجال والنساء. هذا التشبيه مشكوك فيه. إذ تتكامل حياة الرجال والنساء بشكل كبير، لاسيّما في المجتمعات الحديثة. فلا يوجد النساء والرجال في عالم منفصل تماماً. وإنَّ التفاوت في التوقّعات الخطابية بين البريطانيين والهنود المتحدّثين للغة الإنكليزية، مثلاً، هو تفاوت من نوع مختلف تماماً؛ ذلك نتيجة نشأتهم في قارّات مختلفة. فيما قد يتربّى المتحدّثون من أصحاب أساليب المحاورة الذكورية والأنثوية في الحي نفسه، بل وفي المنزل نفسه. ومع ذلك، إن كانوا منفصلين حقّاً مثل من نشؤوا في قارّات مختلفة، فنحن بالتأكيد بحاجة إلى معرفة كيف

حدث ذلك، ولماذا. هذه الظاهرة تثير أسئلة جمّة. فهل هي مثلاً، ظاهرة طوعية أم قسرية؟ وماذا عن الاستثناءات؟

ويقف من وراء مفهوم الثقافتين افتراض يقول بأنَّ العلاقات الأساسية بين الناس هي العلاقات بين الجنس الواحد أو متجانسة اجتماعياً. هذا غير معتاد، في أقلِّ تقدير. فنظراً لأنَّ المغايرة الجنسية هي القاعدة، فمن المحتمل جدّاً أن تكون العلاقات الأولية غير متجانسة اجتماعياً. إذاً، ما الوظيفة التي تحقّقها العلاقات الاجتماعية المتجانسة؟ ففي المجموعات أحادية الجنس، يتعلّم الأطفال الفروق بين الجنسين، الفروق اللازمة لدعم المغايرة في العلاقة الجنسية، وهي التي "تساعد في جعل زوجين من جنسين مختلفين في وحدة مكوّنة من طرفين متكاملين- وليسوا متساويين" (كاميرون 1992 : 466).

إنَّ أساليب المحاورة لدى الرجال والنساء، كما هو موصوف، تؤهّلهم بشكل مثالي لتولّي الأدوار التقليدية، وهو ما يجعلنا نشكُّ قليلاً. هناك شيء مألوف في الأمثلة القصصية التي لا حصر لها لدى تانين. لماذا هذا؟ هل يمكن أن نتعرّف عليها لأنّها تتلاءم جيّداً مع الصور النمطية الثقافية القائمة؟ لنتذكّر بعض التناقضات التي وضعتها تانين في تأسيس النمطين المتساويين:

التعاطف	حل المشكلات
الوئام	الإبلاغ
الإنصات	النصح الممزوج بالتوبيخ
خاص	عام
ترابط	مكانة
دعم	معارضة
حميمية	استقلال

يذكّرنا العمود الأيمن أنّ النساء مربّيات. يمكن أن يعدّ احتفالاً بصفات الأمومة. فضلاً عن ذلك، يمكن استخدامه لدعم المثالية التقليدية والمألوفة للأنوثة. فيما يمكن استخدام العمود الأيسر للدفاع عن سلطة الرجل وامتيازاته. لكن لماذا توجد هذه الاختلافات؟ لم يتمّ إخبارنا بذلك، بل إنّ بعض المسائل التي تعدُّ مسائل محايدة من ناحية "الأسلوب" هي في الواقع امتيازات ذكورية.

الآن دعونا ننظر في عنصر واحد في القائمة: وهو الاستقلال. فيما يلي أحد الأمثلة القصصية لدى تانين عن الأزواج الأمريكيين. تحكي الحكاية أنّ ليندا منزعجة من زوجها جوش لأنّه دعا صديقاً قديماً له لقضاء عطلة نهاية الأسبوع من دون أن يكلّف نفسه عناء التشاور معها. ففي عطلة نهاية الأسبوع، تعود هي من رحلة عمل طويلة وليس ممّا تفضّله أن تجد ضيفاً في المنزل. لا، جوش ليس شخصاً غبيّاً متهوّراً، إنّه مجرّد شخص مستقل. من المفترض أن نفهم أنّ "التشاور مع زوجته يعني طلب الإذن، ممّا يعني عدم استقلاليته" (تانين 1991: 26). خص عديد من نقاد تانين هذا المثال بالنقد. وليس من الصعب معرفة السبب. فكما تلاحظ اللغوية الأمريكية أليس فريد، فإنّ الشعور "بحقِّ الفرد في التصرّف بمفرده واتخاذ قرارات أحادية الجانب هو جزء من التمكين الاجتماعي الذي يتمتّع به الرجال". وكما تقول، "لا علاقة له بالأسلوب أو لغة التواصل" (فريد 1992: 145-6). إذ يتعارض مع الأفكار المعاصرة حول زواج الرفقة أو الزوجية أن يتخذ أحد الشريكين قراراً، بشأن شيء يتعلّق بهما معاً، من دون عناء مراجعة الطرف الآخر. ويذهلني أنّه إذا قدر جوش استقلاله كثيراً، فربّما لا تعدُّ فكرة الزواج فكرة جيّدة. إنّني على يقين من أنّ كثيراً من الرجال سيوافقون.

أثبت كتاب تانين (1991) جاذبيته بشكل كبير بين عامّة الناس. إنّه يصوّر عالماً لا يبدو فيه وجود اختلال في توازن القوى؛ يتعايش الرجال والنساء على قدم المساواة. فهو يعالج المشاكل والأعطال في الاتصال من دون أن يكون أيّ شخص مسؤولاً عنه. وقد عدّته فريد في مراجعتها بأنّ له رد فعل عنيف ضد النسوية.

أعتقد أنّ ما قامت به فريد هو تشخيص دقيق. وفي مراجعة أخرى، تشتكي عالمة اللغة الألمانية، سينتا ترومبل بلوتز، من أنّها بحثت "عبثاً عن مفاهيم مثل الهيمنة، والسيطرة، والسلطة، وسياسات الجندر، والتمييز الجنسي، والتمييز، ووجدت اثنين منهما مذكورين بعد مائتي صفحة ولكن لم يتمّ درسهما" (ترومبل بلوتز 1991: 491) وبناءً على التشابه بين

التواصل بين الجنسين والتواصل بين الثقافات، فإنَّ المعارك اليومية بين الكلمات والإرادات التي تكتنف علاقات الرجال والنساء، كما قدّمتها تانين، لا علاقة لها بكفاح النساء ضد السلوك القمعي. إنَّها تحدث فقط لأنَّ للرجال والنساء لديهم أساليب تفاعلية مختلفة، لكنَّهم لا يدركون ذلك. وليس من المحزن التفكير فيها ولا أحد يتحمّل اللوم بشأنها. إنَّ جاذبية عرض تانين المشهور لإطار الاختلاف أمر مفهوم. فهو يوفّر شرحاً مريحاً للنزاعات المنزلية من دون توجيه أصابع الاتهام إلى أيّ شخص.

التركيز المفرط على سوء التواصل

لا يلقي نموذج الاختلاف أيَّ لوم على التوتّرات "عبر الثقافات" بتركيزه على سوء التواصل. إذ يحدث سوء التفاهم بين الرجال والنساء لأنَّهم ليسوا على علم به. وأمام إشكالية سوء التفاهم، جرى تسويق كتاب تانين (أنت لا تفهم) بوصفه الحل (وكان الشعار المزخرف على غلاف النسخة البريطانية هو: "نهج ثوري لإبعاد سوء التفاهم الذي يطارد علاقاتنا"). إذ بمجرّد تزويدك بالمعرفة اللازمة حول هذه الأساليب التفاعلية، فإنَّ سوء الفهم- والتوتّرات التي تسبّبها ليس لها وجود.

لذا، فإنَّ التركيز ينصبُّ على الجهل بأساليب التفاعل. دعونا نعود إلى المماثلة بين الجندر والإثنية ونفكّر فيها. فعندما يتواصل الأشخاص الذين نشؤوا في مجموعات عرقية مختلفة كلية مع بعضهم البعض، ستولد مشاكل، لأنَّ توقّعاتهم الثقافية حول التواصل توقّعات مختلفة. مثلاً، في الاجتماعات التي تُجرى باللغة الإنكليزية بين رجال الأعمال من هونج كونج والولايات المتحدة، من المحتمل أن ينقل المتحدّثون الصينيون باللغة الإنكليزية أنماط التخاطب القائمة في لغتهم الأم. نتيجة لذلك، من المرجّح أن يواجه المتحدّثون الأصليون للغة الإنكليزية صعوبات، مثل عدم القدرة على معرفة المعلومات المهمّة، على سبيل المثال. ولقد زُعم أنّ هذا النوع من عدم التطابق في توقّعات الخطاب- فيما يتعلّق بأشياء مهمّة مثل الإشارة إلى معلومات جديدة في جزء من الحديث- هو الذي يقف وراء الصورة النمطية الغربية للصينيين "الغامضين" (يونج 1982). وتأتي مثل هذه الإخفاقات في الفهم بسبب جهل جماعة عرقية بغيرها، ويمكن تبديدها بتوعية الناس بالاختلافات الثقافية.

وكما رأينا توّاً، فإنَّ الوضع بين النساء والرجال الذين نشؤوا على مقربة ثقافياً ليس هو نفسه على الإطلاق. وإنَّ الادعاء بأنَّهم في حالة جهل متماثلة أمر مثير للدهشة. في الواقع. فالناس داخل مجتمعاتهم اللغوية شديدو الحساسية تجاه اختلاف الأسلوب اللغوي واعتادوا إنتاج وتفسير الأساليب المختلفة حسب ما يتطلّبه الموقف، كما يمكن لأيِّ لغوي أن يخبرك بذلك. فلقد اعتدنا جميعاً على التعامل مع معايير تفاعل مختلفة ("تذكّر ألّا تحلف أمام جدّتك!"). ويمكننا أن ننوّع لغتنا وفقاً لاحتياجات السياق الاجتماعي، من حيث درجة الرسمية التي نحتاجها ("كيف تخاطب رئيس أساقفة؟")، أو درجة تقنية التعبير ("بما تسمّى تلك الزهور التي تحصل عليها من البازلاء؟). فعلى عكس تفسير تانين، من غير المحتمل أبداً أن يتعايش الرجال والنساء مع أنماط تفاعلية شديدة الاختلاف من دون أن يكونوا على دراية بذلك. وفي الواقع، هذا الافتراض الذكوري المعروف أنّه عندما تقول المرأة "لا" فإنَّها تعني حقّاً "نعم" يدلُّ على قدرة متطوّرة من جانب الرجال لتوقّع معايير تفاعلية مختلفة عن عاداتهم. وبعيداً عن إظهار الجهل بوجود اختلافات بين أساليب الحديث بين النساء والرجال، فإنَّه يُظهر توقّعاً من جانب الرجال بأنَّ كلام المرأة مختلف في صيغته عن نمط كلامهم (إكرت وماكونيل جينيت 1992: 467).

إنَّ الرجال والنساء ليسوا ملتزمين بأسلوب تفاعلي واحد أيضاً. فيمكن للرجال، على سبيل المثال، أن يتحدّثوا حديث الوئام أو حديث الإخبار. إنَّهم قادرون تماماً على استخدام ما يفترض أن يكون أسلوباً تختصُّ به المرأة، عندما يناسبهم ذلك. وفي بعض الأحيان ينخرطون في حديث وثيق مع النساء؛ يُعرف باسم "الحديث الجميل" (فريد 1992: 149).

الحياد المزيّف

يحافظ أنصار مفهوم الثقافتين على اتخاذ موقف محايد فيما يتعلّق بأسلوبين تفاعليين متميّزين من المفترض أن يستخدمه الرجال والنساء. ويتمُّ تقديم النمطين كلهما على أنَّهما صالحين على قدم المساواة. هذا الموقف الحيادي الدقيق يتناسب مع سوسيولوجيا اللغة. فعندما يقوم علماء سوسيولوجيا اللغة بوصف لهجات لغة من اللغات، لا يحاولون إثبات مزاياها النسبية.

إنَّ من المفترض أن تكون أساليب الرجال والنساء متساوية، ولكن مختلفة. دعنا نقارن هذا الادعاء بادعاء مماثل حول لهجتين مختلفين من لهجات اللغة الإنكليزية: اللهجة الإنكليزية البريطانية القياسية واللغة السكوسية (اللهجة المحلّية المنطوقة في ليفربول). فالرؤية التي يقبل بها علماء سوسيولوجيا اللغة لهاتين اللهجتين هي أنَّ كليهما صالح لغوياً بشكل متساوٍ. إنَّها صالحة بالقدر نفسه، بمعنى أنَّ لهجة لغة من اللغات غنيّة بالمفردات ومعقّدة نحوياً مثل اللهجة الفصحى، وأنَّ المتحدّث باللهجة يمكنه التواصل بها بشكل فعّال وذكي. ومع ذلك، لا ينظر في المجتمع البريطاني عموماً إلى اللغة الإنكليزية البريطانية القياسية ولغة ليفربول المحلّية على أنَّها لهجات صالحة على قدم المساواة؛ فهناك فجوة اجتماعية بين اللهجة المحلية واللهجة الفصحى. فالأطباء والمحامون لا يتحدّثون لغة سكوس، في الأقل ليس بصفتهم المهنية. هناك مثال أمريكي، حاول أن تتخيّل فرص مرشح رئاسي محتمل يبدو وكأنّه سائق تاكسي في بروكلين. أوّل شيء يجب على هذا الشخص أن يعمل عليه هو صوته أو صوتها (لا يقصد من وراء ذلك السخرية من سائقي سيارات الأجرة في بروكلين).

لا يؤكّد علماء سوسيولوجيا اللغة أنَّ الهوّة الاجتماعية بين اللهجة المحلّية واللهجة الفصيحة غير موجود. فدفاعاً عن اللهجات الموصومة بالعار، انخرط علماء سوسيولوجيا اللغة أحياناً في العالم الاجتماعي الأوسع. على سبيل المثال، شهد وليام لابوف في المحكمة بوضع اللهجة الإنكليزية العامية السوداء كلهجة متميّزة لها قواعدها الخاصة (وليس فقط "الإنكليزية المكسّرة" أو "القواعد النحوية السيّئة"). كان يؤسّس صلاحيتها كلغة من أجل قمع التمييز النشط ضدَّ المتحدّثين بها في نظام التعليم الأمريكي (قضية آن أربور الشهيرة: انظر لابوف 1982).

فيما تقوم تانين بشيء مختلف تماماً حال ادعائها بأنَّ أنماط التفاعل بين الذكور والإناث متساوية في الصلاحية. إنَّها لا تتحدّى فروق القوّة بين الأسلوبين، ولكنَّها تمحوها محواً. لقد درسنا للتوّ قمع السلطة في مقاربة الثقافتين. اجتماعياً، الأسلوبان ليسا صالحين بشكل متساوٍ. وفي كتب تانين المشهورة، هناك بعض البراعة في الخداع، أو لنقل بشكل متساهل، الانزلاق بين الوصف المحايد (الذي تدّعي سوسيولوجيا اللغة القيام به) وتقديم المعلومات المتطوّرة والنصائح (وهو ما تفعله كتب المساعدة الذاتية). هذا الانزلاق لا يخدم المرأة. ذلك أنَّ تفسير إحباطات المحاورة اليومية بدعوى سوء التواصل بين الثقافات- وبيعها للنساء في

كتب المساعدة الذاتية التي تتناول العلاقات- يزيل أيَّ ضغط عن الرجال. لا يحتاج الرجال إلى تغيير طريقتهم في التحدّث لاستيعاب النساء، فالمرأة تحتاج فقط إلى تعلّم فهمها (بندول أحادي الاتجاه على دراية به قرّاء القصص الرومانسية الشعبية بالمناسبة؛ انظر تالبوت 1995، 1997). لكي أكون عادلة مع تانين، يجب أن أقول إنَّ هذه ليست نيّتها؛ إنَّها تستنكر الفكرة. ومع ذلك، يتمُّ تسويق كتب المساعدة الذاتية حول "العلاقات" كمنتجات للنساء. إنَّ النساء هنَّ من يقرأنها، وبالتالي، من المفترض، أن تتحمّل النساء مسؤولية حلِّ المشكلات المفترضة لسوء التواصل بين الأزواج التي يتعاملون معها، مهما كانت نيّة تانين.

تجسيد الجندر كاختلاف

انشغلت أبحاث اللغة والجندر حتّى التسعينيات بشكل كبير بالاختلافات بين الجنسين. فالنساء متعاونات والرجال قادرون على المنافسة وهكذا. ولعلَّ وضع جدول أعمال اللغويات النسويّة كجدول إثبات أنَّ "الرجال يتحدّثون بهذه الطريقة، وتتحدّث النساء بتلك"، فمن الحتمي أن يؤكّد المرء الاختلافات بدلاً من تحدّيها. وهذا يعني أنَّ النتائج المتعلّقة بأوجه التشابه قد تمَّ قمعها في الواقع. على سبيل المثال، قدّمت في الفصل الخامس تفسيراً لسوء التواصل بين الذكور والإناث الذي أشارت فيه مالتز وبوركر (1982) إلى بعض الاختلافات التي وقفت عليها جودوين (1980) بين الأولاد والبنات في اللعب. ولكن في بحثها المكثّف حول الأطفال عند اللعب، لم تكشف جودوين عن الفروق بين الجنسين فقط، بل وجدت تشابهاً كبيراً في السلوك اللغوي للبنين والبنات أيضاً.

وفي بعض نتائج الأبحاث التجريبية الموضّحة في كتاب فريد (1996 ط 1)، كانت أوجه التشابه بين استخدامات الرجال والنساء لأدوات لغوية معيّنة، كما هو الحال في استعمال عبارة **كما تعرف**، تفوق كثيراً أيّة اختلافات. يختلف استخدام "**كما تعرف**" حسب المهمّة، وليس وفقاً لجنس المتحدّث (على عكس أحد الادعاءات المبكّرة التي تمَّ تناولها في الفصل الثالث). أفادت فريد أنَّها وزملاؤها الباحثون قاموا عن غير قصد ببناء مساحة تجريبية تمَّ تصنيفها جندرياً على أنَّها أنثوية. ووجدوا أنَّ جنس المشاركين لم يكن متغيِّراً مهمّاً. والغريب أنَّه بدا وكأنَّه حديث جندري. أي أنَّ جميع المشاركين، ذكوراً وإناثاً على حدٍّ سواء، كانوا يستخدمون أسلوباً تعاونياً مرتبطاً بشكل رمزي بأنشطة النساء. فالنوع المنطوق الذي انخرط فيه المشاركون في تفاعلات كان يُنظر إليها بشكل نمطي كتفاعلات أنثوية (وفقاً للصور

النمطيّة المنصوص عليها في مفهوم الأنماط التفاعلية المميّزة للذكور والإناث). ويدعم البحث اللاحق حول الحديث في مكان العمل هذا الرأي. على سبيل المثال، وجدت دراسة أجريت على الممرّضين الذكور الذين يتفاعلون مع زملائهم في مكان العمل، ذكوراً وإناثاً، أنّهم يستخدمون أسلوباً تعاونياً للغاية (على سبيل المثال، الاستخدام المكثّف لعدم المباشرة والتخفيف)، على الرغم من التقارير الذاتية التي تشير إلى عكس ذلك (ماكدويل 2015).

عندما يتمُّ تمثيل الجندر على أنّه اختلاف، غالباً ما يتمُّ التعامل مع فئاته على أنّها ثنائية القطب وثابتة ومحدّدة. ويتمُّ تأسيسه أحياناً كما لو كان أزواجاً متكاملة أو متعارضات طبيعية. ولعلّ كتباً مثل كتب تانين لا تهدّد المعتقدات الراسخة في هذه الفئات ثنائية القطب. إنّها جذّابة لأنّها تقدّم حلولاً لمشاكل الجندر من دون التسبّب في التشكيك في الجندر نفسه. ونتيجة للانشغال بالاختلاف، يتمُّ تعزيز القوالب النمطية، ممّا يعزّز الحتمية في تصوّرنا للجندر. هذه مشكلة كبيرة، لأنّها تقوّض بشكل فعّال الهدف التحرّري للنسوية. ويمكن أن يقوم المروّجون بانتقاء الفروق بين الجنسين بسهولة. ويمكن استخدامها لتعزيز تفسيرات الرجال والنساء المتاحين فيما ينشر بأكشاك الصحف التي تستخدم الانقسامات الجنسية التقليدية للغاية (المثال "الكلاسيكي"، بالطبع، هو كتاب جون جري الرجال من المريخ والنساء من الزهرة).

لقد واجهنا في الفصول القليلة الماضية مجموعة متنوّعة من الانقسامات، مثل المعلوماتية مقابل الجماعية، والعام مقابل الخاص، والإخبار مقابل الوئام. ولقد علقت على حدود فائدة هذا النوع من التصنيف المفيد. وفي أبحاث الفروق بين الجنسين، هناك ميل لتحويل المذكّر والمؤنّث إلى ثنائية أخرى سهلة. ولكن، كما تلاحظ كاميرون، "الجندر مشكلة وليس حلاً". فعبارات من قبيل "الرجال يفعلون هذا، والنساء يفعلن ذلك" لا تعدّ تعميماً مفرطاً وقوالب نمطية فحسب، بل إنّها تعجز تماماً عن معالجة مسألة من أين يأتي "الرجال" و"النساء" (1995، ط1: 42). فالتحدّي الذي يواجه الباحثون المعاصرون في دراسة العلاقة بين اللغة والجندر هو كيفية تصوّر الجندر من دون استقطاب.

ما وراء الاختلاف: تأثير ما بعد البنيوية

يقدّم تفسير "الثقافتين" مفهوماً ثابتاً للهويات المميّزة للذكور والإناث، التي تبدو ثابتة، مرّةً واحدة وإلى الأبد، في مرحلة الطفولة. ففيها افتراض أساسي بأنّنا ندمج في داخلنا توقّعات المجتمع (أي أنّنا ندمجها في إحساسنا بذواتنا). لكن لا يوجد عمل واحد في التقليد الأنجلو أمريكي، الذي نشأ عنه نموذجا الاختلاف والهيمنة، يشرع حقّاً في شرح كيفيّة تفاعل اللغة والهويّة الشخصيّة والسياق الاجتماعي أو كيف يحافظ هذا التفاعل على علاقات الجندر غير المتكافئة. فمن المفترض أن يكون هناك نوع من التفاعل بين اللغة والبنية الاجتماعية (يستثنى من ذلك جهود الباحثين الأوائل، الذين كانوا يميلون إلى الاعتقاد بأنّ أنماط اللغة التي درسوها تعكس ببساطة الواقع الاجتماعي). لكنّ الروابط بين الفرد واللغة والبنية الاجتماعية مسألة مفترضة ولا تحتاج لدعم. فالعمليات التي تؤثّر بها الظروف الاجتماعية على دواخل أدمغة الناس لا تظهر أبداً في الصورة.

ومع ذلك، هناك منظورات أخرى، تتناول على وجه التحديد كيف أنّ اللغة هي الرابط بين الفرد والبنى الاجتماعية بدلاً من افتراض وجود هذا الارتباط. هنا يبرز دور منظور ما بعد البنيوية. وهو يطرح السؤال الرئيس التالي: "ما الفرد؟" ويجعل النقد النسوي بمنظور ما بعد بنيوي من اللغة مجالاً للإنتاج الثقافي للهوية الجندرية (على سبيل المثال كتاب ويدون 1997). فهويّات الناس من تأثير اللغة. ذلك أنّ النساء والرجال مختلفون لأنّ اللغة تصوغ أوضاعنا بشكل مختلف. ومن وجهة النظر هذه، الذاتية- أي إحساسنا بأنفسنا- هي شيء مكتسب، وليست معطى مسبّقاً، وهويّاتنا الجندريّة ليست ثابتة. فنحن لنا مواقف في تطبيقنا لممارسات الخطاب؛ لذلك فإنّ هويّاتنا كأفراد تتشكّل لحظة بلحظة. ومن هذا المنطلق، فإنّ إحساسنا بالذات ليس ثابتاً ولا مستقرّاً. إنّه صيرورة، بل هو "أثر الخطاب"، وبالتالي فهو قابل للتغيير. هذا الفهم يعبّر عن تحوّل مهم بعيداً عن التصنيفات المنطقية ويمنعنا من أن يعمينا ما هو واضح (أي القول: هناك رجال ونساء، وهم مختلفون!). بالنسبة للفيلسوفة النسوية الأمريكية جوديث بتلر، فإنّ هذه التصنيفات المنطقية هي "بنيات ثنائية تتجلّى كلغة للعقلانية الكونية" التي يستند إليها "خطابنا الثقافي المهيمن" حول الجندر (بتلر 1999: 13).

إذاً، مع ما بعد البنيوية، هناك اهتمام زائد باللغة من تخصّصات علمية أخرى غير علم اللغة وعلم الاجتماع. فالمتخصصون جميعاً مهتمّون بها هذه الأيام: من فلاسفة، ونقّاد أدب،

ومؤرّخون، وعلماء نفس، وجغرافيون. فمصطلح اللغة يغطّي الكثير من الأعمال، بما في ذلك المواقف النظرية المعلنة في كتابات لويس ألتوسير، وبتلر المقتبس منها سلفاً، وجاك ديريدا، وميشيل فوكو، وجوليا كريستيفا، وجاك لاكان. يغطّي المصطلح مجموعة من المواقف النظرية. وكان لما بعد البنيوية تأثير داخل علم اللغة، وهذا ما يتجلّى في التأثر بأعمال فوكو، عند التعامل مع سؤال كيف تكون اللغة هي الرابط بين الفرد والبنى الاجتماعية (انظر الفصل السابع). ولعلّ مصدر جاذبية مقاربة فوكو يكمن في طرحه للمعرفة والهوية كبنيات اجتماعية وليست كحقائق أو كيانات أساسية غير قابلة للتغيير. بدلاً من ذلك، يمكن النظر للغة أو، بشكل أفضل، للخطاب على أنّه ما يشكّل حقائقنا الاجتماعية. وطالما يشكّل الخطاب الواقع الاجتماعي، فهو ما يصوغ إحساس الناس بأنفسهم كإناث أو ذكور: أي يشكّل هويّاتنا الجندرية.

إنَّ الأعمال المتأثّرة بما بعد البنيوية التي تتناول علاقة الخطاب والهوية الجندرية متنوّعة تنوعاً كبيراً. ويوجد الآن خيوط مائزة تربط العلوم الإنسانية والاجتماعية معاً. ويقدّم الجزء الثالث بعض الأعمال المتعلّقة بالخطاب والهوية الجندرية المستندة إلى تحليل لغوي محدّد. وما يغيب بشكل ملحوظ عنها، في كلٍّ من علم النفس واللغويات، هو الانقسام الثنائي "الرجال يفعلون هذا، والنساء يفعلن ذلك"، الذي تميّزت به الدراسات الأنجلو أمريكية في نموذجي الاختلاف والهيمنة. فنقطة الانطلاق هي غياب اعتبار الانقسام بين مذكر ومؤنث أمراً مسلّماً به. فضلاً عن ذلك، يُفترض ألّا تكون الهويات والعلاقات الاجتماعية بين النساء والرجال متجانسة، بل يتمُّ بناؤها بشكل مختلف في ممارسات الخطاب المختلفة. فنحن نبحث في دور ممارسات الخطاب في بناء الذوات الجندرية.

وفي هذا النوع من البحوث، يمكن تمييز التجنّب الدقيق للفئات ثنائية القطب بوضوح شديد، وتجنّب ما يصحبها من محاولات للمماثلة. فبعض المحلّلين واجهوا أصول النظرية النسوية، ويقومون بشكل مباشر أو غير مباشر، بمساءلة فئات مثل المذكّر، المؤنّث، المغايرة الجنسية، والبيض، والطبقة الوسطى وما إلى ذلك. كما يتزايد الاهتمام بـ"المستبعدين من الكلام" (هال 2003، 2014) وفقاً لشروطهم الخاصة بدلاً من عدّهم استثناءات أمام نموذج شديد الصلابة غير قادر على استيعابهم. وتشمل حالات ما تسميه كيرا هال (2003: 354) "انحراف الحواشي" على "المسترجلات" و"المخنّثين"، ولا يمكن لنموذج "الثقافتين" أن يقوم

باستيعابها بشكل كافٍ. وبعض الحالات الأخرى تشمل الأمريكيات من أصل أفريقي، اللواتي لا يتناسب سلوكهن اللفظي بالضرورة مع نمط الأسلوب التفاعلي "الأنثوي" الوارد لدى الأمريكيين البيض من أبناء الطبقة الوسطى. وتستعرض هال التحوّلات التاريخية في مجال اللغة والجندر من حيث فهمها المتطوّر للمعيارية والانحراف (هال 2003، 2014). فيما يشمل "المنحرفون اللغويون" على السحاقيات والمثليين. هذا الاهتمام بمستخدمي اللغة الحدّين (أي الهامشيين) أنتج مجالات اهتمام جديدة في مجال علاقة اللغة بالجندر. وأحد هذه المجالات هو مجال ناشئ يركز على "الانحراف الجنسي والجندري لدى الأجيال السابقة" (هال 2003: 354)- المجال الذي أطلق عليه الباحثون فيه اسم "اللغويات الكويرية" queer linguistics.

والنقطة ذات الصلة هي أنَّ هناك أوجه تشابه بين التطوّرات في دراسة الجندر والإثنية. فمع التحوّل في التركيز على الذاتية الجندرية، كان هناك اهتمام متزايد بالذكورية. فيتمُّ فحص الذكورية على أنَّها هويّات مبنيّة، بالطريقة نفسها التي يتلقّى بها البياض اهتماماً نقدياً بدلاً من احتلاله موضعاً غير مرئي بوصفه القاعدة "غير الإثنية". ولقد شهدت دراسات اللغة والجندر توسّعاً كبيراً في موضوعاتها لتشمل التوجّه الجنسي والإثنية والتعدّدية اللغوية، والطبقة نوعاً ما؛ ويتضمّن هذا التوسّع تحليلات للهويات الجندرية المنطوقة والمكتوبة والموقعة.

سأنهي الجزء الثاني بتعليق على اللغويات النسوية. فإذا كانت ستبقى نسوية، عليها أن تضع هدفها التحرّري في الاعتبار. لقد ألهمت الأعمال المعتمدة على نموذجي الاختلاف والسيطرة مبادرات لمناهضة التحيّز الجنسي وتكافؤ الفرص في الثمانينيات، ولكن منذ ذلك الحين يبدو أنَّ الهدف التحرّري قد جرى فقدانه. ولعلَّ الرؤية ما بعد البنيوية- رؤية الناس على أنَّها تتشكّل خطابياً كذوات جندرية في أفعالها- قد أصبحت الآن معترفاً بها على نطاق واسع كبديل جيّد. وإذا ظهرت الهويات الجندرية في أفعال، فلا يمكن إصلاحها، بل يجب أن تكون منفتحة على التغيير. وإنَّ لفت الانتباه إلى هذه الصيرورة وإلى إمكانية التغيير، لهو عمل تحرّري محتمل. ولم يعد الحال هو "الرجال يفعلون هذا، والنساء يفعلن ذلك". والتحدّي الآن هو كيفية تصوّر الجندر من دون استقطاب.

وبناءً عليه، فإنّني أقدّم في الجزء الأخير من هذا الكتاب بحثاً متأثراً بما بعد البنيوية التي لا تبحث الفروق الجندرية، ولكن بناء الهويات الجندرية. لذا فإنَّ هذا النهج تجاه اللغة

والجندر الذي نمضي إليه يرتكز على افتراض أنَّ الذاتية تتشكّل في الخطاب. ففي الخطاب، يتمُ وضع الأفراد كذوات اجتماعية يتمُ تصنيفها جندرياً بطرق محدّدة.

مزيد من القراءات

نقاد نموذج الاختلاف

للنظر في الأفكار المطروحة مؤخّراً، يراجع كتاب فريد (2014). كما يراجع اثنان من المراجعات النقدية المبكّرة وهما كتابا كاميرون (1992، ط2) وأوشيدا (1992). وتنخرط أعمال فريد (1992) وترومبل- بلوتز (1991) بشكل خاص بما تقوم به تانين من اهتمام بالفروق الجندرية. ولمناقشة كيفية قراءة نصوص المساعدة الذاتية المؤلّفة من قبل تانين وآخرين، يراجع كتاب كاميرون (2000). ويظلُّ الفصل السادس من كتاب ثورن (1993) نقداً ممتازاً لمنظور الثقافتين في رؤيته للتنشئة الاجتماعية للأطفال. ويعدُّ كتاب كاميرون (الصادر عام 1998؛ وأعيد طبعه في 2006) هو انعكاس أخير للجدل حول "سوء التفاهم". ويستكشف الفصل الثالث من كتاب تالبوت وأتكينسون (2003) السلطة الأبوية ودور اللغة في الحفاظ عليها. ويحتوي على أربعة أعمال محرّرة وأحدها عمل كاميرون (الصادر في 1998).

ما بعد البنيوية والنسوية

اطلع على ويدون (1997). وللتعرّف على علاقة ما بعد البنيوية واللغويات النسوية، يراجع كتاب باكستر (2003)، وباكولز (2014: 37-8)، وماكلهيني (2014: 52-3).

الجزء الثالث

الخطاب والجندر: التكوين والأداء



7

منظورات نقدية في الهوية الجندرية

يفتتح هذا الفصل الجزء الأخير من الكتاب. إنَّه مقدّمة لدراسة بناء وأداء الهوية الجندرية في الخطاب. وفي ذلك، ينتقل الاهتمام إلى دور اللغة في إنشاء وتغيير والحفاظ على أبعاد الهويات الاجتماعية للأشخاص المرتبطة على وجه التحديد بالجندر. كمثال على هذا النهج، قمت بفحص البناء الخطابي للأمومة.

لماذا المنظور النقدي؟

النسوية شكل من أشكال السياسة ذات الهدف التحرّري. ومرحلة مهمّة في مراحل التحرّر هي مرحلة تحديد آليات القهر. وقبل أن يكون التغيير مطلوباً، فيجب إثبات أنَّ الجوانب الطبيعية في الحياة اليومية للنساء والرجال هي جوانب منتَجة ثقافياً وضارّة بالنساء (ولهذا السبب، قد يقول بعض الرجال لأنفسهم ذلك أيضاً). هذا يعني البدء بفهم كيفية بناء الجندر اجتماعياً.

كذلك فإنَّ المنظورات النقدية حول الهوية الجندرية ذات هدف تحرّري. فكلمة "نقدي" تعني بطريقة معيّنة: ليس فقط "أن تكون نقدياً" بالمعنى العادي، ولكنَّها تعني فحص شيء ما لكشف الروابط والافتراضات الخفيّة وما إلى ذلك. ويمكن العثور على المنظور النقدي في منهج تحليل الخطاب النقدي. هذا المنهج في تحليل الخطاب ملتزم بفحص الطريقة التي تسهم بها اللغة في إعادة الإنتاج الاجتماعي وفي التغيير الاجتماعي. وإنَّني سأطرح الخطوط العريضة الأساسية للتحليل النقدي للخطاب في هذا الفصل. والهدف العملي للتحليل النقدي للخطاب هو تحفيز الوعي النقدي باللغة، لاسيَّما الوعي بكيفية تجلّي أعراف الخطاب القائمة نتيجة

علاقات القوة والصراع على السلطة. وكنهج لتحليل الخطاب، فإنَّه يهدف إلى إظهار "الطرق غير الواضحة التي تشارك بها اللغة في العلاقات الاجتماعية للسلطة والهيمنة" (فيركلاو 2001: 229). يتطلّب هذا الكشف عن التكوين الاجتماعي والتاريخي للأعراف المطبّعة (بعبارة أخرى، تكوين طرق عمل الأشياء التي تبدو طبيعية بوصفها تعبّر عن "الحس السليم").

ذلك أنَّ النظر إلى اللغة بشكل نقدي هو طريقة لنزع الطبيعية عنها. إذاً التحليل النقدي للخطاب مفيد للنسويّات. ويمكن استخدامه في استكشاف التكوين الاجتماعي للجندر. فهناك عديد من فروع البحث النقدي في قضايا اللغة والخطاب التي تعدُّ نسويّة صراحة. والأهداف المعلنة للأسلوبية النسويّة، على سبيل المثال، هي "طرح أسئلة حول مفاهيمنا المنطقية عن الجندر والنص والمساعدة في الشكِّ المثمر في عمليات تفسير النص جميعاً" (ميلز 1995، ط1). كما تتوافر تخصّصات أخرى متميّزة، وهي علم نفس الخطاب (مثلاً كتاب إدلي 2001؛ وويزربل وإدلي 2014)، والتحليل النسوي للمحادثة (ومنها كتاب سبيير 2005؛ وكيتزينجر 2000)، ونظرية الأداء (على سبيل المثال بتلر 1997، 1999، 2010)، والتحليل النسوي ما بعد البنيوي للخطاب (باكستر 2003)، ودراسات الميديا النسوية (مثلاً، جيل 2007؛ وماكدونالد 1995؛ وتالبوت 2007، ط2)، والبراغماتية النسوية (مثل كريستي 2000) والتحليل النقدي النسوي للخطاب (مثل لازار 2005 ط1، 2007، 2008، 2014؛ تالبوت 1995، ط2).

هذه المنظورات النقدية مختلفة في المنهج وفي محور اهتمامها النظري، لكنَّها تشترك في الرؤية المهمَّة القائلة بأنَّ الجندر ليس معطى مسبَّقاً أو ثابتاً، ولكنَّه مبني بفاعلية وفي حالة تغيّر مستمر. وتركز بعض دراسات البناء الجندري على الجندر كأداء. فليس لدى الناس هويّات جندريّة ثابتة ومحدّدة مسبقاً؛ فهم يؤدّونها بشكل مستمر. حتى عندما نكون غير مدركين تماماً للجندر- ببساطة نعدّه أمراً مسلّماً به بوصفه جزءاً واضحاً وثابتاً من هويتنا، كما نفعل في معظم الأوقات- حتَّى في ذلك الوقت، ما زلنا نشارك في أداء الجندر بشكل روتيني. وتشترك المنظورات النقدية في تجنّب الاستقطاب الجندري وإدراك الهوية الجندرية على أنَّها هوية ديناميكية. ويتمتّع مصطلح ديناميكي بميزة إعطائنا إطار عمل آخر يبدأ بحرف "d" لإضافته إلى قائمة الجناس: عجز deficit، وهيمنة dominance، واختلاف difference، وديناميكي dynamic.

الخطاب والخطابات

كنت أستخدم مصطلح "الخطاب" كثيراً. حتّى الآن لم أحاول تعريفه، لكنّنا الآن بحاجة إلى التوقّف والتفكير فيما يشير إليه بالفعل. يستخدم المصطلح على نطاق واسع ومتنوّع في مجالات مختلفة، بما في ذلك علم اللغة. إذ يميل اللغويون الذين يستندون إلى البراغماتية أو تحليل الخطاب لاستخدام المصطلح للإشارة إلى استعمال اللغة بطريقة ما: اللغة كفعل، أو كتفاعل في مواقف اجتماعية محدّدة. وبالنسبة إلى اللغويين الذين يعتمدون في عملهم على علم الأصوات وعلم المورفولوجيا وما شابه، يستعمل المصطلح بشكل مختلف، للإشارة إلى ما يتجاوز الجملة لغوياً. لقد كنت أستخدمه بالمعنى الأول: كتفاعل اجتماعي في سياقات محدّدة. ولقد وقفنا في الجزء الثاني على عمل مجموعة من محلّلي الخطاب، الذين يبحثون في كيفية جعل التفاعل فعلاً جندرياً Gendered في بعض الأنواع المنطوقة، ولاسيّما سرد القصص والمحاورات. وتركز كثير من أعمال تحليل الخطاب على التفاعل المنطوق، ولكن يمكن أن يأتي الخطاب مكتوباً كما يمكن أن يكون منطوقاً.

هناك استخدام متباين لدى أنصار ما بعد البنيوية لاصطلاح الخطاب الدارج في التحليل النقدي للخطاب. ويمكن العثور على هذا في أعمال الفيلسوف والمنظر الاجتماعي الفرنسي ميشيل فوكو. فالخطابات، بالنسبة له، هي بنى للإمكانية والقيود: "الممارسات التي تشكّل منهجياً ما تتناوله من موضوعات" (فوكو 1972: 49). مثلاً، يعدُّ الطب عبارة عن مجموعة من المعارف والممارسات والهويات الاجتماعية. ويعرف الخطاب الطبي الصحة والمرض. مثلاً خذ مرض الهستيريا: كموضوع محدّد في الخطاب الطبي، يتكوّن من كلِّ ما قيل أو كتب عنه. فمصطلح هيستيريا لا معنى له في حدِّ ذاته. لقد تحوّل معنى الهستيريا من قرن إلى آخر. إذ تشكّل الخطابات تاريخياً البنيات الاجتماعية لتنظيم المعرفة وتوزيعها. كذلك يحدّد الخطاب الطبي من لديه القدرة على القيام بالتعريف. فلا تنشأ المعرفة من الأشياء ولا تعكس حقيقتها الجوهرية: فهي ليست جوهر الأشياء في العالم. تتكوّن الخطابات في التاريخ والمجتمع؛ وما يعدُّ هو الحقيقة، وعملية الوصول إلى تلك الحقيقة، ومن يقرّرها، كلّ هذا يعتمد على علاقات القوّة في المؤسّسات. ويجادل فوكو بأنَّ الأعضاء المهيمنين في المؤسّسات يحافظون على سيطرتهم من خلال الخطابات بصنع النظام؛ أي من خلال كونهم من يضعون الحدود ويضعون التصنيفات.

أنتج فوكو تحليلات تاريخية للخطاب والسلطة. إنّه لا ينظر إلى السلطة على أنّها ملكية للجماعات القوية- الرجال أو الطبقة العليا أو الرأسماليين أو أيٍّ من كان- ولكن بوصفها شيئاً منتشراً في الخطاب. لقد درس ممارسة السلطة الاجتماعية في الخطابات ومن خلالها، وعبر تعريف الأشياء والموضوعات الاجتماعية نفسها. وكما أوضحت كريس ويدون فإنّه:

تم دمج مبادئ ما بعد البنيوية، في أعمال ميشيل فوكو، مبادئها حول التعدّدية والتأجيل المستمر للمعنى، والبنية الخطابية غير المستقرّة للذاتية، لتشكّل نظرية في علاقة اللغة والسلطة الاجتماعية التي تولّي اهتماماً تفصيلياً للآثار المؤسّسية للخطاب ودوره في تكوين الأفراد وضبطهم. (ويدون 1997: 104)

اهتم فوكو في أعماله بخطابات العلوم الاجتماعية، التي يجادل بإسهامها الكبير في جعلنا ما نحن عليه كأشخاص. ويكتب عن كيف أثّرت العلوم الاجتماعية فيزيقيا في الناس، وجعلتهم مرضى، وذوات قانونية، وذوات جنسية، وما إلى ذلك. بعبارة أخرى، يجادل بأنَّ الممارسات والعلاقات بين الناس تنشأ نتيجة لتلك الأطر المعرفية المشكّلة اجتماعياً التي نسمّيها "العلوم الاجتماعية". ويوضّح أنَّ المجالات المعرفية مثل الطب والقانون- التي تشكّل موضوعات اجتماعية بعدِّ البشر موضوعاً لها- ليست خالدة، ولكنّها بنى تاريخية. مثلاً، نجده في كتابه تاريخ الجنس ينصب تركيزه على التكوين الخطابي للذوات الجنسية في النظام القضائي وفي النصوص الطبية وما إلى ذلك. ويصف غرضه في هذا الكتاب على النحو التالي:

لكي يتسنّى تفسير حقيقة أنَّ [الجنس] موضوع للكلام، ولاكتشاف من يتكلّم، والمو اقف والرؤى التي يتحدّثون عنها، والمؤسّسات التي تدفع الناس للتحدّث عنها وتخزن ما يقال وتوزّعه. باختصار، ما موضوع الخلاف هو "الحقيقة الخطابية" الشاملة، أي الطريقة التي يتمُّ بها "وضع الجنس داخل الخطاب". (فوكو 1990: 11)

ما يفعله فوكو في عمله هو فحص التكوين الاجتماعي، في اللغة، للأعراف المتراكمة التي لها صلة بأطر المعرفة. يقوم بذلك من خلال البحث في كيفية ممارسة السلطة من خلال هذه الأعراف، بما في ذلك كيفية تعريفها للهويات الاجتماعية. هذه السلطة سلطة انضباط. ويلاحظ فوكو أنَّ القرن الثامن عشر كان وقت نمو سكاني، ما أدّى إلى مشاكل تتعلّق بسوء

ظروف السكن وتدهور الحالة الصحية وما شابه ذلك. ومن هذه الفترة نشأت في الواقع فكرة أنَّ للبلد "**سكان**" هم في حاجة لأنَّ يتمّ ضبطهم وإدارتهم ورعايتهم. فمفهوم السكّان كان يمثّل مشكلة سياسية واقتصادية على عكس مفهوم "**الشعب**"، تلك الكتلة غير المحدّدة نسبياً التي يمكن للملك أن يفرض ضريبة عليها. وكان لابدَّ من معاينتها:

> **كان الجنس في قلب هذه المشكلة الاقتصادية والسياسية للسكّان: ومن الضروري تحليل معدل المواليد، وسن الزواج، والولادات المشروعة وغير الشرعية، ومدى سرعة وتكرار العلاقات الجنسية، وطرق جعلها خصبة أو عقيمة، وآثار الحياة خارج الزواج أو تأثير المحظورات، وأثر ممارسات منع الحمل... وغُدَّ السلوك الجنسي للسكّان موضوعاً للتحليل وهدفاً للتدخّل. (فوكو 1990: 25-6)**

لقد ترتّب على عملية المعاينة والتدقيق، التي قامت بها سلطات الكنيسة والدولة، أن تشكّل نظام جديد من الخطابات. ففي هذه المرحلة فقط نشأت مفاهيم "الانحراف الجنسي" و"الانحراف" و"الفعل غير الطبيعي". وبدأت ذوات المعرفة الجديدة في التبلور؛ منها تحديداً المرأة الهستيرية، والطفل الممارس للعادة السرية، والبالغ المنحرف (ص105). وبحلول القرن التاسع عشر، تمَّ تصنيف أشكال النشاط الجنسي والانحرافات الجنسية وفهرستها كفئات طبية. ومن بين أمور أخرى، ولد المثلي جنسياً. وكما يعلّق فوكو، فإنَّ "المثلية كان تعدُّ انحرافاً مؤقّتاً. وأصبح المثلي جنسياً الآن من البشر (ص 43).

لكن لحسن الحظ، فإنَّ ممارسة هذه القوّة في وضع التعريفات لا جدل عليها. وتقترح الخطابات المضادّة نسخاً بديلة للواقع الاجتماعي. وهذا له آثار مهمّة على الحركات الملتزمة بإحداث التغيير الاجتماعي، مثل النسوية. إذ تكمن قيمة مفهوم فوكو للخطاب في تفسيره التاريخي والاجتماعي لتعريفه، وترسيم حدوده، ومراقبته. ويمكن تلخيص مقاربته في الأسئلة التالية التي يطرحها في نهاية مقالته "ما المؤلف؟": "ما أنماط وجود هذا الخطاب؟ وأين يستخدم وكيف يمكن تداوله ومن يستطيع أن يتملّكه لصالحه؟ وما المواضع التي يوجد بها متسع للذوات المحتملة؟ ومن يتولى وظائف الذوات المختلفة؟" (فوكو 1986: 120).

الخطاب كممارسة اجتماعية

يستخدم محلّلو الخطاب النقدي مصطلح "الخطاب" في كلٍّ من المعنى اللغوي للتفاعل الاجتماعي في مواقف محدّدة، والمعنى الفوكوي. ولعلّ واحداً ممّن قاموا بالجمع بين المعنيين هو اللغوي غونتر كرس، الذي يشير إلى عمل فوكو في توصيفه للخطاب كممارسة اجتماعية ثقافية. ويعتمد كرس على فوكو في هذا الوصف لتعريف وتحديد نوعية الخطاب:

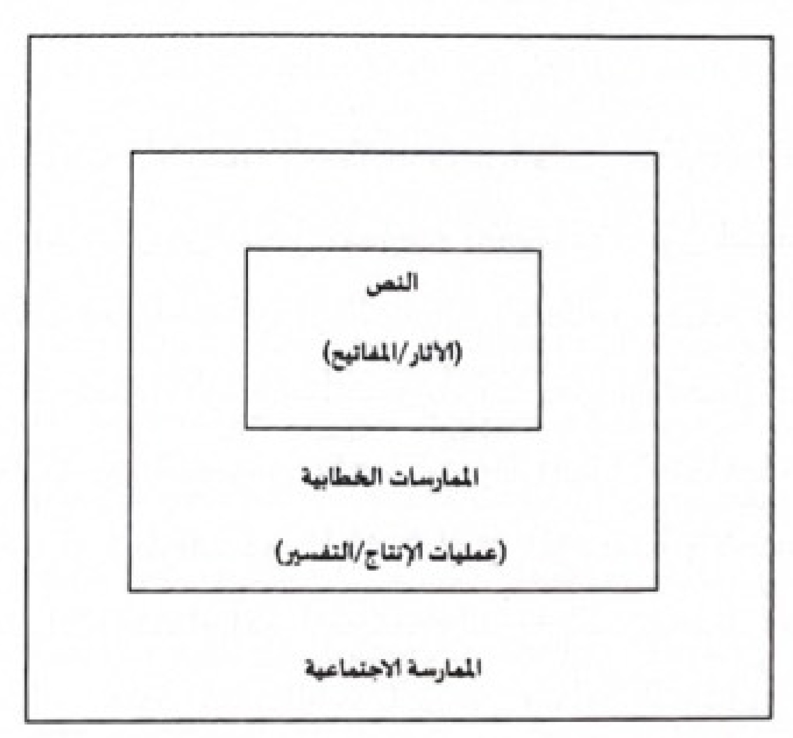
> **إنَّ الخطابات عبارة عن مجموعات منظّمة بشكل منهجي من العبارات التي تعبّر عن معنى وقيم المؤسّسة. فضلاً عن ذلك، فهي تعرف وتصف وتحدّد ما يمكن قوله وما يستحيل قوله (وبالتبعية- ما يمكن فعله أو يستحيل فعله) فيما يتعلّق بمجال اهتمام تلك المؤسسة، سواء بشكل هامشي أو مركزي. ويوفّر الخطاب مجموعة من العبارات المحتملة حول منطقة معيّنة أو موضوع أو كائن أو عملية يجب التحدّث عنها. وبمقتضى ذلك فإنَّه يوفّر الوصف والقواعد والمسموح به والمنهي عنه في الممارسات الاجتماعية والفردية.** (كرس 1985: 6-7)

تشكّل الخطابات تاريخياً أطرا المعرفة والممارسة التي يتربّى عليها الناس، وتنصب البعض في مناصب السلطة من دون الآخرين، لكنّها لا يمكن أن توجد إلّا في التفاعل الاجتماعي في مواقف محدّدة. لذا فإنَّ الخطاب هو فعل وعرف في الوقت نفسه. فهو ليس فعلا أبداً من دون أن يكون عرفاً.

يمثّل الشكل 7.1 تمثيلاً لهذا المفهوم ويجمع بين التقاليد التحليلية المختلفة. إنّه يلخّص المعاني المختلفة لاصطلاح الخطاب، ويطرح استخدام اللغة كشكل من أشكال الممارسة الاجتماعية. وفي منتصف الشكل يوجد النص؛ ويمكن أن يكون نصّاً منطوقاً، وكذلك مكتوباً. ويحتوي النص على أبعاد شكلية، ولا شيء آخر (يحتوى على قواعد النحو والمفردات وما إلى ذلك). هذه الأبعاد هي آثار توضّح لنا كيفيّة إنتاج النص: أي كيفيّة كتابته أو نطقه. إنّه أيضاً يحمل إشارات دالّة على كيفيّة تفسيره: أي عند القراءة أو السماع، بل إنَّ الطريقة التي ينتهجها مستمع ما أو قارئ معيّن في سماعه لنص أو قراءته له، إنّما تعتمد على ما يتوافر لديه من موارد تمكّنه من القيام بعملية التفسير (ومن الأمثلة الواضحة للغاية على الموارد التي يحتاجها الأشخاص للتفسير أنّه يجب أن يكون لديهم معرفة لائقة باللغة أو اللغات). والهدف

من التأكيد على هذه الحاجة إلى الموارد هي أنَّ وجودها يمنعنا من التفكير في النصوص كما لو كانت تمتلك بالفعل معاني ثابتة بشكل مستقل عن العالم الاجتماعي الذي يتمُّ تداولها فيه. فمعنى النص ليس موجوداً سلفاً، باستثناء عدّه معنىً محتملاً. إنَّه يحصل على معناه عندما يفسره الناس (والمعنى الذي تحصل عليه لن يكون هو نفسه عند الجميع). ومن المحتمل أن يألف طلاب الأدب هذه الرؤية للنص. وليس من وراء ذلك القول بأنَّ النصوص يمكن أن تعني أيَّ شيء، وأنَّ التفسير متاح للجميع. ذلك أنَّ الأبعاد الشكلية للنص تفرض قيوداً على معناه وتفسيره. تحليل النص داخل منهج التحليل النقدي للخطاب يشمل على مكونات لغوية وتناصية. ويتطلّب تحليل التناص التركيز على الأنواع والخطابات التي يتمُّ الاعتماد عليها داخل النص. وكما هو مفهوم في التحليل النقدي للخطاب، فإنَّ تحليل التناص يتأثّر بعمل فوكو حول الخطاب (تمّت مناقشته بإيجاز في القسم الأخير)، وكذلك بنظرية باختين (1981) حول الحوارية. فأن يحتوى النص على هُجنة، فهذا من طبائع الأمور. ومعنى ذلك أن يتوافر النص دائماً على آثار أو إشارات لأكثر من خطاب وجندر.

وهكذا يعدُّ النص جزءاً من نشاط الخطاب في مناسبات معينة، ولهذا السبب يتمُّ تمثيله في الشكل 7.1 على أنَّه داخل الممارسات الخطابية.



الشكل 7.1 المفهوم ثلاثي الأبعاد للخطاب

المصدر: فيركلاو 1992: 73

تتضمَن الممارسات الخطابية كلاً من النصوص وعمليات إنتاج الناس وتفسيرهم لها. وتأمَل معي في مثال بسيط للغاية. فعندما ننطق كلمتي **البائع** seller **والقبو cellar**: فإنَّنا ننطقها نطقاً واحداً متطابقاً تمام التطابق؛ ولكن ليس في ذلك احتمال، مثلاً، لإرباك سماسرة البورصة في أعمالهم، لمعرفتهم المسبَقة التي تمكّنهم كموارد لهم في عملية التفسير. ذلك أنَّ الممارسة الخطابية التي يتشاركون فيها تفرض فعلياً معنىً من دون آخر.

تعتمد الطريقة التي يستجيب الناس بها للنصوص على خلفيّتهم الاجتماعية، وبالتالي على ما يطرحونه على النص. كذلك تبنّي النصوص مواضع للقراءة أو الاستماع، مواضع يتعيّن على القراء أو المستمعين الفعليين التعامل معها، على الرغم من أنَّ قبولهم لها يعتمد إلى حدٍّ كبير على هويّتهم. ويمكن أن يكون هذا واضحاً بشكل خاص في حالة منشورات وسائل الإعلام، التي تستهدف بدقّة تامّة جماهير معينة. فكّر في قراءة ما يلي في مجلة للفتيات المراهقات: "عندما تبذلين قصارى جهدك لإثارة إعجاب ذلك الفتى رائع الجمال في الشكل السادس..." إنَّه يحتوي على إشارات نصّية للأفكار المفترضة؛ أي أنَّ هناك أشياءً مثل "الفتى رائع الجمال في الشكل السادس" وأنَّك تحاولين جاهدة إقناعه. هنا يتمُّ تهيئة القارئ كشخص يستمتع بالفعل بهذه الأفكار. فقد تقبل فتاة تبلغ من العمر حوالي اثني عشر عاماً هذه الوضعية؛ ولكنَّ امرأة في الأربعين، ربّما لا تقبل!

وفي الشكل 7.1، يتمُّ وضع الممارسات الخطابية نفسها ضمن الممارسات الاجتماعية. هذا للإشارة إلى أنَّ الخطاب هو شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية، وأنَّ استخدام اللغة ليس مجرّد نشاط فردي، ولكنَّه فعل اجتماعي. إنَّ النظر إلى الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية يجعل الالتزام بالسياق الاجتماعي الأوسع أمراً ضرورياً، لأنَّه يعني أنَّ تحليل الخطاب يجب أن يشمل الانتباه إلى "العلاقة بين النصوص والعمليات وظروفها الاجتماعية، سواء الظروف المباشرة لسياق الموقف، أو الظروف غير المباشرة للبنى المؤسسية والاجتماعية '(فيركلاف 2001: 26) وهو ما يعني إيلاء اهتمام أكبر للمجتمع والتاريخ الذي يحدث فيه الخطاب أكثر ممَّا يفعل محلّلو الخطاب عادةً. فيما الخطابات من منظور التحليل النسوي النقدي للخطاب، يتمُّ التعبير عنها داخل البنى المؤسسية والاجتماعية الأبوية. وبالنسبة إلى التحليل النقدي للخطاب المستلهم من نظرية الكوير، فإنَّ النظام الأبوي نفسه هو "جانب واحد من بنية ثقافية عامة غير متجانسة" (جونز وآخرون .2017: 312).

يوفّر مفهوم الخطاب في معناه الوارد داخل منهجية التحليل النقدي للخطاب إطاراً نظرياً قيّماً لدراسة اللغة والجندر. فلعلَّ المشكلة الدائمة التي يجدها الباحثون في اللغة والجندر تتمثّل في القدرة على التغلّب على عادية اللغة اليومية ووضوحها، وعلى الخطر الملازم للتعامل مع التجارب اليومية كما لو كانت تحدث بطريقة ما بشكل مستقل عن المجتمع. ومع النموذج الذي يعالج الخطاب كممارسة اجتماعية، المس157تخدم في التحليل النقدي للخطاب، لا يمكننا أن ننسى قط الطبيعة الاجتماعية لكلِّ خطاب. فهو يساعد على مواجهة ميل الخطاب الذي نؤدّي فيه هويّاتنا الجندرية إلى أن يكون خطاباً طبيعياً مسلّماً به.

الهوية الجندرية وموضعة الذات

يحتل الفرد الواحد عدداً من المواضع كذات اجتماعية. وتُعرف هذه المواضع بمواضع الذات. إنّها تتجلّى في الخطاب. فلا يوجد شخص مستقل عنها؛ فيتمُّ تشكيله كشخص في العمل ضمن خطابات مختلفة. فالذات منذ بداية دخولها الحياة الاجتماعية، يتمُّ وضعها ضمن بنى مؤسّسية ومجتمعية متنوّعة، وتلزمها بأدوار اجتماعية محدّدة. ونتيجة لذلك، يمكننا أن نرى الفرد عبارة عن ذات لها مواضع شتى تلزمه بها الخطابات المختلفة. فالذوات الاجتماعية تتولّى مواضع في الأنشطة الممارسة داخل المؤسسات والنظم الاجتماعية. وبهذا المعنى، هي من آثار الخطاب أكثر من كونها منتجة له. مثلاً، يصبح الشخص طبيباً فقط بالدخول إلى الخطاب الطبّي. فموضع الطبيب الذي تتخذه الذات هو من تأثير الخطاب الطبي. وليست الذات من قامت بتأليفه. فهي لم تخترعه.

يتولّى الناس مواضع ذاتية مختلفة في الخطابات. وتتغيّر المواضع طوال حياة الفرد، أو في الواقع في غضون ساعة. ضع في اعتبارك التوتّرات التي تعاني منها المرأة المسؤولة عن الرعاية اليومية لمسن، بينما تعمل في الوقت نفسه موظفة بأجر بدوام كامل. ومن الواضح أنَّ ما يُتوقّع منها أن تكون عليه، وما تفعله كشخص له جندره، ليس شيئا ثابتاً. فذاتية الفرد ليست ثابتة وراسخة و"وحدوية"؛ إنّها متنوعة ويحتمل أن تكون متناقضة. تذكر تجاربك المتغيّرة، ربّما في أثناء انتقالك من المدرسة إلى الكلّية أو من المدرسة إلى العمل، أو العودة إلى التعليم كطالب ناضج بعد سنوات من العمل بدوام كامل، أو ربّما تنتقل من رعاية الأسرة والعمل بدوام كامل إلى أن تصبح طالباً جامعياً بدوام كامل. إنّنا نمرُّ جميعاً بتحوّلات خلال حياتنا،

ونتخذ هويات جندرية مختلفة في مجتمعات أو ثقافات متباينة. ويترتّب على ذلك توتّرات، إذ تؤثّر القيم والافتراضات والأهداف علينا وتشكّلنا.

هذه التناقضات هي جزء من هوياتنا الجندرية. ولدينا جميعاً رغبات وأهداف متناقضة. ضع في اعتبارك تناقضات المطالب الجسدية المفروضة على المرأة كعاملة. التناقض راسخ فيما يراه الناس ويعتقدون في صدقه أو صحّته دائماً. كذلك لدى عديد من النساء أفكار متناقضة حول ما يمكن وما يجب عليهن فعله كعاملات منزليات (مثل التنظيف بعد التعامل مع مسنٍ مصاب بسلس البول، أو حمل أطفال ثقيلي الوزن) وما يمكنهنَّ القيام به كعاملات مدفوعات الأجر. كذلك فإنَّ النساء كذوات اجتماعية منزلية- كزوجات وأمّهات وبنات- يُتوقَّع منهنَّ القيام بأيِّ عمل ضروري في إعالة أسرهنَّ، بغضِّ النظر عن مدى صعوبة ذلك أو كرهه، ولكن يتمُّ استبعادهن في سوق العمل بحجّة مشقّة العمل وكراهته حال طلبها للعمل بالأعمال التي تعدُّ أعمالاً يقوم بها الرجال بشكل تقليدي، انطلاقاً من معتقدات بعينها حول الأنوثة. والتناقض لا يوجد فقط في أذهان هؤلاء النساء، إنَّه موجود كنتيجة لعلاقات حقيقية داخل الأسرة والعالم الاقتصادي. وقد تكون النساء غير مدركات للتناقض بين الموضعين المفروضين عليهنَّ؛ أو قد يكنَّ مدركات، ولكنهنَّ يشعرن بالعجز عن تغيير الظروف الاجتماعية التي أدّت إلى ذلك.

يأتي الناس إلى حيّز الوجود كذوات اجتماعية وهويّاتهم بديهية بالنسبة لهم. وتمنحنا هذه البديهية وَهْمَ قدرتنا على تقرير المصير، بأنَّ لدينا القدرة على النهوض بأنفسنا بجهودنا الخاصة؛ وهو وَهْمٌ يسمّيه محلّل الخطاب الفرنسي ميشيل بيشو تأثير مونخاوزن (والكلمة مستقاة من الإنجاز المذهل للبارون مونخاوزن بالقفز عبر الصدع بينما يحمل نفسه عالياً بجديلة شعره). ربّما يتعارض ذلك مع النظر لأنفسنا كذوات خاضعة للصيرورة، وتتشكّل بفعل عناصر لا ندركها في الغالب. لكنّنا، بما أنّنا مُعرَّفون ومحدّدون في الخطاب (كمرضى، طلاب، آباء...) من خلال ما يقال ويكتب عنّا، كمتحدّثين ومستمعين وكتّاب وقرّاء. نحن "عارفون مقهورون" وفاعلون مقيّدون. إنَّ إحساسنا بذواتنا، واستقلاليتنا كذوات مفكّرة تتقن اللغة، إنّما يتشكل في الخطاب.

ولكن، على الرغم من أنَّ تقرير المصير وَهْمٌ، فإنَّ هذا لا يعني أنَّ الناس يتشكّلون بشكل سلبي. فالناس ليسوا مصيريين فقط، لكنَّهم مشاركون نشطون في تكوين أنفسهم. إنَّهم

منشغلون ببناء الهويات الجندرية، ولاسيّما هويّاتهم. ويؤدّون هويّاتهم الجندرية. وإذا فكّرنا في الجندر كأمر يؤدّى، فيمكن أن يساعدنا ذلك على الابتعاد عن الانطباع الخاطئ بأنَّ الناس يتمُّ تجميعهم بشكل سلبي عن طريق الخطاب، مثل الروبوتات في خطِّ الإنتاج. فالهويّة الجندرية، إذا جاز لك القول، هي "إنجاز أدائي" (بتلر 1999: 179). وتوضّح بتلر، وهي تفكّر في عملها حول الأداء، (ص 15):

سعت وجهة النظر القائلة بأنَّ الجندر أدائي لإظهار أنَّ ما نعدّه جوهراً داخلياً للجندر يتم تصنيعه من خلال مجموعة مستدامة من الأفعال، التي يتمُّ فرضها من خلال الأسلبة الجندرية للجسد. وبهذه الطريقة، يتبيّن أنَّ ما نعدّه سمة "داخلية" لأنفسنا هو سمة نتوقّعها وننتجها من خلال أعمال جسدية معينة.

تعدُّ أفكار بتلر ذات قيمة خاصة في مناقشة الأمور الجنسية وأعود إليها في الفصل الحادي عشر.

يعد مفهوم مواضع الذات مركزياً في مقاربات تحليل الخطاب المتأثرة بما بعد البنيوية كلّها. مثلاً، يدرس علم النفس الخطاب تحوّلات مواضع الذات داخل المحادثات وخارجها:

يمكن تعريف مواضع الذات ببساطة على أنّها "مواقع" داخل المحادثة. إنّها الهويّات المكتسبة عبر طرق حديثة محدّدة، ولأنَّ هذه الطرق يمكن أن تتغيّر داخل المحادثات وفيما بينها (على سبيل المثال عند توظيف خطابات مختلفة أو ذخيرة تفسيرية)، ومن ثمَّ فإنَّ هويّات المتحدّثين تتغيّر هي الأخرى في الأقل. ومع ذلك ... يجب أن نتذكر أنَّ الناس هم أيضاً سادة اللغة، وصانعو النصوص. (إدلي 2001: 210)

قد يكون بناء الهويّات فعلاً غير سلبي، كما توضّح الدراسة التالية لحلقة نقاش تلفزيونية أمريكية (باكولز 1996). إذ تبحث الأنماط اللغوية لدى امرأتين أمريكيتين من أصل أفريقي كانتا مشاركتين في حلقة النقاش. تمَّ بث حلقة النقاش بعد فترة وجيزة من الاضطرابات المدنية، واستجابة لها، تلك الاضطرابات التي شهدتها الولايات المتّحدة عام 1992 (وقد جاءت بعد تبرئة هيئة المحلّفين لأربعة من ضبّاط شرطة في لوس أنجلوس، الضبّاط الذين اتهموا بالضرب الوحشي لرودني كينغ، الأفريقي من أصل أمريكي). تجادل ماري باكولز بأنَّ حلقة

النقاش، كنوع Genre، هي في حدِّ ذاتها مزيج من نوعين: المقابلة والمحادثة. فهناك مراوحة بين أعراف كلٍّ منهما. إذ تتحدّى المرأتان أعراف شبه المقابلة التي يفرضها منسّق المناقشة. إنَّهما يقوّضان سلطته المؤسّسية، ويفرضان أعرافاً أكثر عدالة، أي أعراف شبه المحادثة (يراجع الفصل الخامس). ويفعلان ذلك بعدّة طرق، بما في ذلك هدم أسلوب الأسئلة والأجوبة أحادي الاتجاه.

يُظهر المقتطف القصير أدناه إحدى النساء (إ هـ) اللائي بدأن هذا الاضطراب. لاحظ أنَّها تبدأ بالامتثال لمعايير المقابلة التي يتمُّ العمل بها منذ زمن بعيد. ومن خلال طلب الإذن في البداية، تقر (وربّما توضّح) بأنَّها لا تملك الحق في طرح الأسئلة وفق الأسلوب القائم في المناقشة:

إ هـ: هل يمكنني طرح (سؤال؟)

المنسق: نعم؛ امم؟

إ هـ: هل يجب أن نكون جافين جداً (هنا)؟

المنسق: (لا) (.) من فضلك

إ هـ: هل يمكننا التحدث عبر- =

المنسق: = يقاطع =

إ هـ: = أعني هل يمكننا أن نكون حقيقيين؟ =

المنسق: = نعم هيه =

إ هـ: = أعصابي مثارة، حسناً شكرا لك

(مقتبس من باكولز 1996: 276-7)

تجادل باكولز بأنَّ هاتين المرأتين استطاعتا صياغة المناقشة في شكل أكثر ملاءمة لهنَّ كنساء أمريكيات من أصل أفريقي من خلال تفكيك تنسيق الأسئلة والأجوبة أحادي الاتجاه

وبطرح الكثير من الردود البسيطة المميّزة للمحادثات غير الرسمية. وتشير إلى المنظّرات النسويات السود اللاتي جادلن بأنَّ هناك إبستمولوجيا نسوية سوداء ذات طابع مميّز أو نظرية معرفة نسوية سوداء (هووكس 1984؛ كولينز 1990). إذ يتمُّ التوصّل للمعرفة في هذه الإبستمولوجيا بالمناقشة المفتوحة، وهو أمر يجعل منهج منسّق الجلسة مستحيلاً.

كذلك تستخدم المرأتان عناصر من اللغة العامية الأفريقية الأمريكية بدلاً من اللغة الإنكليزية الأمريكية الفصحى، والأخيرة هي اللغة المستخدمة تقليدياً في البيئات الرسمية مثل المناقشات التلفازية. وكانتا تستخدمان أحياناً السمات الصوتية المميّزة للهجة الأمريكيين من أصل أفريقي، مثل تخفيف المجموعات الساكنة (إذ تصبح كلمة Just بالنطق Jus، مثلاً). كما استخدمتا بعض المفردات المعروفة بانتمائها للغة الدارجة للأمريكيين من أصل أفريقي، مثل كلمة Brother وCool out بمعنى "الرجل الأسود" و"انسحاب" على التوالي (باكولز: 1996: 279).

ومن خلال هذه الاستراتيجيات وغيرها، تفرض النساء فضائهنَّ الثقافي. وتلاحظ باكولز أنَّ "هذه الاستراتيجيات تسمح للمتحدّثين بتخريب الوضعية المجبرين عليها في التفاعل من خلال بناء هويّاتهم الاجتماعية وأنماط توافقهم التي لا تنصاع لأدوار ألزمتهم بها معايير الخطاب المؤسّسي" (ص278). فالمرأتان تتصرّفان سياسيّاً (وبطبيعة الحال، فإنَّ التغييرات التي نجحتا في إحداثها لا تكون فعّالة إلّا محلّياً ومؤقتاً). وبذلك، فإنهنَّ يؤكّدن هويّاتهنَّ الاجتماعية كنساء أمريكيات من أصل أفريقي. ويؤدين هذه الهويات الاجتماعية علانية.

تستند دراسة الخطاب في التعليم التي أجرتها فيكتوريا بيرجفال (1996) بشكل صريح إلى منظور أدائية الجندر. إذ تنظر في التفاعل اللفظي بين طلاب تخصص الهندسة، وتدرس كيفية بناء الهويّات الجندرية وممارستها، وتركز بشكل خاص على الخطاب في الفصول الدراسية وعلى مناقشات المجموعات الصغيرة. وتعدُّ الهندسة مجالاً ذكورياً تقليدياً، وعلى الرغم من أنَّ النساء الآن يدرسن ليصبحن مهندسات أيضاً، إلّا أنّه يظلُّ مجالاً متمركزاً حول الذكر بشكل كبير، سواء في مجال التعليم أو في غيره. وتسود فيه المفاهيم التقليدية للهويات الجندرية. وتلاحظ بيرجفال أنَّ هذا يتسبّب في وقوع طالبات الهندسة في مشاكل كبيرة. فمن ناحية هنَّ عالقات بمطالب متضاربة يجب عليهن الاستجابة لها. ومن ناحية أخرى، هناك حاجة اجتماعية لهنَّ للتصرّف بطرق "أنثوية" نمطيّة، إذا رغبن في المشاركة في العلاقات

الاجتماعية والجنسية القائمة على المغايرة الجنسية (بمعنى آخر، فإنَّ الرجال يواعدن فقط النساء "اللائقات"). ومن ناحية أخرى، إذا نجحن في دراستهن، فيجب عليهنَّ تأكيد أنفسهن وآرائهنَّ، ممّا قد يضعهنَّ في منافسة مع زملائهنَّ الطلاب. ويتضمّن ذلك الالتزام بسلوك تنافسي، الذي يُنظر إليه كسلوك "ذكوري". لذا فإنَّ طالبات الهندسة يؤدين "أن يكنَّ أنثويات" أمام زملائهن من الطلاب الذكور- من خلال الانصياع للتوقّعات التي تقول بضرورة استخدام أنماط الكلام التي تظهر الدعم، والتعاون، والتردّد وما شابه- وأن يقدّمن أنفسهنَّ أيضاً كحازمات وقادرات على التنافس. أي يسعين لفعل الأمرين كليهما.

تلاحظ بيرجفال أنَّ الفئات الثابتة من قبيل مذكّر ومؤنّث لا تساعد على الإطلاق في تفسير أنماط الكلام التي تلتزم بها طالبات الهندسة، فهي أنماط تشير إلى أنهنَّ يستجبن لأدوار الجندر النمطية، أدوار التأكيد والتيسير. ففي إطار نموذج "الاختلاف" الذي درسناه في الجزء الثاني، يمكن اعتبار أولاء النساء منحرفات. فمثل هذا النطاق من السلوك "الذكوري" و"الأنثوي" يمكن تفسيره فقط باستعمال نموذج الجندر كأداء. إذ لا يركز نموذج الأداء على "الفروق ثنائية التفرّع المتوقّعة في ظل الأدوار المستقطبة والفئوية المخصّصة لكلٍّ من المؤنّث والمذكّر، ولكنّه يعتمد على التأدية السلسة لأدوار الجندر في مواضع اجتماعية محددة" (بيرجفال 1996: 175). ويبدو أنَّ طالبات الهندسة يستجبن للضغوط المتضاربة ببناء هويات جندرية جديدة لأنفسهنَّ، على ما يبدو من دون أن يدركن ذلك.

وقبل الانتقال إلى مثال موسّع في القسم التالي، سوف أنهي هذا المثال بملاحظة حول كشف أيديولوجية الجندر. بالنسبة للتحليل النقدي النسوي للخطاب، فإنَّ دراسة اللغة والجندر عمل سياسي. وأجندته تحرّرية صراحة. ويُعترف بالجندر كبنية أيديولوجية أبوية تقسّم الناس إلى فئات، مثل "النساء" و"الرجال": "بناءً على الاختلاف الجنسي، إذ يفرض البناء الجندري انقساماً اجتماعياً لسمات العمل والسمات البشرية بين النساء والرجال". وتختلف التفاصيل من مجتمع إلى آخر، لكنَّ نظام "الجنس-الجندر" دائماً ما يتشابك مع العوامل السياسية والاقتصادية في كلِّ مجتمع" (لازار 2014: 186). وإنَّ أيديولوجية الجندر والتسلسلات الهرمية التي تفرضها تبدو بشكل عام طبيعية وواضحة ومسألة تتعلّق بالفطرة السليمة؛ أي تبدو مهيمنة. والهدف الرئيس هو فضح عمل الأيديولوجيا، وتجريدها من طبيعيتها. لذلك، على سبيل المثال، تكشف دراسة عن العنف المنزلي في كولومبيا عن ربط

السلطة بالذكورة، والمعاناة بالأنوثة، والإساءة بالحب (تولتون 2011). أو ما تطرحه دراسة للخطاب الإداري في أماكن العمل النيوزيلندية التي درست التوتّرات بين السلطة والأنوثة التي يتعيّن على "المرأة المسؤولة" مواجهتها (هولمز 2006). سأقدّم بعض التفاصيل عن هذه الدراسة في الفصل العاشر.

البناء الخطابي للأمومة

يبحث هذا القسم البناء الخطابي للأمومة، كمثال على دراسة تتخذ منظوراً نقدياً. فعندما تضحى المرأة حاملاً، تنجذب إلى خطاب الرعاية فيما قبل الولادة، وهو جزء من الخطاب الطبي العام. والهدف المعلن للرعاية السابقة على الولادة هو توفير الرعاية للمرأة الحامل وطفلها الذي لم يولد بعد طوال فترة الحمل حتّى يكون كلاهما بصحّة جيّدة عند الولادة. وتتضمّن رعاية ما قبل الولادة على إجراء فحوصات منتظمة لكلٍّ من المرأة والجنين، والكشف عن العيوب والأمراض والمخاطر المحتملة الأخرى. كما تشمل بشكل روتيني تقديم المشورة بشأن النظام الغذائي والتمرينات الرياضية وما شابه، فضلاً عن تقديم إرشادات حول ما يمكن توقّعه عند حلول يوم الولادة. يتجلى خطاب رعاية ما قبل الولادة في مجموعة متنوّعة من الأنواع. وتشمل الأنواع التي تنخرط فيها النساء في المجتمعات الصناعية عندما يكنَّ حوامل على فصول ما قبل الولادة، ومقابلات شبه استشارية مع الأطباء، وفحوصات التوليد، وفحوصات المستشفيات، وزيارات القابلات. وتلعب اللغة دوراً مركزيّاً في هذه الأنواع أكثر من دورها في الأنواع الأخرى.

لماذا نلقي نظرة على خطاب الرعاية فيما قبل الولادة؟ حسناً، الخطاب ممارسة اجتماعية تساهم في بناء المعرفة وتشكيل هويات الناس وعلاقاتهم. سواء أعجبك ذلك أم لا، فإنَّ الهويّات الاجتماعية للمرأة مرتبطة بقدرتها على الإنجاب. ويعدُّ الخطاب الطبي موقعاً مهمّاً للنضال حول مجال الولادة وتشكيل هويّات النساء كأمّهات. ليس الخطاب الطبي عن الحمل والولادة هو الخطاب الوحيد، لكنَّه أقوى من أيّ خطاب آخر، وأكثره انتشاراً. فخطاب رعاية ما قبل الولادة تدعمه السلطة الكامنة وراء المؤسّسة الطبيّة، السلطة التي تمارسها مهنة الطب. إنَّه الخطاب الأكثر تأثيراً في المجتمع المعاصر على ظاهرة الأمومة الاجتماعية.

لقد أجرت سارة كير، وهي باحثة دنماركية، دراسة رائعة عن البناء الخطابي للأمومة، عندما كانت طالبة دراسات عليا في جامعة لانكستر وأمّاً حاملاً (كير 1990). كان التناقض بين هويتها كباحثة و"أماً محتملة" مذهلاً للغاية. بدأ بحثها من خلال تجربتها التعامل مع الآخرين بشكل مختلف بمجرّد أن أصبحت حاملاً "رسمياً"؛ بعبارة أخرى، بمجرّد أن قابلت طبيبها وبدأت في الذهاب إلى العيادة. كان لديها شعور غير مستقر بأنّها تحوّلت إلى شخص آخر بالتفاعل الاجتماعي في أثناء الحمل. وتبحث في دراستها التعبير عن خطاب رعاية ما قبل الولادة عبر مجموعة من الأنواع، المنطوقة والمكتوبة. ومصادرها الرئيسة هي فصول ما قبل الولادة التي حضرتها والاجتماعات التي أجرتها مع طبيبها في غرفة الجراحة (وكلاهما قامت بتسجيلها صوتياً، فضلاً عن كونها مشاركة وملاحظة فيها). وتشير أيضاً إلى العديد من المواد المطبوعة، مثل كتاب الحمل الذي يتمُّ توزيعه في عيادة ما قبل الولادة. ويتضمّن عملها تاريخ طب الولادة، وهو عنصر أساسي في دراستها النقدية لخطاب الرعاية السابقة للولادة.

ما تركّز عليه كير هو المساحة التي تشغلها النساء الحوامل في خطاب الرعاية السابقة للولادة. إنّها تهتم بطريقة التعامل مع الحمل كمرض، إذ يُنظر للنساء كمريضات وللولادة كسلسلة من الإجراءات الطبّية. كما بحثت علاقات القوّة التي تتجلّى في أنواع مختلفة، ودرست السمات المخصّصة للأمّهات في خطاب رعاية ما قبل الولادة، وكيف تسهم هذه السمات في إدامة علاقات القوّة غير المتكافئة.

إنَّ الاستشارات الروتينية التي أجرتها مع طبيبها اتخذت شكل المقابلة التي تجعل الطبيب يتحكّم في الحديث طول الوقت. وقد اعتاد طرح سلسلة من العبارات والأسئلة التي تهدف إلى الحصول منها على إجابات موجزة بنعم أو لا، فهل تحرّك الطفل، وهل تورّمت أصابعه، وما إلى ذلك. أعطتها هذه الصيغة موقع المجيب محدود الدور وحال ذلك دون قيامها بطرح الأسئلة. وجرى النقاش في هذه الاستشارات بشأن وظائف جسدها (مثل ضغط الدم) وحول الطفل. هذا النوع من الحديث الرسمي يجعل من الأم مريضة "تعاني من أمراض الحمل" (أوكلي 1984: 213) وكائناً يحمل طفلاً ومجموعة من الأعراض.

أما في فصول ما قبل الولادة، تكون الأمهات متدرّبات. وفيها يصف المدرّبون الولادة كسلسلة من الإجراءات التي يقوم بها الأطباء، وليس الأمّهات أنفسهنّ. وينصبُّ التركيز فيها على إجراءات المستشفى، التي تحتاج النساء الحوامل إلى الاستعداد لها حتّى تمضي الأحوال

بسلامة. بعبارة أخرى، تعدُّ فصول ما قبل الولادة "برامج أيديولوجية" لرعاية السيّدات في المستشفى. وفي الواقع، فإنَّ فصول ما قبل الولادة التي سجّلتها كير، أهملت إطلاع النساء بشكل كافٍ على الخيارات والحقوق المتاحة عند الولادة.

النوعان المنطوقان كلاهما يعبّران عن خطاب ما قبل الولادة. وتشير كير إلى اختلاف مثير للاهتمام بينهما. ففي مقابلات الطبيب والمريضة، تكون المرأة الحامل مريضة. ومن المرجّح أن يظل الحديث طبّياً بشكل ملحوظ، من النوع الذي قد تصادفه في أيِّ زيارة لممارس عام. وفي فصول ما قبل الولادة، يتمُّ التعامل مع المرأة الحامل كمريض على وشك الولادة. ويبدو أنَّ الفصل الواحد هو تكريس للحالة المرضية، الذي يجمع بين الخطاب الطبّي (وهو خطاب موضوعي) وخطاب الأمومة والأسرة (وهو خطاب شخصي للغاية، عن المجتمع والتجربة المشتركة). والنوعان كلاهما من الخطاب جزء من رعاية ما قبل الولادة؛ وتمَّ تطبيع الأم داخل المؤسسة الطبية. وتستخدمها مهنة الطب لممارسة السلطة من خلال الإقناع (وليس بالقوّة، كما لو كانت المرأة ملزمة قانوناً بالخضوع للرعاية السابقة للولادة). وتشارك النساء الحوامل: وما تقوم به هو أمر طبيعي يجب القيام به. ولكي تنجح رعاية ما قبل الولادة، يجب إقناع النساء بالحاجة إلى الإشراف الطبي. وتؤكّد الإجراءات الطبية الروتينية- بما في ذلك المقابلات بين الطبيب والمريض- على افتراض أنَّ شيئاً ما قد يحدث بشكل خاطئ. فالحمل هو حالة طبّية، تمَّ إنشاؤها كمرض (كما في المحاكاة الساخرة الواردة في كتاب "معنى الحياة" لمونتي بايثون: "لا تقلق، سنشفيك قريباً!"). ويتمُّ التعامل مع النساء في الولادة كمريضات (يجب ألّا يقمن بأي شيء بأنفسهن، لأنهنَّ "غير مؤهّلات!"). وفي الواقع، تشير مارجوري تيو، وهي مؤرّخة طبّية، إلى أنَّ اتجاه القرن العشرين نحو دخول الأمّهات إلى المستشفيات ربّما كان له علاقة بالتنافس المهني بين أطبّاء التوليد والقابلات بقدر ما يتعلّق باحتياجات الأم والطفل: كان العلاج بالولادة في المستشفى الذي دعا إليه الأطبّاء، بزعم تحسين رفاهيّة الأمّهات والأطفال، هو في الواقع وسيلة فعّالة للغاية لاكتساب ميزة تنافسيّة عن طريق الحدِّ من قوّة ومكانة القابلات وتأكيد تفوّق الأطبّاء على منافسيهم المحترفين" (تيو 1990: 7). لقد كان صراعاً جندرياً على السلطة. فقد كانت القبالة، تاريخياً، مهنة نسائية حصراً. وكانت مهنة الطب الناشئة، بما في ذلك طب التوليد، مقتصرة على الذكور فقط.

كان الافتراض الأساسي لمهنة الطب منذ القرن الثامن عشر أنَّ المرأة لا تجيد الولادة. إنها بحاجة إلى خبير لتولّي المسؤولية. وتتمُّ الولادة على يد طبيب مدرّب، وليس على يد المرأة الحامل نفسها. على سبيل المثال، تنصُّ منشورات وحدة شارو جريين للولادة، في القسم الخاص بالقيود المفروضة في المنزل: "أنت... بحاجة إلى قابلة لتوليدك في المنزل". ولا يتمُّ تصوير المرأة التي تلد الطفل أبداً على أنها الشخص الذي يقوم بالولادة؛ إنَّها ليست أبداً الفاعل النحوي لفعل التوليد. يتمُّ تمثيل عملها إمَّا كشيء تفعله القابلة لها، كما رأينا، أو كعملية بدون فاعل. و"خلال المرحلة الثالثة من الولادة، يتمُّ تسليم المشيمة"، كما يقول كتيب أعدّه أخصائيو العلاج الطبيعي للولادة. فالأمّهات الحوامل مريضات يجهلن حالتهنَّ ويشكّلن خطراً محتملاً على أنفسهنَّ وعلى أطفالهنَّ. ووفقاً لكلير كلوز في مقال على موقع الكلية الملكية للقابلات: "ما تزال عبارات من قبيل (العجز عن التقدّم) و(رحم عاجز) فيما يتعلّق بالمرأة عند الولادة، ما تزال تستعمل في كثير من وحدات التوليد اليوم" (كلوز 2013). وفي سياق القرن العشرين، أصبح الحمل والولادة عملاً طبّياً تماماً: وذلك "مع تعريف حالات الحمل جميعها على أنَّها حالات مرضيّة محتملة، وحصلت الرعاية السابقة للولادة على تفويضها النهائي، وهو تفويض كتبته مهنة الطب بالتحالف مع مصالح الدولة في السيطرة على السكّان، تفويض يمنح درجة غير مسبوقة من الترخيص على أجساد النساء وأنماط حياتهنَّ المعتمدة (أوكلي 1984: 2). فيحقُّ لمهنة الطب تحديد ما يعنيه أن تكون أمّاً جيّدة وأن تحدّد ما تحتاج المرأة معرفته عن الولادة.

تنتشر المنشورات والكتيبات في نظام الرعاية الصحّية البريطاني. إذ تلقى الأمهات الحوامل حفنة منها. إنَّها نصوص إعلامية وإرشاديّة، تصدر أوامر لقرّائها. على سبيل المثال، إنَّ نشرة بعنوان "تقليل مخاطر وفاة المهد" أصدرتها وزارة الصحة عام 2004 تخاطب القارئ بضرورات مثل: "إذا كان طفلك مريضاً، فاطلبي المشورة الفوريّة"؛ "توقّفن عن التدخين في أثناء الحمل؛ وكذلك الآباء!" (سومرست 2006). وتميل المنشورات المختلفة التي توزّعها عيادة الولادة إلى أن تكون منشورات منشئة للمعايير. ولقد وجدت كير أنَّ هذه المواد المطبوعة لا تكتفي بإخبار المرأة الحامل بما ستشعر به، بل وتفترض نوعاً خاصاً وتقليدياً من العلاقة بين الزوج والزوجة. على سبيل المثال، كانت النشرة التي تلقّتها "كير" في مستشفى لانكستر الملكي تحتوي على عنوان "هل يمكن لزوجي مشاهدة الفحص؟"، الذي يفترض بالطبع أنَّ الأمّهات متزوّجات. وفي كتاب الأطفال من الهيئة الصحية نفسها، يوجد باب به بعنوان "كيف سيبدو" يحتوي على

تفصيلات التغييرات الجارية على الشعر والجلد والأظافر ويوصي "باستخدام غسول اليدين الجيّد والقفّازات المطّاطية لحماية يديك وأظافرك في أثناء قيامك بالواجبات المنزلية". وهذا يفترض أنّك تقومين بالأعمال المنزلية، وستستمرّين في القيام بذلك طوال فترة الحمل (على الرغم من أنّك بالكاد تستطيعين الانحناء لربط رباط حذائك...). وعلى المنوال نفسه توجد اقتراحات حول اطلبي من زوجك "المساعدة" في الأعمال المنزلية. هذه المنشورات معياريّة أيضاً بافتراض أنّك تشعرين بإيجابيّة تجاه الحمل وتوقّع الطفل ذاته. وتبدأ دائماً بعبارة "تهانينا!"، على سبيل المثال. وكثير، وربّما معظم، مشاعر النساء حول الحمل هي في الواقع مرتبكة تماماً، وحتّى إذا قرّرت المضي قدماً في ذلك، فقد لا تكوني متأكّدة تماماً ممّا إذا كانت التهاني على ما يرام.

كان كتيب وحدة شارو غرين للأمومة لعام 1996 (تمّ تأليفه في هيئة صحية مختلفة) كتيباً أقل صراحةً في افتراضاته حول نوع بنية الأسرة التي تعدُّ النساء الحوامل جزءاً منها. إنّه يتجنّب افتراض أنَّ الأزواج متزوجون، ويستعمل كثيراً الكلمة المحايدة **الشريك** أو مصطلحات مرجعية بديلة: **الزوج/ الشريك، الأب/ الشريك**. فالشركاء في علاقة خارج الزواج ليسوا مستبعدين صراحة، على عكس الأزواج فيتمُّ استبدال عبارة ("هل يمكن لزوجي مشاهدة الفحص؟") بعبارة ("الآباء/ الشركاء فقط هم القادرون على رؤية الفحص"). وفي الواقع، إذا لم يكن الأزواج في الرسوم التوضيحية من جنسين مختلفين تماماً، فقد لا يشعر الزوجان المثليّان أيضاً بالإقصاء التام.

ومع ذلك، ما يزال هذا الكتيب يهمش النساء اللواتي ليس لديهنَّ شركاء. ويتمُّ الإشارة للأمّهات الوحيدات، باختصار، في نشرة توضح بالتفصيل إعانات الدولة، وليس في أيِّ مكان آخر. ولكن هناك دلائل على وجود بعض الجهود لاستخدام لغة لا تنفر أعداداً كبيرة من النساء (بعبارة أخرى، يستجيب منتجو الكتيبات لضغوط إصلاح اللغة). وتمّت كتابة نسبة صغيرة (جدّاً) من المواد المطبوعة التي يتمُّ تسليمها للأمّهات الحوامل باللغات الهندية والغوجاراتية والبنجابية والأردية، وكذلك باللغة الإنكليزية، مراعاةً للتنوّع العرقي لمنطقة بريستون، التي تخدمها وحدة شارو غرين للأمومة.

يشير الاهتمام بالمصطلحات المرجعية في المواد المطبوعة التي أشرت إليها أعلاه إلى حدوث تغيير في الطريقة التي تعرف بها مهنة الطب مفهوم الأمومة. فلا يتمُّ تصوير الأمّهات على أنهنَّ

ربّات بيوت، مثلاً، ويتمُ الاعتراف بهنَّ كعاملات إذا كان هذا مناسباً، من الناحية الطبّية. على سبيل المثال، تنصُ نشرة صادرة عن جمعية داء القطط Toxoplasmosis Trust على أنّه "من المهم للمزارعات الحوامل أن يدركن أنَّ داء القطط يمكن أن ينتقل من الأغنام وقت الحمل". وهكذا لم يعد للزواج وأن تكون المرأة ربّة بيت أهمّية مركزية في تعريف الأم الصالحة في الخطاب الطبّي.

فضلاً عن أنَّ مهنة الطب لها الحق في تحديد ما يعنيه مفهوم الأم الصالحة، فإنَّ لها الحق أيضاً في تحديد ما يعدُ ولادة "طبيعية" وما تحتاج المرأة معرفته عنها. وتشير كلوز إلى تزايد جعل الولادة القيصرية أمراً عادياً، وتلاحظ أنّه يمكن للمرأة الآن "طلب الولادة القيصرية في غياب الحاجة الطبية تحت ستار "الاختيار"، واعتبار الولادة القيصرية بديلاً للولادة المهبلية" (كلوز 2013، نقلاً عن دوشا وكاربير 2011). وما تحتاج النساء لمعرفته حول الولادة، كما لاحظت كير، هو إلى حدٍّ كبير مسألة التدرّب كمريضات مقبلات. ففي عالم الطب، يتمُ التعامل مع الأعداد الكبيرة من الأشخاص من خلال الإجراءات الروتينية. وتعدُّ الأمّهات الحوامل، مثل المرضى الآخرين، متلقّات سلبيات للرعاية ويجب أن يمتثلن لهذه الإجراءات الروتينية. وعليهنَّ أن يألفن الولادة كسلسلة من الإجراءات الطبّية. ومن ترفض منهنَّ أن تكون مريضة جيدة- من خلال محاولة السيطرة أو رفض الامتثال- ستعدُّ مريضة مزعجة.

ومع ذلك، فإنَّ السلبية المطلوبة من الأمّهات مسألة متغيّرة، ممّا يجعل إدراكها أمراً أكثر صعوبة. فأهداف أخصائيي العلاج الطبيعي المتخصّصين في الولادة تعني أنّهم لا يريدون أن تكون المرأة مريضة سلبية تماماً. وفي كتيب يصف المراحل الثلاث للولادة ويصدره أخصائيو العلاج الطبيعي، يوصون المرأة باستراتيجيات للمواجهة في كلِّ مراحل الولادة. وعلى النقيض مع خطاب الرعاية السابقة للولادة، يمثّل هذا الكتيب القابلة والمرأة التي ولدت كشخصين متعاونين. فضلاً عن ذلك، يعرفُ جسد المرأة ما يفعله: "كوني على دراية بما يخبرك جسدك بفعله". ومن المرجح أن تشجّع هذه النصيحة المعقولة على الثقة بالنفس. وهي نصيحة لم يردّدها الأطبّاء الآخرون الذين، كما رأينا، نصّبوا أنفسهم على أنّهم من يخبرون الأم بما يجب أن تفعله. وفي هذا الصدد، تنتقد "تيو" بشدّة القيود الصارمة المفروضة على المشاركة النشطة للمرأة ومسؤوليتها عن ولادة أطفالها:

إنَّ اكتساب الثقة في معظم مجالات النشاط البشري لها أهمّية كبيرة في تحقيق نتائج ناجحة. وهذا صحيح في أيِّ مجال أكثر من مجال الولادة إذ تعتمد العمليات الفسيولوجية بشكل كامل على الحالة النفسية. وفي مجال رعاية الأمومة، سعى أطبّاء التوليد إلى جعل مهنتهم المستودع الوحيد للثقة... لقد ألهمت الثقة لعامة الناس، ولكنَّ الأهم من ذلك أنَّها دمّرت ثقة الأمهات في كفاءتهن الإنجابية. (نيو 1990: 10)

هناك دور آخر فعّال نسبياً للأم الحامل في خطاب رعاية ما قبل الولادة هو صياغة خطة الولادة، كما توصي العيادات أحياناً. إنَّه يجعلها صانع القرار (ممَّا يجعلها تشعر بالمشاركة، كما ينبغي!). ومع ذلك، فإنَّ قرارها الرئيس هو على الأرجح تحديد مخفّف الآلام الذي يجب عليها أخذه وهو واحد من خيارات متعدّدة- التحفيز الكهربائي للأعصاب عبر الجلد- وما هو إلّا خيار للمتميّزين اقتصادياً، لأنَّه يجب أن يدفع المرء ثمنه (على عكس معظم مؤسّسات الرعاية الصحية في بريطانيا، التي يتم الصرف عليها من أموال الضرائب). وبشكل عام، قد يكون الاختيار خادعاً أكثر من كونه حقيقياً. إنَّها مسألة إجراء طبي يتمُّ تقديمه وكأنَّ هناك خيارات.

لقد كنَّا نبحث في مجال معيّن من الخطاب الطبّي، مع التركيز على عدِّ الحمل والولادة حالات طبّية. ومع التعامل مع الأمّهات على أنهنَّ مريضات، فإنَّ الانقياد والطاعة والسلبية العامة مسائل ضرورية لنجاح الرعاية. لكنَّ الخطاب الطبّي لا يمارس قوّته على المرضى فقط، بل صورة الممارسين أيضاً. فأعضاء مهنة الطب هم أنفسهم صنيعة الخطاب الطبّي ومقيّدون به. فلا يُسمح لأيِّ شخص "بتوليد" الأطفال أو إجراء عمليات التوليد. ويجب عليك خوض الامتحانات والحصول على المؤهّلات (تسجّل "أوكلي" المناسبات التي شهدت إصدار المحكمة لأحكام ضدَّ الآباء لممارستهم القبالة غير القانونية، وهذه الأحكام تعبّر عن رؤية مهنة القبالة للولادات المنزلية غير المسجّلة التي يحضرها الشريك وحده: يراجع كتاب أوكلي 1984: 214). بل إنَّ شروط القبول في مهنة الطب صارمة. وبالنسبة للأطبّاء فإنَّ الاطلاع على الخطاب الطبّي يتضمّن عملية "برمجة أيديولوجية" أكثر من تلك العملية التي يخضع لها المرضى.

أخيراً، لا يعدُّ خطاب الرعاية السابقة للولادة مجموعة ثابتة من المعارف والممارسات والمواضع الذاتية. فهو خطاب يخضع للتغيير. وتحدث التغييرات، ليس فقط بالطريقة

المألوفة مع حدوث تقدّم في المجال الطبّي (برؤية التغيير من زاوية التقدّم العلمي فقط، وهي رؤية محمّلة بحدِّ ذاتها بالأيديولوجيا)، بل وعبر النضال داخل المؤسّسات الاجتماعية وبها. لقد لاحظت بالفعل تحوّلاً نحو تصوير مسألة الرعاية داخل الخدمة الصحّية الوطنية على أنّها مسألة من اختيار المريض، وهو تغيير حدث في ظلِّ التاتشرية (ميثاق المرضى). كذلك فإنّ التغييرات في الإجراءات الطبّية هي نتاج لمجموعات من الضغوط، سواء أجاءت الضغوط من مجال الخدمة الصحّية الوطنية (في حالة بريطانيا) أو أتت من الهيئات الأخرى، ومنها مثلاً الصندوق الوطني للولادة. ويأتي هذا النوع من التغيير بسبب الصراع على تعريف وتحديد السلطات التي يمنحها الخطاب الطبّي للأطباء. ففي حالة الرعاية السابقة للولادة، قد يشمل ذلك ما يجري من تدريب للنساء كمريضات عندما يصبحن حوامل، وتحديد ما تحتاج المرأة لمعرفته عن الولادة. ومن الغريب، بالنسبة للمريضات المتدرّبات الحوامل، أنَّ بعض الإجراءات الطبّية قد تصبح مسألة موضع نقاش فقط عندما تضحى قديمة. على سبيل المثال، يمكن ذكر إجراء الحقن الشرجي المزدوج في خطّة الولادة كشيء يجب "مناقشته" مع القابلة، بعد التأكيد على أنّه لا يتمُّ إجراؤه بشكل روتيني. هذه الإجراءات، التي جرت العادة على عدّها مسألة روتينية، لم يتمّ ذكرها حتّى في منشورات سابقة ويُزعم أنّها تجهّز النساء لتجربة الحمل أو لمحنتهنّ.

فحص مكوّنات الهوية الجندرية

كيف يمكن أن تكون رعاية ما قبل الولادة خلاف ذلك؟ ربّما يكون من الصعب تخيّل البدائل، ولكن عند الفحص أعتقد أنّه من الواضح أنَّ رعاية ما قبل الولادة تشكّل الأشخاص المعنيين بطرق محدّدة. لذلك يجب أن تكون هناك بدائل. وتشير تيو إلى اصطلاح "حاضرات الولادة" Birthing attendants بدلاً من القابلات Midwives، وهي إعادة صياغة تغيّر تصوّرنا للعلاقة بين النساء في أثناء الولادة ومساعديهنّ. لقد علقت على ما تتّسم به مسألة تقديم التهنئة من طابع معياري، إذ تمثّل ضغطاً على النساء ليشعرن بطريقة خاصة باحتمالية إنجاب طفل. ولكن هل هذه هي الطريقة الوحيدة لإشعارهنّ بذلك؟ ففي حالة حمل المراهقات، هل التهنئة دائماً جيّدة؟ وفي الواقع، هناك أنواع أخرى من الحديث عن الحمل، يعدُّ فيها عدم الرغبة في الحمل أمراً مسلّماً به.

عند دراسة هذه القضايا، فإنّنا ندرس التعامل مع الأمومة في المجتمع الصناعي كأمر مسلّم به اجتماعياً. ويمكن في هذا الصدد أن يساعدنا أسلوب التحليل النقدي للخطاب في تجاوز وضوح التجربة اليومية، وفي الوقوف على طبيعية أنماط الكلام، وطرق تصوير الناس. ويمكن استخدامه لبحث المفاهيم البديهية حول هويّة الجندر بغرس "الشك المثمر" في النصوص (ميلز 1995 ط 1: 21). وفيما يلي مجموعة مفيدة من الأسئلة التي طرحها كريس (1985: 7) للتغلّب على بداهة النصوص الفردية:

1. لماذا كُتِبَ هذا الموضوع ؟
2. كيف كُتِبَ؟
3. ما طرق الكتابة الأخرى المتوفّرة حوله؟

فعند محاولة اختراق حاجز الوعي البدهي، من المجدي غالباً البحث عن التوتّرات والتناقضات والصراعات. فقد يكون من المفيد البحث عن التحوّلات التي جرت على الخطابات والأنواع، كما فعلت إلى حدٍّ ما في دراسة كيفية تشكيل الأمومة خطابياً. ضع في اعتبارك أيضاً التوتّرات العامة القائمة في دراسة حلقة النقاش التي تمّ تناولها في هذا الفصل.

غالباً ما تكون نقطة الانطلاق، عند القيام بتحليل الخطاب النقدي، من تخصّص آخر. ولعلّ المنظور التاريخي- رؤية كيفية ظهور الممارسات الحالية- مهم بشكل خاص. وتقدّم الفصول المتبقّية دراسات مفصّلة، وتطرح اقتراحات للقضايا، والسمات النصّية التي تستحق البحث. لا أقوم فيها بدرس ما تفعله النساء وما يقوم به الرجال، لكنّني أقوم ببحث تربية الناس كرجال ونساء. ولقد أوليت في الفصل الحالي وفي الجزء الثالث ككل، اهتماماً أكبر بالتحليل النقدي للخطاب، لكنّني لا أحاول فرض مقاربة واحدة لبحث مكوّنات الهوية الجندرية. فالتحليل النقدي للخطاب في حدِّ ذاته ليس مقاربة واحدة محدّدة. فالأشخاص الذين يعرفون ما يقومون به على أنّه التحليل النقدي للخطاب يريدون التوافق مع إطار عمل متنوّع إلى حدٍّ ما. وضمن هذا الإطار، هناك بعض الأهداف المشتركة، وهي الكشف عن علاقات القوّة، والاهتمام بالسياق الاجتماعي الأوسع، ومراعاة دراسات الجندر، والابتعاد عن الاستقطاب الذي تعبّر عنه عبارة "الرجال يفعلون هذا، والنساء يفعلن ذلك".

سأنهي الفصل بإضافة أخرى إلى النموذج الذي كنت أقوم ببنائه: التقاطع. فلا توجد هويّة إثنية لأيّ شخص بشكل منفصل عن هويّته الجندريّة أو العمريّة. مثلما لا تعمل الإثنية والجندر والعمر بشكل منفصل؛ لذلك تتشابك قضايا العنصرية والتمييز الجنسي والشيخوخة. فالهويّات والقمع المؤسسي ليست مثل طبقات الكعكة. لقد صيغ مصطلح **التقاطع** Intersectionality للمرة الأولى على يد كيمبرلي كرينشو Kimberlé Crenshaw (1989، 1991)، المنظّر القانوني الأمريكي والمدافع عن الحقوق المدنيّة. وظهر في الثمانينيات كحقل معرفي بارز في الفكر النسوي الأسود، على الرغم من أنَّ المصطلح نفسه لم يستخدم دائماً (على سبيل المثال ديل 1983). إنَّه يسلّط الضوء على الطريقة التي تتشابك بها الهويّة والقمع والتباس الهويات وتعقّد عمليات القوّة، وبالتالي يعالج المفهوم صراحة أوضاع الذات المتعدّدة. وينطبق منظوره بالقدر ذاته على فئات الهويّة الأخرى مثل فئة الجنس والطبقة الاجتماعية والقدرة الجسديّة والدين والجنسيّة؛ وهو يُستخدم الآن في مجموعة واسعة من الدراسات، بما في ذلك الأعمال التي تدرس الممارسات الجنسيّة المهمّشة والمذمومة (على سبيل المثال ميلاني 2015).

مزيد من القراءات

الخطاب والهويّة

يقدّم كتاب بينويل وستوكو (2006) نظرة عامّة مفيدة للأساليب النظرية والتحليلية في دراسة الهويّة. وهو يركز بشدّة على كيفية وضعها موضع التنفيذ.

تحليل الخطاب النقدي

يعدُّ كتاب ماشين وماير (2012) مقدّمة واضحة لتطبيق التحليل النقدي للخطاب الذي يتضمّن التحليل البصري. وانظر أيضاً كتاب رودريك (2016).

ومن الكتب المدرسيّة المفيدة للغاية، إذ يجمع بين التحليل النقدي للخطاب وعلم اللغة البنائي الوظيفي، كتاب يونج فيتزجيرالد (2006).

ومن الكتب الرئيسة كتاب فيركلاف (1992، 2001)، وفيركلاف، مولدرينج ووداك (2011)، ووداك وماير (2001). ولتطبيق التحليل النقدي للخطاب على وسائل الإعلام، يراجع

كتاب فيركلاف (1992، 1998)، وتالبوت (2007 ط2)، وعلى الأدب، يراجع كتاب تالبوت (1995، ط2). ويمكن العثور على أمثلة لتحليل التناص لدى فيركلاف (1992، 1995) وتالبوت (2005، 2008).

وضع الذات

يتمُّ تناول هذه القضية عامّةً في الكتب الخاصة بالتحليل النقدي للخطاب. ولقراءة مفيدة لتوضيح معنى العملية المستمرّة يمكن العودة لمقال ديفز وهاري (1990)، وهو مقال في مجلّة علم النفس الاجتماعي. وانظر أيضاً مووف (1992). ويحتوي كتاب ميلز (1995 ط1) على فصل جيد عن الجندر ووضعية القارئ. وانظر أيضاً كتاب تالبوت (1995، ط1)، لاسيّما الفصل الثاني.

التقاطع

يعدُّ كتاب كولينز وبيلج (2016) بدايةً موفّقة. ولعلَّ الإصدارين: إشارات 34 (4) (2013) والجندر واللغة 12 (4) (2018) مكرّسة لقضيّة التقاطعات. وهناك مجموعة من الكتب وهي كتاب كرينشو (2019)، وهانكوك (2016)، وفيفار (2011). ويراجع كذلك كتاب يوفال-ديفيز (2016).

الحمل والأبوة

حول لغة الحمل، يراجع كتاب فريد (1996، ط2، 1999). وهناك سيرتان تفصيليتان نقديتان حول تطبيب الحمل والولادة وهما كتاب تيو (1990)، وأوكلي (1984). وبعض الأعمال حول تصوّرات الحمل والأبوّة وهي كتاب لازار (2000)، وكتاب مارشال ووليت (2000)، وباج (2003)، ورودولفدوتير (2000) وساندرلاند (2002، 2006). وللحصول على دراسة حول تشويه سمعة الأمّهات الوحيدات في الصحافة والسياسة البريطانية، انظر كتاب أتكينسيون وأيرتون وبيرنز (1998)، وبالنسبة للأمهات بعدِّهن متلقّيات "غير جديرات" في نظام الرعاية الأمريكية، انظر كتاب بيليسيير كينجفيشر (1996، ط1، 1996، ط2). (كما يوجد مقتطفات ومناقشة لهذا الكتاب الأخير في الفصل الثاني من كتاب تالبوت، وكتاب أتكينسون وأتكينسون 2003).

ويبحث كتاب بروكس وهارفي وموﻻني (2016) الخطابات متعدّدة الوسائط حول ممارسات تغذية الأطفال في تعزيز الصحة البريطانية المعاصرة. فيما يدرس كتاب ألكساندر وماكمولن (2015) التغطية الصحفية لاكتئاب ما بعد الولادة في أمريكا الشمالية.

8

النزعة الاستهلاكية

أتساءل في هذا الفصل: كيف تساعد أنواع مثل الإعلانات والمجلّات في عمليات تأسيس هويّات النساء والرجال وتوطيدها؟ كيف يمكننا تسليط الضوء على هذه العمليات من خلال تحليل لغة تلك الأنواع؟

الأنوثة

تؤكّد بعض منظّرات الأنوثة بأنّها مسألة جنسية بالكامل، مسألة أن تتعلّم أن تنظر إلى نفسك من وجهة نظر الرجل وإدراك حياتك الجنسية على أنّها هويّتك كأنثى (ماكينون 1982). وبمقتضى ذلك، فإنَّ الحاجة إلى هويّة جندرية تجبر النساء على رؤية أنفسهنَّ من خلال عيون الرجال وتنمية الخصائص الأنثوية التي يتوقّعن أنَّ الرجال يريدونها منهنَّ. ونتيجةً لذلك، فإنَّ احترام المرأة لذاتها ينحصر في استحسان مظهرها وقبول الآخرين لها، لاسيّما الرجال. وكما توضّح روزاليند كوارد، الناقدة والباحثة البريطانية:

> **تعرف معظم النساء، مقابل تكلّفتهنَّ، أنَّ المظهر ربّما يكون الطريقة الحاسمة التي يشكّل الرجال من خلالها رؤيتهم للنساء. لهذا السبب، تختلط مشاعر الصورة الذاتية بمشاعر الأمان والراحة. إذ تتشابك الصورة الذاتية في هذا المجتمع مع الحكم بالقبول والاستحسان. ولأنَّ الاستحسان قد تمَّ الإعلاء من قيمته لكونه السبب الأساسي للعلاقات الجنسيّة، يبدو للمرأة أحياناً أنَّ الاحتمال الكامل بأنّها ستكون محبوبة ومرتاحة يتوقّف على كيفية تلقّي مظهرها.**
> (كوارد 1984: 78)

إنَّ مظهر المرأة مسألة لها أهمية حيوية: فنجاح العلاقات الاجتماعية يتوقّف على كونها مرغوبةً، وأن تكون مرغوبةً أمر يتوقّف على التأثير البصري.

تقوم وسائل الإعلام بتشكيل الأنماط التقليدية للمظهر الأنثوي، إلى جوار ما تقوم به صناعة الموضة والصناعات ذات الصلة. فأن تكوني أنثى أمر يتضمّن، من بين أمور أخرى، نمطاً معيّناً من الاستهلاك. يتطلّب المظهر التقليدي للجندر قدراً كبيراً من العناية، وقدراً من التجميل، لاسيّما بالنسبة للنساء. فلابدَّ من العمل على الهويّة الأنثوية. وهو عمل تسعد معظم النساء عند القيام به. إنَّه جانب من جوانب الحياة اليومية للمرأة، ومن خلال القيام به يمكنهنَّ أن يأملن في ترسيخ هويّات اجتماعية مقبولة لأنفسهنَّ كنساء. ويقدّم لنا هذا منظوراً مختلفاً إلى حدٍّ ما عن الأنوثة. إنَّ النظر إلى الأنوثة بهذه الطريقة لا يستبعد الأهمية الكبيرة لما هو بصري وعواقبه المحتملة، ولكنَّه يقدّم الأنوثة على أنَّها أكثر من مجرّد مسألة جنسيّة. فمن وجهة النظر هذه، لا تقوم النساء فقط بتحويل أنفسهنَّ إلى موضوعات جنسيّة. إنهنَّ يشاركن بفاعلية في بناء ذاتهنَّ. ويمكننا تحويل "المؤنّث" إلى فعل: تأنيث. فعندما تذهب النساء للتسوّق لشراء الملابس ومستحضرات التجميل، فإنهنَّ يتخذن قرارات حول كيفية تأنيث أنفسهنَّ.

تمتدُّ الأنوثة عبر المؤسّسات، وتنظّم حياة المرأة بشكل استطرادي. ويمكننا عدّها عملية تشكيل خاصة للفضاء الاجتماعي. وبهذه الصفة فهي عبارة عن تكتّل من المفاهيم والموضوعات والصور وأنواع العلاقات الاجتماعية والممارسات الاجتماعية. ويتمُّ التعبير عن الأنوثة في الخطابات التجارية ووسائل الإعلام ومن خلالها، لاسيّما في صناعة المجلّات وفي صناعات موضة الملابس ومستحضرات التجميل. ولكن، الأهم من ذلك كلّه، يتمُّ التعبير عنها بأجساد النساء، على يد النساء أنفسهنَّ.

المرأة والنزعة الاستهلاكية

تتحدّد الهويّات الجندرية في المجتمعات الصناعية الحديثة عبر الظروف الاجتماعية الرأسمالية وتتأسّس في العلاقات الاجتماعية الرأسمالية. وترتبط المرأة بعلاقة مدى الحياة مع النزعة الاستهلاكية. فهي كزوجة وأم، مسؤولة كثيراً عن التسوّق لعائلاتها (على الرغم من التغييرات الجذرية في عادات التسوّق التي نجمت عن انتشار محال السوبر ماركت في النصف

الثاني من القرن العشرين). وتنشغل النساء أيضاً بشيء يمكن أن نطلق عليه "تأنيث الاستهلاك". ويتجلّى هذا في الحياة اليومية للمرأة من خلال الموارد المادية والبصرية التي تعتمد علها لتأنيث ذاتها- أي كلّ من المنتجات التي تشتريها والمفاهيم والمهارات العملية التي تحتاجها لتمكينها من استخدام هذه المنتجات. ويتمُ اكتساب خبرة استخدام هذه المنتجات بالتحدّث مع نساء أخريات أو من المجلّات. ومن ثم فإنَّ تأنيث الاستهلاك أيضاً يتجلّى في الحياة اليومية للمرأة من خلال العلاقات الاجتماعية التي تنخرط فيها. وله تأثير كبير على أنماط الصداقات، لاسيّما بين المراهقين.

إنَّ تأنيث الاستهلاك هو من فعل وسائل الإعلام، ولكن، كما قلت، يتمُ التعبير عنه عبر أجساد النساء. وتشارك المرأة بفعالية، وتنفق عليه طاقاتها الإبداعية ووقتها وكذلك أموالها. وتتشكّل معايير الموضة والجمال من خلال الصناعات التحويلية والإعلانية وصناعة الموضة والمجلّات، التي تمثّل مجموعة من الموارد المادية والرمزية لصوغ الأنوثة. وبالمشاركة في تأنيث الاستهلاك، تجعل المرأة نفسها شيئاً يتطلّب الاشتغال عليه، وبالتالي إقامة علاقة عملية مع نفسها كشيء. هذا العمل مطلوب دائماً: فلا يمكن لأيّ شخص أن يقترب من المظهر المعروض من دون جهد وإنفاق. لذلك، كما لاحظت عالمة الاجتماع الكندية دوروثي سميث (1988: 47)، فإنَّ "أجساد النساء هي دائماً غير كاملة. ودائما بحاجة إلى الإصلاح".

للمجلات النسائية صلات تاريخية وثيقة عمليا بالنزعة الاستهلاكية منذ البداية. فقد كانت أقدم الصحف الشبيهة بالمجلات عبارة عن منشورات للقرّاء الأرستقراطيين، ولكن بحلول منتصف القرن التاسع عشر ظهرت أيضاً منشورات تلبّي احتياجات الطبقات المتوسطة سريعة التوسّع في أوروبا والولايات المتحدة. هذه المجلات الموجّهة للقرّاء الطموحين من الطبقة الوسطى "تقدّم لقرّائها- الزوجات المتسلّقات اجتماعياً وبنات الطبقات المهنية ورجال الأعمال- إرشادات حول ما يجب شراؤه وارتداؤه وفعله لتعزيز تطلعاتهنّ" (فيرغسون 1983: 16). ومثل المجلات السابقة المخصّصة للأرستقراطيين، احتوت على أقسام عن الموضة، ورسائل القرّاء وردودهم، والأدب. وعلى عكس ما سبقها من مجلات، تناولت هذه المجلات أيضاً الموضوعات والأنشطة المتعلّقة بعمل المرأة غير مدفوع الأجر في المنزل. ولم يكن قرّاؤها من السيّدات الأرستقراطيات اللواتي يتمتّعن بالترفيه، ولكنهنّ من مديرات المنازل. وبدأت

المجلات في تخصيص أبواب عمليّة حول جوانب إدارة الأسرة: وصفات الطعام وأنماط الخياطة ومقالات حول إدارة الخدم في المنزل.

يمكن العثور على بدايات ما أسمّيه تأنيث الاستهلاك في هذه المنشورات الصادرة منتصف القرن التاسع عشر. إذ لعبت المجلات دوراً مهمّاً في نمو صناعة الأزياء في القرن التاسع عشر. ومن ذلك ما قامت به مجلة المرأة الإنكليزية المنزلية، مثلما قام به غيرها من المجلات المنافسة، بتغطية أحدث صيحات الموضة في باريس. وفضلاً عن عرض الصور لمشاهدتها، بدأت أيضاً في تقديم وسائل للتكيّف معها، في شكل أنماط ورقيّة (بيثام 1996: 78). ولم تكن هذه رخيصة، لكنّها جلبت أزياء باريس إلى الأسر التي لا تستطيع تحمّل تكلفة الشيء الحقيقي. فكان للمجلات دور مركزي في إضفاء الطابع الديمقراطي على الموضة، ومن المفارقات أن تتيح على نطاق واسع الملابس "الحصريّة" المصمّمة لمجموعة النخبة. وأدّى توافر الأنماط الورقيّة إلى سدّ الفجوة بين لوحات صيحات الموضة ومديرات المنازل في أسر الطبقة الوسطى، ممّا مكّن هؤلاء من تكوين أنفسهن كشبيهات للصورة. وفي هذا كنَّ منتجات- ربّما يستخدمن خدمات الخياطة- مثلهنّ مثل المستهلكين، لكن من الواضح أنَّ هناك جهداً عملياً لإعادة تكوين أنفسهنّ وفقاً للصورة الإعلامية. وتشير مارجريت بيثام، مؤرّخة مجلة بريطانية، إلى أنَّ المفاهيم التقليدية للأنوثة قد تمَّ تقويضها:

> **إنَّ النموذج المثالي الأنثوي الذي يركز على المظهر واللباس هدّد بإعادة كتابة ليس فقط التمييز الطبقي، ولكن تعريف الأنوثة محلّياً وأخلاقياً... ومثّلت لوحة صيحات الأزياء المرأة، ليس فقط جميلة في المقام الأول، وليست مفيدة أو جيّدة، ولكنّها كائن يُنظر إليه بدلاً من كونه فاعلاً أو ذاتاً.** (بيثام 1996: 78)

إن علاقة المرأة بالسوق طوال حياتها تضعها في موقع المستهلك في الخطابات المتنوّعة. هذا الموضع هو جزء من الأنوثة المقدّمة في المجلات النسائية، لأنَّ "ممارسات التأنيث" تنطوي على استخدام السلع. ومن باب الضرورة، أصبحت المجلات مشبّعة بالإعلانات (كان الإعلان هو الدعم الاقتصادي الرئيس لصناعة المجلات منذ نهاية القرن التاسع عشر). وبسبب ضغوط الشركات المصنّعة والمعلنين لديها منذ الطفرة الاستهلاكية في الخمسينيات من القرن الماضي، أصبح صعبا على محرّري المجلات تضمين أي شيء لا يرتبط مباشرة بالترويج للمنتجات. ونتيجة لذلك، تمَّ تكثيف تعريف الأنوثة كأسلوب استهلاك في المجلات.

تعدّد الأصوات في المجلات

لم يكن مصطلح **مجلة** نفسه ثابتاً بالسنوات الأولى من النشر. فالأسماء الأخرى المستخدمة في عناوين هذه المجلات هي "مستودع" و"متحف" و"منوّعات": على سبيل المثال، منوعات الأم المسيحية Christian Mother's Miscellany، ومتحف السيدة الشهري Lady's Monthly، ومستودع السيدات العصري. قبل أن تأخذ كلمة مجلة معناها الحديث السائد- كنوع خاص من النشر يحتوي على مجموعة متنوّعة من العناصر- كانت تستخدم للإشارة إلى مكان يتمُ فيه الاحتفاظ بأشياء متنوّعة: مخزن.

لطالما كانت المجلات متعدّدة الأصوات، سواء من حيث احتوائها على خطابات وأنواع مختلفة أو بمعنى وجود عدّة مؤلّفين. ولقد اعتمدت المجلات الأولى بشكل كبير على قرّائها كمؤلفين؛ ولم يكن التمييز الحديث بين تأليف الهواة والتأليف المحترف موجوداً حقّاً. ولم تقتصر مساهمات القرّاء في منشورات القرن الثامن عشر على صفحة الرسائل، كما هو الحال اليوم في معظم الأحيان. إذ قدّم القراء أيضاً أعمالهم في شكل قصص ومقالات وأشعار، بل وفي بعض الأحيان قدّموا ترجمات للمنح الدراسية المنشورة مؤخّراً.

تستشهد بيثام بقسم "ملاحظات للمساهمين" في مجلة ليدي، إذ يوبّخ محرّر تعرّض للمضايقة مترجم رواية إميل لروسو لعدم تقديمه الأقساط في الوقت المحدّد (1996: 20). ولم يتمّ دفع أجر هذه المساهمات وظهرت مطبوعة بلا صاحب. ومع ذلك، فقد وضعوا قرّاء المجلات كأعضاء في جمعية الكتاب والقرّاء بدلاً من عدِّهم مجرّد قرّاء- مستهلكين. وفي هذا الصدد، كانت المجلات الأولى مشابهة لبعض "المجلات" الحديثة (مجلات هواة أنتجها المعجبون). ومع تزايد مهنية الصحافة، تراجعت مساهمات النساء، على الرغم من أنّ ممارسة إخفاء الهوية تجعل من الصعب التأكّد من ذلك (بوولاستر وآخرون 1991: 71).

إنَّ المجلات ليست متجانسة، ولم تكن كذلك أبداً. والتنوّع سمة أساسية بها. وهي تعتمد على مجموعة واسعة من الأنواع والخطابات، وتخاطب قرّائها بعديد من الأصوات المختلفة. وتشمل الأنواع الواردة بها- الأطر التقليدية للتفاعل- صفحة الرسائل، والإعلانات، وأنواع مختلفة من أبوب الاستشارات والأبواب التعليمية وتقديم المعلومات، والسرد الأدبي، والقصة "الحقيقية". فيما تشمل الخطابات- أنواع من المعارف والممارسات- الصحافة والاقتصاد

والأسرة والموضة والعلوم (التي يعتمد عليها في أقسام "الصحة والجمال") والنسويّة بشكل انتقائي للغاية. وربّما يكون الحديث عن الأسرة أقل وضوحاً في المجلات الفاخرة ممّا هو عليه الحال في مجلات الخدمة.

هناك مجموعة أساسية متّسقة من الخطابات والأنواع عبر المجلات التي تعدُّ للقرّاء مجموعات متّسقة من الموضوعات الذاتية. فالمجلات الخدمية تركز على الاستهلاك المنزلي؛ وتخاطب المجلات الفاخرة القارئ- المستهلك كفرد مستقل. وهناك بعض الاختلاف بالطبع. وتشتهر مجلة ماري كلير بمقالاتها المنتظمة حول حقوق الإنسان، وتستجلب خطاباً سياسياً. ويتّسم تقرير من التقارير الصحفية التي تتناول الدكتاتورية العسكرية في بورما، مثلاً، بالصراحة في انتقادها لصناعة السياحة البورمية (ماري كلير، نوفمبر 1996). ويتمُّ تقديمها في قسم المقالات الخاصة في صفحة المحتويات على النحو التالي:

تقرير صحفي

مستغلون كيف يتمُّ معاملة

شعب بورما بوحشية

لبناء أجازة الجنة.

هذا التقرير نادراً ما يتكرّر في المجلات الأخرى، ونادراً ما يوجد في مجلات الخدمة. وفضلاً عن وضع القارئ في شكل ما من أشكال الخطاب السياسي، تظلُّ مقالات حقوق الإنسان في مجلة ماري كلير مقالات تجعل من القارئ ضمنياً في موضع الذات المستهلكة. ومع ذلك، فهو قارئ- مستهلك مختلف إلى حدّ ما عن أيّ موضع آخر في المنشور نفسه. إنّها توفّر للمستهلك القدرة على الاختيار والتميّز على أساس سياسي، إذ توفّر شكلاً من أشكال القوّة الاستهلاكية يسمّى أحياناً بـ"الاستهلاك الأخلاقي".

وكما لاحظت من قبل، المجلات متنوّعة وغالباً ما تحتوي على عناصر متناقضة. يمكنك اختيار أيّة مجلة والعثور على أمثلة، لكنَّ التناقضات في ماري كلير ملفتة للنظر بشكل خاص. يذكر كالادس كولنارد (1996: 251) أنَّ العناصر المتناقضة موجودة، ولكن لا تعدُّ مشكلة.

ففي خضم البريق واللمعان، ليس من الغريب أن يتمَّ التعامل بشكل نقدي مع المثل العليا المستحيلة للمظهر الأنثوي، كما هو الحال في مقابلة جانيت ستريت بورتر مع آني لينوكس:

[ج س ب]: عندما تتصفَّحين المجلات، فأنت تقصفين بصور الكمال الجسدي، ممَّا يجعلك تشعرين وكأنَّك فاشلة.

[أ. ل]: إنَّها حقاً تصل إليك في مرحلة معينة. لا يمكنك العيش في مجتمع يقصفك بالكمال من دون أن تتأثَّري به. (ماري كلير، أبريل 2008)

يبدو أنَّ المقالات المتجاورة تقوّض بعضها البعض. على سبيل المثال، مقال رأي لمؤسسة بودي شوب، بقلم الراحلة أنيتا روديك، بعنوان "لماذا أحب تجاعيدي"، يليه مقالة تسمّى "العناية بالبشرة الخاصة: كيفية إيقاف شيخوخة بشرتك" وآخر عن "علاجات مضادّة لشيخوخة العين" (ماري كلير، نوفمبر 1996). ومع ذلك، فإنَّ المقالة المخصّصة لمدح التجاعيد تعدُّ أيضاً مقالة ترويجية لمنتجات بودي شوب. والمقالات الثلاثة جميعها تعلن عن منتجات العناية بالبشرة.

إذاً متى لا يعدُّ إعلان ما إعلاناً؟ عندما يكون إعلاناً. لقد تجاوز الإعلان المساحة التي تشغلها الأنواع الأخرى في المجلات؛ إذ أصبح الحد الفاصل بين الإعلان والمواد التحريرية غير واضح. لقد ذكرت سابقاً الصعوبة التي يواجهها المحرّرون في تضمين أي شيء في مجلاتهم لا يرتبط مباشرة بترويج المنتجات. بدأت المجلات في نشر المواد الدعائية أواخر الثلاثينيات.

هذه المقالات الاستهلاكية هي إعلانات مجازة كمحتوى تحريري؛ فهي تشكّل الآن نسبة كبيرة من أي منشور. وهناك أحياناً محاولات لترسيم الحدود بين أنواع مختلفة. إذ تختلف إعلانات الصور الكبيرة بصرياً عن النص المكتوب في مقال، على سبيل المثال، أو يمكن إعطاء نص مكتوب عنواناً صغيراً يعلن أنَّه "مقال ترويجي" أو "إعلان". لكنَّ المواد التي تروّج للمنتج أكثر انتشاراً بكثير ممَّا تشير إليه هذه العلامات والإشارات المرئية. كما يوجد صوت الإعلان دائماً تقريباً.

إنَّ الخطاب الإعلامي أحادي الجانب، مجموعة من الناس تقوم بمعظم الكلام أو الكتابة. والمخاطبون هم جمهور عام؛ يتكوّن من أفراد بالطبع، لكنَّهم غير معروفين لهم على هذا النحو. ويجب على منتجي الخطاب الإعلامي تخمين من يخاطبون. يجب عليهم بناء قارئ ضمني أو مشاهد ضمني- شخص وهمي في الجمهور المستهدف- ومخاطبة ذلك الشخص. ومع ذلك، فإنَّ تخمينهم مدروس جيّداً. إذا بفضل أبحاث السوق المحكمة الموجودة تحت تصرّفهم، فإنَّهم لا يطلقون النار في الظلام.

لا شكَّ في أنَّ وسائل الإعلام مؤثِّرة. والأشخاص العاملون في وسائل الإعلام في وضع يسمح لهم بتشكيل أفكار الآخرين. ومنتجو نصوص وسائل الإعلام في موقع قوي. ومع ذلك، فإنَّ الأمور ليست مباشرة كما قد تبدو. من هم هؤلاء المنتجون المتمكّنون للمجلات؟ إنَّ مجموعات الأشخاص الذين أنتجوا معاً إصداراً هم بالكاد فاعلين أحرار. إنَّ أفعالهم، كمحرّرين ثانويين وما إلى ذلك، تخضع للسيطرة المباشرة لرئيس التحرير، الذي بدوره مقيَّد بسياسة الشركة، التي تحدّدها عملية جني الأرباح. وكما لاحظت سينثيا وايت، مؤرّخة المجلات، فإنَّ المجلات الحديثة "تُدار وفقاً لأساليب العمل الصارمة وتكون مسؤولة أمام محاسبي التكاليف" (وايت 1970: 181). ويتحقّق الربح في صناعة المجلات من خلال عائدات الإعلانات. وفي الواقع، يحتل المصنّعون وأقسام الترويج التابعة لهم معظم المنشورات لأنَّهم يزوّدون المجلات بالكثير من الإعلانات، في شكل معلومات عن المنتجات، فضلاً عن شراء مساحات إعلانية. وتعدُّ هذه المعلومات الأساس الذي تعتمد عليه عديد من العناصر التحريرية للمجلات. وفي الواقع، يطلب المصنّعون مقالات إعلانية كشرط لوضع إعلاناتهم في المقام الأول. لذا فإنَّ عدداً فعلياً من مجلة مثل ماري كلير إنَّما ينشر في ظل وجود علاقة بين الناشرين (شركة المجلات الأوربية المحدودة بالنسبة لماري كلير) ومجموعة واسعة من الشركات المصنّعة وأقسام الترويج الخاصة به. ما العواقب؟ يحدُّ التأثير القوي للمصالح التجارية من نطاق الأصوات المسموح بها في المجلات. وهذا يرقى إلى مستوى الرقابة. ففي المنشورات التي تعتمد على عائدات الإعلانات من الشركات التي تنتج مستحضرات التجميل وغيرها من منتجات التجميل، من غير المحتمل سماع رؤى نقدية حول "الصحّة والجمال". حتَّى مقالة ماري كلير في مدح التجاعيد تدعم في الوقت نفسه ما تسمّيه نعومي وولف

"أسطورة الجمال". والمقالة الموضّحة بصور لعديد من "النساء الأكبر سنأ" المعروفات اللاتي ما زلن جميلات عرفياً؛ كما رأينا في القسم الأخير، هي على أيّ حال مقالة ترويجية لمنتجات بودي شوب Body Shop. ولقد قام المعلنون بسحب حسابات الناشرين الذين تجاوزوا الخطوط المحدّدة لهم (وولف 1990: 81). وفي غياب الأصوات الناقدة، لا يمتلك القارئ سوى وجهة نظر شركة مستحضرات التجميل الخاصة بمنتجاتها، وهي وجهة نظر يتمُّ التعبير عنها في المقالات الترويجية وفي الإعلانات نفسها. وكما تلاحظ وولف بشكل لاذع، فإنَّ أيّة "امرأة تشتري منتجاً بناءً على توصية من مجلة تجميل إنّما تدفع مقابل الكذب عليها من قبل مصدّرين" (ص 82).

تستمر الرقابة بشكل فعّال في معالجة الصور المرئية أيضاً. والاستعمال القياسي لرشّاشات البخار، ومؤخّراً جدّاً، لمحسّنات الكمبيوتر، يزيل الشوائب من وجوه الموديلات غير العاديّة. يمكن للكمبيوتر أن يحوّل موديلاً شاحباً بالفعل إلى آخر مستحيل تشريحياً. ونادراً ما تُرى وجوه وأجسام النساء الحقيقية، لاسيّما في المجلات الفاخرة. إذ تقتصر صور "الأشخاص الحقيقيين" على أنواع معيّنة. وعندما يحدث ذلك، فإنّها تتجلّى في مقالات "العلاقات" (كما هو الحال في مقالة "لمّ الشمل مع الابنة التي حملت سفاحاً"، ماري كلير، تشرين الثاني (نوفمبر) 1996) وفي "الريبورتاج" (كما هو الحال في ربورتاج بورما المذكور أعلاه).

سكان النصوص

تحتوي المجلات على أصوات متعدّدة، كما رأينا. وهي "مأهولة" بعدد غير محدّد من الأصوات (تالبوت 1990، 1992، ط2، 2010). والنصوص متعدّدة الأصوات جميعها، بمعنى أنّها تحتوي دائماً على نصوص سابقة مضمّنة فيها. والنصوص، والخطاب الذي تتجلّى فيه، لهما تاريخ دائماً. ضع في اعتبارك، على سبيل المثال، مقابلة تنشر في مجلة. فمن الواضح أنَّ نص المقابلة المطبوعة مرتبط بخطاب سابق عندما أجريت المقابلة نفسها. فالعديد من النصوص الأخرى تسبق النص المطبوع، بدايةً من المناقشات التي تجرى مع المحرّر إلى الملاحظات حتّى عملية الطباعة. والخطابات التي تجرى فيها هي جزء من عملية إنتاج المقابلة في المجلة المطبوعة. إنَّ صوت المحرّر يصوغ الكلمات على الصفحة المطبوعة، حتَّى لو لم يكتبها ولا توجد آثار يمكن اكتشافها لتأثيره؛ ويمكن أن يقال إنّها جزء من سكّان النص.

ومع ذلك، غالباً ما تكون هناك آثار لأصوات الناس، حقيقية أو خيالية. فقد يكون نص معيّن متعدّد الأصوات لأنّه يحتوي على شخصيات مختلفة، أو مجموعة متنوّعة من المواقف أو وجهات النظر. وقد تتفاعل هذه الأصوات، وتدخل في حوار. ومن المدهش أنَّ صوتاً منها يمكن أن يكون صوت القارئ نفسه، أو بالأحرى القارئ الضمني. ويتجلّى صوت القارئ الضمني في المقتطف التالي. والنص مأخوذ من عدد ما في تسعينيات القرن التاسع عشر من مجلة الملكة، والقرّاء الضمنيون هم أعضاء بارزون في مجتمع لندن، يرثي لهم الكاتب لعدم عيشهم في هدوء الريف:

أنتم مخلوقات فقيرة، ما زالت محصورة بين طوب وقذائف بابل، يجب أن تنعموا بملذّاتكم وبما يسلّيكم أينما تجدونه. ولكن أينما نلتموه، عليكم أن تتقبلوا المشقّة كشرط ضروري. الآن، نحن في القرى لا نعاني هذه المشقّة، وبالتالي فإنَّ استمتاعنا بالملذّات هو استمتاع كامل تماماً نتيجة لذلك. تحبّون الموسيقى، أليس كذلك؟ وتذهبون إلى الأوبرا، إلى الحفلات الموسيقية، إلى قاعة ألبرت، لتسمعون هذا المغني وذاك- هذه القطع أو تلك. أي أنّكم تذهبون إلى تجمّع مزدحم، حيث يكون الهواء سامّاً تماماً، وتخرجون مصابون بصداعٍ ناتج عن الضوضاء والهواء السيّئ، والاندفاع ذهاباً وإياباً، ومن قعقعة الشوارع، واهتزازات سياراتكم، ومن عدم انتظامكم في تناول العشاء والنوم. نحن، على العكس من ذلك، نجلس على العشب ونستمع إلى العصافير المغردة وطيور العندليب، أو نسير جيئةً وذهاباً في درب طويل في سكون المساء الرقيق.

(مجلة كوين، 12 سبتمبر 1891)

يقدّم الكاتب حجج نخبة لندن التي يبرّرون بها الحياة في المدينة الكبيرة، ثم يطعن فيها بشيء من التفصيل ويقارن بين "الملاهي والمتع" الدنيا في لندن مع تلك التي يقدّمها الريف. ويبدو أنَّ الجملة الرابعة هي تكرار لما قاله القارئ. ويمكننا إعادة بناء المقطع كحوار، على النحو التالي، واضعين صوت القارئ:

الكاتب: نحن في القرى ليس لدينا مثل هذه المشقّة، وبالتالي فإنَّ استمتاعنا استمتاع كامل تماماً.

[القارئ: لكنّي أحب الموسيقى. ولدينا في لندن الأوبرا والحفلات الموسيقية وقاعة ألبرت هول]

الكاتب: أنت تحب الموسيقى، أليس كذلك؟

[القارئ: لم نعم أفعل! لماذا، في الأسبوع الماضي فقط سمعت عديداً من المطربين المشهورين يعزفون بعض المقطوعات الرائعة.]

الكاتب: تذهب إلى الأوبرا، إلى الحفلات الموسيقية، إلى قاعة ألبرت، لسماع هذا المغني وذاك؛ هذه المقطوعات أو تلك. أي أنّك تذهب إلى تجمع مزدحم... وما إلى ذلك.

طرحت صوت القارئ في المثال أعلاه. وفيما يلي مقتطف من صفحة الرسائل من منشور آخر غير موجود يسمّى مجلة جاكي، وهي مجلة بريطانية للقرّاء في سنّ ما قبل المراهقة. ولقد أخذت مقتطفاً من دراسة تفحص التحوّلات في العلاقة بين الكاتب والقارئ في مجلة جاكي ما بين 1970 و1990 (ويلموت 1991). ويوافق الكاتب على طلب القارئ بطباعة صورة لنجم فيلم معيّن: "أوه، تعال... ما زلت أفترض أنَّ هذا ليس سبباً، أليس كذلك؟ (لا !! - القرّاء.) إذاً ها هو الشاب الصغير نفسه (جاكي، 11 أغسطس 1990، مقتبس من كتاب ويلموت 1991: 34). وكما تلاحظ ويلموت، فإنَّ مؤلّفي نصوص جاكي مغرمين جدًّا بهذه الإستراتيجية المتمثّلة في محاكاة صوت القارئ بشكل صريح (ص40). ولقد تراجع استخدام هذه الاستراتيجية بحلول عام 1990، ولكن ما يزال من الممكن العثور عليها في قسم "Chatback" من المجلّة. وفي هذه الأيام، يقوم مؤلّفو النصوص روتينياً بذلك بطريقة احترافية عالية، كما نرى في هذه الأمثلة من صفحة المحتويات: "مهلاً، كيف أرتدي... الحذاء الأبيض؟ لم تسر الأمور على ما يرام. توقّف عن عدم الحصول على الوظيفة (كوزموبوليتان، فبراير 2018). ونجد أنَّ ما يطلق عليه مقاطع بضمير المتكلّم الموجودة بالمجلّات، تحتوي بشكل روتيني على صوت البطل في العنوان الرئيس ("أفضل علاقة جنسية لي على الإطلاق.. قصة مختصرة مع شخص غريب"، مجلة كوزموبولتيان، فبراير 2018)، بما في ذلك المجلات الخيالية تماماً (كما في "أخشى ولادة طفل كبير سيّئ" في مقال استشاري في الحمل والولادة).

يمكن تسليط الضوء على الأصوات المتعدّدة بالتركيز على ميزات نصّية معيّنة. ففي بعض الأحيان قد يكون وجود الأصوات واضحاً، كما في حالة تمثيل الكلام (غالباً يُدعى الكلام المبلغ

عنه)، إذ يتمُّ تقديم صوت صريح للقارئ بعلامات اقتباس. وقد يكون في الواقع من وحي الخيال، مثل العنوان الرئيس التالي "الزواج بعد الطلاق" ما تعلّمته للمرّة الثانية" (ماري كلير، فبراير 2018). وقد يتمُّ وضع الصوت أكثر وضوحاً مع وجود بند الإبلاغ أيضاً، كما هو الحال مع (امرأة تعترف: "ليلتي مع عاهرة ذكر"، إذ يحتوي الفعل على عملية الاعتراف اللفظية، كوزموبوليتان، نوفمبر 1995). هنا يوجد صوت وشخص ما يُزعم أنّه صاحبه أيضاً. يمكن التعرّف على الأصوات ببساطة من خلال التركيز على العمليات اللفظية والعقلية. فعندما توجد أفعال مثل فكّر، أو قال، أو عرف، أو أعجب، أو فضّل، أو عندما تتوافر أسماء مثل الاعتقاد، والرأي، والرغبة، وما شابه ذلك، فإنَّ ذلك معناه وجود آثار لأقوال أو أفكار لشخص ما مضمّنة في النص. وفي ما يلي نص- مأخوذ من مقال في مجلة كوزموبوليتان عن "فلسفة" فنغ شوي- يعبّر فيه الكاتب عن أفكار القارئ الضمني وملاحظاته: "إذا كنت أعزب وتفضّل ألّا تكون كذلك، انظر حول منزلك. ستلاحظ على الأرجح كثيراً من الأشياء المنعزلة" (كوزموبوليتان، تشرين الثاني (نوفمبر) 1995، ص 62).

قد يتحدّث الكاتب ضمنياً وبشكل أقل وضوحاً عن شخص آخر. إذ يفعل الكتّاب ذلك عندما يطرحون أسباباً أو مبرّرات لشخص آخر حول شيء ما. وبذلك يفترضون وصولهم إلى ما يفكّر فيه ذلك الشخص. والمثال التالي هو من رد على رسالة على صفحة مشكلات القرّاء الشباب. وفيها تخشى كاتبة الرسالة الخروج مع صبي بسبب ندبة أصيبت بها في طفولتها من جرّاء حادث طريق. ويتعامل الرد مع هذا التخوّف: "ربّما يكون ذلك لتقدّمك في العمر قليلاً حيث أصبحت أكثر وعياً بمظهرك؟" (جاكي، 18 مارس 1989). هنا تفترض الكاتبة ليس فقط اطلاعها على ما تفكّر فيه الفتاة، بل ومعرفتها بالسلطة المحدّدة لدوافعها. وهذه الكاتبة متردّدة في افتراضها (كما يتّضح من خلال استعمالها لكلمة ربّما، وقليلاً). وفي حالات أخرى، قد "تبلغ" الكاتبة ببساطة عن دوافع الآخرين.

وهكذا تعدُّ نصوص المجلات متعدّدة الأصوات بمعنى أنَّ مؤلّفها (كائنات موحّدة بالفعل) يغيّرون مواضعهم الذاتية في أثناء تناولهم لخطابات مختلفة، ولقد ذكرت بعضها أعلاه: خطابات الأسرة، والموضة، والاقتصاد المنزلي، والسياسة، وما إلى ذلك. كما أنّهم يغيّرون المواضع في أثناء انتقالهم من موضع إلى آخر: من شخص في دور استشاري إلى محاور، ومن كاتب مقال عن تاريخ الموضة إلى معلن، ومن ناصح للقرّاء إلى عرّاف. وتحدّد الأنواع التوقّعات

حول كيفية استمرار التفاعل. ويمكن أن تقف هذه التوقّعات موقف **السيناريو**، الذي، كما توحي الاستعارة المسرحية، إذ يكون السيناريو تعبيراً عن توقعات الناس حول الأجزاء التي تناولها المشاركون. فيضع سيناريو المقابلة توقّعات حول طبيعة الأسئلة والأجوبة المحتمل طرحها وحول من السائل ومن سيجيب. إنَّ بعض الأنواع تشبه السيناريو أكثر من غيرها. ومنها النصوص التعليمية مثل وصفات الطعام أو التمارين التي تتبع تنسيقاً نصّياً صارماً نسبياً ويكون دور المؤلّف كمعلّم واضحاً.

تتمثّل إحدى طرق تحديد موضع مؤلّفي النصوص بالنظر في نظام التصنيف. ذلك أنَّ التركيز على نظم التصنيف ييسّر فحص المفردات والموضوعات التي تقع تحت السطح، إذا جاز التعبير، بل والكشف عن الأطر المعرفيّة (التصوّرات الفكرية) المنشأة. فالصوت الإعلاني، على سبيل المثال، يحدّد لنا نظام تصنيف، ويميّز العالم الذي نعيش فيه. ففي المجلات النسائية، يرتبط نظام التصنيف بما يطرحه صنّاع الموضة من معايير للظهور أو "للمظهر"، كما يرتبط بتقسيم الجسد كموضوع مرئي يتطلّب العمل عليه. ويتمُّ تشجيع القرّاء على التمييز بين أشكال الوجه ولون البشرة و"مشاكلهما" ولون الشعر وما إلى ذلك. وقد تكون هذه المجالات المصنّفة جديدة على القرّاء؛ وتعرّضهم لها هو جزء من دخولهم في ساحة ممارسات التأنيث. وتتطلّب كلُّ منطقة محدّدة في الجسم منتجاً مختلفاً ومعالجة مختلفة. ولعلَّ واحداً من المجالات المصنّفة المهمّة والضرورية في تعليم الأنوثة هو مجموعة السلع اللازمة للقرب من "الإطلالات" المختلفة المستهدفة- تلك التي تحتاج المُمارسات إلى اكتساب القدرة على إجراء تمييز دقيق للون والشكل والملمس.

يمكن أن تساعد الملاحظات البسيطة حول الخيارات *النحوية* في تحديد صوت معيّن أو التحوّلات من صوت إلى آخر. وتعكس الخيارات النحوية المتكرّرة في النسخة الإعلانية التركيز على سلعة ما وتوافرها بدلاً من التركيز على عمليات إنتاجها. وفي كثير من الأحيان، قد يتمُّ التعبير عن المنتج ببساطة من خلال صورة فوتوغرافية مصحوبة باسم ومخزن وسعر، ولا يتمُّ إنشاء علاقة نحوية شكليّاً بينها على الإطلاق. أو قد يكون للمنتج سمة (بعض الجودة المرغوبة) مرتبطة به مع فعل الكينونة أو فعل الملكية، في جملة بسيطة مثل "ليس لديهم عطر أو لون مضاف" أو "إنّها مثالية حتّى أكثر أنواع البشرة حسّاسية". وفي المقابل، عندما

يأخذ مؤلّف الإعلانات صوت مؤرّخ الموضة، فإنَّه يميل إلى استخدام الكثير من العبارات التي تحدّد الوقت، لاسيَّما شبه الجملة مثل "في الستينيات" أو "خلال الثمانينيات".

صوت الصديق

كما رأينا، يمكن العثور على موضع ذاتي للمعلن في المجلات جميعها. وهناك شخصية أخرى يتخذها مؤلّفو المجلات بشكل متكرّر، وهي شخصية الصديق. هذا الموضع الذاتي- وهو عضو مهم في مجتمع النص في المجلة- يستحقُّ قسماً مخصوصاً له. ومع ذلك، عند التركيز على هذا المكوّن للهوية المركّبة للمؤلّف، سنحتاج إلى إيلاء مزيد من الاهتمام لساكن آخر في النص: القارئ.

إنَّ السمة المميّزة للمجلات الحديثة هي العلاقة المميّزة بين المرسل والمرسل إليه. وفي السنوات الأولى للمجلات، هناك قدر كبير من التفاعل بين منتجي المجلات وقرّائهم المخلصين. فالقرّاء، كمساهمين محتملين في النسخ، كانوا أعضاء في مجتمع الكتّاب والقرّاء بدلاً من مجرّد أن يكونوا قرّاءً- مستهلكين، كما هو الحال في معظم الأحيان. ولذلك يمكن العثور على آثار التفاعل الودّي مع المساهمين القرّاء الفرديين في المنشورات الأولى. ومع ذلك، وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت الصحافة مهنية بالكامل واقتصرت مساهمات القرّاء على أعمدة الرسائل. كما توسّع السوق ليشمل قرّاء الطبقة المتوسطة الدنيا. وتتطلّب صوت الصديق غير الرسمي الذي أصبح في النهاية سياسة تحريرية صريحة، تتطلّب محاكاة للتفاعلات ثنائية الاتجاه. وبدأ في الظهور في بريطانيا في مجلة ماي ويكلي My Weekly، وهي مطبوعة جديدة في الأسواق منخفضة الأسعار، صدرت عام 1910. وفي افتتاحية المجلة في أوّل إصداراتها، ادّعت المحرّرة معرفتها بقرّائها (وهي لا تعرفهم بالطبع) وعرضت صداقتها عليهم. ولقد وصف عديد من النقّاد صوت الصديق في المجلات النسائية بصوت الأخت أو المرأة المقرّبة (ليمان 1980؛ ماكروبي 1978؛ وينشيب 1987).

إذا وجد كتّاب المجلات صعوبة في وجود قرّاء معروفين لهم فعلياً، يتعيّن عليهم تخيّلهم. ويتضمّن افتراض وجود قارئ ضمني إنشاء تفاعل ودّي. وتنتشر في وسائل الإعلام الآن ممارسة تسمّى الشخصنة المصطنعة (فيركلاف 2001: 62). ولها ثلاثة جوانب: الانطباع بوجود تفاعل ثنائي الاتجاه؛ وأسلوب غير رسمي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتأدّب الإيجابي؛ وإقامة أرضية

مشتركة. وتختلف طريقة تحقيق الشخصنة المصطنعة عبر المنشورات. ومع ذلك، هناك بعض العناصر المشتركة، مثل المخاطبة المباشرة للقارئ.

إنَّ المخاطبة المباشرة لك شائعة للغاية على أغلفة المجلات: "جسم البيكيني مضمون. يمكنك الالتزام بهذا النظام الغذائي" (مجلة كوزموبوليتاني، يوليو 2008) و"إنَّها سنتُك! كيف تتخلّص من 9 إلى 5 للأبد (كوزموبوليتاني، فبراير 2018). كما يتكرّر استخدام ضمير الملكية المخاطب your استخداماً كثيراً، كما هو الحال في عنوان هذه المقال: "8 طرق للابتعاد عن هاتفك" (ماري كلير، فبراير 2018). كذلك تشيع المخاطبة المباشرة عند وضع الإعلانات المصوّرة، عندما لا يوجد أيّة صياغة على الإطلاق (تحتوي العديد من الإعلانات المصوّرة الحديثة، لاسيّما في المجلات الفاخرة، على كلمات قليلة بخلاف اسم المنتج). كذلك يتكرّر الضمير نحن. وهو يشير أحياناً لمحرّر بالمجلة فقط (ضمير نحن الحصري)، كما هو الحال في عنوان هذا المقال : "ثق بنا... من الجيّد أن تشعر بالضعف". ويشير أحياناً إلى المحرّر والقارئ معاً (ضمير نحن الحصري)، كما هو الحال في العنوان الفرعي للمقال نفسه:

لدينا جميعاً لحظات مربكة، عندما تبدو الحياة وكأنَّها حبل مشدود على وشك السقوط. ولكنَّ هناك جانباً إيجابياً للضعف، فهو يجلب لنا نظرة ثاقبة وفرصة للتفكير والفهم وإجراء تغييرات في حياتنا تجعلنا نشعر بأنَّنا أقوى من أيِّ وقت مضى.

(مجلة كوزموبوليتان، نوفمبر 1995، ص. 148)

يساهم ضمير نحن هنا في خلق انطباع بأنَّ كتّاب المجلات وقرّاءها مجموعة من الناس تجميعهم الكثير من القواسم المشتركة.

يساهم هذا الاستخدام للضمائر في بناء التفاعل. ولقد رأينا للتوّ محاكاة التفاعل في القسم الأخير، في مقتطف من مجلة كوين من عام 1891. ولطالما كانت الجماعية والنميمة سمة من سمات المجلات النسائية. ولم تقتصر المخاطبة المباشرة للقارئ بالضمير أنت على مجلات القرن العشرين. ففي مقتطف من مجلة كوين رأينا القارئ وهو يخاطب بالضمير أنت. ويبدو أنَّ هذا المقطع يستخدم الضمير **نحن** بشكل مختلف إلى حدٍّ ما، مع ذلك، صانعاً مقارنة بين "نحن سكان الريف" و"أنتم أهل المدينة" بدلاً من استخدامه للتعامل مع كتّاب

المجلة وقرّائها كمجتمع واحد. وفي الواقع، لم يكن من الضروري التعامل مع القرّاء كمجتمع واحد. فمجلة كوبن مجلة مجتمع، قرّاؤها من الطبقة العليا. فالهوية الجماعية واضحة بما فيه الكفاية من عمود أخبار المجتمع الذي يحمل العنوان "العشرة آلاف العليا"، وهو الوصف الذي تصف الطبقة الأرستقراطية نفسها.

إنَّ أحد جوانب صوت الصديق في المجلات أن يبدو متقلّباً كثيراً على مستوى الشكل. ففي المجلات الحديثة، يكون صوت الصديق غير رسمي. ويرتبط الأسلوب غير الرسمي ارتباطاً وثيقاً بالتأدّب الإيجابي (انظر الفصل الخامس). والسمات المرتبطة بالتأدّب الإيجابي شائعة جداً بالفعل في المجلات الحديثة. وفي بعض المنشورات، لاسيّما المنشورات المخصّصة للشباب، يفضل كتّاب التقارير بشكل ملحوظ تقليد اللغة المفترضة لجمهورهم المستهدف: هذه طريقة تسمّى "أن تكون أحد أفراد العصابة". إذ تحتوي معظم مجلات الشباب على محاولات لا هوادة فيها لاستخدام اللغة الدارجة الحالية؛ فيطلقون النكات (عادةً ما تحمل توريات بغيضة) ويزيّنون النص بعلامات التعجّب. وتتمثّل إحدى الطرق البسيطة لإبراز هذه الاستراتيجية في مقارنة المفردات غير الرسمية في النص الرئيس لإعلان ما مع شكل العبارات المطبوعة بخط صغير (التي ستصاغ بلغة رسمية).

هذه المحاكاة للجمهور المستهدف هي في الواقع جزء من اتجاه أعم. فالمجلات، مثل نصوص وسائل الإعلام الأخرى، تدّعي ضمنياً أنَّ كتّابها وقرّاءها يفكّرون بالطريقة نفسها ويفعلون الأشياء نفسها. بعبارة أخرى، يفترضون قيماً ومعايير مشتركة، وحسّاً مشتركاً. مثلاً، يعدُّ السعي وراء "الجمال"، أمراً مفروغاً منه في المجلات النسائية ببساطة. ومن المفترض أن يكون إنفاق الوقت والجهد مفيداً ولا يتمُّ التشكيك فيه. والجسم مجزّأ ومفصّل، لأنَّ كلّ جزء يتطلّب اهتماماً منفصلاً لكي يكون جميلاً. وهو ما نجده في إعلان لمزيل الشعر، الذي يطرح فيه سؤال مفاده: "هل تقومين بفعل كافٍ لمنطقة الإبط؟" يفترض هذا السؤال ***وجوب أن تفعلي شيئًا***؛ فالحاجة إلى تجميل منطقة الإبط يتمُّ طرحها في صورة حكمة مشتركة. كذلك يتمُّ عرض المفاهيم والشواغل وأسباب القلق كما لو كانت موجودة بالفعل في حياة القرّاء اليومية.

تؤسّس عديد من الافتراضات مسلّمات غامضة، كما في هذا المثال: "استكملي [كذا] جميع عروض الأزياء التراثية العظيمة الموجودة الآن بأسلوب رومانسي ناعم على غرار ما يرد

لدى شوارزكوف" (جاكي، 18 مارس 1989). هنا تجعل المؤلّفة من نفسها شخصاً يأخذ على محمل الجد الافتراض المسبق بوجود عروض أزياء تراثية رائعة حوله. كما أنّها تهيّئ القارئ ليكون شخصاً "مدركاً للموضة" وله المزاج نفسه. وهكذا تتمكّن الكاتبة من بناء هويّة لذاتها وإقامة علاقة ودّية و"وثيقة" مع القارئ من خلال ادعاء وجود أرضية مشتركة مثل هذه الأرضية وبافتراضها لوجود معرفة وخبرات مشتركة. فعندما تقوم الكَاتبة ببناء تصوّرها لقارئها الضمني فهي تفعل ذلك عبر بنائها لذاتها هوية "الشقيقة" و"الصديقة". ولن نستطيع أن نقول الكثير عن الكاتبة دون هذا القارئ الضمني أيضاً.

عندما ندرس المعرفة العامة الراسخة في النص، فإنَّ الأشياء التي يجب البحث عنها هي افتراضات تُنسب إلى القارئ أو إلينا أو تنسب ببساطة إلى "الحس المشترك" الغامض ("هل تفعلين ما يكفي للإبطين؟"، "أحمر الشفاه كما نعرفه"، "استكملي كلّ عروض الأزياء التراثية الرائعة حولنا"..). لقد رأينا أيضاً أن استعمال ضمير **نحن** يعطي انطباعاً بأنَّ كتّاب المجلات وقرّاءها هم مجموعة من الأشخاص الذين تجمعهم كثير من القواسم المشتركة. (لقد استخدمت للتوِ الضمير نحن في الجملة السابقة؛ وحينما تقرأ هذا القسم، أفترض أنّك ستشاركني وجهة نظري حول ما كتبته فيه!) إنَّ دراسة لمقال في مجلة المرأة الجديدة جاء تحت عنوان "تعلّم التحدّث... لحبيبك" قائمة بالافتراضات التي صيغت كمعرفة مشتركة. وتحتوي جملة واحدة من المقال على ثلاثة أمثلة لاستعمال الضمير **نحن**:

> **من اليوم الذي نقرّر فيه من سينام على أيّ جانب من السرير، نتفاوض مع الرجل الذي نحبّه حول كل شيء بداية من الإخلاص في العلاقة حتى الشئون المالية.**

وتعلق سيوبهان ماك إرلان على النحو التالي:

> **تطرح "*علينا*" هذه الجملة افتراضات وادعاءات كثيرة. فعلى ما يبدو "نحن" جميعاً من جنسين مختلفين؛ و"نحن" ننام مع الرجل الذي نحبّه (انسَ الأمر إذا كنت كاثوليكياً صارماً- ما لم تكن بالطبع متزوّجاً)؛ و"نحبُ الرجل إذا نمنا معه (هنا نجد جرعة من الأخلاقيات)؛ و"نحن" نتفاوض باستمرار في أثناء علاقاتنا (يمكن أن يكونوا على حق بشأن السرير، فنحن ننام في سرير واحد، وهكذا فإنَّ بعض النساء اللو اتي لا مأوى لهن ... يمكن استبعادهنَّ من هذا أيضاً!).**

(ماك إرلان 1989: 15)

يطرح كاتب مقال المرأة الجديدة كثيراً من المسلمات. ويمكن عند الانتباه إلى الأطر المعرفية وإلى نظم التصنيف أن نكتشف أيضاً المفاهيم المقدمة كمعرفة مشتركة. على سبيل المثال، في مقال حول تصفيف الشعر، كان تصفيف الشعر هو الموضوع الذي لدينا تصوّر فكري حوله. ومع ذلك، نحتاج أيضاً إلى الاعتماد على أطر ضمنية أخرى لفهمه. وفي ما يلي يُفترض أنَّ نمو شعرك هو شيء تحاولين القيام به بفاعلية: "هل تحاولين إنماء شعرك، ولكنَّك تصلين إلى تلك المرحلة الشائكة؟" (جاكي، 18 مارس 1989). إنَّه يضع نظاماً للتصنيف. فمن المفترض مسبَقاً وجود مرحلة "شائكة"، ويفترض أنَّها مرحلة واحدة من عدّة مراحل أخرى لنمو الشعر. ومن المحتمل أن تصوغ المقالة مفاهيم لقرّائها الصغار (بين العاشرة والثانية عشر)، ولكن يتمّ تقديمها على أنَّها شيء نعرفه جميعاً.

عند النظر في كيفية اختلاق المؤلّف لشخصيته الودودة، نحتاج إذاً إلى التفكير في التفاعل بين الكاتب والقارئ، لاسيَّما محاكاته أو تقليده للغة الجمهور، وقبل كلِّ شيء، بناء حسٍّ مشترك.

افتتحت هذا الفصل بمناقشة أداء المرأة الفعّال للأنوثة. ثمَّ تابعت بعد ذلك لبحث الكيفية التي تبني بها المجلات النسائية "تأنيث الاستهلاك" لدى قرّائها. فإلى جانب صناعة الموضة ومستحضرات التجميل، تقدّم صناعة المجلات موارد للمرأة للقيام بممارسات تأنيث لنفسها. إذاً، فإنَّ تأنيث الاستهلاك هو في النهاية هويّة أنثوية تحقّقها النساء لأنفسهنَّ عندما يشترين السلع ويستخدمنها. بالطبع، ليست المجلات فقط هي التي تموضع النساء كمستهلكات. إذ تلعب النساء أيضاً دوراً محورياً كمستهلكات في التلفزيون، سواء في الفواصل الإعلانية بين البرامج أو في قنوات التسوّق عبر الهاتف. ولقد ألقيت نظرة على خطاب رعاية ما قبل الولادة في الفصل الأخير. فالمنشورات التي تقدّم للنساء في عيادات ما قبل الولادة مليئة بالمواد الإعلانية؛ ذلك أنَّ وضعية الذات المستهلكة هو جزء من كونها أمّاً حاملاً.

ومع ذلك، فإنَّ تأنيث الاستهلاك ليس هو الشكل الوحيد من أشكال الهويّة الأنثوية. إذ تتخذ الأنوثة أشكالاً مختلفة، لذا يجب حقّاً أن نستعمل مصطلح الأنوثة بصيغة الجمع ونتحدّث عن الأنوثات. كما يمكن القول بأنَّ هويّات النساء لا تتشكّل فحسب من خلال

الخطابات الاستهلاكية. فساحة العمل والعلاقات الشخصية والأسرة كلّها تتقاطع معاً لتشكّل هويّات النساء. كذلك يختلف دور العامل الطبقي والإثني في تشكيل هويّة المرأة، إذ لا تكون الأنوثة شيئاً واحداً بالنسبة لكلِّ امرأة.

الرجال كمستهلكين

على مدى العقود القليلة الماضية، تزايد الترحيب بالرجال أيضاً كمستهلكين وإقناعهم بالتخلّي عن دخلهم المتاح (أو، في الواقع، تمديد ديون بطاقاتهم الائتمانية). ففي بريطانيا، من المحتمل أن تسهم المجلات المخصّصة للرجال مساهمة كبيرة في إحداث هذا التحوّل. وكما أشرت سابقاً، فإنَّ المجلات تستند إلى الاستهلاك وتصل لمرادها من خلال الخطابات الاستهلاكية. ولقد بدأت في بريطانيا المجلات الحديثة التي تدور حول نمط حياة الرجال في ثمانينيات القرن الماضي. وقد ارتبطت جميعها كثيراً بمفهوم **الإنسان الجديد**؛ وكانت مجلات الرجال البريطانية في السابق إمّا مجلات إباحية أو قائمة على الهوايات (تجديدات المنزل، والسيّارات، وزراعة البساتين، والموسيقى). وحقّقت مجلات نمط الحياة الجديدة نجاحاً تجارياً هائلاً (ربّما بسبب إلغاء القيود، ممّا أدّى إلى زيادة عائدات التسويق والإعلان). ولقد نشأت من صحافة الموسيقى والموضة وشرعت الاستهلاك للرجال، وجعلتهم مستهلكين مطّلعين. ومع ذلك كانت الساحة صعبة، نظراً للحاجة إلى التفاوض حول كلٍّ من المساحة الأنثوية المتاحة في مجلات الموضة الفاخرة وسوق مجلات الرجال الإباحية. فيما يتعلّق بالأولى، فمن المثير للاهتمام ملاحظة أنَّ المصطلح المستخدم في مجلات الرجال الذي يغطّي مجالات الصحّة والجمال والموضة (كما تعرفها المجلات النسائية) هو "العناية الشخصية" grooming. وعلى النقيض من المجلات النسائية الفاخرة، كان لدى مجلات آرينا Arena ومجلة ج ك GQ عارضون من الرجال المشاهير في الصناعات الترفيهية (مثل مخرج الأفلام ديفيد لينش). وفي تناقض محتمل مثير للاهتمام، تمَّ التعامل مع الإفراط في العمل كأمر طبيعي، وفقاً لدراسة تناولت الإفراط في الدلالة في قضية واحدة (تيتلو 1991). ففي القضية موضع الدراسة، أشار تيتلو أيضاً إلى أنَّ "العائل" جانب العمل في الذكورة المهيمنة (انظر الفصل 9) محكوماً بعوامل متفرقة.

تمَّ إطلاق مجلة "لودد" في عام 1994 وكان له نهج مختلف. وتبع ذلك على الفور تقريباً إعادة إطلاق مجلة ف هـ م FHM. وادعى المحرّرون أنّهم ابتكروا نوعاً جديداً، نوعاً غير ناضج

تماماً و"بذيء". فعلى سبيل المثال، بشّر المحرّر بإعادة التأكيد على الشكل الشبابي للذكورة التقليدية المغايرة جنسياً. والمحرّر ثرثار ومثير للسخرية ومقاومة للانشغال بـ"التزيّن" (أي الصحّة والجمال والموضة):

> **يجب أن تكون مجلة لودد مليئة بالأمور التي يدور حولها حديث الناس في الحانات، ويجب أن تترك أموراً مثل الصحة والعطور للكبار. وتذكّروا، أنَّ التزيّن هو للخيول.** (جيمس براون، افتتاحية 1995؛ مقتبس من جاكسون، ستيفنسون وبروكس 2001: 77)

ظلَّ عارضو أغلفة المجلات من الرجال في البداية، لكنَّ الرجال يتصرّفون بشكل سيّئ ("مشاهير" بأوراق اعتماد "فتيّة"). وكما هو الحال في المجلات النسائية التي تمَّت مناقشتها سابقاً، فإنَّ الشخصنة المصطنعة وفيرة. وتتجلّى بشكل مختلف نوعاً ما، مع وفرة من المزاح والابتذال (بينويل 2001، 2004، تالبوت 2007 ط2).

أصبحت منتجات العناية الشخصية التي تمَّ الاستهزاء بها في افتتاحية مجلة لودد المبكّرة أقلّ إشكالية بالنسبة للمجلات والمعلنين عمَّا كان عليه الحال في السابق. إذ ركزت وكالات الإعلان طاقاتها الإبداعية على كيفية تجميع السلع الاستهلاكية للذكور التي يُنظر إليها على أنَّها أنثوية. ويتضمّن تسويق منتجات العناية الشخصية بالرجال استمالة للقيم والاهتمامات الذكورية. وتطرح العلامة التجارية لبعض منتجات العناية الشخصية المتوفّرة في الولايات المتحدة توضيحاً. إذ يمكن تتبّع الاستخدام المجازي للاستعارات العسكرية والخاصة بالملاكمة، فيما يطرح من أسماء للمنتجات الخاصة بمجموعة العناية بالبشرة بيللي جيلاسلي التي تنتجها شركة مقرّها تكساس. فمرطّب الوجه، على سبيل المثال، هو خطوط الصراع Combat Lines. ويعدُّ منظّف الوجه المسمّى ضربة مفاجئة Sucker Punch مثالاً آخر، وصادقت عليه مجلة صحّة الرجال بوصفه "يستحق الإضافة إلى ترسانة منتجات العناية الشخصية الخاصة بك" (نقلاً عن موقع billyjealousy.com). وبطريقة مرحة، يقدّم النص الترويجي لكولونيا بيللي جيلاسلي المنتج على أنه خطير:

> **وصفة غير مشروعة، الوصفة المثالية للولد الشرّير المعقّد اليوم.**

تحذير: ابتعدوا عن الحرِّ واللهب والقُصَّر وضبّاط المراقبة. لا يمكن شحن البضائع غير المشروعة إلَّا براً بسبب لوائح المواد الخطرة.

(www.billyjealousy.com)

من الواضح أنَّ الرجال عالقون في تصنيف أجسادهم كشيء مرئي يتطلّب العمل والتعليم في الممارسات التمييزية الضرورية في هذا. ويحقّق الرجال بشكل متزايد وضعية الذكور المستهلكين عند شراء السلع واستخدامها. فهل يتحوّلون إلى "مغرمين بمظهرهم"؟ يشير النمو السريع لسوق منتجات العناية الشخصية إلى تأكيد ذلك. ولقد ظهر مصطلح "المغرمون بمظهرهم" لأوّل مرّة عام 1994، في مقال بقلم كاتب العمود البريطاني مارك سيمبسون بعنوان "هنا يأتي رجال المرايا":

إنَّ الرجل المغرم بمظهره، الشاب العازب ذو الدخل المرتفع، الذي يعيش أو يعمل في المدينة (لأنَّ المدينة هي المكان الذي توجد فيه أفضل المتاجر)، ربَّما يكون أكثر المستهلكين إثارةً لآمال السوق خلال هذا العقد. وفي الثمانينيات كان موجوداً فقط في مجلات الموضة مثل ج كي GQ، وفي الإعلانات التلفزيونية لبناطيل شركة ليفي أو في حانات المثليين. وفي التسعينيات، هو موجود في كلِّ مكان ويذهب للتسوّق. (سيمبسون 2006)

ويستخدم المؤلّف الأمريكي لكتب المساعدة الذاتية، مايكل فلوكر، المصطلح بمعنى أوسع إلى حدٍّ ما، فيشمل لديه الرجال من الأعمار جميعاً، ولاسيَّما من المشاهير. ففي مقابلة للترويج لكتابه دليل الأناقة للمغرمين بمظهرهم على قناة سي إن إن، ناقش حالة أرنولد شوارزينجر:

أوبراين: دعنا ننتقل إلى عدد قليل من الأشخاص الذين يمكن عدّهم من المغرمين بمظهرهم. ويعدُّ أرنولد شوارزنيجر من بين الأشخاص الموجودين في القائمة. لماذا؟

فلوكر: إنّه عضو حامل لبطاقة. أنت تعرف...

أوبراين: هو كذلك؟

فلوكر: نعم، لقد اعترف بحصوله على مئات الأزواج من الأحذية، وجميع ملابسه مصمّمة له خصيصاً. إنّه دائماً ما يتمُّ تزيينه بشكل لا تشوبه شائبة ويتمُّ رؤيته وهو

يأتي ويذهب من المنتجع الصحي بانتظام. ولديه مانيكير، أخصائي تجميل. ولا يترك شيئاً للصدفة.

أوبراين: ولن يقال له في وجهه أنت مخنّث.

(www.edition.cnn.com/TRANSCRIPTS)

هنا يصف فلوكر ممارسات العناية الشخصية لأحد ممثلي هوليوود الثريين السابقين ولاعب كمال الأجسام المحترف. إذ يجب الانشغال بذكورية شوارزنيجر وأن يتضمّن هذا الانشغال نمطاً معيّناً من الاستهلاك: فالانشغال بالعناية الشخصية هو جزء من حياة الممثّل.

ومع ذلك، فإنَّ قلّة من الرجال مرتاحون لمثل هذه الذكورة الاستهلاكية التي تتطلّب صيانة عالية. وفي بعض جماعات النقاش مع رجال "عاديين" في اسكتلندا، وجدت بيثان بينويل أنَّ الشباب في دراستها لديهم ردود فعل متناقضة على محتوى المجلات الخاصة بالرجال، لاسيّما إعلانات منتجات العناية الشخصية. وتبيّن من عباراتهم اتخاذ "موقف مضطرب" من خلال الضحك، إذ يعترف أحد الذين تمَّت مقابلتهم بأنَّه "جرّب شيئاً من شركة نيفيا" ردّاً منه على أحد الإعلانات (بينويل وستوكو 2006: 198). وبالطبع، فإنَّ المعلنين على وعي بهذا التناقض، بما أجروه من جماعات نقاشية بأنفسهم. ولقد أشرت للتوِّ إلى المناشدة التعويضية المطالبة بالاهتمام بكل ما هو عسكري في بعض منتجات العناية في تكساس. وهناك دراسة عن إعلانات المجلات والمقالات المتعلّقة بالعناية بالبشرة التي تكشف عن وجود تباين في استراتيجيات التسويق المستخدمة لمنتجات "مواجهة الشيخوخة" المخصّصة للنساء وتلك المستخدمة في منتجات "مواجهة الشيخوخة" المخصّصة للرجال (كوبلاند 2007). ومن بين نتائجها المثيرة للاهتمام الاقتراح القائل بأنَّ حملقة الرجال في النساء يتمُّ عرضها كمسألة مهمّة للرجال. وتؤكّد قطعة فكاهية في قسم الأبوّة والأمومة في صحيفة الجارديان هذا الاقتراح. وفي ذلك، يعرب ستيوارت هيريتيج عن قلقه بشأن عدم قدرته على التوافق مع "قمّة الذكورة الجديدة التي لا يمكن بلوغها" (سميث 2017). واستلهاماً للأبوّة الوشيكة لمؤلّفها، تسأل المقالة في عنوانها: "هل أنت أب مثير؟" وتتبع ذلك بـ"هل ترقى إلى السلالة الجديدة من الآباء المثيرين؟" (هيرتيج 2014).

لذا، فإنَّ أجساد الرجال هذه الأيام غير كاملة أيضاً. يظهر الأولاد والرجال اهتمامات وقلق مرتبط سابقاً بالنساء والفتيات. وتتكاثر المثل العليا للمظهر الذكوري في الثقافة الاستهلاكية المعاصرة، ويتمُ تداولها عبر الإعلانات في المجلات ووسائل الإعلام الأخرى. وتربط دراسة تقوم بتحليل محتوى مجلات الرجال المخنّثين والمثليين في المملكة المتحدة تقديس مثل هذا المظهر بمزيد من عدم الرضا الجسدي (يانكوفسكي وآخرون 2014). ولاحظت الدراسة أنَّ المجلات تستهدف المثليين والمخنّثين كثقافات فرعية مختلفة. وفي المجلات التي تهتم بالرجال المثليين، وجدت أنَّ احترام المثل العليا للمظهر أقوى بكثير. ولسوف نعرض لاستراتيجيات التذكير الأكثر تقليدية في الفصل التالي.

مزيد من القراءات

النزعة الاستهلاكية

حول تأنيث الاستهلاك، انظر سميث (1988)؛ وأيضا تالبوت (1992ب، 1995ب، 2010) والفصل الخامس في بينويل وستوكو (2006). ويتناول كتاب أندروز وتالبوت (2000) موضوع المرأة في الثقافة الاستهلاكية. وهناك بعض الأعمال المثيرة للاهتمام حول "التسوّق عن طريق التلفزيون" والهوية الجندرية (باكولز 1999، 2000). وانظر أيضاً كتاب ريتشاردسون (1997) والفصل الثامن في كتاب تالبوت (2007ب). وحول ذكورية المستهلك والغرمون بمظهرهم، يراجع كتاب إدوارد (1997) وهاريسون (2008). وللاطلاع على مقدمة عامة حول الثقافة الاستهلاكية، انظر كتاب ديفيز (2018).

الإعلان

ما يزال كتاب جوفمان الكلاسيكي (1978) الإعلانات الجندرية مثيراً للاهتمام بسبب تفسيراته للوضعية والإيماءات. ويوفر كتاب ليس وآخرين (2018) تغطية عامة للإعلان كفعل تواصل. فيما يقدّم كوك (2008) أربعة مجلّدات من التغطية للغة الإعلان. وللقراءة حول النسوية وما بعد النسوية في الإعلانات، انظر جيل (2007)، لازار (2007) وتالبوت (2008). وتستخدم رينجرو (2016) منهج تحليل الخطاب النقدي النسوي لإجراء مقارنة عبر ثقافية لإعلانات مستحضرات التجميل باللغتين الفرنسية والإنكليزية.

مجلات

يقدّم كتاب بيثام (1996) تاريخاً مفصلاً للمجلات البريطانية المخصّصة للنساء. وللاطلاع على التطوّرات المستقبلية لشكل المجلة، انظر أبرامسون وبريور-ميللر (2018)، ولاسيّما القسم الأخير. وللاطلاع على تحليل مفصل لقراء المجلات وكيف يستخدمون بالفعل مجلاتهم، اقرأ كتاب هيرمز (1995). وللانتقال إلى لغة المجلات، انظر كتاب ماكلوغلين (2000)، والفصل الرابع من كتاب ديلين (2000)، والفصل الثالث في كتاب ماثيسون (2005). ويقدّم كتاب تالبوت (1992 ط2) إطاراً لفحص مجتمع النص؛ بالتركيز على إعلان في مجلة بريطانية للفتيات في سن ما قبل المراهقة. كذلك يعمل كتاب تالبوت (1995 ط2) بالإطار نفسه لدراسة عروض الصداقة في الإعلانات. ويهتمُّ أوسترمان وكيلر كوهين (1998) بالاختبارات القصيرة في مجلات المراهقين الأمريكية والبرازيلية. ويفحص كالداس كولتهارد (1996) وماشين وثورنبورو (2003، 2006) مقالات المجلات النسائية حول الجنس، بينما تركز ماكلوغلين (2008) على "العروض الجنسية الخاصة" في مجلتين للمراهقين. ويغطّي كتاب ناكامورا (2005) مجلات الموضة اليابانية.

وتتوفّر مواد أقل حول مجلات الرجال؛ وجاء أكبر قدر من الاهتمام باللغة من بيثان بينويل (2001، 2002، 2003، 2004، 2005). وانظر أيضاً تالبوت (2007 ط2؛ 2014). وترسم دراسة عن راديو دي جي (تالبوت 2012) أوجه تشابه محطة الراديو المدروسة مع مجلات الفتيان في عملية النشر.

9

رجال جدد وشباب قدامى

يدور هذا الفصل حول الرجال والذكورية والتغيير ومقاومة التغيير. ويتناول كيف يمكننا تسليط الضوء على هذه القضايا من خلال التحليل اللغوي، كما هو الحال بالفصل السابق. كما يقدّم دراسات حول تكوين الهويات الذكورية في الحياة اليومية للشباب في سياقات ثقافية متنوّعة. ويدرس التمثيلات المعاصرة للذكورة المهيمنة ومقاومة تخريبها في المطبوعات وعلى الإنترنت.

ذكوريات

جادلت في الفصل الأخير بأنّه يجب الانشغال بالأنوثة. إنّها ليست مجرّد نتيجة طبيعية لكونك أنثى. وينطبق الأمر ذاته على الذكورة. وفي الواقع، إنّها تنطوي على قدر من الهشاشة أو الضعف. ولذلك يبذل الفتيان جهداً هائلاً ليصبحوا ذكوريين. وهم بحاجة إلى إبعاد أنفسهم عن أمّهاتهم، لقمع الروابط الحميمة المبكّرة مع العائل الذي يقوم برعايتهم. هذه، في الأقل، هي الحالة المعروضة في عمل نانسي تشودورو حول نظرية علاقات الأشياء في علم الاجتماع (تشودو 1978). وبحسب رؤية الدراسة، يجب على الأطفال الذكور أن يقوموا بالتفريق بين هويّتهم كذكور عن هويّة والدتهم، وهذا يؤدّي إلى القلق والأداء المتعسّف للذكورة. يجب على الأولاد إثبات رجولتهم باستمرار. بعبارة أخرى، يبدو الأمر وكأنّه عصاب. نحتاج أيضاً إلى أن نضع في اعتبارنا أنَّ الذكورة بالنسبة للفتية والرجال ذات أرباح طائلة. إذ يتعلّم الأولاد أنّهم أصحاب قيمة عالية، وأنَّ الرجولة أمر يستحق الإنجاز. ومن خلال الأداء الذكوري، يمكن للرجل أن يتوقّع جني الاحترام والمكانة وحقّ القيادة أي: "المكاسب الأبوية" (كونيل 2005: 81).

إنَّ الهويات الذكورية والأنثوية هي آثار للممارسات الخطابيّة. ويؤدّي الأفراد ذكورتهم، بالطبع، لكنَّ الذكورة ليست خاصّية أو صفة فرديّة؛ إذ يتمُّ تشكيلها داخل المؤسسات وعبر التاريخ. ومثل الأنوثة، يتمُّ إنتاجها خطابيّاً ويمتدُّ تمفصلها عبر المؤسسات. ومثل الأنوثة، يمكن عدّها جملة من المفاهيم والموضوعات والصور وأشكال من العلاقات والممارسات الاجتماعية. ولكن ما الذكورة؟ وكيف تبدو؟ ليست الإجابة على هذين السؤالين بسيطة. فهناك نسخ مختلفة للذكورة؛ أي يوجد ذكوريات بدلاً من ذكورة واحدة. والرجولة المهيمنة هي الشكل السائد، الذي يعدُّ طبيعياً، ويحظى تقليدياً بمباركة الكنيسة، ودعم الدولة، وفي النهاية، ينال قوّة ووضوح الحس المشترك. ذلك أنَّ الهيمنة لا تتحقّق بالقوّة- على الرغم من أنَّ القوّة تساعد- ولكن بالموافقة. وتشرح راوين كونيل، عالمة الاجتماع الأسترالية معنى الذكورة:

> **يمكن تعريف الذكورية المهيمنة على أنَّها تكوين لممارسة جندرية تجسّد الإجابة المقبولة حالياً لمشكلة شرعية النظام الأبوي... إنَّها الادعاء الناجح للسلطة، أكثر من العنف المباشر، هذا هو علامة الهيمنة (على الرغم من أنَّ العنف غالباً ما يؤسّس السلطة أو يدعمها)** (كونيل 2005: 77).

وتؤكّد كونيل أنَّ الذكورة ليست "جندراً ثابتاً من الشخصيات، دائماً وفي المكان نفسه" (ص76)، ولكنَّها تتغيّر باستمرار. نحن بحاجة إلى فحص كيفية وجود الرجولة المهيمنة بالنسبة إلى الذكوريات التابعة وبالنسبة للمرأة.

يتمُّ تأصيل هيمنة الرجل في المؤسّسة الأبوية للأسرة، إذ تخضع النساء والأطفال للرجل. وهناك تشابه ملحوظ بين الأسر التقليدية في مختلف الثقافات وعبر الطبقات، فالزوجات مسؤولات عن الخدمة المنزلية للرجال (بمعنى آخر، يعتنون بأجساد الرجال، ويرون أنَّ لديهم طعاماً وملابس لارتدائها). ولاحظ أنَّني لا أقول فقط إنَّ الرجال يهيمنون على النساء. ففي مكان العمل أيضاً، هناك تقسيم جنسي غير متكافئ للعمل عبر الطبقات والجماعات العرقية. والهيمنة العالمية للرجال على النساء هي حقيقة بنيوية، يمكن إثباتها من خلال الإحصاءات المتعلقة بسوق العمل، والدخل والثروة، والحكم ومواقع القوة الأخرى (للحصول على بعض الحقائق والأرقام، انظر كونيل 2005: 82). وبعض المفاهيم والممارسات والعلاقات الرئيسة المحيطة بالذكورة المهيمنة في المجتمعات الصناعية هي العقلانية، والجندر، والتسلسل الهرمي، والهيمنة، والعنف، وكونك "المعيل". لقد منح الرجال لأنفسهم مكانة متميّزة فيما

يتعلّق بالعقلانية. ولطالما استُبعدت النساء من الخطابات العقلانية المسيطرة في العلم والبيروقراطية؛ وما تزال هذه الخطابات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بذكورة الطبقة الوسطى على وجه التحديد. إنَّ جلب "أجر الأسرة" متجذّر بعمق باعتباره ذكورياً في مجموعة واسعة من الخطابات. والعمل جزء من كونك "رجل حقيقي". وتشير دراسة في مجلة الرجال أرينا Arena إلى أنَّ الرجال يتمّ تعريفهم من عملهم. وفي المقالات المتكرّرة حول المشاهير، يتمُّ وصفهم على أنّهم منهمكون في العمل إلى حدٍّ كبير ويتعاملون مع الإرهاق كأمر طبيعي. وفي مقال عن الإجهاد المرتبط بالعمل، يخاطب الكاتب القارئ عاداً إيّاه مدمناً على العمل، وعلى الرغم من أنَّ المقال يتعامل مع العمل الزائد كمشكلة على حد زعمه، إلّا أنَّ وفرة استعمال المفردات (المنخرطون في العمل، وعبودية العمل الشاق، والمتقاعصون عن العمل، ووفيات العمل، ونقل عربة الماشية) يبدو أنَّ الغاية هي تعزيز وتطبيع الوضع القائم" (تيتلو 1991: 33). وفيما يتعلّق بسوق المجلات الرجالية، كانت مجلة أرينا Arena أوائل التسعينيات تحاول القيام بأشياء لم تعد ضرورية- أي إضفاء الشرعية على الاستهلاك الذكوري والتفاوض على موقع في الفضاء "الأنثوي" لمجلات نمط الحياة البريطانية- وكان هذا المقال يقوم ببعض هذا العمل الثقافي. لكنَّ عبارة "الرجل متكسب الأجر" تعبّر عن بعد حديث من أبعاد الذكورة المهيمنة على أي حال، ممّا يوضّح لنا كيف أنَّ الهويّات الجندرية مشتبكة بالتاريخ وبالبنى الاقتصادية. وتعود أصولها إلى التصنيع، مع إنشاء "مكان العمل" و"المنزل" كمجالات منفصلة، واستبعاد النساء من العمل المأجور الذي فرضه هذا السياق. ضع في اعتبارك خاصية تعريف مختلفة إلى حدٍّ ما تمّ التعبير عنها في فيلم الأخوين كوين **يا أخي، أين أنت؟**: "أنت لست رجلاً إذا لم يكن لديك أرض".

كما توجد ممارسة رئيسة أخرى في التأسيس للذكورة وهي العنف. إذ يتمُّ إضفاء الشرعية على عنف الذكور بدرجات مختلفة عبر المؤسّسات، بداية من الألعاب الرياضية المدرسية إلى مؤسّسات الدولة، مؤسّسات الجيش والشرطة. فالجيش والشرطة مرخّص لهما باستخدام العنف. وهما يوفّران "الحماية" التي يُنظر إليها كفعل ذكوري (من المثير للاهتمام، مع ذلك، أنَّ الوجود المتزايد للنساء في الشرطة قد يغيّر هذا التصوّر، وفقاً لدراسة عن عمل الشرطة في بيتسبرغ، ماكإلهيني 1995؛ وسأعود إليها في القسم التالي). بالطبع، كثير من الناس المتلقّين للعدوان البوليسي والعسكري من الرجال. وتحدّد كونيل نمطين من العنف. أحدهما حريص على الهيمنة على النساء: فهو عبارة عن ممارسة الترهيب، بداية من التحرّش في الشارع إلى

القتل. في حين يحافظ الآخر على الحدود بين الرجال، بدءاً من "تقريع المثليات" ومعارك العصابات حتّى الحروب الدولية واسعة النطاق (كونيل 2005: 83).

تعتمد الذكورة المهيمنة على الذكوريات التابعة. وكانت المثليّة الجنسيّة هي الذكورة الخاضعة الرئيسة منذ أواخر القرن التاسع عشر. وتُفرض أشكال أخرى من الذكوريات الثانوية على الرجال الواقعين في أدنى سلّم الهرم الاجتماعي. وهناك أيضاً أشكال من المعارضة. وتحدّد كونيل معالم "الذكورة الاحتجاجية" المعارضة. ويمكننا الوقوف على ما يميّز هذا الشكل من الهوية الذكوريّة فيما يلي من وصف وارد في دراسة من دراسات الحالة: "العنف، مقاومة المدرسة، الجرائم البسيطة، تعاطي المخدّرات/ الكحول بكثرة، والعمل اليدوي، الدراجات النارية أو السيارات، العلاقات القصيرة بين الجنسين". هناك شيء مثير وجذّاب حول هذا الموضوع "(ص110). ولاحقاً في هذا الفصل، أعرض نوعاً من الهوية الذكورية التي طوّرها شباب الطبقة العاملة، عادةً في العصابات (تشير الدراسة التي أجرتها بوجولار 1997، ط 2001 إلى مفهوم "الذكورة المبسطة"). يصف كلٌّ من بوجولار وكونيل شكلاً من أشكال الذكورة يتبنّاه الشباب الذين لديهم أمل ضئيل في الحصول على عمل مجزٍ، والمهمّشين بسبب ضعف فرص العمل وسوء الإسكان. إنّها ذكورة مهمّشة، تعيد صياغة عناصر الذكورة المهيمنة في سياق الفقر. وهي هوية شكّلها الحرمان.

تجسّد الرجولة المهيمنة المُثل الثقافية. وتعدُّ أشكال التعبير الثقافي عن هيمنة الذكور متأصّلة في وسائل الإعلام. وتأمل في النموذج المبالغ فيه للذكورة المهيمنة والمتجسّد مثلاً في جيمس بوند على مرِّ السنين. ذلك لأنَّ القوّة الاجتماعية الحقيقية لا تكمن في العضلات الكبيرة أو في إظهار الشجاعة أو الوقوف بالأسلحة النارية، بل تكمن القوة في غير ذلك: أن تكون على رأس شركة متعدّدة الجنسيّات، أو جنرالاً يقود جيشاً، أو عضواً في مجلس الشيوخ أو نائباً في البرلمان. ومع ذلك، فإنَّ التجلّيات الإعلامية تدعم القوّة الذكورية. ويبدو من المرجّح أنَّ مثل هذه الصور الخيالية تساعد الرجال على الاعتماد على جوانب الذكورة المهيمنة وإعادة صياغتها. إنّها تمنح الرجال جميعاً بعض المكاسب، وإمكانية الوصول إلى المكاسب الأبويّة. وكما تلاحظ كونيل (2005: 79)، "عدد كبير من الرجال مرتبطون بمشروع الهيمنة لكنّهم لا يجسّدون الذكورة المهيمنة" بشكل صريح.

إنّه لمن المغري أن نعاملهم ببساطة على أنّهم نسخ متهوّرة من الذكورة المهيمنة- الفرق بين الرجال الذين يهتفون لمباريات كرة القدم على شاشة التلفزيون وأولئك الذين يجهدون ويواجهون أنفسهم-. ولكن غالباً ما يكون هناك شيء أكثر تحديداً وصياغة بعناية أكثر من ذلك. فغالباً ما ينطوي الزواج والأبوّة والحياة المجتمعية على تنازلات واسعة عند التعامل مع النساء بدلاً من الهيمنة المباشرة أو استعراض قوّة لا راد لها. كما نجد أنَّ كثيراً من الرجال الذين لديهم مكتسبات أبويّة يحترمون زوجاتهم وأمّهاتهم، ولا يمارسون العنف تجاه النساء قط، ويقومون بنصيبهم المعتاد من الأعمال المنزلية، ويجلبون للأسرة ما يجنونه من أجور، ويمكنهم بسهولة إقناع أنفسهم بأنَّ النسويات متطرّفات. (كونيل 2005: 81)

يمكن القول إنَّ هؤلاء الرجال متواطئون في "مشروع الهيمنة". كذلك يمكن قول الشيء نفسه أيضاً عن بعض الرجال المثليين. إذ يتضمّن قيام المثليين من الرجال بنبذ التخنّث تقليلاً من قيمة المرأة والأنوثة، وبالتالي يحمل ذلك تواطؤاً مع الهيمنة الذكورية (باكير 2005، ميلاني 2013).

لقد تمَّ نشر الكثير من الأعمال عن الذكورة في السنوات الأخيرة. وانتشر عدد كبير من كتب علم النفس الشائعة حول هذا الموضوع، وبعضها من أكثر الكتب مبيعاً. وربّما أكثرها شهرة هو كتاب آيرون جون لروبرت بلي (نُشر لأول مرة في عام 1990)، وهو كتاب يسعى لربط الرجال المعاصرين بالنماذج البدائية عند كارل يونج الموجودة في الأساطير والفولكلور، والمستبعدة من سياقها مع تجاهل تام لأصولها الثقافية. كان هناك أيضاً عدد وافر من الأبحاث حول الذكورة في العلوم الاجتماعية والدراسات الثقافية. ويبرز من بينها جميعها كتاب جاك هالبيرشتام (1998) **فصل الذكورة عن الرجال**.

لكنَّ قليلاً من هذه الأعمال حاولت التركيز على اللغة. ولعلَّ أوّل كتاب مخصّص فحسب للغة والذكورة هو لجونسون وماينهوف (1997). وبعض الأبحاث التي أشير إليها في هذا الفصل مأخوذة منه، أعني دراسة سكوت كيسلينج اجتماع انتخابي للأخوة في الكلية، ومناقشة ديبورا كاميرون للطلاب الأمريكيين وهم يثرثرون حول "المثليين"، وبحث جوان بوجولار للحديث اليومي في الشوارع بين الرجال الكاتالونيين، ودراستي للتغطية التي قامت بها صحيفة بريطانية لمسألة الإدانة بالتحرّش الجنسي.

الهيمنة والسيطرة

الهيمنة الاجتماعية لا تجعل الحياة سهلة بالنسبة للرجال. فهناك شرط مفروض على الأفراد، وهو توقّع قيامهم بتجسيد هيمنة الرجل وسيطرته. وعليهم أن يؤدّوا ذلك. هذا لا يعني أنّ القيد الذي تفرضه الذكورة على الرجال يشبه القيود التي تفرضها الأنوثة على المرأة. فقد يكون توقّع قيام الرجال بتجسيد الهيمنة صعباً، لكنّه ليس محكوماً بالقيود مثل توقّع أنّ المرأة لن تكون مهيمنة. فضلاً عن ذلك، كما تقر كيسلينج، "عندما يبني الإنسان هويّة قويّة، عادةً ما ترتبط بطريقة ما بالسلطة" الحقيقية "... تُكافأ الهوية القوية للرجل (بالقوّة)، في حين أنّ هوية المرأة التي لا حول لها ولا قوّة وقد تُعاقب "(كيسلينج 1997: 65-6). ومع ذلك، من المتوقّع أن يقوم الرجال بالهيمنة والسيطرة. ولقد قامت كيسلينج بالبحث عن استراتيجيات الخطاب التي يستخدمها أعضاء كلّية الإخوة في فرجينيا لصنع القوّة وإثباتها. وفي هذا القسم، أقدم بعض النتائج التي توصل البحث إليها، ثمّ أنتقل إلى منظورين آخرين حول هيمنة الذكور وسيطرتهم: التمثيلات الخيالية والنساء اللائي يقمن "بعمل الرجال".

تُمنح مواضع السيطرة للرجال داخل المؤسّسات؛ فالرجال لا يحقّقونها من جهودهم الخاصة وحدها. ولقد لاحظنا هذا بالفعل في دراسة تايلور وأوشس لدينامية "الأب يعرف أفضل" في الفصل الرابع. فقد تبيّن لهذين الباحثين أنّ الأمهات يجعلن من الآباء جمهوراً أساسياً وقضاة ونقاداً لأفراد الأسرة الآخرين. فحين تقول المرأة لأبنائها "هل تريدون أن أخبر أباكم بما حدث لكم اليوم؟"، فإنّها تساهم في بناء الذكورة المهيمنة.

التسلسل الهرمي للإخوة

تمثّل المشاركة في مجتمع "الإخوة" جزءاً من إعداد الطلاب الذكور لعالم العمل. حيث يكتسب الشباب ممارسات اجتماعية، تحسبا للعمل في مهن يتقلدون فيها مناصب مهيمنة. ونتيجة لذلك، يكون لديهم استثمارات كبيرة في الذكورة المهيمنة. وتتمتع مجتمعات الإخوة في الكليات الأمريكية ببناء اجتماعي هرمي مغلق ومكتفٍ بذاته. ولا يمكن الانضمام إليها إلا من أسفل. ويبدأ الأعضاء الكاملون، المعروفون باسم "الأخوّة"، كأعضاء جدد محتملين. هؤلاء "المتعهدون"، والمتعهدون هو اللقب الذي يُطلق على الأعضاء الخاضعين للاختبار، هم مواطنون من الدرجة الثانية. ويتمُ معاملة الواحد منهم معاملة الخادم، فيما هو يعتمد تماماً

على "المتعهّد بتربيته". ويتمُّ وضعه في تدريب لا يختلف عن غيره من التدريبات الموجودة في معسكرات التدريب العسكرية قبل أن يصبح عضواً كاملاً (كيسلينج 1997: 69). حتَّى بعد البدء، يكون العضو المؤهّل حديثاً تابعاً للعضو الأكبر سنّاً. هذا الهيكل الهرمي له الكثير من القواسم المشتركة مع الهيكل الهرمي لعلاقة المدرّب والمتدرّب الموجود في مطابع لندن (كوكبيرن 1983).

وفيما يلي بعض مساهمات المتحدّثين في اجتماع انتخابي. واجتماعات انتخاب الإخوة هي مناسبات رسمية وعلنية. وفي تلك المناسبات، يجب على الأعضاء استعراض سلطتهم من خلال إبداء آرائهم وتفضيلاتهم. وفي هذا الاجتماع بالذات، يتمُّ النظر في أربعة مرشحين لمنصب "مراسل الفرع"، وهو منصب يشغله تقليدياً عضو شاب حديث العهد. ألقى المرشّحون كلماتٍ ثمَّ غادروا فيما يناقشها باقي أعضاء الاجتماع. وسأقوم فقط بمقارنة الاستراتيجيات التي يستخدمها اثنان من المتحدّثين لبناء هويّات قويّة لأنفسهم. أولهم، دارتر، هو مبتدئ جديد ولا يتحدّث عادةً في الاجتماعات. هنا يتحدّث دعماً لأحد المرشّحين (إيصاله سريع للغاية):

1. دارتر: أمم ريتشي: قد يؤتي ثماره كما لو كان حقّاً
2. حماراً غبيّاً وكل شيء ولكن آه
3. إنَّه أحد أذكى الناس. أعرف
4. لقد ذهبت إلى المدرسة الثانوية معه
5. وكان يحب أن يصنّف في المرتبة الخامسة في صفنا
6. (.) ويمكنه أن يكتب جيّداً
7. كيم: هو آسيوي ماذا تتوقّع ؟
8. سبيد: (ساخراً) هل هو حقّاً؟
9. دارتر: أعني أنّه يكتب بشكل
10. (..) سريع لا يصدق (.) أممم أعتقد فقط أنَّ هذا سيكون
11. منصباً جيّداً بالنسبة له لأنّه
12. كاتب جيّد حقّاً (.) أعني أنَّني
13. قرأت كثيراً من أوراقه

(مقتبس من كيسلينج 1997: 73)

يستخدم دارتر أساليب التعبير عن التردّد عند إبداء آرائه. ففي السطور 9-10، تؤطّر أداة الشرط "سوف" عبارته كاقتراح ويخفّفها بعبارة "أعتقد فقط". فيما يؤسّس حقّه في الحديث بشأن المعرفة الشخصية التي عرض لها: فهو يعرف المرشّح من المدرسة الثانوية. وفي السطور 11-12، يبرّر رأيه المعلن، ويبرز بوضوح الأسباب الكامنة وراءه ("لأنّه كاتب جيّد حقّاً"). ويقدّم نفسه على أنّه واسع المعرفة، ولكنّه متردّد بشأن قيمة المعرفة التي يجب أن يقدّمها.

وفي المقابل، يقدّم ماك، العضو في السنة الرابعة، نفسه بشكل مختلف تماماً. لقد كان "مدرّساً متعهّداً" للأعضاء الأصغر سنّاً الحاضرين في الاجتماع، وكذلك لأحد المرشحين قيد الدراسة. ويستخدم ماك القليل جدّاً من أدوات التخفيف ويؤسّس حقّه في التحدّث بناءً على منصبه، وليس بناءً على المعرفة التي أتى بها. وقد دعاه الرئيس ميك رئيس الاجتماع للتحدّث. (لم يذكر كيسلينج ما إذا كان دارتر قد تمّت دعوته أم لا). والمشارك الآخر، بينسيل، هو مستشار الخريجين:

1. مايك : ماك
2. ماك: حسناً (..) هذا هو (..)...
3. نحن بحاجة إلى إلقاء نظرة على ما تركناه هنا
4. (.) وهناك مناصب معينة
5. يتوافق عليها الجميع تماماً (.)
6. وليست إرني مناسبة لهذا المنصب (.) لست متأكّداً من
7. أنّها المناسبة لتكون
8. مؤرخة
9. ماك: لـ كـ ني أخشى أنّنا سنضيع
10. أه أحد الأدمغة القليلة المتبقية (.)
11. في منصب يحتمل أن يكون فيه هذا المؤرّخ
12. غير موجود
13. (.) آه أعتقد أنّه لفصلين دراسيين
14. التقطت ياهو بعض الصور

15. بينسيل: نحن نتحدّث عن الفصل المرسل الآن

16. ماك: ما هذا؟ أعرف

17. بينسيل: ويمكنه شغل المنصبين كليهما

18. ماك: أفهم ذلك (.) لكنّه لن (..)

19. أري - أري كورت - أري كورت - أري كورت

20. بينسيل: ثمَّ تحدّث حول مراسل المحفل

21. (.) نقطة نظام

22. لدينا أربعة متبقين

23. بينسيل: نقطة نظام

24. ماك: أري كورت مراسلاً للمحفل (.)

25. وليس ريتشي اللعنة عليه

(مقتبس من كيسلينج 1997: 75-6)

يقدّم ماك نفسه كشخصية مرجعية بطرق مختلفة في هذا المقتطف. فعلى عكس دارتر، لا يبرّر تصريحاته أو يعدّلها بعلامات أسلوبية. تبدأ مساهمته بعبارة قاطعة: "هذا هو"؛ أو، على حدِّ تعبير كيسلينج، يبدأ "بالإشارة إلى أنَّ كلمته هي الإنجيل" (ص 76). كان إلقاؤه بطيئاً ومحمّلاً بقوّة السلطة، على عكس سرعة خطاب دارتر وتردّده. إنّه يستخدم ضمير نحن للتحدّث نيابةً عن الجماعة ككل في عباراته الفظّة القاطعة في السطور 3 و9. وباستخدام أدوات مثل العبارة الوجودية في السطر 4 ("هناك مواقف معيّنة.")، إذ يعرض آراءه كحقائق بسيطة. وفي السطور 9-14 يبدو أنّه يحاول إبراز سلطته كـ"رجل دولة أكبر" بإظهار معرفته بتاريخ الإخوة. عندما دعاه بينسيل لاتباع النظام، اختار مرشّحاً بعبارة جديرة بالرؤية (السطران 19 و 24): "أري- أري كورت- أري كورت- أري كورت-... أري كورت كمراسل للمحفل." إنّه لا يعطي أيَّ سبب على الإطلاق لتفضيله.

هناك إشارات غير لفظيّة للترتيب الهرمي للمشاركين في الاجتماع. ويحدّد ترتيب الاختيار بين هؤلاء الشباب مكان جلوسهم في حجرة الدراسة التي يجري فيها الاجتماع الانتخابي. الأكبر سنّاً يجلس على اليمين، الأصغر على اليسار. جلس ماك إلى أقصى اليمين قدر الإمكان. ولم يشغل أحد مقعداً في أقصى اليسار، وهو أمر لا يثير الدهشة (ص77).

التمثيلات

يمكن العثور على الهيمنة الذكورية بيد الرجال المسيطرين "بشكل طبيعي" في المجال العام في تمثيلات الذكورة عبر الثقافات. فغالباً ما يمكن التعرّض للتسلسلات الهرميّة بين الجنسين في التمثيلات المرئيّة. وكجزء من دراسة حول الإعلان غير التجاري في إسبانيا، تفحّص جوان نيف أرتسيلار كتاباً فكاهياً من إنتاج الحكومة يخبر الجمهور بالتغييرات التي نفّذتها الإدارة الاشتراكية (نيف فان أرتسيلر، 1997). وكانت المساواة بين الجنسين من بين السياسات والبرامج الاجتماعية للحكومة التي يديرها الاشتراكيون في إسبانيا. ومع ذلك، كان الكتاب أداة ما قبل الانتخابات لكسب الأصوات، ولم يكن في حدِّ ذاته عاملاً للتغيير الاجتماعي. وهو في عرضه "للعائلة الاشتراكية المثالية"، فإنّه يعزّز بصرياً الهويات الجندريّة الحالية بدلاً من محاولة تمثيل هويّات جديدة. وعلى غلاف الكتاب، يتمُّ تقديم الأم على أنّها، في مركز العائلة بالمعنى الحرفي للكلمة (ص164). وتقلُّ فيه حركة النساء خارج المنزل، لكنَّ النساء كثيراً ما يحدّقن بإعجاب في الرجال الذين يقومون بأمر من الأمور. وهذا تذكير آخر بأنَّ المرأة تساهم في بناء الرجولة المهيمنة. والرجال لا يفوزون بمواقع الهيمنة بجهودهم الخاصة وحدها.

كذلك يوجد الذكر المهيمن في الأعمال الأدبيّة، وليس له سيطرة أبداً إلّا في قصص المغامرات "أكشن". ففي دراسة قمت بها عن رواية رعب لجيمس هربرت، كانت سيطرة بطل الرواية الذكر على الوضع رائعاً (تالبوت 1995 ط 1: 123-37). وكانت الرواية التي درستها هي رواية "لاير"، وهي الثانية في ثلاثية هربرت عن الجرذان القاتلة الطافرة العملاقة. وفي مقطع درسته بدقّة، يندفع أحد هؤلاء المسوخ الأشرار في ممرٍ مظلم، ويهدّد الأبطال، وحشد كامل منهم يشقُّ طريقه عبر الباب. وهناك شخصيّتان أنثويّتان في المشهد. إحداهما مصابة بجروح بالغة وفاقدة للوعي، والأخرى خائفة ببساطة. كلاهما- عن وعي أو غير وعي- ليستا أكثر من مجرّد قطع من الأمتعة يسحبها البطل صعوداً وهبوطاً في الممر، ممَّا يجعل يد الرجل المسيطر لابدَّ أن تأخذها على محمل الجد. وفي دراستي، أوضحت مدى مشاركة البطل النشطة وسيطرته على الموقف من خلال درس توزيع الأفعال المتعدّية وغير المتعدّية. أي أن أظهر كيف تجعله القواعد النحوية للفقرة هو الشخص الذي يصنع الأشياء. فمعظم الأفعال التي يعدُّ هو الفاعل النحوي لها هي أفعال متعدّية (أفعال مثل يصل، يستولي، يأخذ، ولها مفعول مباشر). وفي المقابل، يتمُّ تمثيل أفعال الأبطال الآخرين، بما في ذلك الجرذ، بأفعال لازمة

(أفعال مثل انحنى، شاهد، التي لا يجب أن يكون لها مفعولاً مباشراً). وإليكم مقتطف قصير يحتوي على الأفعال المذكورة:

انحنت جيني إلى الخلف تجاه الحائط البعيد وشاهدته برعب مفتون. وصلت إليها بيندار وحمت جسدها... "لوك. تعال إلى هنا بسرعة". إنَّه "ويل" ينادي من النهاية القاتمة للممر. أمسكت بيندر ذراع جيني وأخذتها معها. (هربرت 1979: 146)

بدا المشهد بأكمله بالنسبة لي مشهداً يشبه الروتين الكوميدي، لكنَّه يقيناً لم يكن من المفترض أن يكون كذلك.

إنَّ السيطرة الذكورية هي أيضاً مركزية لأنواع أدبية أخرى. ففي الأدب الرومانسي للمرأة، يتمُّ إضفاء الإثارة الجنسية على الهيمنة الذكورية والعدوان. ففي الروايات الرومانسيّة التي نشرتها هارليكوين ميلز وبوون، تكون الأشياء المرغوبة دائماً شخصيات قويّة وجذّابة ومؤثّرة؛ ودائماً ما تقوم بترهيب البطلة (تالبوت 1995، ط1، 1997، ط1). وفي الواقع معظمها من الشخصيات المتنمّرة. ولعلَّ وجود الأبطال غير العاديين في كثير من الروايات الشعبيّة، والحكي عن مدى سيطرتهم على البطلات، تجعل من الممكن تفسيرها كمحاكاة ساخرة للسلطة الأبوية. إذ تتناقض العدوانية الذكورية المبالغ فيها والقوّة الجسديّة والعضلية مع السلبيّة الأنثويّة المبالغ فيها والضعف والارتخاء. هذا ليس صحيحاً أبداً كما هو الحال في الخيال الرومانسي الشعبي. والمقطع التالي مأخوذ من رواية رومانسية. والمكان هو مزاد، فالبطل طمأن البطلة مازحاً بأنَّها إذا بدأت بالمزايدة بتهوّر فسوف يضع يده على فمها. ويتمُّ تقديم قوّته في التغلب عليها كفعل شهواني:

سقطت نظرتها على يديه. كانت أصابعها نحيلة، سمراء، وأكبر من قدرتها على إسكاتها جسدياً. ولقد رأتها رؤية لحظيّة، داكنة وقويّة أمام شحوب بشرتها الشفافة، وابتلعت، مرعوبة، وميض الإثارة الممنوعة التي أثارتها فيها. (دونالد 1990: 22)

وفي هذا المقطع، تقع القوّة المثيرة في أيدي الشخصية. يوضّح المقطع أيضاً آلية أخرى تستخدم بشكل متكرّر. فهناك تباين بصري بين "الشحوب الشفاف" لدى المرأة والجلد

الداكن والأسمر في يدي الرجل. إذ تعتمد الإثارة الجنسية في هرليكوين ميلز وبوون على تعظيم الفروق الجندرية.

عمل الرجال

ولكن دعونا نعود إلى العالم الحقيقي. يُنظر إلى عمل الشرطة، بوصفه عملاً يتطلّب القوّة وأحياناً العنف، أي عمل ذكوري. ولكن ما الذي يتعيّن على النساء فعله عندما يشغلن وظائف "ذكوريّة"، وماذا يحدث للذكورة المتصوَّرة للوظائف عندما يتقلدنها؟ هاتان المسألتان تناولتهما بوني ماكلهيني في دراستها للشرطة في بيتسبرغ (ماكإلهيني 1995، 2002). ونتيجة لبرنامج العمل الإيجابي طويل الأجل في بيتسبرغ، شكّلت النساء الآن 25% من قوّة الشرطة (هناك رقم مشابه لوجود النساء والرجال الأمريكيين من أصل أفريقي). وينصح ناصحو النساء اللواتي يحاولن دخول مجال وظائف "الياقات الزرقاء" الذكورية (الوظائف التي يُنظر إليها على أنّها تنطوي على القوّة والقدرات البدنيّة) باستراتيجيات مختلفة تتضمّن التلاعب بالعلامات الجندرية. إذ يتضمّن ذلك نصائح حول الملابس وما شابه: "يتمُّ تدريب النساء بشكل متكرّر، على سبيل المثال، على ارتداء قمصان بأكمام طويلة وسترات كبيرة الحجم للإشارة إلى قوّة الجزء العلوي من الجسم، والأحذية البالية للإشارة إلى الألفة بالعمل الشاق"(ماكإلهيني 1995 :220). ومن المفارقات أنَّ النساء في الوظائف "الذكوريّة" بحاجة إلى أداء جندري حتّى يخفين الجندر.

وفي حالة عمل الشرطة، يوفّر الزي "التمويه" البصري الذكوري. كما تحدّثت الضابطات اللاتي قابلتهن المؤلّفة عن أنهنَّ أقمن مسافة عاطفية كجزء من الشخصية المهنية. وتصف إحدى المشاركات، وهي امرأة بيضاء، الأمر على النحو التالي: "عندما أكون في العمل، أشعر دائماً بأنّني يجب أن أكون قاسية جدّاً، كما تعلمين. وعادةً ما لا يعجبني ذلك. أحياناً أحاول أن أكون كحمار صعب. فلا أبتسم كثيراً" (ص225). ومع ذلك، فهي لا تقلّد ذكراً ببساطة. وتابعت المبحوثة نفسها بأنّها بعد أن لاحظت أن زميلاتها من النساء الأميركيات من أصول إفريقية في حاجة "لقدر من احترام القيادة"، أخذت في تهذيب "لغتهنَّ الدارجة" و"اللكنة" (ص226). وعند سؤالهنَّ عن قدرتهن على الأداء في وظيفة تتطلّب القوّة أو العنف، تعيد النساء تعريف هذه الصفات على أنّها صفات مؤسّسية. وكما أوضحن، تكمن قوّة الشرطة في أن يكون المرء ضابط شرطة، وليس في استخدام القوّة الغاشمة. فالوظيفة بيروقراطية بشكل متزايد،

وتتطلّب كتابة تقرير مفصّل. وتكمن كفاءة ضباط الشرطة في الكفاءة الهادئة والعاطفية بدلاً من القدرة الجسديّة أو المجهود. وهذا يضع النساء في قوّة الشرطة مع الرجال الأصغر سنّاً المتعلمين في الجامعات. إنَّ وجود المرأة في الشرطة، وإن لم يغيّر مفهومها على أنّها رجل، يساهم في تحوّلها من وظيفة ذكورية "الياقة الزرقاء" إلى شكل من أشكال ذكورة الطبقة الوسطى.

أهمّية أن تكون مغايراً للجنس

المغايرة الجنسيّة أمر أساسي للذكورة المهيمنة. ومع ذلك، فهي تعتمد على الذكورية الثانوية، ولاسيّما الأشكال الجنسية المثلية منها، لأنّه يجب أن تنفيها. لا يلزم تحديد هذه الذكورية الثانوية بوضوح؛ في الواقع، تفضل الذكورة المهيمنة على هذا النحو. يركز هذا القسم على تهميش ذكورة المثليين، ودراسة التفاعل المنطوق بين الرجال في إسبانيا والولايات المتحدة ورهاب المثلية الجنسية في الصحافة البريطانية.

تأثرت عديد من المساهمات في كتاب جونسون وماينهوف (1997) حول الذكورة بآراء ما بعد البنيوية في اللغة وبناء الهويّة. مثلاً، تستكشف جوان بوجولار كيف يبني الشباب في أحياء الطبقة العاملة في برشلونة بنشاط ذكوريّتهم في التفاعل. ومن خلال اتباع نهج حواري، تدرس كيف يتمّ بناء هويّاتهم في الحوار. وتعدّد الحيوات واضح بشكل خاص لأنّ "الأصوات" التي تفحصها تتضمّن لغات ولهجات مميّزة. ودرس فصل كاميرون في المجلد نفسه بناء جماعة من الطلاب الأمريكيين للهوية الذكورية المغايرة جنسيّاً، التي تتجلّى جزئياً من خلال ثرثرتهم معاً حول "المثليين". تسمّي كاميرون هذا "العمل الجندري الأدائي"، وتستخدمه لإثبات مدى تضليل التوصيفات المألوفة لأنماط المحادثة بين الذكور والإناث. وتكشف هاتان الدراستان عن عروض لأشكال من الذكورة تعتمد على المثليّة الجنسيّة في تعريفها.

"نقيض الرجل" بين طلاب الجامعات الأمريكية

يتحدّث خمسة أصدقاء أمريكيين في أوقات الفراغ، في أثناء تناول مشروب فيما يقومون بمشاهدة لعبة رياضية على التلفزيون. وتدرس ديبورا كاميرون الحديث الجاري بشكل تعاوني كبير بين هؤلاء الشباب، إذ ينتجون بشكل مشترك صورة للعديد من زملائهم في الفصل. وُصف أحد ضحايا هذه النميمة الذكورية "نقيض الإنسان" (كاميرون 1997: 53).

لقد اهتممت في الفصل الخامس بأساليب المحادثة الفارقة المنسوبة إلى النساء والرجال. وهذه التوصيفات المألوفة- التي تستند إلى الفروق بين المنافسة والتعاون، والتقرير والوئام، وما إلى ذلك- ليست مفيدة جدًّاً هنا. فهؤلاء الشباب يتعاونون مع بعضهم البعض، بناءً على مساهماتهم ويستخدمون مراراً أدوات الدعم. وإليكم مقتطف قصير من مثل هذا الحديث التعاوني:

إد: أعني أنَّه يشبه فعلاً مثلياً مزيّفاً، إنَّه مثل (xxx)، مثلي جدًّاً لدرجة أنَّه يحبُّ الصوت العال حقًّاً ونظّارات ذات حافّة سلكية ويجلس بجوار أبشع عاهرة في تاريخ العالم

بريان: وجميعهم يتودّدون لها أيضاً، مثل أربعة رجال <يتودّدون لها

إد: أعي ذلك. أربعة مثليين يتودّدون لها

(كاميرون 1997: 56)

أحد الأشياء التي يمكن ملاحظتها بشكل خاص في هذا المقتطف هو التردّد العالي لكلمة "مثل" (كما يتمُّ استعمال عبارة "كما تعلم"، بشكل متكرّر في مكان آخر في هذه المحادثة). وتعدُّ وظائف كلمة "مثل" في اللغة الإنكليزية الأمريكية وظائف معقّدة ومتعدّدة. فهي في بعض الأحيان أداة تحوّط. ولا يبدو أنَّ الأحداث الواردة في هذا المقطع تمضي على هذا النحو، لكنَّها تتعلّق ببناء مشاركة الجماعة وتوافق الآراء. إنَّها تساهم في إنشاء أو فرض أرضية مشتركة عن طريق تمييز المعلومات المعطاة. ومن المحتمل أيضاً أن تكون علامات على المشاركة العالية في الحديث، وتأتي غالباً مع وجود ميزات أخرى تشير إلى المشاركة الحماسية: درجة الصوت العالية، والصخب، والشتائم، وما إلى ذلك.

هؤلاء الشباب يجمعهم تصوّرهم المشترك للمثليين كغرباء. ومن الغريب أنَّ ضحايا ثرثرتهم ربَّما ليسوا مثليين على الإطلاق. ويتمُّ انتقادهم بسبب الانحراف الملحوظ في هويّتهم الجنسية، لفشلهم في التوافق مع معايير الذكورة. فامتلاك نبرة صوت عالية، وعدم ارتداء ملابس جيّدة، و"التودّد" (إظهار الاهتمام الجنسي) بامرأة قبيحة، هي عيوب دالّة على عدم وصولهم إلى مرتبة الرجال، وبالتالي فهم مثليّون جنسياً. ومن خلال الانخراط في هذه الثرثرة حول زملاء

الدراسة المفترض فهم المثليّة، يقوم الشباب بأداء ذكورة المغايرة الجنسيّة. ويبدو أنَّ هذه الاستعراضات أمر شائع. وتقريع المثليين يحافظ على "الشبح المخيف للمثلية الجنسية" (كاميرون 1997: 51) الذي يطارد الجماعات المكوّنة فقط من الرجال. بعبارة أخرى، "رهاب المثلية هو الكراهية التي تجعل الرجال مستقيمين" (كيميل وماهر 2003: 1446). وليس من الضروري وجود النساء، عندما يتمُّ استعراض ذكورة المغايرة الجنسية بطرق أخرى.

الرجال الحقيقيون في الطبقة العاملة في كاتالونيا

درست بوجولار الحياة اليومية للطبقة العاملة وأحاديث جماعتين من الشباب والشابات من أحياء الطبقة العاملة في برشلونة. وبرشلونة عاصمة كاتالونيا، وهي منطقة في شمال إسبانيا لها لغتها الخاصة، أي الكاتالونية، وهي اللغة الإدارية للمنطقة وتستخدم في المدارس. وينحدر المتحدّثون باللغة الإسبانية في المنطقة من العمال المهاجرين ويفضّلون عدّهم من الطبقة العاملة. واحتوت الجماعتان اللتان درستهما بوجولار على مزيج من الناطقين باللغة الكاتالونية والإسبانية. واخترعت الباحثة لكلِّ جماعة اسماً، فدعتهما "رامبلروس" و"تربباس". وتمَّ تسمية جماعة رامبلروس على اسم رامبلاس Ramblas، وهو اسم طرق المشاة الكاتالونية النموذجية في حيّهم. وتم تسمية جماعة تربباس على اسم مصطلح استخدموه بأنفسهم، الذي يظنُّ أنَّ الآباء الناطقين بالإسبانية استخدموه لمخاطبة أطفالهم المتمرّدين أو المزعجين (بوجولار، التواصل الشخصي).

بالنسبة لرجال رامبلروس، كانت الشوارع للأداء العام. لقد انخرطوا في كثير من الأحيان في المبارزة اللفظيّة والقتال، والاستعراض العلني للذكورة. وأحياناً ما اتخذت السخرية والمضايقة التي انخرطوا فيها شكل مطالب تهديد بلعق القضيب بشكل هزلي. وتعطي بوجولار مثالاً على سلسلة من التراشقات التي بدأها أحد الرجال، أندريه، الذي يقترح عليهم الذهاب لتناول شطيرة. ردَّاً على هذا الاقتراح، عرض لويس تقديم أعضائه التناسلية بدلاً من ذلك:

أندريه: إيه، هيا نذهب إلى مطعم الشطائر؟ لويس: انظر (.) إذا كنت تريد أن تأكل

فضع خطمك بين ساقي، أتعلم؟

(بوجولار 1997 ط 1: 89)

هذا الرد يرفض الاقتراح، وعلى ما يبدو، يلمح إلى احتمال أن يكون أندريه مثلياً (لكن ليس لويس مثلياً، كما قد يُسامح المرء على التفكير). يقوم أندريه برد يستجيب لكلٍّ من المعاني المحتملة:

أندريه: حسناً يا صغير، مع هذا لن أمتلك حقّاً ما يكفي (بوجولار 1997 ط1: 89)

يتبع هذا الرد عروض وهمية للأعضاء التناسلية من قبل الأعضاء الآخرين في الجماعة، التي يرفضها أندريه بطريقة مماثلة. ومن خلال القيام بذلك، يدافع عن اقتراحه الأول- أن يذهبوا ويأكلوا- ويوحي إيحاءات مهينة بشأن حجم أعضائهم التناسلية. ومن خلال القيام بذلك، ينتقم من الإساءة إلى رجولته الجنسيّة المغايرة. وتختتم الواقعة بتفاخر حول حجم القضيب من أحد الرجال، وهو كلام مهدّد وودود في الوقت نفسه:

ريكاردو: ألصق قضيبي في فمك ولن يكون هناك مساحة كافية له يا صاح.

(بوجولار 1997 ط1: 90)

تعدُّ الواقعة السابقة مثالاً على نوع متميّز من المبارزة اللفظية. ويستخدم رجال رامبليروس هذا النوع من الكلام في أدائهم لشكل معيّن من الذكورة المرتبط بالمغايرة الجنسيّة، فضلاً عن العدوان اللفظي، والحجم الجسدي والقوّة. وتُظهر هذه الواقعة أيضاً الطريقة الغريبة التي ترتبط بها تأكيدات الرجال حول الذكورة (من جنسين مختلفين) مع الانشغال بالسلوك الجنسي المثلي.

ويعبّر رجال رامبليروس عن رجولتهم بطرق أخرى أيضاً. يتحدّثون بلهجات تحتوي على عناصر أندلسية من جنوب إسبانيا، ولاسيَّما أنماط التنغيم الموسيقية المميّزة للهجة الأندلسيّة، على الرغم من أنَّ الجماعة ليست من تلك المنطقة (بوجولار 1997، ط1: 96). ففي كاتالونيا، تدلل اللهجة الأندلسية على الانتماء للطبقة العاملة أو الفلاحين، وبالتالي فهي تدلل أيضاً على دلالات "البساطة" و"الأصالة". ويرتبط التأكيد أيضاً على الأصالة ابتعاد الرجال عن صور الكلام الرسمي. وفي المناقشات الجماعية التي نظّمتها بوجولار مع هذه الجماعة، لم ينخرط الرجال في الحديث الرسمي، كما فعلت النساء، واستخدموا السخرية والفكاهة بـ"الحديث البذيء" كتحدٍّ للحديث الرسمي.

لذا فإنَّ "ذكوريّتهم المبسّطة"، كما تسمّيها بوجولار، يتمُ تنفيذها بوسائل مختلفة، بما في ذلك الشتائم المبتدعة، والمواجهات والشتائم، إذ تقوم المؤلّفة بإدراج المواجهات والشتائم في بياناتها معتبرة إيّاها أنشطة مرحة بدلاً من كونها أنشطة جادة. فيما تميل النساء في الجماعة نفسها إلى أداء ما تسمّيه بـ"الإيحاءات"، أي العروض الحميمة، في ثنائيات. ومن المثير للاهتمام، أن تلاحظ بوجولار أنَّ تنظيم النساء للعروض الحميمة والإفصاح المتبادل عن الذات سهّل بشكل كبير دخولها إلى الجماعة. وعلى الرغم من تعبيرها عن حرجها المبدئي من هذه العروض، فقد تمكّنت النساء من خلالها من القيام بدور الوسيط: وذلك لشرح خلفية دعايات الرجال ومزاحهم وأن يتمَّ شرح بحثها للرجال. كما قدّمت ملاحظة أخرى مثيرة للاهتمام عندما اعترفت أنّها على الرغم من مقدار الاهتمام الذي تتلقّاه من النساء، تبيّن لها غموضهنَّ. وقد قدّمتهم في البداية على أنهنَّ هامشيات، كما فعل بول ويليس (1977) في عمله بين جماعات من شباب الطبقة العاملة في المملكة المتحدة. ولحسن الحظ، على عكس ويليس، لم تتوقّف بوجولار عند هذا الحدّ. فبعد تقديمها للأجندات والأنشطة الجماعية الصاخبة والواضحة للغاية لرجال رامبليروس، تقرُ بالحاجة إلى تغيير مسار تركيزها و"محاولة تصوّر ما كانت تسعى إليه النساء وما جلبته إلى الفضاءات الاجتماعية" التي درستها أيضاً (بوجولار 2001: 68). كذلك تقوم بمواجهة الميل الحتمي إلى التقسيم الثنائي للسلوكيات الجندرية في الجماعات المدروسة بالتأكيد على أنّها سلوكيات مختلطة، وفي حالة رامبليروس، الجماعة شديدة التماسك، أدركت بأنّها لو لجأت للتقسيمات الثنائية فإن ذلك سيعزّز مغالطة وجود ثقافة فرعية للذكور وأخرى للإناث كل على حدة.

وكانت الجماعة الأخرى من الرجال والنساء التى أمضت بوجولار وقتاً معها هي جماعة تربباس. كانت هذه الجماعة مختلفة نوعاً ما، وأكثر وعياً سياسيّاً، ووجدت فيها مزيداً من الهدم للسلوكيات الجندرية التقليدية أكثر من جماعة رامبليروس. فقد انتقد رجالها ونساؤها التوجّهات والسلوكيات الجنسية لرجال الطبقة العاملة، ولاسيّما أولئك الذين تحرّشوا بزميلاتهم في العمل، ويصوّرنهم ساخرين على أنّهم يتحدّثون بلهجة أندلسية. بعبارة أخرى، قاموا بتقليد اللهجة كجزء من رفضهم لشكل الذكورة الذي انتهجه رجال رامبلروس. لقد استخدموا بأنفسهم اللهجات الفصيحة نسبياً من الكاتالونية والإسبانية، تتخلّلها اللغة المميّزة للمدينة الداخلية. إنّها كلمات ثقافة مخدّرات التي تحمل دلالات ذكورية الطبقة العاملة وترتبط بلابينيا la Penya، الشباب الفقير في إسبانيا.

كان يُنظر إلى التخريب والتعدّي ومقاومة السلطة بين جماعة ترباس كأفعال دالّة على الذكورة بدلاً من القتال وسلوكيات المخاطرة المماثلة التي يمارسها أعضاء جماعة رامبليروس. ويفرط رجال جماعة ترباس في الشرب وتعاطي المخدّرات، أو يتحدّثون في الأقل عن قيامهم بذلك، وكثيراً ما قاموا في محادثاتهم بإنشاء حوارات تخيّلية مليئة بروح الدعابة تضم أفراداً خياليين غير متعدين. فهم يسخرون من هؤلاء الرجال الغرباء- أي من أيّ شخص لا يشاركهم تعاطي المخدّرات والشرب- ويتحدّثون الكاتالونية بأصوات سخيفة. وفي المثال التالي، يبدأ بيبي حكيه لمناسبة عندما كان يشرب نوعاً معيّناً من البيرة (الكاتالونية تحديداً):

بيبي: يا رجل شربت المر بتعاطي هذا القرف ذلك اليوم

ماورو: آه. إنّها بيرة، أليس كذلك؟

آياتس: (بصوت سخيف) آه نعم نعم. اشرب زوجاً و(لفظ سوقي)

بيبي: (بصوت سخيف) نعم يا فتى. حقّاً إنّي أفهمك

(بوجولار 1997 ط1: 100)

يستخدم رجال جماعة ترباس هنا الأصوات الكاتالونية لتجسيد حياة بعض الأشخاص السخفاء الوهميين باعتبارهم من أهل الطبقة الوسطى، ومزيّفيين، وقبل كلّ شيء، وليسوا ذكوراً. يوضّح بحث بوجولار للذكورة في سياق متعدّد اللغات مدى دمج الهويّات الجندرية في الممارسات المحلية وأهمية درس الجندر بالاقتران بالطبقة والعرق.

"الشعور بالذنب تجاه الألعاب التي يلعبها الأولاد"

هذا البحث الأخير حول بناء ذكورة المغايرة الجنسيّة مختلف نوعاً ما. وقد نشأ عن اهتمامين مختلفين: رهاب المثلية في الصحافة، من ناحية، ومن ناحية أخرى- وعلى وجه التحديد- استخدام تحليل الخطاب النقدي للتركيز على مشاركة القارئ في عملية إنتاج المعنى وآثارها على بناء الهوية عند ممارسة فعل القراءة (غوف وتالبوت 1996).

بحثت مع فال غوف رسالة واحدة ورداً عليها من صفحة المشكلات في إحدى الصحف البريطانية، التي حملت عنوان: "الشعور بالذنب تجاه الألعاب التي يلعبها الأولاد". والرسالة

نفسها من رجل بالغ قلق بشأن بعض التجارب الجنسيّة المثليّة التي شاركها مع أعز أصدقائه عندما كانا ما يزالان في المدرسة. كشخص بالغ، هو وصديقه كلاهما من المغايرين جنسيّاً (متزوّج، وصديقه لديه صديقة) لكنَّه، كما يقول، ما يزال يعاني من مزيج محيّر من الشعور بالذنب والفضول. بعبارة أخرى، الرسالة عبارة عن رؤية "للشبح المخيف للمثليّة الجنسيّة" (كاميرون 1997: 51) الذي يحوم حول صداقات الذكور. والرد عليه، الذي ركزنا عليه يقضي على هذا الشبح. إذ قامت الراحلة مارجي برووبس بتنفيذ عملية طرد هذه الأرواح الشريرة (تولّت وقتها مسؤولية "أعمدة الحزن" البريطانية). وكان ردّه يؤكّد للرجل بأنَّه "طبيعي". ورسالتها العامة هي أنَّ التجارب الجنسيّة المثليّة مثل تجربته مشروعة، طالما أنَّها تحدث في سياق تطوّر نحو العلاقات "الطبيعية" المؤكّدة بين جنسين: "عديد من الرجال الميّالين للجنس المغاير لديهم فضول مؤقّت بشأن المثليّة الجنسيّة، وهذا ليس بالأمر السيّئ. إنَّها تجبرك على اتخاذ قرارات (صنداي ميرور، 17 يناير 1993).

وكما لاحظت مع غوف في تحليلنا، فإنَّه من أجل تكوين معنى متماسك لهاتين الجملتين، يجب على القارئ أن يستوعب أنواع الافتراضات الخلفية كلّها. فهناك رابطان متماسكان صريحان يحتاجان لضمّهما معاً. الأوّل واضح بما فيه الكفاية: "إنَّه" يرتبط بـ"الفضول العابر". والرابط المتماسك الثاني هو بين الضمير "أنت" وعبارة "عديد من الرجال الميّالين للجنس المغاير"؛ وبالتالي، فإنَّ ضمير "أنت" يعمل كضمير عام يشير إلى موضوع الذكر الميّال للجنس المغاير. ونظراً لأنَّ الضمير "أنت" يشير أيضاً على وجه التحديد إلى كاتب الرسالة، فإنَّ له وظيفة مزدوجة، كضمير عام وضمير محدّد. ولكنَّ هناك أيضاً سبباً ضمنياً، لأنَّ هناك رابطاً سببياً بين الجملتين، وهو ما لم يتم الإشارة إليه نصّياً. فعلى القارئ أن يسدَّ الفجوة من خلال استنتاج شيئين. الاستنتاج الأوّل الذي يجب القيام به هو أنَّ المثليّة الجنسيّة والمغايرة الجنسية هما ممارستان جنسيّتان منفصلتان: وهو استنتاج سهل يمكن الاستدلال عليه، فالضمير "أنت" كما قلت موضوع على أساس كونه ضميراً لشخص مغاير جنسيّاً. والاستنتاج الثاني هو أنَّ الاهتمام بالمثليّة الجنسيّة صحيح بقدر ما يعزّز هويّة المغايرة الجنسيّة المنفصلة (غوف وتالبوت 1996: 220-1). هذه الاستدلالات ضرورية، على الرغم من كونها مثيرة للجدل، إذا أراد الباحث أن يخرج بمعنى متماسك للجملتين. وإذا حدّدتها، ستكون واضحة بشكل أكبر، وبالتالي يسهل تحدّيها. وكما هي الآن، فمن غير المرجّح أن يعترض القارئ عليها، لاسيَّما

القارئ المغاير جنسيّاً غير المتأمّل. ومع ذلك- أو لنقل على وجه التحديد- فإنّه مشارك في إنشائها.

تعدُّ الاستدلالات والأفكار المفترضة جزءاً من "الفهم المشترك" الذي يحتاج القارئ إلى الاعتماد عليه لقراءة النص كنص متماسك. إنّها افتراضات حول العالم الاجتماعي تمَّ إنشاؤها بطريقة لا يتمُّ تأكيدها، لكنَّ القرّاء ما يزالون بحاجة إلى تزويدهم بها لفهم النصوص. وسواء كانت ملحوظة أم لا، فإنَّ القارئ يعتمد عليها. قد تكون واضحة للغاية لدى بعض القرّاء، كما هو الحال بالنسبة لي في الافتراض الخاص بالطبيعة المفترسة لذكور الجنس المغاير في هذا المقتطف من رد بروبس المطمئن: "لقد اتخذت [اختيارك] منذ سنوات عديدة متى بدأت في ملاحقة النساء... (صنداي ميرور، 17 يناير 1993). فمن المفترض هنا أنَّ كاتب الرسالة "بدأ في ملاحقة النساء" (يُشار إليه بأداة الوصل "متى" في بداية الجملة الثانية). هذا الجزء المفترض من "الفهم المشترك" يرتكز على افتراض أنَّ الدافع الجنسي للذكور مفترس بشكل طبيعي، وهو فرض قابل للنقاش، إن جاز القول.

كانت بروبس صريحة في الدفاع عن المثليين قبل عقود من الإصلاحات القانونية في الستينيّات. ومع ذلك، لا يوجد ما يعبّر عن التوجّه الإصلاحي في ردّها على هذه الرسالة. ففي هذه الحالة، تطمئن كاتب الرسالة إلى أنَّ رجولته هي من الجنس المغاير بشكل لا لبس فيه. وبذلك تعزّز بعض المفاهيم التقليدية للغاية حول الجنس. وعلى الرغم من شجبها اضطهاد الرجال المثليين، فمن الواضح أنّها كانت تدرك أهمّية كونها مغايرة جنسيّاً.

التغيير والمقاومة والمرونة

مرَّت الذكورة بالعديد من التغييرات في العقود الأخيرة. كان أحد التطوّرات الملحوظة هو نمو "تحرّر المثليين" وظهور أشكال معارضة من الذكورة. فنظراً للتغييرات التي حدثت في حياة النساء، اضطر الرجال من غير المثليين أيضاً إلى إجراء تعديلات: التكيّف مع معايشة نساء يعملن في وظائف مدفوعة الأجر، ورفض السلوك الذكوري القمعي، والمشاركة بشكل أكبر في رعاية الأطفال. ولم يعد تقسيم العمل المنزلي في منازل الأزواج مغايري الجنس صارماً كما كان من قبل. فعلى سبيل المثال، وجدت دراسة واسعة النطاق (شملت ستّ عشرة دولة) حول توزيع العمل المنزلي أنَّ مساهمة الرجال قد زادت إلى حدٍّ ما (كان وآخرون 2011). وتشير

الدراسات الحديثة عن الأبوة إلى الإقدام على رعاية الأطفال بهمّة (على سبيل المثال دراسة أشبورن وآخرون 2011؛ سليمان 2014). وبالعودة إلى الثمانينيات، بدأت وسائل الإعلام تتحدّث عن ولادة "الرجل الجديد". فمن الواضح أنّ هناك قيوداً اقتصادية على تغيّر الذكورة. فمؤسّسة الأسرة مؤسّسة مركزية بالنسبة للذكورة المهيمنة، وما تزال وحدة الأسرة منظّمة بشكل حتمي من خلال إمكانيات العمل وعدم المساواة الاقتصادية في مكان العمل. ومثل هذا الوضع يدوم ذاتياً. وقد أدّت المستويات المرتفعة من بطالة الذكور وما يسمّى بـ"تأنيث" مكان العمل إلى تغيير التضاريس في السنوات الأخيرة، ولكن بشكل عام ما يزال من المرجّح أن تكون أجور الرجل أعلى ومن المرجّح أن يتمتّع الرجل بالأمن الوظيفي. لكنَّ الذكوريات ليست ثابتة. لقد سبق أن أشرت إلى جدّة عنصر أساسي من عناصر الذكورة المهيمنة: وهو دور العائل. وقد يكون رهاب المثليّة هو "اختلاق" حديث أيضاً، لأنَّ تصنيف الأنشطة الجنسية (إلى نشاط جنسي بين شخصين مختلفين، وآخر بين متماثلين) يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر فقط.

إنَّ عدم التصرّف بالطرق التقليدية الجندرية يمكن عدّه عملاً محفوفاً بالمخاطر وأنَّ "العبور الجندري"، كما تشير بوجولار (1997: 92)، يعدُّ أمراً حسّاساً. ومع ذلك، فإنَّ الهويّات الجنسية ليست ثابتة وتحدث تغييرات، وأحياناً ما تمضي نحو الأفضل. وكان من بين جماعات الشباب التي درستها بوجولار بعض الأشخاص، رجالاً ونساءً، الذين لم يلتزموا بقواعد السلوك الجندري. وكان بين جماعة تريباس، من هو أكثر وعياً سياسيّاً في جماعتي الدراسة، إذ عرّج على الانتقادات المستنيرة بالنسوية لسلوك الرجال المتحيّز جنسياً. وسواء ذهبنا إلى حدِّ الاعتقاد بأنَّ "الرجل الجديد" يعيش ويتنفّس ويمشي بيننا (وأعتقد أنَّ هناك شكوكاً صحيحة في محلّها)، يجب أن يقال إنَّ النسوية، بتأثيرها على حياة المرأة وحياتها، وبنقدها للذكورة، كان لها تأثير كبير. إذا أرادت النسوية الاستمرار في ذلك، فيجب أن يستمر النقد.

هذا هو الموضع الذي يمكن أن يكون تحليل الخطاب النقدي مفيداً. فمن خلال تركيزه على إعادة الإنتاج الاجتماعي والتغيير الاجتماعي، يمكن استخدام تحليل الخطاب النقدي لفضح التكوين الاجتماعي للهويات الجندرية وتحدّي القبول السلبي للوضع الراهن. وفي هذا الفصل حتّى الآن، قمت بفحص أداء بعض الرجال للذكورة، مع التركيز على الهيمنة والسيطرة وأهمية الاختلاف الجنسي في هذا الأداء. وانتهيت من ذلك إلى إيلاء بعض الاهتمام للردود على التغيير، فيما هو مطبوع ومنشور على الإنترنت.

احتواء وسائل الإعلام

تأمّل إحدى المواد الواردة في صحيفة بريطانية تتناول تقريراً مؤيّداً لإدانة التحرّش الجنسي. لقد ظهرت المادة في صحيفة صن، وهي صحيفة يومية محافظة سياسيّاً تستهدف جمهوراً من الطبقة العاملة. وفاجأتني هذه التغطية الإخباريّة. فقد أقرَّ تشريع ضد التحرّش الجنسي في مكان العمل بسبب الخطاب النسوي المضاد بشأن الجندر. وصحيفة صن ليست بالصحيفة التي أتوقع أن أقرأ فيها وصفاً إيجابيّاً للنسويّة عمليّاً. ومع ذلك وجدته فيها. وعلى الرغم من ذلك فقد كان في موضع بارز. لقد ظهر الوصف في الصفحة الثالثة، موقع الصورة الفاتنة المعتادة، الصفحة المعروفة باسم "فتاة الصفحة الثالثة"، التي تحتل صورتها أكثر من نصف الصفحة. لذلك سيطرت على الصفحة التي ظهرت عليها صورة امرأة ترتدي قبّعة وقليلاً من الأشياء الأخرى. ويجب أن أقول إنَّ المقال لم يكن جادّاً تماماً في لهجته. كان الطرف المذنب فيه هو صاحب شركة للمأكولات البحرية، لذلك احتوى المقال على التورية بكثافة حول موضوع الأسماك، بدءاً من العنوان الرئيس: "فاتورة بقيمة 6000 جنيه استرليني تضع رئيس أسماك راندي في موضعه!" ومع ذلك، فإنَّه فضلاً عن وجود خطاب جنسي مألوف فيما يتعلّق بالجندر، هنا، عبر محاكمة مصطنعة، كان المقال تعبيراً عن النسوية (لا يستخدم المقال مطلقاً الحرف نون - وهو بالطبع دال على النسوية!).

كنت مهتمّة جدّاً برؤية كيف استغل المقال التناقض. إنَّه استوعب، إذا جاز التعبير، التهديد الذي تشكّله الحركة النسوية وقام بتحويل اللوم الموجه لممارسات من قبيل التحرّش بعيداً عن "القارئ العادي لصحيفة صن" وتوجيهه صوب كبش فداء غير فعّال جنسيّاً من الطبقة الوسطى. إذ أتاح التقرير - وهو نصفه مزاح ونصفه جاد- للقارئ الذكر مسافة مريحة من شر المقال، على الرغم من أوجه الشبه الواضحة التي يمكن استخلاصها بين التحرّش الجنسي والسلوك الذكوري "الطبيعي"، مثل النظر لفاتنات الصفحة الثالثة (تالبوت 1997 ط2).

أعتقد أنَّ هذا الجزء من التغطية الإخبارية يوضّح مدى مرونة الرجولة. فمشكلة الذكورة المهيمنة هي أنَّ شرعيتها مهدّدة. ويكمن استقرارها في مرونتها ذاتها. فعلى متنها يوجد عناصر غير متوافقة على ما يبدو. وبالنسبة لي، يوضّح المقال الوحيد في الجريدة قدرة الذكورة على

التكيّف مع المعارضة، بل وحتى استيعابها. هذه المرونة تمكّنها من تحمّل التغييرات الهيكلية الأكبر والأكثر اضطراباً.

تأمّل في ردّ آخر، في صحافة التسعينيات، بشأن ما مارسته النسوية من ضغوط. فقد نشرت مجلة أرينا Arena للرجال مقال رأي شبه جاد حول نوع جديد من الهوية الذكورية تحت عنوان: "الفتى الجديد". ويقترح مقال المجلّة طريقة واحدة تعيد فيها الرجولة تعريف نفسها من أجل أن تظلّ مهيمنة. ويُزعم أنَّ هذا المخلوق الهجين مزيج من "الرجل الجديد" و"الفتى العجوز" المتحفّظ. ويتضمّن تحليل تيتلو (1991) لهذا المقال، جزئياً، التحديد الدقيق لكيفية تقديم آراء الكاتب الذاتية حول هذه الفئات المفترضة للهوية الذكورية على أنها إدراك مشترك عالمياً.

تأمّل ما يلي- جملة واحدة من مقال أرينا: "تزامن موت الرجل الجديد مع ولادة نوع فرعي يمكن التعرّف عليه وإن كان زلقاً وظهر كرد فعل صامت على الفراغ المربك الذي خلّفه عدم الظهور المخزي للرجل الجديد" (كما ورد في تيتلو1991: 47). هذا الحديث يبدو نافذاً للغاية، كما لو أنَّ المؤلّف المجهول يعرف ما يتحدّث عنه. إنّه يكتب بيقين قاطع، من دون استخدام أي أدوات تحوّط، أو أدوات التعبير عن التردّد مثل "أظن" أو "ربّما". وفي الواقع، يستخدم المؤلّف في مواضع أخرى من المقال أدوات التأكيد، وهو ما يرد مثلاً عند التأكيد على أنَّ شيئاً ما "واضح للغاية" (ص48). تبدو الجملة فنّية أيضاً، كما لو كان المؤلّف يعتمد على الخطاب العلمي. وهناك الكثير من العمليات المخبّأة داخل العبارات الاسمية: هذه ميزة نحوية تُعرف باسم الاسمية، وهي سمة من سمات الخطابات العلمية. وتتجاهل ذكر الكثير من المعلومات حول كيف ولماذا ومتى.

في الواقع، كما يوضّح تيتلو، هناك الكثير من الأسئلة التي يمكن طرحها حول الجملة، التي تتناول بدقّة هذه العمليات المخفية:

النص	العمليات الخفية
موت	متى مات؟
الرجل الجديد	كيف؟ ولماذا؟

قد توافق مع	
مولد	متى ولد؟
المميز	من يميزه؟
على الرغم من الأنواع الفرعية الزلقة	
التي ظهرت	
كاستجابة مكتومة	من استجاب؟ ولماذا كانت الاستجابة مكتومة
بسبب الفراغ المربك	مربك لمن؟
المتروك	
لعدم الظهور	متى ولم لم يُكتب له الظهور؟
المخزي للرجل الجديد	ومن شعر بالخزي من جراء ذلك؟

لا يقدّم مقال مجلة أرينا أجوبة على هذه الأسئلة. ويتجلّى بعد بديهية رأي الكاتب بفضل هذا الغموض المربح. وهذا يدعم السخرية الحكيمة التي ينتقل إليها لاحقاً في المقال: "بشكل أساسي، يطمح الفتى الجديد إلى وضعية الرجل الجديد عندما يكون مع النساء، لكنَّه يعود إلى نموذج الفتى العجوز عندما يخرج مع الفتيان. كم هو ذكي، إيه؟ (تيتلو 1991: 54).

هل الذكورة تحت التهديد؟

تواصل التدخّلات النسوية القضاء على سلطة الرجل وامتيازاته. وتبيّن التحديات القوية الأخيرة عن استمرار انتشار التحرّش والاعتداء الجنسي في مكان العمل. واكتسبت فاعلية الهاشتاغ الخاص بحملة "أنا أيضاً" #MeToo أهمية خاصة منذ أكتوبر 2017، وهي الحملة التي أفادت من المنصّة العامة الشهيرة المتاحة لممثلي هوليوود والشخصيات المعروفة الأخرى. وكان لها صدى عالمي ونظائر عديدة ظهرت بلغات أخرى غير الإنكليزية؛ نظائر مثل حملة اشجب خنزيرك الفرنسية. وأدّى ذلك في الولايات المتحدة لإطلاق حركة مناهضة للتحرّش،

حركة "انتهى الوقت" Time's Up، في يناير 2018، وهي حركة مدعومة بموارد كبيرة، بما في ذلك موارد من صندوق الدفاع القانوني.

وفي الوقت نفسه، هناك عودة مقلقة لكراهية النساء في الحياة اليومية على نطاق واسع، وقد وصفتها إحدى الدراسات بأنّها "طريقة مميّزة للتمييز الجنسي فيما بعد الحركة النسوية" (جارسيا-فافرو وجيل 2016: 390). وقد أجريت هذه الدراسة لتسليط الضوء على "كيف يتمّ استنفار المنطق ما بعد نسوي، والفظاظة، وبلاغة رد الفعل من أجل (إعادة) تأكيد و(إعادة) تأمين سلطة الرجل وامتيازاته في الخطاب العام في الحياة اليومية المعاصرة" (ص 382).

وأنهي هذا الفصل بإلقاء نظرة على هذه الدراسة، التي تدرس التعليقات عبر الإنترنت التي تبثُّ آراء مناهضة للنسوية بشدّة. وتتكوّن مادة الدراسة من أكثر من 5000 منشور على مواقع إخبارية في المملكة المتحدة، أكثر من نصفها على بي بي سي وياهو. وجميع المنشورات عبارة عن تعليقات القرّاء على التغطية الإخبارية المتعلّقة بحملة أطلقت في عام 2013 تسمّى "افقدوا المجلات المخصّصة للرجال".

هذه الحملة البريطانية هي واحدة من عدّة حملات داخل الحركة النسائية التي تمّ تنشيطها حديثاً في العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين واستخدمت وسائل التواصل الاجتماعي على نطاق واسع للتركيز على قضايا معيّنة تتعلّق بتصوير وسائل الإعلام و/ أو معالجتها في المجال العام (المثالان البريطانيان الآخران هما مشروع التمييز الجنسي اليومي وحملة لا مزيد من الصفحة الثالثة). تمّ إطلاق الحملة برسالة مفتوحة موقّعة من ثمانية عشر محامياً ونشرت في صحيفة الغارديان. تبدأ الرسالة على النحو التالي:

> تدعو الحملة التي أطلقتها منظّمة فيمينيستا آند أوبجيكت بالمملكة المتحدة بائعي التجزئة في متاجر الشوارع الرئيسة إلى سحب مجلات وجرائد الفتيان التي تحتوي على أغلفة أمامية إباحية من متاجرهم على الفور. وأنَّ كلَّ واحد من هذه المتاجر هو مكان عمل. وعرض هذه المنشورات في أماكن العمل، ومطالبة الموظّفين بالتعامل معها في سياق وظائفهم، قد يصل إلى حدِّ التمييز الجنسي والتحرّش الجنسي بما يتعارض مع قانون المساواة لعام 2010. وبالمثل، فإنَّ تعريض العملاء لهذه المنشورات عند عرضها هو انتهاك لقانون المساواة.

إنَّ دعوة أصحاب المتاجر لاحتمال قيامهم بالمساهمة في نشوء بيئة عامّة "مخيفة أو معادية أو مهينة أو مذلّة أو مسيئة" للموظفين والمتسوقين هي خطوة جريئة وفعّالة، ولكنّها لم تخلُ من منتقديها. وليس من المستغرب أنَّ الحملة أثارت الغضب عبر الإنترنت. ووجدت جارسيا-فافرو وجيل نماذج مميّزة في ردود القرّاء في المادّة المجمّعة. وقد حدّدا، على وجه الخصوص، أربع مجموعات رئيسة، على النحو الوارد في تحليل خطاب "الجماعات المفسّرة"، وهو ما أورده إدلي ويزيريل (2001) للإشارة إلى ما يتكرّر من أفعال وضع الحجج والوصف والتقييم والاستعارات الفارقة وما إلى ذلك. وصفت جارسيا-فافرو وجيل (2016: 384) هذه المجموعات على أنّها "المعايير مزدوجة النوع" و"النشاط الجنسي للرجال تحت التهديد" و"الحرب على الرجل العادي" و"الاستبداد النسوي". ووجدتا مزاعم متكرّرة بأنَّ وسائل الإعلام على وجه الخصوص يهيمن عليها طغاة نسويات معاديات لديهنَّ "أجندة نسوية تمييزية وجنسية"، على حدِّ تعبير أحد القرّاء، إلى حدِّ أنَّ الرجال يتعرّضون للتهميش والتمييز ضدّهم. وتنتشر استعارات الحرب والدين القمعي، كما هو الحال في السيناريو الأسوأ التالي: "أولاء الحيزبونات... لن يكنَّ سعيدات إلّا إذا تجوّل الرجال في طوابير طويلة في الشوارع وجميعهم مقيدون معاً بالسلاسل ويغطّيهم الرماد ويجلدون أنفسهم". وأي مساءلة للنشاط الجنسي للرجل يتمُّ تفسيره كتهديد وكشيء جبري، كما يبيّن المثال التالي: إنَّ جماعات اللوبي تسعى إلى إنكار حقوق الرجال في التصرّف وفقاً لبيولوجيتهم وجيناتهم. وأظنّها لن تتوقّف حتّى يتمّ إخصاء الرجال تماماً، ويفضل أن يتمَّ إخصاؤهم جراحياً.." والمجموعات الأربعة مترابطة معاً بقوّة، بفضل استراتيجية قلب المائدة على الحركة النسوية، باتخاذ وضعية الضحية وإعادة التأكيد على الجوهرانية الجنسية بالانتقام.

وجدت ميشيل لازار في دراسة أجرتها في سنغافورة (2015) انشغالات ووجهات نظر مماثلة بشكل مثير للقلق. والمصطلح المستعمل مختلف قليلاً، لكنَّ التحريف العدائي للنسوية والنسويات هو نفسه إلى حدٍّ كبير. ففي حين أنَّ السلطة والامتيازات الأبوية ربّما تمَّ زعزعتها، يبدو أنّهنَّ متجذرتان بعمق ولم يتمّ تفكيكهما بأيّ حال من الأحوال. وينتهي الفصل التالي بالانتباه إلى "الكراهية في الفضاء السيبراني" الموجّهة ضد النساء عبر الإنترنت.

مزيد من القراءات

تنظير الذكورة

للحصول على مقدّمة سهلة عند الاطلاع عليها، اقرأ كتاب إدلي (2017). ويعدُّ كتاب كونيل (2005) وسيغال (2006) نصين أساسيين. وانظر أيضاً بينيون (2002)، وغاردنر (2002) وكتاب كيميل وهيرن وكونيل (2004)، وربزر (2010).

الذكوريات واللغة

إنَّ العدد "الجنس واللغة" 5 (2) (2011) هو عدد مكرّس لموضوع اللغة والذكوريات. ويضم كتاب ميلاني (2015) مجموعة حديثة من المساهمات. وانظر أيضاً باكير (2008) وكتاب بينويل (2014). وهناك دراستان للغموض والتناقض في الأداء المستمر للذكورة وهما كتاب ويزربل وإدلي (1999) وكيسلينج (2011).

السيطرة والعنف

يقدّم كتاب آدامز وتاونز وجافي تحليلاً بلاغياً لحديث رجال نيوزيلندا عن عنفهم ضدّ شركائهم. وانظر أيضاً المقتطف والمناقشة في الفصل الثالث من كتاب تالبوت، وأتكينسون وأتكينسون (2003). وتوجد دراستان أخريتان لروايات الرجال عن عنفهم هما دراسة إيرليخ (2001) حول شهادات قاعة المحكمة الكندية ودراسة هيرن (1998) عن مقابلات مع سجناء بريطانيين. وانظر أيضاً كتاب إرليخ وليفيسك (2011). ويمكن العثور على تحليل متعدّد النماذج لألعاب الأطفال الحربية في كتاب ماشين وفان ليوين (2009).

رهاب المثلية

سبق لي أن أشرت إلى دراسة حول حديث "تقريع المثليين" في كتاب كاميرون (1997). وانظر أيضاً كتاب كوتز (2003)، ولاسيّما الفصل الثالث. وهناك وصف أكمل لدراسة صفحة المشاكل المشار إليها في كتاب جوخ وتالبوت (1996).

ويتوفّر سرد كامل للبحث حول ثقافة الشباب في كاتالونيا باللغتين الإنكليزية والكتالونية (بوجولار 1997، ط1، 1997، ط2، 2001). وانظر أيضاً المقتطفات والمناقشة في الفصل الخامس من كتاب (تالبوت وأتكينسون وأتكينسون) (2003).

يركز الفصل الخاص برهاب المثليّة في كتيب هول وباريت (2019) والمعنون بـ"موجز اللغة والجنس" على وسائل الإعلام في بوتسوانا (إليس 2019). وفيما يتعلّق بالرياضة، انظر وينر (2014)، وكليليند وماجراث وكيان (2018).

10

أن تتحدّث مهنياً

يلخّص هذا الفصل مجموعة من الأعمال المتعلّقة بالخطاب وبناء الجندر في السياقات المهنية العامة. ويركز على تهميش أصوات النساء في أماكن عمل محدّدة، وهي مجتمعات ممارسة ذكورية (يتمُّ تعريف هذه المصطلحات أدناه)؛ وتشمل البث والسياسة. ويختتم ببعض الملاحظات حول المقاومة والانتقام في الصحافة والإنترنت التي تشمل تمثيلات إعلامية معادية للمرأة في العمل.

المرأة والمجال العام

تاريخياً، يعدُّ المجال العام مجالاً حصريّاً للذكور. ما يزال كذلك في بعض المجتمعات التقليدية. ولقد ذكرت في الفصل الأوّل شعباً قبليّاً معاصراً في البرازيل يُعرف باسم كاراجا. وتتحدّد فيه الأدوار الاجتماعية للرجال والنساء بوضوح شديد. إذا وفقاً للتقاليد، يجوز للرجال فقط شغل المناصب الرسمية التي تتطلّب مخاطبة العامة. وتعود الكاتبة الكلاسيكية ماري بيرد في كتابها "النساء والقوّة" إلى بداية التقليد الأدبي الغربي وتستحضر "أوّل نموذج مسجّل لرجل يطلب من امرأة أن تصمت" (بيرد 2017: 3). ونجد في الأوديسة ما فعله تليماك ابن أوديسيوس وبينيلوب من إخراج والدته من القاعة الكبرى للقصر بعبارة "عودي إلى مسكنك، واشتغلي عملك، النول وبكرة الغزل... سيكون الكلام من عمل الرجال، الرجال جميعاً، وعملي في الغالب الأعم؛ وسلطاني في هذا المنزل" (كما هو مقتبس في بيرد 2017: 4). يا له من مغرور!

تميل اللغة العامة إلى أن تكون ذات طابع رسمي وتدلُّ على المكانة؛ فالمتحدّثون الجماهيريون هم بشكل عام في مواقع السلطة. حتّى المتحدثين الاستثنائيين- مثل المتحدّثين في

هايد بارك كورنر والواعظين والمثقفين بشكل عام- هم من الرجال. وفي المجتمعات التي تكون فيها المكانة العالية والسلطة للرجال فقط، يجب أن تبقى المرأة صامتة في المجال العام. وكان الرسول بولس واضحاً تماماً بشأن هذا الموضوع، فيما كتب في القرن الأول الميلادي. قال: "دع نساءك يصمتن في الكنائس، فلا يجوز لهنَّ الكلام... وإذا كنَّ سيتعلمن أيَّ شيء، فليطلبن من أزواجهن في المنزل: فمن العار أن تتحدّث النساء في الكنيسة "(رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، 14: 34-5). مهما كان قصده بهذا التصريح قبل 2000 عام، هناك شيء واحد نعرفه: لقد استخدم على نطاق واسع في العالم المسيحي لتبرير استمرار استبعاد النساء من مناصب السلطة في الكنيسة. كان هذا تماشياً مع تصريحات الفلاسفة اليونان، وهو تأثير رئيس آخر على المعتقدات الغربية. كتب أرسطو، على سبيل المثال، عن وجوب منع النساء من إرهاق أدمغتهنَّ بأشياء مثل العمل السياسي، لأنّه سيجفّف أرحامهنَّ. حتّى القرن التاسع عشر، غذى ادعاء أرسطو محاولات تخويف النساء بعيداً عن التحدّث أمام الجمهور بتحذيرات شديدة من أنَّ ذلك يؤدّي إلى العقم (جاميسون 1988: 69). وبحسب ما لاحظته بيرد (2017: 17)، كان التحدّث أمام الجمهور في العصور القديمة فعلاً من أفعال الرجال، رجال الطبقة العليا في الأقل. ويضرُّ بسمعة المرأة الجريئة على مخاطبة الجمهور- سواءً شفهياً أو كتابياً- لعدّة قرون. ويأخذ الشك بتلابيب "فضيلة" امرأة القرن الثامن عشر التي لها روايات منشورة. والواعظات يتمُّ الاستهزاء بهنَّ على نطاق واسع. كما تحتوي اللغة الإنكليزية على مجموعة متنوّعة ملفتة من الكلمات تصف وتدين النساء صاحبات الصوت العالي: سليطة اللسان، ناشز، ثرثارة، شكّاءة، مشاكسة، حادّة اللسان، ومبتذلة، وسيّئة السمعة، وعقعق، وغراب القيق، وببغاء، وحيزبون، وبغي (مخصية)، وسليطة. ويسعدني القول بأنَّ بعضها لم يعد مستعملاً.

إنَّ الإجبار على التزام الصمت، وعدم وجود صوت عام، يشبه أن تكون غير مرئي. كما تلاحظ روبن لاكوف، ما تزال النساء غير متحرّرات من القيود المفروضة علىهن تقليدياً:

> **فالصمت يشبه الخفاء... في أثينا القديمة، لم يكن من المفترض أن تظهر نساء الطبقات العليا علناً على الإطلاق (اختفاء علني حرفيّاً)، وفي المجتمعات الإسلامية الأصولية، يجب أن تكون النساء محجّبات في الأماكن العامة (اختفاء**

عام رمزي). نحن نفخر بتحرّرنا من تلك القيود المهينة. ولا نميل إلى إدراك مدى تحرّرنا الحديث والجزئي. (لاكوف 1995: 29)

وفي الطقوس التقليدية مثل حفلات الزفاف، غالباً ما يقوم الرجال بالكلام كلّه. ففي التقليد المسيحي الأنجلو أمريكي، يلقي الخطب والد العروس وأفضل رجل. والعروس ظاهرة حرفيّاً، بالتأكيد- دورها هو أن تبدو جميلة- لكنّها صامتة علناً (وغالباً ما تكون محجّبة).

تاريخياً، تمَّ استبعاد النساء من صور الخطاب المرموقة ويحتمل أن تكون مؤثّرة. في حين لم تعد النساء في معظم المجتمعات الصناعية ممنوعة من مثل هذه الخطابات، إلّا أنهنَّ ما زلن مهمّشات في العديد من السياقات العامّة. وكما تشير كاميرون، فإنَّ المشكلة لا تكمن في الوصول إلى الحديث العام على الإطلاق بقدر ما تكمن في التهميش المستمر:

إنَّ تلك الأوضاع والأنواع وطرق استخدام اللغة هي التي تحمل أكبر وزن للسلطة الثقافية للمجتمع ككل. ومن الواضح أنَّ الأصوات النسائية غير مرحّب بها في السياقات التي يتمُّ فيها تأكيد القيم المقدّرة بقوّة في المجتمع بشكل طقسي ومهيب، وذلك باستخدام سجل لغوي رسمي أو بارز لمناقشة "الموضوعات العظيمة" في مساحة مؤسّسية شبه مقدّسة- الغرفة البرلمانية، قاعة المحكمة، والكنيسة. (كاميرون 2006 ج: 8)

وفي بريطانيا، على سبيل المثال، ما يزال الجدل حول ترسيم النساء دائراً. فكانت النساء مؤهلات للانضمام إلى رجال الدين الإنجيليين منذ تسعينيات القرن الماضي، لكنَّ أولاء النساء اللاتي دخلن يتمُّ تهميشهنَّ وإخضاعهنَّ، كما أظهر بحث في **كنيسة إنجلاند** (والش 2001). وقد أشرت في الفصل السادس إلى دراسة تجريبية أجرتها أليس فريد واستنتجت فيها الكاتبة أنَّ المساحة التجريبية التي أنشأتها والكلام الذي كان يجري داخلها محصورين بين الجنسين. وتعتمد والش على رؤية فريدة بأنَّ المواضع قد تكون جندرية للقول بأنَّ أشكال الحديث في المجال العام هي في الأساس ذكورية (وذكورية مصطلح سأعود إليه بعد قليل). وكما لاحظت، فإنَّ ما نعدّه قواعد سلوك مهنية يُنظر إليها بشكل أفضل كقواعد ذكورية:

إنَّ مكانة النساء تاريخياً كأقلّية داخل مؤسّسات المجال العام، مثل البرلمان والكنيسة القائمة، تعني أنَّ الممارسات الخطابية السائدة التي تنتشر في هذه

المؤسّسات هي تلك المرتبطة بالمتحدّثين من الطبقة المتوسّطة من الذكور البيض. ومن خلال الاستخدام المعتاد، اتخذت هذه المعايير الخطابية الذكورية وضعية المعايير المهنية المحايدة تجاه الجندر، مثلها مثل أنماط السلوك الموجه للذكور. (والش 2001: 1)

وبالإشارة إلى هذه الممارسات الخطابية على أنَّها "ذكورية"، تشير والش إلى أنَّها تشكّلت تاريخياً على مر القرون جنباً إلى جنب مع الأشكال المهيمنة للذكورة. وهي تقدّم مصطلح "ذكوري" كبديل عن "السلطة الأبوية" من أجل تجنّب الانطباع بأنَّ المرأة محرومة عمداً من الوصول الكامل أو المشاركة (ص 25 ن).

إنَّ النساء يدخلن مجتمعات الممارسة من خلال دخول مؤسّسات مثل البرلمان والكنيسة (إيكرت وماكونيل- جينت 1992؛ ليف وفينجر 1991) التي كانت في السابق حكراً على الرجال. وتعرّف إيكيرت وماكونيل- جينت مجتمع الممارسة بأنَّه "مجموعة من الأشخاص الذين توحّدهم مؤسّسة مشتركة، يأتون ويطوّرون ويتبادلون طرق عمل الأشياء، وطرق الحديث، والمعتقدات، والقيم- باختصار، الممارسات" (إيكيرت 2006: 183). وبما أنَّ النساء يشاركن في مجتمعات الممارسة الذكورية، فمن المرجّح أن يشعرن بالتهميش؛ كما تقول إيكرت (1998: 67)، فإنهنَّ يشعرن بأنهنَّ "متطفّلات". وفي مثل هذه السياقات، تزداد المخاوف التي تواجهها النساء. فمن المحتمل أيضاً أن يواجهن دفاعاً من الرجال عن امتيازاتهم، كما سنرى في القسم التالي، الذي شهدته تجارب النساء في غرفة المناقشة في مجلس العموم البريطاني.

السياسة

إنَّ قصر وستمنستر في لندن هو مبنى حديث تاريخياً (فقد تمَّ الانتهاء من المبنى الحالي في عام 1870)، ولكنَّه يتوافر على غرفة نقاش لمجلس العموم منذ القرن الرابع عشر. وأتيح للنساء دخوله منذ عام 1918، لكنَّ القليل منهنَّ فعلن ذلك حتى عام 1997. وعلى مدى عدّة مئات من السنين تطوّر مجتمع الممارسة الذكورية، بهيكل تنظيمي يعود إلى عصر آخر ومقاوم للتغيير. فنظام العمل ساعات طويلة وغير منتظمة يتوافق مع طبقة النبلاء المنتمية لحقبة تاريخية سابقة، وبالتأكيد لا يتوافق مع السياسيات الحاليات التي لديهنَّ احتياجات لرعاية الأطفال. إنَّ مجلس العموم يشبه إلى حدٍّ ما نادي السادة "تمَّ تشكيله من قوائم مختصرة

للرجال فقط منذ 500 عام" (كينج 2005). وحتّى يومنا هذا، هو مجهّز بساحة لإطلاق النار، ولكن ليس به حضانة! وتمّ تصميم غرفة المناقشة نفسها من أجل المواجهات العدائية. فالأرضية الواقعة بين درجتي الجلوس محدّدة بخطوط حمر، يفصل بينهما عادةً سيفان: فلا يجوز لعضو البرلمان التحدّث إلّا من وراء أحد هذه الخطوط (مكتب معلومات مجلس العموم 2009 : 4). بينما يُفترض أنَّ اللعب الفعلي بالسيف لم يعد يمثّل مشكلة في مجلس النوّاب، إلّا أنّه من الناحية المجازية ما يزال شائعاً جداً:

إنَّ أسلوب النقاش في مجلس العموم كان تقليدياً هو أسلوب مقارعة الحجّة بالحجّة... يمكن لهذا الأسلوب في المناقشة أن يجعل مجلس العموم مكاناً صاخباً مع التعبير عن الرأي بقوّة، ووجود كثير من المداخلات، والتعبير عن الموافقة أو الرفض، من المتحدّثين ومثيري المزح أحياناً.

يسود في النقاش أسلوب قتالي للغاية، كما هو الحال في العلاقات بين أعضاء الحزب بشكل عام. وتلاحظ والش (2001: 69) أنَّ هذا الأمر قد تفاقم بسبب النظام المسؤول عن تواجد أعضاء الحزب، "ممّا يعني بشكل فعّال أنَّ ثقافة التنمّر لا يتمُّ التسامح معها فحسب، بل إنّها جزء لا يتجزّأ من النظام البرلماني".

وبعد انتصار ساحق لحزب العمّال في عام 1997، ازداد دخول النساء إلى مجلس العموم البريطاني. وقد اتخذت إحدى الدراسات من أداء أولاء النساء في غرفة المناقشة موضوعاً لها للدراسة (شاو 2006). واستندت سيلفيا شو لدراستها التي جمعت مواد مسجّلة بالفيديو تمَّ تصويرها بين عامي 1997 و2001 خلال ستين ساعة، ومقابلات شبه منظّمة مع نائبات. وتحدّثت معظم من قابلتهنَّ عن "رعبهنَّ" من التحدّث في المجلس. وتقرُّ شو بأنَّ هذا الاحتمال ربّما يكون له التأثير نفسه على عديد من النواب الذكور، لكنّها تشير إلى أنَّ الرجال ليسوا مضطرّين للتعامل مع "الاستنكارات المنحازة جنسيّاً والتمثيل الإعلامي السلبي الموجّه عادةً ضدَّ البرلمانيات" (ص82). وعلّق النائب الديمقراطي الليبرالي السابق، جاكي بالارد، على السلوك في وستمنستر فرآه "يندرج تحت المعايير التي قد يسمح بها في أيّ مكان عمل، لاسيّما فيما يتعلّق باللغة المتحيّزة جنسيّاً وما إلى ذلك" (سومز، موران ولوفيندوسكي 2005). وتجادل شو بأنَّ غرفة المناقشة لقرون- حصريّاً هي لنخبة من الذكور البيض من الطبقة العليا والمتوسّطة- هي ليست ساحة لعب متكافئة: فهي تضرُّ بعديد من الرجال النساء جميعاً.

فالمناقشة فيها كنوع خطابي، تخضع إلى حد كبير لقواعد. فعلى وجه التحديد، هناك أعراف صارمة لترؤس الجلسة ومتطلّبات رسمية للمخاطبة. وتُظهر القدرة على العمل ضمن هذا النوع الخطابي بسهولة طبيعة العضوية في مجتمع الممارسة. وعلى العكس من ذلك، فإنَّ الفشل في استخدام هذه "اللغة البرلمانية" المزعومة أمر يجعل المتحدّث شخصية هامشيّة فيه، كوافد جديد أو "متطفّل".

يتمُّ فرض قواعد المشاركة في مناقشات مجلس العموم على يد وسيط يعرف باسم رئيس مجلس النوّاب. السيد أو السيدة رئيس مجلس النوّاب مسؤول عن الحفاظ على "النظام" في غرفة المناقشة. وأعراف ترؤس الجلسة وشروط المخاطبة رسمية ومنمّقة للغاية. وفيما يلي مثال على نائبة خضعت لهذه القواعد. إذ بدأت في إلقاء خطاب قوي وواضح، ولم تتردّد في البداية، وتحدّثت بطلاقة وعن ثقة. وفي السطر التاسع، طلب نائب الأذن بالتعليق، ومنحته الفرصة:

نائبة برلمانية = نائبة عن حزب العمال (لم يتم توفير الاسم)

ج هـ = جون هايز (نائب عن حزب المحافظين)

1. النائبة: المشكلة التي واجهتها الشرطة (.) كانت حقيقة
2. أنّهم كانوا عنصريين مؤسسياً (.) غير أكفاء
3. مؤسسياً وفاسدين مؤسسياً و
4. أقول أن الفساد هو الأخ التوأم
5. للعنصرية (.) وهو يؤثر علينا جميعاً ولهذا السبب
6. فإنَّ النقاش مهم جداً (.) واستفسار لورانس
7. مهم جداً للأشخاص البيض
8. وكذلك للأشخاص السود
9. ج هـ: هل تفسح السيدة المحترمة لي المجال
10. النائبة: نعم
11. جون: ممتن جداً للسيدة المحترمة (.)
12. تخبر السيدة المحترمة هذا المجلس

13. أن الشرطة تعاني من الفساد المؤسسي
14. وبعيداً عن هذا الادعاء
15. العاشم (.) ألا تدرك أنها بإلقائها اللوم على
16. مؤسسة بكل من فيها (.) بافتراض وجود
17. ذنب جماعي غير مقصود (.)
18. فهي تبتعد عن السبب الحقيقي (.) فهؤلاء الضباط
19. الذين هم بالتأكيد مذنبون بهذه التهم (.)
20. لأنهم يختبئون وراء
21. الادعاءات التي تطلقها على جميع من بالشرطة

عندما تستجيب صاحبة الكلمة لهذا التدخّل، تقع في مزالق. إنّها تخاطب منافسها مباشرة، مدركة خطأها وتعتذر في السطر 26:

22. النائبة: شكراً لك (.) حسناً، إذا كان بإمكاننا النظر إلى القضية
23. التي أثرتها من خلال إيراد موقف آخر
24. ومؤسسة أخرى (.) فقط لنرى سواء أكانت
25. (.) النقطة التي أشرت إليها صحيحة أم لا.
26. أو آسفة
27. المتحدث: النظام على السيدة المحترمة استعمال
28. اللغة البرلمانية الصحيحة

إنّها باعتذارها الضمني للمتحدّث تعترف بالصعوبة التي تواجهها مع القيود العرفية. ثمّ تستأنف حديثها في السطر 31، مخاطبة متحدّثها بطريقة غير مباشرة بشكل مناسب، بصيغة الغائب، بـ"السيد المحترم":

29. النائبة: السيد النائب المتحدث، أعاني من عدم القدرة
30. على استيعاب ذلك ذهنياً حتى بعد سنتين
31. داخل هذا المجلس (.) نعم، ربما
32. سيجد السيد المحترم

33. في مثال آخر.. يمكننا استخدام مثال آخر

34. كما كنت أقول ومؤسسة أخرى

35. لنأخذ مثال التحيز الجنسي (.) ولنأخذ (.)البرلمان

36. لنأخذ مجلس العموم (.) لنلقي نظرة

37. عبر المقاعد هنا (.) ففي الواقع عندما نجد

38. امرأة معارضة في مقابل ستة وعشرين رجلاً (.)

39. على مقاعد المعارضة (.) الآن بالتأكيد

40. أنت لن تنكر أن هذا يعني أن لدينا

41. مؤسسة منحازة ضد المرأة.

42. هل تنكر سيدي المحترم ذلك

43. أفترض بأنه لن يفعل (.) الآن متساويان متعادلان

وبعد عدم فصاحة مبدئية عند إعادة استئناف كلمتها، استعادت استيعابها للموضوع، لكنّها عادت للمخاطبة المباشرة في السطر 44، ممّا دفع المتحدّث لطلب مداخلة ثانية:

44. (.) حسناً يمكنك أن تقول (.) حسناً، أنا آسفة

45. السيد المحترم

46. المتحدّث: اطلب من السيدة المحترمة أن تفكر ملياً

47. قبل أن تختار كلماتها (1.0)

48. النائبة: صحيح تماماً. السيد المتحدّث النائب

49. السيد المحترم قال نعم لتوّه

50. سينكر وجود التمييز

51. ضد النساء فيما لا يوجد بشكل فعلي

52. حسناً امرأتان في هذه اللحظة

53. يجلسن في المقاعد المقابلة

(يستمر الحديث)

(شاو 2006: 86-7)

لدينا هنا مثال لامرأة تكافح من أجل الامتثال للمعايير الخطابية لمجلس النواب. ربّما يكون من المدهش بعض الشيء أنَّ شو لم تجد أمثلة لرجال يفعلون الشيء نفسه. ففي مجموعة البيانات التي قامت بجمعها، ظلَّ القادمون الجدد من الذكور غير معروفين في المجلس؛ وكانوا إمّا صامتين أو ببساطة غائبين.

وفي دراسة سابقة، وجدت شاو (2000) أنَّ التدخلات القانونية- مطالبة صاحب الكلمة بمنح فرصة للحديث- تمَّ توزيعها بالتساوي على مساهمات أعضاء البرلمان من الذكور والإناث عند النقاش. ومع ذلك، كان الرجال هم الذين نفّذوا التدخلات غير القانونية جميعها تقريباً. وكان هناك عديد من الخدع المخالفة للقواعد التي شارك فيها الرجال فقط: وتكرّرت الاستنكارات والهتافات كثيراً، كما حدث خطف لأرضية الحديث من خلال التدخّلات غير القانونية التي لم يتم التصدّي لها (من مثل عبارات "يا وينترتون أنت قمامة قذرة (.) أنت حقاً رجل سخيف": شاو 2006: 93). ولم تنغمس النساء في مثل هذا التعطيل لكسر القواعد. وبصفتهنَّ وافدات جدد إلى مجتمع الممارسة، كنَّ بحاجة إلى أن يكنَّ "غير ملومات" وأن ينتهجن أفضل سلوك (ص 96).

بالطبع، قبل التدفّق النسائي عام 1997، تواجد عدد قليل من النساء في مجلس النوّاب واستطعن العمل بنجاح في بيئته الذكورية، وأبرزهنَّ مارغريت تاتشر، أوّل رئيسة وزراء على الإطلاق. وقد جرى توثيق الطريقة التي نصبت بها نفسها كقائدة (على سبيل المثال فيركلاف 2001). ونالت الراحلة غوينيث دنوودي، النائب عن حزب العمال، احتراماً على مضض لسلوكها العدواني، كما حصلت السيدة بادجر على لقب الحنون. ويتذكّر أحد الناعين هذا التعليق: "لا مانع من أن يُطلق عليّ لقب الشرسة. إنَّهم مصنوعون بشكل جيّد وحادّون للغاية وفعّالون جدّاً إلى حدٍّ كبير فيما يفعلونه (وايت 2008). ومع ذلك، ما يزال يُنظر إلى النساء في الساحة السياسية على أنهنَّ استثناء للقاعدة. وتشير المقابلات مع النساء في البرلمان الأوروبي إلى أنهنَّ على دراية تامّة بهويّاتهنَّ كاستثناءات غريبة، أو "طيور خاصة" (ووداك 2003: 692). كما يهيمن الذكور على وسائل الإعلام؛ بخطاباتها المؤسّسية الذكورية، وتتعرّض السياسيات دائماً لخطر التهميش والاستخفاف بهنَّ. فالسجل رقم 101 والخاص بتصويت النائبة من حزب العمال في وستمنستر في مايو 1997، قد تمَّ الحديث عنه بشكل مشين في الصحافة

البريطانية بالقول بأنّه وصول "أطفال بلير" (ديلي ميل، 8 مايو 1997). كان هذا تعليقاً على صورة مشروحة. وإليكم بعض التعليقات المصاحبة:

> **خرجت النساء من تشرش هاوس، في وستمنستر، في مدٍّ متعدّد الألوان. كان الأمر مثل حضور فتيات الكشّافة لمعرض الزهور في تشيلسي، حيث البدلات الفوشيا [هكذا] المحبوبة من أمثال مارغريت بيكيت (رقم 83)، وأخضر باربارا فوليت الزمردي المتلألئ (رقم 74)، ممزوجاً بمزيد من اللون البنّي الداكن والقاتم ولون البيج.** (ديلي ميل، 8 مايو 1997؛ مقتبس في كتاب والش 2001: 45)

إن الفعل "خرجت" والانشغال بالتأثير البصري يقلّل من قيمة وصول كلّ أولاء النساء إلى المسرح السياسي (والش 2001: 45).

وفي ذلك الوقت، افترض المعلّقون أنّ زيادة حضور المرأة في مجلس العموم من شأنه أن يحسن السلوك في غرفة المناقشة. وكان هناك اعتقاد شائع بأنّ المرأة ستقدّم أسلوباً تفاعلياً مختلفاً، ممّا لا يجعل المجلس "مكاناً للثرثرة". ومن المؤكّد أنّ العدد الجديد من النائبات لم يعجبهن الأسلوب القتالي العدواني للمجلس. ووفقاً لمقابلات مع ثلاث وعشرين من أعضاء البرلمان من النساء من حزب العمال اللاتي دخلن مجلس العموم للمرّة الأولى عام 1997، فإنّ العديد منهنّ يشتركن في الاعتقاد بأنّ النساء يجلبن أسلوباً مختلفاً إلى مجلس النواب ونهجاً سياسياً مختلفاً تماماً (تشايلدز 2004). هذه الآراء هي تعبيرات عن أيديولوجية "الصوت المختلف"، وهو تطوّر في أواخر القرن العشرين "من الواضح أنّها مدينة للأفكار والتطلّعات السياسية للحركة النسوية أواخر القرن العشرين" (كاميرون وشاو 2016: 5). وفي هذه الأيام، هناك اعتقاد عام بوجود اختلاف بين الذكور والإناث في أنماط التفاعل (وقد درستها دراسة نقدية في بحثي لإطار الاختلاف والسيطرة في الفصل السادس). وعلى الرغم من جاذبية هذا الاعتقاد، إلّا أنّه يجب التعامل معه بحذر. وفي الواقع، لم تجد كاميرون وشاو (2016) في تحليل دقيق لهما لمقتطفات من المناظرات المتلفزة في الفترة التي سبقت الانتخابات العامة في المملكة المتحدة عام 2015، أي دليل واضح على أيّة اختلافات من هذا القبيل. وخلصنا إلى أنّ بيانات المناظرات التلفزيونية لم تظهر اختلافات واضحة بين الجنسين على الإطلاق. بالطبع، نحن بحاجة إلى أن نضع في اعتبارنا (في الأقل) شيئين: أولاً، نوع المناظرة عدائي بطبيعته، ومن ثمّ فهو "مذكّر"؛ وثانياً، النقاشات التليفزيونية عبارة عن خطاب سياسي موسّع، وبهذه

الصفة، قدّمت عروضاً صراعية لجمهور المشاهدين في المنزل. لذلك تتوقّع أن يستخدم كلٌّ من المشاركين من الذكور والإناث استراتيجيات معادية. ومع ذلك، جمع الباحثون أيضاً تعليقات وسائل الإعلام على المناقشات. ومن المثير للاهتمام أنَّ تحليلهم لهذه التعليقات المصاحبة تكشف عن وجود فجوة بين الإدراك والواقع: فقد وجدوا وفرة من الإشارات إلى الاختلافات الواضحة التي هي ملحوظة مع ذلك. وفي الختام، يدعون إلى الاعتراف بأنَّ المتحدّثين السياسيين الفعالين يستخدمون مجموعة من الموارد اللغوية في التفاعل العدائي وفي التعاون. إنَّ إيديولوجية "الصوت المختلف" تجعل أنماط الكلام أنماطاً جندرية. لكن كلاً من الأسلوب الذكوري المعادي والأسلوب "الأنثوي" المبني على الإجماع "لهما وظائف مهمّة في الخطاب السياسي الديمقراطي، بل ونجد في المناقشة، وهي نوع عدائي في المقام الأوّل، عناصر يستخدمها كلٌّ من الذكور والإناث من السياسيين على حدٍّ سواء. ونعتقد بأنّه سيتمُ دفع قضية المساواة السياسية للمرأة إذا، اعترفنا بأنَّ المتحدثين السياسيين الأكثر فاعلية، ذكوراً وإناثاً، هم أولئك الذين يستخدمون مجموعة من الموارد اللغوية لبناء صوت يخصّهم، بدلاً من الإشادة بالتأثير الحضاري لـ"الصوت المختلف للمرأة" (كاميرون وشاو 2016: 134-5).

على الرغم من هذهِ التطوّرات الحديثة نسبياً، تواصل وسائل الإعلام إعادة إنتاج ونشر الأفكار الأكثر تقليدية وترسّخاً حول مكانة المرأة في المجال السياسي. ويمكن رؤية هذا بوضوح في معاملة وسائل الإعلام لهيلاري رودهام كلينتون على مرِّ السنين. ففي سيرتها الذاتية، تقدّم كلينتون ملاحظات حول التوقّعات من دورها كسيدة أولى. إذ توقّعت هيئة الصحافة في البيت الأبيض منها أن تعرض نفسها إمّا كشخصية مهنيّة نسوية أو ربّة منزل تقليدية (كلينتون 2003: 140). نشأ موقف آخر مآله الخسارة بالنسبة لها خلال سباق الترشيح للرئاسة عن الحزب الديمقراطي الذي خاضته بنفسها في 2007-2008، وفقاً لميلان فيرفير (رئيسة طاقم عملها عندما كانت السيدة الأولى):

لقد وصلت إلى نقطة لم يسبق لأيّة امرأة الوصول إليها في بلدنا، من حيث كونها مرشّحة فعلية لمنصب الرئيس. لكنّني أعتقد أنّها إذا سعت لإثبات كونها ذات كفاءة وصارمة بما يكفي لتكون القائد العام، وعند تقديمها لتلك الصورة، قد يكون رد الفعل "حسناً، ربّما عند قيامها بذلك لن تكن محبوبة"، ولكن إذا

قدّمت نفسها كامرأة ناعمة ومحبوبة، وهي كذلك، فيعها الناس على أنّها ليست قويّة بما فيه الكفاية. ومن ثم هذا قيد مزدوج. (بروكز 2008: 22)

هنا لدينا هذا القيد المزدوج المألوف، ومفاده "ملعون إذا فعلت ذلك، ملعون إذا لم تفعل" هذا المأزق الذي حدّده لاكوف في السبعينيات. واقترح المعلّقون على سباق الترشح بين كلينتون وباراك أوباما أنَّ كونك ذكراً في حدِّ ذاته يمنح المرشّح قدرة أكبر على تجسيد الصفات المرغوبة للقائد.

إنَّ التركيز الإعلامي المكثف على المرشحين المحتملين أمر حتمي ومناسب تماماً. ومع ذلك، ففي حالة كلينتون، لم يكن التركيز الإعلامي منصباً على وجهات نظرها بشأن القضايا الجادّة أو خططها السياسية، كما هو مأمول، بل انصب الاهتمام على ضحكها؛ أو بالأحرى ما أصبح يُعرف باسم "ضحكة كلينتون العالية". وفي دراسة تفصيلية جرى الاهتمام بتطوّر التغطية الإعلامية الناطقة بالإنكليزية (رومانيوك 2014). ففي الحديث الإعلامي، فإنَّ الضحك ردّاً على الأسئلة العدائية ليس فريداً من نوعه بالنسبة لكلينتون. إنَّها ممارسة شائعة وتعمل كشكل من أشكال "التحكّم في الضرر" في التفاعل العدائي، وتعمل كتعليق ضمني على الاستجواب العدائي ومحاولة تقويض شرعيتها باعتباره أمراً "جادّاً" (رومانيوك 2013، 2014، 2016). ومع ذلك، في حالة كلينتون، أصبح فعل قيامها بالضحك- وهي تفعل ذلك بطريقة يتمُّ تقديمها كأسلوب خاص وغير ملائم زعماً- أصبح هو الخبر، على حساب المحتوى الموضوعي. ومع ساعات طويلة من حديث البث الإذاعي، بدأت مقاطع صوتية من الضحك تنتشر من دون ذكر تسلسل الأسئلة والأجوبة القائمة. ويتمُّ تقييم هذا الضحك المنزوع من سياقه سلباً على أنّه "ضحكة عالية". وتعود رومانيوك إلى أوّل بث لـ"الضحك العالي" المفترض لكلينتون، ثمَّ تتبعته من خلال مساراته المتعدّدة في صناعة الإعلام، بما في ذلك من خلال ارتجاعها في نصوص المقابلة (التي، بشكل غير منتظم وصادم، تعيد إنتاج التوصيف السلبي لضحكتها)، وعبر الإنترنت، ثمَّ في النصوص المطبوعة. حيث كثرت التقييمات: "مخيف"، "صوت مخيف..." في موضع ما بين القعقعة والصراخ، "تماماً مثل الدجاجة الضاحكة" (رومانيوك 2014: 253). كانت هناك إشارات متكرّرة إلى ساحرة الغرب الشرّيرة من كتاب الساحر أوز، التي تراها رومانيوك إشارات إلى "شعار جوهري وصورة نمطية منتشرة للسياسيات، على وجه التحديد، أولئك اللاتي يشغلن مناصب قيادية قويّة يشغلها الرجال تقليدياً وبشكل عام" (ص265،

ن8). وخلال الحملة الانتخابية لعام 2016، التي خسرت فيها كلينتون بفارق ضئيل أمام دونالد ترامب، تم إحياء الصورة النمطية. وتمَّ تغيير اسمها إلى ساحرة اليسار الشرّيرة في وسائل التواصل الاجتماعي، وكثيراً ما تمَّ تصويرها بقبّعة مدبّبة، وأحياناً ذات بشرة خضراء، وتقوم بركوب المكنسة، وبالطبع، تضحك بصوت عالٍ:

> **إنَّ طبيعة ومسار هذا العرض السلبي الجندري يدلُّ على الاعتقاد الأيديولوجي بأنَّ الأشخاص الأقوياء- في هذه الحالة، القادة السياسيّون الذين يتنافسون على أعلى مستوى من المناصب التنفيذية المنتخبة في الولايات المتحدة- يجب أن يستمرّوا رجالاً (وليس ساحرات)، ويشير إلى هذا الوضع "المزدوج" الذي تواصل السياسيات مواجهته في عالم السياسة الرئاسية.** (رومانيوك 2014: 263)

أعود إلى التمثيلات الإعلامية للمرأة داخل العمل في القسم الأخير من هذا الفصل.

مقابلات البث

عند بث الأحداث الجارية، تعدُّ مقابلة "الأخبار الصعبة" السياسية من فئة الأنواع النخبوية ودور القائم بإجراء المقابلة دوراً مرموقاً. وقد تمَّ وصفه بأنَّه "منبر الشعب" (كليمان 2002)، لتعبيره عن المخاوف نيابةً عن الجمهور. لقد تطوّرت هوية هذا المنبر الشعبي إلى شكل يتمتّع بالشهرة، إلى مقام "المحقّق العام" (هيجين 2010). ويتطلّب هذا الدور الانخراط في أشكال معيّنة من الحوار العدواني والاستقصائي، في شكل "بث حربي" عدائي (هيجينز وسميث 2017، سميث وهيجينز 2014). واهتمت الدراسة بحالة جيريمي باكسمان وجون همفريز، وهما شخصيتان بارزتان في البث البريطاني قاما بتوسيع نطاق دور النخبة الخطابي ليشمل أنواعاً إعلامية أخرى غير المقابلة الإخبارية الصعبة (باكسمان، على سبيل المثال، يطبقها في برنامج مسابقة تحدّي الجامعة على البي بي سي). وفي هذا القسم، أتأمّل أساليب إجراء المقابلات مع المذيعين والمحاورين في البرامج رفيعة المستوى: برنامج نيوزنايت (على محطة بي بي سي) وبرنامج راديو 4 (على البي بي سي). كما أنّني أتأمّل تجربة سو ماكغريغور، وهي مذيعة نسوية، عندما انضمت لفريق عمل برنامج اليوم.

من السمات المعروفة لأسلوب باكسمان عند إجراء المقابلات إصراره الدؤوب، مصحوباً بميل إلى التكرار والمقاطعة عند استجواب من يقابلهم. وتعدُّ أكثر الحالات تطرّفاً مقابلة عام

1997 مع السياسي المحافظ مايكل هوارد. أعاد باكسمان في حينها تدوير السؤال نفسه اثنتي عشرة مرّة أو أكثر. وإليكم مقطع قصير يحتوي على اثنتين منهما (في السطر 3 و 8):

م.هـ: مايكل هوارد

ج ب: جيريمي باكسمان

1. م.هـ: هل يحق لي التعبير عن آرائي؟
2. كان يحق لي أن يتم استشارتي
3. ج.ب: = هل هددت بالانقضاض عليه؟
4. م.هـ: لم يكن يحق لي توجيه
5. تعليمات لديريك لويس ولم أقم
6. بتوجيه وحقيقة
7. وحقيقة الأمر هو أن ((يذوي)) =
8. جي بي: هل هددت بالانقضاض عليه

هنا مقطع قصير آخر من فترة لاحقة بقليل في المقابلة نفسها. يتحدّث هوارد ببطء شديد، بينما خطاب باكسمان سريع جداً أحياناً:

1. ج.ب: ألاحظ أنك لا تجيب على السؤال
2. ما إذا كنت قد هددت بالانقضاض عليه
3. م.هـ: ((رد بطيء للغاية)) حسناً
4. الجانب المهم من هذا (.) وهو
5. واضح جداً لأخذه في الاعتبار
6. هذا
7. ج.ب: >>> آسف لأنني سأكون وقحاً بشكل مخيف
8. ولكن - <<<
9. م.هـ: نعم (يمكنك)]
10. ج.ب:> أنا آسف <

((عدّة ثوانٍ من الحديث المتزامن غير مفهوم))

يقدّم باكسمان في السطر السابع اعتذاراً شكلياً هو بمثابة استراتيجية مهذّبة سلبية، ومن المفترض أن تخفّف من التهديد الوشيك بتكرار السؤال ثانيةً. ثمّ، في السطر العاشر، يبدو أنَّ هناك اعتذاراً آخر موجّهاً لأخذ الدور في الحديث. هنا باكسمان هو المحاور الدؤوب الذي يُخضع من تتمُّ مقابلته إلى استجواب مهذّب. ويوضّح المقتطف أسلوب المقابلة بالمواجهة الذي ينتهجه المحقّق العام، مع درجة عالية من الحديث المتزامن، وأخذ الدور في الحديث من دون سابق إنذار، والتحدّيات العلنية للمحاور في فرض جدول أعماله. (وفي الواقع، كان صوت المنتج في أذنه يأمره بالتوقّف لبعض الوقت... لقد كان يفعل ما قيل له. والغريب أنَّ إجابة الشخص الذي تمّت مقابلته كانت "لا" على أيّ حال!).

مثل المحاورين الآخرين، يستخدم باكسمان كثيراً تكتيكاً غامضاً "الصوت المزدوج" في استراتيجيات عرضه للأسئلة. فهناك تمييز ثلاثي الاتجاه بين أدوار المتحدّث أو "أصواته" وهو تمييز مفيد أحياناً، لاسيّما عند التعامل مع الخطاب الإعلامي المعقّد. فالشخص الذي يعرض الحديث آراءه هو الشخص الرئيس؛ والشخص الذي يؤلّف الحديث هو المؤلّف. فيما الشخص الذي ينطق الكلام فهو مصمّم الحركة ("آلة الحديث" (جوفمان 1981: 167)). فالصحفيون الإذاعيون، الذين يفترض أنّهم ملتزمون بالحياد، يقدّمون بشكل قياسي آراء الآخرين: أي أنّهم "يحرّكونها". مثال بسيط على هذا التحريك لكلمات الآخرين هو عندما يشير المحاور الإخباري إلى مقطع صوتي تمَّ تشغيله للتو. ومع ذلك، يستخدم باكسمان، بشكل مميّز أحياناً، وضعية محرك الآراء "التي ألفها" آخرون لإهانة من قام بمقابلتهم، في حين يحتفظ هو بموقف يظنُّ فيه الحياد. ويمكن أن تكون هذه الأسئلة شديدة الخطورة وتحطُّ من المقام، كما هو الحال في سؤاله في السطور 5-11:

ج ب: جيريمي باكسمان

د.د : ديفيد ديفيس

1. ج.ب: ديفيد ديفيس هل يمكن للمحافظين الفوز
2. في الانتخابات القادمة مع ديفيد كاميرون
3. كزعيم لهم

4. د.د: (.) أظن بإمكانهم ذلك (.) نعم
5. ج.ب: في هذه الحالة لماذا عليهم (.) اختيار
6. رجل (.) وصفه لنا زملاؤك
7. ك(.) وهذه اقتباسات مباشرة ك
8. سفاح، متنمر، مغامر (.) خائن
9. (.) خائن بالفطرة (.) و
10. فائزاً من هراء مكتب متابعة الالتزام الحزبي
11. في بطولة العام
12. د.د: يا لها من إطراءات

يحرك باكسمان في السطر 5-11 الكلمات المزعومة من زملاء ديفيس المحافظين. ويكمن الغموض، بالطبع، في انحيازه لهم. ومن الواضح من ردّ ديفيس الساخر (السطر 12)، أنّه يرى أنّ الحياد هو موقف لا طائل منه. وما يقوم به هو جزء من مناورة افتتاحية من النوع الذي عرف عنه استخدامه له. والأسلوب العدواني في الحديث الذي نهتم به هنا هو أداء احترافي يتمُّ توظيفه تكتيكياً: "يجب عدّ أسلوب البث العدائي (ذريعة مصطنعة)؛ تتحقّق بالأداء الاحترافي بدلاً من عدّها نابعة من الغضب... ويتمُّ توظيفها بطريقة منضبطة وتكتيكية، اعتماداً على التوزيع غير المتماثل للسلطة الذي يتجلّى بشكل جذري في النيابة العام أو في وضعية الخبير"(سميث وهيجينز 2014).

لقد تمَّ الاحتفال بشخصية باكسمان كشخصية محقّق في فقرة ملحقة مدّتها خمس عشرة دقيقة يوم الأحد في برنامج ساعة ويستمنستر (راديو بي بي سي 4، 18 يونيو 2006)، الذي قمت بدراسته في موضع آخر (تالبوت 2007، ط2). وكان عنوانه "كيف تهزم جيريمي باكسمان" ويصفه مقدّم البرنامج بأنّه "المحقق الأول في بريطانيا". هذه ميزة مثيرة للاهتمام من حيث أنّها تقدّم تمثيلاً لأسلوب خطابي ذي قيمة عالية، وكيف تختار هيئة الإذاعة البريطانية تقديم أحد "مشاهير" شؤونها الحالية: كشخصية بطولية. وتتمُّ دعوة المستمع الضمني ليحلَّ محلَّ النائب المفترض الذي يستعد للظهور في برنامج نيوزنايت: "لقد فكّرت في الحجج (.) ولكن هل أنت مستعد لتجربة الجسد بالكامل؟" فالسؤال هنا باستعارته للتواصل الحاصل في لعبة المصارعة يجعل باكسمان في وضعية الملاكم أو المصارع الخطابي. وتعمل هذه السمة على

تقديم المستوجب العنيد في أوّل مقتطفين أعلاه باعتباره "أسطورة"، والبدء بمناورة افتتاحية مهدّدة للمقام في المقتطف الثالث كاستراتيجية من استراتيجيات لعبة كريكيت الذكية: "أسلوب دحرجة المتبجّح". تساهم الاستعارات الرياضية في بناء صورة عن مقابلات باكسمان بعدّها ذات روح رياضية نبيلة. ولا يثمّن نص البث فقط المشاعر الخطابية للمحاورين المهتمّين بالرياضيين مثل باكسمان، بل يقدّمها كجزء أساسي من العملية الديمقراطية، طالما أنَّ "العملية السياسية تملي (.) الحقيقة... لا يمكن أو لا ينبغي إخباره (.) إذا لم يكن باكسمان موجوداً (.) فربّما يتعيّن عليك اختراعه.

لقد اهتمّت دراسات عديدة بالثقافة الذكورية في غرفة التحرير (على سبيل المثال بورن 2002، 2004؛ فان زونين 1998). ولعلَّ إحدى نتائج هذه الثقافة هو تهميش الصوت الأنثوي. ففي سيرتها الذاتية، تروي سو ماكغريغور تجربتها كمذيعة في مجتمع الممارسة الذكورية في راديو بي بي سي (ماكغريغور 2002). عندما انضمّت إلى فريق عمل البرنامج الإخباري الرائد "اليوم" على إذاعة بي بي سي 4 في عام 1984، كانت المساحة الزمنية المتميّزة من نصيب زملائها الذكور، جون همفريز والراحل براين ريدهيد، في حين يتمُّ تزويدها بقصص "الأخبار الناعمة" لتغطيتها. عندما تولّت المحرّرة، جيني أبرامسكي، العمل بعد ذلك بعامين في عام 1986، كان من المتوقّع حدوث تغيير. ومع ذلك، استمر تعيينها في منصب ثانوي، إذ ذهب نصيب الأسد من المقابلات الكبيرة إلى الرجال في غرفة الأخبار. يبدو أنَّ هذا المنصب الصغير انعكس على راتبها، الذي كان أقلّ بكثير من راتب زملائها الرجال، على الرغم من الإعلان عن اتباع "سياسة أساسية بأنَّ هناك تكافؤاً بينهم جميعاً" (دونوفان 1997، مقتبس في والش 2006: 123). تتذكّر ماكغريغور، أنّه بينما كان زملاؤها طيّبون ومفيدون في البداية بوصفها الطرف الأنثوي الوحيد في فريق البث، إذ اكتسبت الثقة، إلّا أنّهم بدوا عازمين على تقويضها من خلال "بعض الإهانات المدمّرة. فأيُّ تعثّر من جانبي سيتمُّ ملاحظته والانتباه إليه بابتسامة باردة. وذات مرّة دفع [براين ريدهيد] قطعة من الورق مكتوب عليها كلمة (حمقاء!) أمامي عندما أنهيت مقابلة حيّة" (ماكغريغور 2002: 229).

ومثل أسلوب باكسمان، غالباً ما يتسم أسلوب همفريز في المقابلات بالعدوانية واستعمال أسلوب التحقيق، إذ يُظهر "ميلاً إلى هندسة اللكمات اللفظية على الهواء" (والش 2006: 129). وتشير والش إلى استمرارية أسلوب النقاش العدواني والمثير للجدل في مجلس العموم

(ص 124)، لكنّها تشكّك في فعّالية أسلوب همفريز "الأسلوب العنيف في إجراء المقابلات" في مساعدة الجمهور على التمييز المستنير بين الأحزاب السياسية وسياساتها. وفي المقابل، اتخذت ماكغريغور، كمذيعة نسوي، ما وصفته والش بموقف "الاختلاف الحاسم" في غرفة الأخبار في برنامج اليوم (ص130). إذ رفضت الافتراضات الذكورية حول كيفية إجراء المقابلات السياسية. وتلاحظ والش أنَّ أسلوب ماكغريغور في المقابلات يتمُّ تحديده بسهولة من خلال ما تمتنع عنه أكثر ممَّا تقبله: فليس لديها مقاطعات مستمرة، ولا أسئلة فخاخية، ولا مضايقة عدوانية (ص131). وغالباً ما تشارك في محادثة قصيرة مع الضيوف قبل المقابلة، من أجل تهدئتهم، ممَّا يجعل أسلوبها مختلفاً تمام الاختلاف عن أسلوب باكسمان في برنامج نيوز نايت. ذلك أنَّ باكسمان يربك ضيوف برنامجه نيوزنايت عمداً ويشعرهم بعدم الارتياح بتجاهلهم أو بالشعور بالملل قبل بدء البث (تالبوت 2007 ط2: 122)، بحسب ما قاله مايكل هوارد (أحد الأشخاص الذين تمَّت مقابلتهم في هذا الفصل). فمن خلال الابتعاد عن ممارسات زملائها الذكور عند إجراء المقابلات، أجرت ماكغريغور مقابلات سياسية فعّالة، أشركت الجمهور فيها بدلاً من أن تصيبهم بالملل حرفياً (كما في الحالات القصوى). لقد حقّقت ذلك من خلال سبر الأغوار بدلاً من السجال، وبالتركيز على القضايا بدلاً من الانخراط في الخلافات الشخصية. وتوضّح والش أنَّ ماكغريغور قادرة تماماً على محاسبة السياسيين من دون اللجوء إلى المواجهة العدوانية. وتوصّلت لغوية أسترالية نسوية إلى استنتاج مماثل حول امرأة أجرت مقابلة مع سياسي على شاشة التلفزيون (شتاء 1993). وفي الواقع، تخلص والش إلى أنَّ أسلوب همفريز في إجراء المقابلات ليس ضرورياً للديمقراطية بقدر ما هو منغمس في الذات. ومع ذلك، فإنَّ ماكغريغور هي التي "تُنتقد لأنَّها شديدة العدوانية وتقاطع كثيراً" (ماكغريغور في مقابلة مع والش، في كتاب والش 2006: 134).

المرأة المسؤولة: التعامل مع القيود المزدوجة

أصبحت ممارسات المجتمعات الذكورية ممارسات تمَّ التعامل معها كممارسات طبيعية وعدّها ممارسات مهنية، كما لوحظ بالفعل. وكما هو الحال مع النساء في البث، تجد النساء في المناصب القيادية أنفسهن أيضاً في مأزق مزدوج. فمن ناحية، هناك توقّع بأنّهنَّ سيتصرفن بطرق أنثوية مقبولة، في حين من ناحية أخرى يحتجن إلى التصرف بشكل احترافي، الأمر الذي يتطلّب سلوكاً يُنظر إليه كسلوك ذكوري. وقد أجرى فريق من علماء سوسيولوجيا اللغة

النيوزيلنديين دراسة تجريبية واسعة للخطاب في مكان العمل، وكانت النتيجة الرئيسة التي تمخّضت عنها نظرة ثاقبة للاستجابات المتنوّعة للتحدّي الذي يمثّله هذا المأزق المزدوج بالنسبة للنساء عند تولّيهن المناصب القيادية. وقد قدّم مشروع لغة ويلينتجتون في مكان العمل درساً دقيقاً وسياقياً للأساليب الجندرية عبر مجموعة واسعة من أماكن العمل. ولقد سعى البحث إلى "هدم الروابط التقليدية بين الأنوثة وعدم الفعالية من ناحية، والذكورة والأقدمية من ناحية أخرى" (هولمز 2006: 26-7).

ويتضمن المشروع دراسة حالة لمديرة أولى في منظمة تجارية متعدّدة الجنسيات. إذ تركز دراسة الحالة على كلارا، وهي امرأة مسؤولة عن خمسين موظّفاً تبنّت شخصية "ملكة" (ص55)، وجعلت طاقم عملها يذعن لسلطتها على الرغم من كونها أنثى. وتصف هولمز الموقف الملكي الذي تبنّته كلارا بأنّها شخصية "ساخرة قليلاً وموضوعية، لكنَّ لديها أهدافاً محدّدة"، وأنّها "حلّت مشاكل السلطة، ولكنّها عبّرت عن أنوثتها عند الاقتضاء" (ص55). ومن واقع البيانات المطروحة في البحث، يبدو أنَّ هذه الهويّة المنسوبة لكلارا من واقع رؤية فريقها بدلاً من إنشائها أو تطويرها بنفسها. كانت تُلقّب علناً بـ"الملكة كلارا" في العمل ويسعدها مشاركة النكات حول هذه الشخصية، كما يتضح من المقتطف أدناه، الذي يأتي من اجتماع فريق صغير. ويضمُّ الاجتماع ستّة رجال وسبع سيّدات. وإنَّ سميثي على وشك أن يترأسه. يبدأ بسؤال كلارا عن أم الملكة البريطانية، التي ظهرت مؤخّراً في الأخبار نتيجة لعملية جراحية في الفخذ:

1. سميثي: كيف حال والدتك؟
2. كلارا: آسفة؟
3. سميثي: كسرت وركها أليس كذلك؟
4. كلارا: أمي؟
5. الحضور جميعاً: ((يضحكون))
6. كلارا: ما الذي تتحدّث عنه؟
7. إكس ف: ((يضحك)) أم الملكة
8. داي: ((يضحك)) أم الملكة
9. كلارا: أوه

10. الكل: ((يضحكون))

11. كلارا: أنا وزوجي ((باستخدام لهجة مفرطة في الحماس ونبرة متفوّقة))

12. الكل: ((يضحكون))

13. كلارا: واثقة من أنّها ستجتاز

14. الكل: ((يضحكون))

(هولمز 2006: 56)

يتّضح من السطور 2 و 4 و 6 أنّ كلارا مرتبكة في البداية. وبمجرّد أن تدرك أنّ سميثي يبدأ في إطلاق مزحة، فإنّها تكون سعيدة باللعب وتحاكي ساخرة صوت ملكة من الطبقة العليا في السطرين 11 و13. إنّ حديثاً قصيراً مثل هذا الحديث هو أمر معتاد في حدود الاجتماعات وهي قادرة تماماً على المشاركة فيه. ومع ذلك، فهي أيضاً موثوقة للغاية. وفي المقتطف التالي، المأخوذ من اجتماع آخر، أصدرت توجيهات صريحة، وهي ليست توجيهات غير مخفّفة، بل وتزداد حدّة بسبب التكرار:

1. هاري: يبدو أنّ هناك بالفعل طلباً لتفريغ لقطات الشاشة
2. أعلم أنّها خارج النطاق
3. ولكنّ الأشخاص (سيكونون) قلقين جدّاً بشأنه
4. ربّما إذا - =
5. روب: = يمكننا أن نظهر لك سريعاً أنّ
6. كلارا: لا طباعة من الشاشة
7. مات: نحن
8. كلارا: لا طباعة من الشاشة
9. روب: (×)
10. بيج: ((ساخراً)) شكراً لك كلارا
11. كلارا: لا طباعة من الشاشة
12. مات: نعلم أنّنا نعلم
13. أنّك لا تريدين شخصاً ونحن
14. كلارا: ((باستخدام صوت "آلي")) هذا ليس فيه استيفاء للمعايير

((تمَّ تقديم عدّة أسباب لماذا يجب السماح بتفريغ الشاشة))

15. كلارا: شكراً للنظر إلى ذلك على الرغم من

16. ساندي: لذلك هذا واضح ربَّما لا يوجد

17. كلارا: إنَّها لا

18. ساندي: إنَّها لا .. لا الملكية

19. كلارا: هل شعر الناس بالضعف بهذا القرار

20. بيج: ((بسخرية)) لا

21. كلارا: ((تضحك)) (مقتبس من هولمز 2005: 50-1)

وفي السطر لسادس، تستخدم كلارا حقّ النقض ضد "تفريغ الشاشة": أي طباعة المواد من الشاشة. ثمَّ قاطعت **مات** لتكرار حق النقض في السطر 8 وتكرّره مرَّةً أخرى في السطر 11، بعد شكر بيج الساخر. وفي السطر 14 تتابع بإشارة صريحة إلى بعض المعايير التي تمَّ الاتفاق عليها بالفعل. وتلاحظ هولمز أنَّه "بغضِّ النظر عن الطرق التقليدية المهذّبة (والنمطية "الأنثوية") للاختلاف مع الزملاء، فإنَّ "كلارا هنا (تمارس القوّة) بشكل واضح للغاية، باستخدام إستراتيجية نمطيّة (ذكوريّة) لتوضيح ما سيحدث ببساطة" (ص51). وتلاحظ هولمز إدراك .كلارا الواضح لتأثير الكاشطة لأسلوبها الذي لا هوادة فيه. هذا ما تمَّ اقتراحه من خلال متابعتها الإيجابية المهذّبة في السطر 15 ("شكراً على النظر إلى ذلك على الرغم من") ولكن الأكثر وضوحاً في ملاحظتها في السطر 19: "هل شعر الناس بالضعف جرّاء هذا القرار" (ص52) . هناك شيء آخر يدعم هذا الرأي وأودُّ أيضاً أن أختاره. يتعلّق هذا بتسليمها "الآلي" لـ"الذي لا يفي بالمعايير" في السطر 14. وعند طرحها لمبرّرها بطريقة مميّزة وغريبة في هذه المرحلة، يبدو أنَّ كلارا تسخر من نفسها. لقد استخدمت للتوّ حقَّ نقض مقتضب، ثلاث مرّات في شكل متطابق. إنَّها تبرّر حقَّ النقض بالالتزام الصارم بالمعايير التشغيلية والالتزام آلياً بالقواعد. ويبدو أنَّ هذا التسليم "الآلي" الغريب يقلّل من تهديد مقامها بالدعابة التي تسخر من الذات حول منصبها الذي لا هوادة فيه كرئيسة لهم. ويستخدم أعضاء الفريق الآخرين الفكاهة أيضاً، في كثير من الأحيان يستحضرون نكتة "الملكة كلارا" المستمرّة. وفي المقتطف يبدو أنَّ ساندي، نائبة المدير، توظّفها لاستكشاف موقف كلارا. لقد استجابت لشكر كلارا الإيجابي المهذّب باقتراح أنَّها قد تكون متردّدة في قرارها، مع التناقض الداخلي "لذا من الواضح

أنَّه ربَّما لا" (السطر 16). ثمَّ تردَّدت أصداء سلبية أخرى لا لبس فيها لكلارا ("إنَّها لا") بالإشارة إلى وضعها "كملكة": "إنَّها ليست لا الملكية" (السطر 18).

من المعتاد في المنظَّمات النيوزيلندية أن يكون الشخص عنيداً وعدائياً (هولمز 2006: 10). ومع ذلك، كان استخدام النساء التعويضي للفكاهة والاستخفاف بالنفس شائعاً جدَّاً في خطاب مكان العمل في ويلينجتون المدروس في المشروع (للحصول على أمثلة أخرى، انظر هولمز وشنور 2005؛ هولمز وستاب 2003، ط2؛ مارا، شنور وهولمز 2006). ويبدو أنَّ التشدّد، على الرغم من أنَّه ضروري، يتسبَّب في مشاكل للنساء:

> **وفي حين يوجد فيه قبول رسمي لممارسة المرأة للسلطة بشكل صريح في مكان العمل، كان هناك ضغط كبير لمقاومة أو تحييد آثار الاستراتيجيات السلطوية و"الذكورية" التي تستلزم القيام بسلوكيات أكثر" أنثوية "وتشجيعية وجماعية أو منكرة للذات.** (هولمز 2005: 52)

وفي موضع آخر في بيانات مشروع ويلينجتون، تمَّت مناقشة شخصية "الأم" (هولمز وستوب 2003 أ، 2003 ب). فقد تمَّ اقتراح أسلوب "الأم" في ممارسة السلطة في دراسات أجريت في أماكن أخرى، بما في ذلك الولايات المتحدة (على سبيل المثال دراسة كيندال 2003) وفي إسبانيا (مارتين روجو وإستيبان 2005) وفي المملكة المتحدة (مولاني 2007). فقد تميَّز أسلوب الأم باستخدام استراتيجيات حفظ ماء الوجه، ولاسيّما التوجهات غير المباشرة ودرجة عالية من التخفيف. وقد أجرت شاري كيندال دراسة مقارنة للاستخدام التوجيهي لأحد المديرات في المنزل والعمل. كانت نتيجتها المثيرة للسخرية أنَّه، من خلال هذه المقاييس، كانت المديرة أكثر "أمومية" مع مرؤوسيها ممَّا كانت عليه مع ابنتها في المنزل! لكنَّ هذه الشخصيات "الملكية" و"الأمومية" ليست، على أيّ حال، مناصب موضوعية فعلية تشغلها القيادات النسائية التي تُنسب إليهنَّ (يُمنح منصب الملكة لعدد قليل جدَّاً بالفعل)، بل إنَّها صور نمطية مألوفة للإناث منتشرة في مكان العمل حتّى يتمكّن الناس من التعامل مع الشذوذ المتمثل في وجود امرأة في منصب رئيس. وتتضمّن القوالب النمطية التبسيط والتقليل والتطبيع. إنَّها قوالب سلبية بشكل عام؛ وتعمل على الحفاظ على الوضع الراهن؛ وتلعب دوراً مهمَّاً في صراع الهيمنة (هوول 1997؛ تالبوت 2003). وبالعودة للحظة إلى كلارا، فإنَّ الشخصية الملكية المنسوبة إليها هي شخصية مختزلة للغاية. ولقد أشارت البيانات إلى وجود

قدر كبير من سلوكيات نكران الذات، التي يصعب ربطها بالنظام الملكي؛ ولم يكن تقليد كلارا للروبوت ملكيّاً أيضاً! ويوجد شخصية نسائية أخرى في مكان العمل، هي بالتأكيد صورة نمطية، وهي "المرأة سليطة اللسان". فكما أشرت سابقاً، زعمت غوينيث دنوودي- وهي سياسية بريطانية قاتلت المجتمع الذكوري غير المعاد بناؤه في وستمنستر لأكثر من أربعين عاماً- وأطلق عليها هذا المصطلح. وهناك صورتان نمطيتان أساسيتان أخريتان وهما المغرية والمدلّلة (باكستر 2018).

إن النساء وافدات حديثات العهد نسبياً في عديد من السياقات المهنية، لاسيّما في مناصب السلطة. وتشير بيانات مجموعة المقابلة والمناقشة في دراسة إسبانية إلى استمرار النظر إليهنَّ بعين الريبة واعتبارهنَّ قيادات غير فعّالة. ويتمُّ انتقاد النساء الإسبانيات في السلطة لإعطائهنَّ الأوامر باستخدام الخطاب غير المباشر، مثلاً. وعند القيام بذلك، يُنظر إليهنَّ باعتبارهنَّ يفتقرن إلى الثقة بأنفسهنَّ أو أنهنَّ مستغلّات، ومع ذلك لا يتمُّ تقييم استخدام الرجال للخطاب غير المباشر بطريقة مماثلة بشكل سلبي (مارتين روجو وإستيبان 2005: 69). وتكشف الدراسة عن بعض المواقف المحبطة تجاه النساء الموجودات في السلطة، بعض المواقف التي تشير إلى أنَّ التحيزات القديمة والارتباطات السلبية هي السائدة: "غالباً ما تجد النساء الإسبانيات مضطرّات وهنَّ في مناصب المسؤولية إلى القيام بأعمال الخداع لتقليل وإخفاء سلطتهنَّ في الوقت نفسه الذي يمارسنها فيه" (ص74). ومثل هيلاري كلينتون، يتعيّن على المديرات إدارة عملية توازن مستمر، بالتناوب بين إظهار الصلابة واستعراضات الإعجاب. ومن خلال التقليل من أهمية السلطة المؤسّسية، كما تفعل عديد من المسؤولات (على سبيل المثال كيندال 2003: 621؛ مارتين روجو وإستيبان 2005: 68)، فإنهنَّ يخاطرن بالظهور مفتقدين لها. كما لاحظت الراحلة جوديث باكستر، فمن المستحيل على "النساء أن يتكيّفن مع النماذج البدائية الذكورية للقيادة. ويُنظر إلى القيادات النسائية على أنهنَّ استثناء وغالباً ما يعدنَ منحرفات اجتماعياً ومهنياً. وبالتالي، يتمُّ إهمالهنَّ وتصنيفهنَّ بلغة ضيقة ومحدودة. ولقد أصبحن رسوماً كاريكاتورية (باكستر 2013).

لقد انتقلت من درس كلام النساء في مكان العمل إلى دراسة الحديث عن النساء في مكان العمل، أي تمثيلهنَّ، من خلال الاهتمام بكيفية تقييم النساء في مناصب السلطة. وتمثيل المرأة العاملة في وسائل الإعلام هو موضوع القسم التالي.

المقاومة والانتقام

التمثيلات الاعلامية للمرأة العاملة

فيما يلي بعض الملاحظات المتباينة حول الإعلام والمرأة في العمل. ففي الفترة التي سبقت انتخابات عام 2008 في الولايات المتحدة، أنشأت المنظمة الوطنية للمرأة قاعة إعلامية للعار. وفي مؤتمرها السنوي، تمَّ تقديم جوائز وهمية لأسوأ المخالفين. وكان من بين الفائزين الغائبين راش ليمبو (من قناة إم إس إن بي)، وحصل على هذه الجائزة الوهمية بسبب الشكوك التي أعرب عنها حول ملائمة كلينتون لمنصب الرئاسة: "هل سيرغب الأمريكيون في مشاهدة امرأة تكبر أمام أعينهم بشكل يومي؟" وجائزة الإنجاز الوهمية مدى الحياة للغائب كريس ماثيوس على "تفانيه في التعليق الجنسي" (بينيت 2008)؛ وكان من بين "إنجازاته" وصف كلينتون بـ"الشيطانة". وفي أوروبا في العام نفسه، تولّت كارمي تشاكون منصبها كأوّل وزيرة دفاع في إسبانيا. وتعجّبت وسائل الإعلام من الصدام مع النماذج الأصلية- نموذجي الأم والجندي- مع توافر صورة لامرأة حامل في الشهر السابع، تقوم باستعراض القوات (يوم 2008). وفي وقت مبكّر من العام التالي، نشرت التغطية الصحفية البريطانية تقريراً عن "استفسار جيّد عن الطفولة" مع العنوان الرئيس "الأطفال" تضرّروا من الأمّهات العاملات (الأحد، 2 فبراير 2009؛ انظر أدناه للحصول على عناوين مماثلة في الصحف الأخرى اليوم).

سلّط حفل الجوائز الوهمية للمنظّمة الوطنية للمرأة الضوء على الأفكار المسبّقة التي واجهتها النساء اللواتي يجرؤن على دخول دائرة الضوء في وسائل الإعلام. ويسلّط تأثير صورة شاكون الضوء على التوقّعات الجندرية التقليدية بشأن حدث عام. ولعلَّ التغطية الصحفية لتقرير "الطفولة الجيّدة" هي مثال محزن على مدى رغبة الصحفيين المتحمّسين في إلقاء اللوم على الأمّهات بعدّهن مَنْ وراء أمراض المجتمع. وقد تمَّ إجراء تحقيق "استفسار جيّد عن الطفولة" بتكليف من جمعية الأطفال، وهي منظّمة خيرية تابعة لكنيسة إنجلاند. ونُشر تحت عنوان طفولة جيدة: البحث عن القيم في عصر تنافسي، وحجمه كبير: فهو يحتوي على فصول عن الأسرة والأصدقاء ونمط الحياة والقيم والتعليم والصحة العقلية وعدم المساواة (لايارد ودن 2009). إنّه يتطرّق إلى مجموعة كبيرة من القضايا المتعلّقة بالنمو في العالم الحديث، من الحاجة إلى مراكز شبابية عالية الجودة إلى التأثيرات المحتملة لإعلانات الوجبات السريعة، إلى الضغوط التي يمارسها الأقران للحصول على أحدث هاتف محمول. واقتراحاته

الرئيسة عامةً. وهي تشمل تدبيرات لدعم الأمهات العاملات، على سبيل المثال زيادة توافر رعاية للأطفال بجودة عالية وبأسعار معقولة وأجازة طويلة بعد ولادة الطفل. ومع ذلك، ركزت الصحف حصرياً على تفكك الأسرة، وحُمّلت النساء المسؤولية عنه:

إن الأطفال "تضرّروا" من الأمهات العاملات (الأحد، 2 فبراير 2009)

النساء العاملات "يشجّعن على الانقسامات الأسرية" (ديلي تلغراف، 2 فبراير 2009)

فأموال أمي "أدّت إلى قيام منزل منقسم" (ميرور، 2 فبراير 2009)

إنَّ الأطفال "يعانون لعدم وجود عائلة مكونة من والدين" (ديلي ميل، 2 فبراير 2009)

وتمَّ تجاهل القضايا الاجتماعية المعقّدة التي كشف عنها التقرير. بدلاً من ذلك، يُعرض علينا كبش فداء بسيط: وهو الأم العاملة. وفي عام 2003، أثار مقال بعنوان "ثورة الانسحاب" عاصفة إعلامية (بيلكين 2003). وظهر المقال في مجلة نيويورك تايمز صانداي، وحمل إدعاءات تمَّ نسخها بأمانة في تغطية لاحقة ضمت مقالات بعناوين مثل: "القوّة: هل تريدها النساء حقّاً؟" (سيلرز 2003، مقتبس في فافروس 2007: 51). بل إنَّ التغطية الصحفية تتخذ عنصراً أساسياً فيها تلك القصص التي تدور حول خروج النساء من القوى العاملة والعودة إلى العمل المنزلي طول الوقت. ولقد تكرّر ذكرها مراراً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، إن لم يكن قبل ذلك. وقد قامت ماري دوجلاس فافروس بدراسة التغطية التي بدأتها مقالة مجلة نيويورك تايمز. وقد جرى على الألسنة اصطلاح جديد، وهو "تغيير المسار"، لوصف هذه الظاهرة منذ ذلك الحين. وتركز فافروس، وهي نسوية متخصّصة في الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام، بشكل خاص على عنصرين متكرّرين: عنصر بلاغة الاختيار- حيث تمتلئ المقالات بمصطلحي "اختيار" و"انتقاء" ومرادفاتهما- وعنصر عدم الانتباه إلى العوامل الاجتماعية التي تؤثّر على المرأة. وتنتهي جميع المقالات بإلقاء اللوم على أرباب العمل لعدم تنفيذهم سياسات صديقة للأسرة، ولكنَّها تنخرط في "بلاغة ذات طابع شخصي حول الأنشطة الاجتماعية (مثل الأمومة)" (فافروس 2007: 48) بدلاً من قيامها بمتابعة الحجج بإجراء مناقشة نقدية لمثل هذه القضايا الاجتماعية من قبيل هشاشة خدمات رعاية الأطفال أو ضعف الدعم الحكومي. كما تصوّر المقالات "الأمهات اللواتي تمَّ استبعادهنَّ" على أنهنَّ

راضيات عن أنفسهنَّ، ولا يهتممن إلَّا بأنفسهنَّ وعائلاتهنَّ. ويتمُّ تصوير أنماط حياتهنَّ على أنَّها تمَّ اختيارها بحرية، من دون أيّة مناقشة للظروف الفعلية التي أودت بهنَّ لذلك. وهنا تقدّم فافروس (2007: 52) صورة كاريكاتورية للتوجّه النسوي الكامن في هذا التأطير الصحفي، وذلك فيما يطرحه من تبرير "لأنَّ ما يفعلنه نابع من اختيارهنَّ لشيء ما- أيّ شيء- وبالتالي فإنَّ المقالات تدعم مبدأ نسوياً". ولا توجد أيّة إشارة إلى علاقات القوّة وعدم المساواة الاجتماعية فيما تطرحه وسائل الإعلام المعنية بالنساء اللاتي تركن العمل بأجر لتربية الأطفال. وتقتبس فافروس من رواية آن كريتيندن "ثمن الأمومة" للتأكيد على المشكلة الرئيسة في بلاغة الاختيار. إذ إنَّ هذه البلاغة انطلاقاً من الليبرالية الجديدة، تغفل بعد القوّة:

> **أولئك الذين يستفيدون من الوضع الراهن يعزون دائماً عدم المساواة إلى اختيارات المستضعف. وبالنسبة لمعظم النساء، الاختيار هو اللجوء للخيارات السيّئة والقرارات الصعبة: طفلك أو مهنتك؛ القيام بالأعمال المنزلية أو الخلافات الزوجية؛ نوم جيّد ليلاً أو قضاء وقت مع طفلك؛ الطعام على المائدة أو سلامة طفلك؛ ذراعك اليمنى أو اليسرى. ولا عجب أنَّ الكثير من الأمّهات يتحدّثن عن "الاستسلام" للأمومة وكأنَّها هزيمة كبرى من الأفضل قبولها بدلاً من القتال.**
> (كريتيندن 2001، مقتبس في فافروس 2007: 54)

لا تجد النساء خياراً حرّاً حقيقياً، إذاً، عند التفكير في الأمومة.

إنَّ تغطية تغيير المسار أقل فظاظة من التحذيرات الرهيبة بشأن انخفاض الخصوبة أو التهديدات بشأن دقّات الساعات البيولوجية؛ ومع ذلك، فهي في النهاية تشويه عدائي للقوى العاملة النسائية. إنَّ الأثر المجرد لقصص تغيير المسار هو إضفاء الشرعية على المعتقدات الأبوية حول المرأة والعمل. وعلى الرغم من إدانتها لممارسات مكان العمل في الشركات، إلَّا أنَّها تضفي الشرعية على "المفاهيم القديمة الخطيرة حول المرأة والعمل والأسرة المستخدمة لتبرير التمييز الجنسي وإعادة إنتاج نظام غير عادل للعمل والرعاية الأسرية. وهي في النهاية تبرّر السلطة الأبويّة " (فافروس 2007: 49).

الكراهية السيبرانية على أساس الجندر

عندما تمَّ إنشاء الفضاء السيبراني، كانت المفاهيم الطوباوية للمساواة شائعة جداً. وتمَّ الترحيب بالفضاء الإلكتروني بوصفه ساحة عامة غير هرمية وخالية من التميز على أساس الجندر؛ فهو يحرّر الناس من علامات الاختلاف الاجتماعي، أليس كذلك؟ كانت الدراسات المبكّرة سريعة في التعامل بشكل نقدي مع مثل هذه الافتراضات، مبيّنة أنَّ أنماط السلوك "في العالم الحقيقي" تنتقل إلى الفضاءات الافتراضية (على سبيل المثال هيرينج، جونسون وديبينديتو 1995، سبيندر 1995). ومن دون شك تتوافر فيها مناسبات يترتّب عليها فوائد كبيرة بفضل إخفاء الهوية. وفيما يلي مثال مثير للإعجاب:

خلال أعمال الشغب في لوس أنجلوس عام 1992، بدأ حوار إلكتروني خالص على منتدى الرسائل، وتنفيساً عن الغضب ضدَّ السود واللاتينيين، تحوّل إلى حملة لجمع الأموال ورفع الوعي لعديد من المساهمين في منتدى للرسائل. بدأ التغيير على يد امرأة سوداء شابة من جنوب وسط لوس أنجلوس، وبفضل الحماية المترتّبة على إخفاء الهويّة في منتدى الرسائل (إذ تُستخدم الأسماء المستعارة على نطاق واسع)، شاركت الشابّة في مناقشات نقدية حول العلاقات العرقية والبطالة مع البيض، ولم يكن لديها الشجاعة أو الفرصة للتحدّث والعمل معهم.

(والاس 1992، مقتبس فيموراي 1995: 66)

وبحلول نهاية القرن، أتاحت التطوّرات التكنولوجية الإضافية تعزيز التفاعل والتعاون، وتوافر محتوى ينشئه المستخدم، والمشاركة فيه بشكل كبير. إذ وسّعت هذه التطوّرات من إمكانات التحوّل الديمقراطي للإنترنت بشكل أكبر. وانتشرت المشاركة وأصبحت عالمية، لتدخل الروتين اليومي للملايين. سواء كنت تشارك صوراً لطيفة لقطط صغيرة أو تنشر يوميات عبر الإنترنت أو تروّج لأنشطة احترافية في وضع عدم الاتصال، ونحن جميعاً نفعل هذا الأمر. إنَّه جزء من وقت الفراغ والعمل؛ مكان يذهب إليه الناس إليه ويلعبون فيه، ولكنَّه بالنسبة لعديد منهم يمثّل أيضاً مكاناً مهما للحصول على عمل. فالملف الشخصي للشخص على الإنترنت شيء مهم؛ وغالباً ما يتمُّ تصفية المتقدّمين للوظائف، على سبيل المثال، على أساس سمعتهم عبر الإنترنت. وبالنسبة للسياسيين، تعدُّ وسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر

قنوات مهمّة للتواصل مع الناخبين. كذلك يزداد اعتماد سبل العيش على تأثير وسائل التواصل الاجتماعي والحضور على الإنترنت.

ولسوء الحظ، أدّت التحسينات التي أدخلت على الإنترنت أيضاً إلى خلق بيئة تتيح كراهية النساء. ولقد لاحظت في الفصل الأخير ردّ الفعل الغاضب على التحدّيات التي تواجه سلطة الذكور وامتيازاتهم في العقود الأخيرة. ويمكن لهؤلاء الرجال الغاضبين جميعهم الآن أن يجدوا بعضهم البعض ويمكنهم التنفيس عن غضبهم من دون عقاب: "إنّ الاستيعاب المذهل لوسائل التواصل الاجتماعي، والقدرة التاريخية على استخدام الإنترنت من دون الكشف عن الهويّة قد تسبّب نسبياً في نشوء بيئات شبكية تفسح المجال أمام المستخدمين ليقعوا فريسة الهجمات وتحفيزات الغوغاء العدوانيين (جين 2017: 44).

تطلق إيما جين على هذه الظاهرة اصطلاح "الكراهية السيبرية على أساس الجندر" Gendered Cyberhate، من أجل إثبات أنّها شكل من أشكال خطاب الكراهية، تفضيلاً لهذا المصطلح على مصطلح "التنمّر" الأكثر شيوعاً، ولكنّه غامض. إذ تأخذ الظاهرة شكل الإساءة، بهدف إلحاق العار أو الحط من القدر والمقام، والترهيب، بما في ذلك التهديد بالعنف الجنسي الشديد. وتميل التهديدات وسوء المعاملة إلى التعبير عن نفسها بأكثر لغة هجومية ممكنة. وفي الواقع، تناقش جين "الصمت المجازي عنها" (جين 2017: 14) وما يترتّب على ذلك من مشكلات مطروحة للمناقشة العامة الفعّالة.

على سبيل المثال، انظر لاستهداف النائبة البريطانية ديان أبوت. في عام 1987 كانت أبوت أوّل امرأة سوداء تصبح نائبة. وهي الآن وزيرة داخلية الظل، وهي واحدة من كبار الوزراء في حكومة الظل لحزب العمال. وفي عام 2017، كان هناك نقاش برلماني حول ترهيب النوّاب عبر الإنترنت. وجاءت شهادة أبوت المطوّلة بمثابة صدمة للكثيرين. إليكم مقتطفاً قصيراً: "لقد تلقّيت تهديدات بالقتل، وجاءتني تغريدات على تويتر مفادها أنّه يجب عليّ أن أُشنق إذا "تمكّنوا من العثور على شجرة كبيرة بما يكفي لتحمل وزن الكلبة السمينة"... لقد تلقّيت تهديدات بالاغتصاب و... مراراً وتكراراً " (مقتبس في دروديا 2017، ط1). (لاحظ أنّها تتجنّب الصياغة الفعلية للتهديدات بالقتل والاغتصاب. وغني عن القول، لم يتمّ تمييز المصطلح العنصري للإساءة في الرسائل التي تلقّتها). وبعد المناقشة، أجرت منظّمة العفو الدولية تحقيقاً في مدى الانتهاكات التي كانت تستهدف البرلمانيات على تويتر في وقت سابق من العام

نفسه وركزت بشكل خاص على الأسابيع الستّة التي سبقت الانتخابات العامة في المملكة المتحدة في 8 يونيو. ووجدت أنَّ أبوت تلقّت ما يقرب من ثلث التغريدات المسيئة، التي زادت إلى النصف تقريباً في الأسابيع الستّة التي سبقت الانتخابات. وفي مقابلة معها، تأمّلت التأثير المتعاظم الذي سهّلته وسائل التواصل الاجتماعي:

عندما كنت عضواً جديدة في البرلمان، قلّما تجد رسالة عنصرية واحدة في الأسبوع موجّهة لي. لكن إذا كنت عنصرياً وأردت أن تسيء إلى عضو في البرلمان، عليك كتابة خطاب، وأن تضعه في مظروف، وعليك أن تلصق طابعاً بريدياً عليه وتضعه في صندوق الرسائل. الآن، وفي بعض الأيام، يمكننا الحصول على مئات المواد التي تحتوي على إساءة، اعتماداً على ما حدث في اليوم السابق... إنَّ الحجم الهائل منها هو ما يجعلها منهكة تماماً، ومؤذية، ومزعجة للغاية. إنَّها ذات حجم كبير. وتعبّر عن المستوى الهائل من الكراهية الذي يظهره الناس.

بصرف النظر عن الاستنزاف العاطفي والضرر النفسي الهائل، فإنَّ التعامل مع التهديدات وسوء المعاملة عبر الإنترنت يستغرق وقتاً طويلاً للغاية ومكلّف. ويتمّ توظيف الموظّفين للتعامل مع وابل من الرسائل المعادية. ويجب إبلاغ الشرطة والسلطات البرلمانية بأيّ تهديد يصدر. ويجب وضع تدابير أمنية إضافية.

إن الفضاء الإلكتروني العام ليس مكاناً جذّاباً عندما يجتذب الدخول إليه وابلاً من الكراهية. في حين أنَّ حالة أبوت متطرّفة، فإنَّ للفضاء السيبراني المنقسم على أساس الجندر عواقب وخيمة على النساء جميعاً، على الصعيدين المهني والاقتصادي:

فقد ثبت أنَّ القوة القسرية للكراهية السيبر انية على أساس الجندر تسبّب ضرراً عاطفياً واجتماعياً ومالياً ومهنياً وسياسياً من بين تأثيرات أخرى- إنَّها تُسكت النساء، وتُقيّد قدرتهنَّ على العثور على وظائف، وتسويق أنفسهنَّ، والتواصل، والمعاشرة، والانخراط في السياسة، والمشاركة بحرّية في التعبير عن الذات والتمثيل الذاتي. (جين 2017: 56)

لقد كنت أركز على التحيّز الجنسي وكره النساء، لكن بالطبع لدى الناس هويّات متعدّدة أو متقاطعة. فمن الواضح أنَّ أبوت تعرّضت للإساءة العنصرية وكذلك الجنسيّة (يمكن

للمرء أن يضيف مخاوف بشأن التفرقة العمرية والحجم). وهي تعرب عن قلقها بشأن التأثير الضار الذي تتسبّب فيه هذه العداوة الشديدة على الشباب: "أعتقد أنَّ الإساءة عبر الإنترنت التي أنالها تجعل النساء الأصغر سناً من ذوات البشرة الملوّنة متردّدات جدّاً في الدخول في النقاش العام والمشاركة في السياسة. ففي النهاية، لماذا يجب عليك دفع هذا الثمن لوجودك في الفضاء العام؟".

مزيد من القراءات

السياسة

داخل موضوع اللغة والجندر، هناك الآن مجموعة من الدراسات حول الشخصيات العامة في المجال السياسي. ولقد ذكرت بالفعل بعض الأعمال حول هيلاري كلينتون (رومانيوك 2013، 2014، 2016). وناقشتها لاكوف أيضاً بصفتها السيّدة الأولى (لاكوف 2000) وكسناتور (لاكوف 2003). وانظر أيضاً كتاب سميث (2015) عن أوباما؛ وكتاب هوول وجولدشتاين وإنجرام (2016) وكتاب جولدشتاين وهوول (2017) حول ترامب. وفي السياق البريطاني، يكون الأزواج موضوع كتاب بيج (2003) وكتاب سميث وهيجينز (2013). وتستكشف كو (2008) أسلوب التواصل لدى أنيت لو، نائبة الرئيس التايواني. وانظر أيضاً فورماتو (2017) حول التعامل مع السياسيات الإيطاليات ككائنات جنسية.

وسائل الإعلام

ترد رؤية عامة حديثة حول الخطاب الإعلامي والجندر في الفصل الثالث من جول (2018). وتفحص بايرلي وروس (2006) نشاط المرأة في وسائل الإعلام. والموضوع الرئيس لجيل (2007) هو تأثير النسوية على وسائل الإعلام، مع بعض التفكير في فكرة "ثقافة الإعلام ما بعد النسوي". وللحصول على تفاصيل حول كيف تخيف وسائل الإعلام الأمريكية النساء العاملات، اقرأ ريفرز (2007).

وحول الخطاب الإعلامي عامة، يتمُّ تقديم مجموعة من المقاربات النظرية ومنظورات تحليل الخطاب من خلال الدراسات التالية: هاتشبي (2006)، لورنزو دوس (2009)، ماثيسون (2005)، تالبوت (2007 ب)، تولسون (2006).

مكان العمل

يستكشف فصل نظرة عامة حول الخطاب والجندر في أماكن العمل التفاعل في مكان العمل وهوية مكان العمل ومكان العمل المنقسم على أساس الجندر (هولمز 2014). وثلاث دراسات رئيسة منها أعدها باكستر (2010 و2018) وهولمز ومارا وفاين (2011). وينظر كيندال (2006) إلى تصوّر النساء لأنفسهنّ كأمّهات في المحادثات القصيرة داخل مكان العمل. انظر أيضاً هولمز، ومارا ولازارو-سالازار (2017) والفصل الخامس من جول (2018).

الانترنت

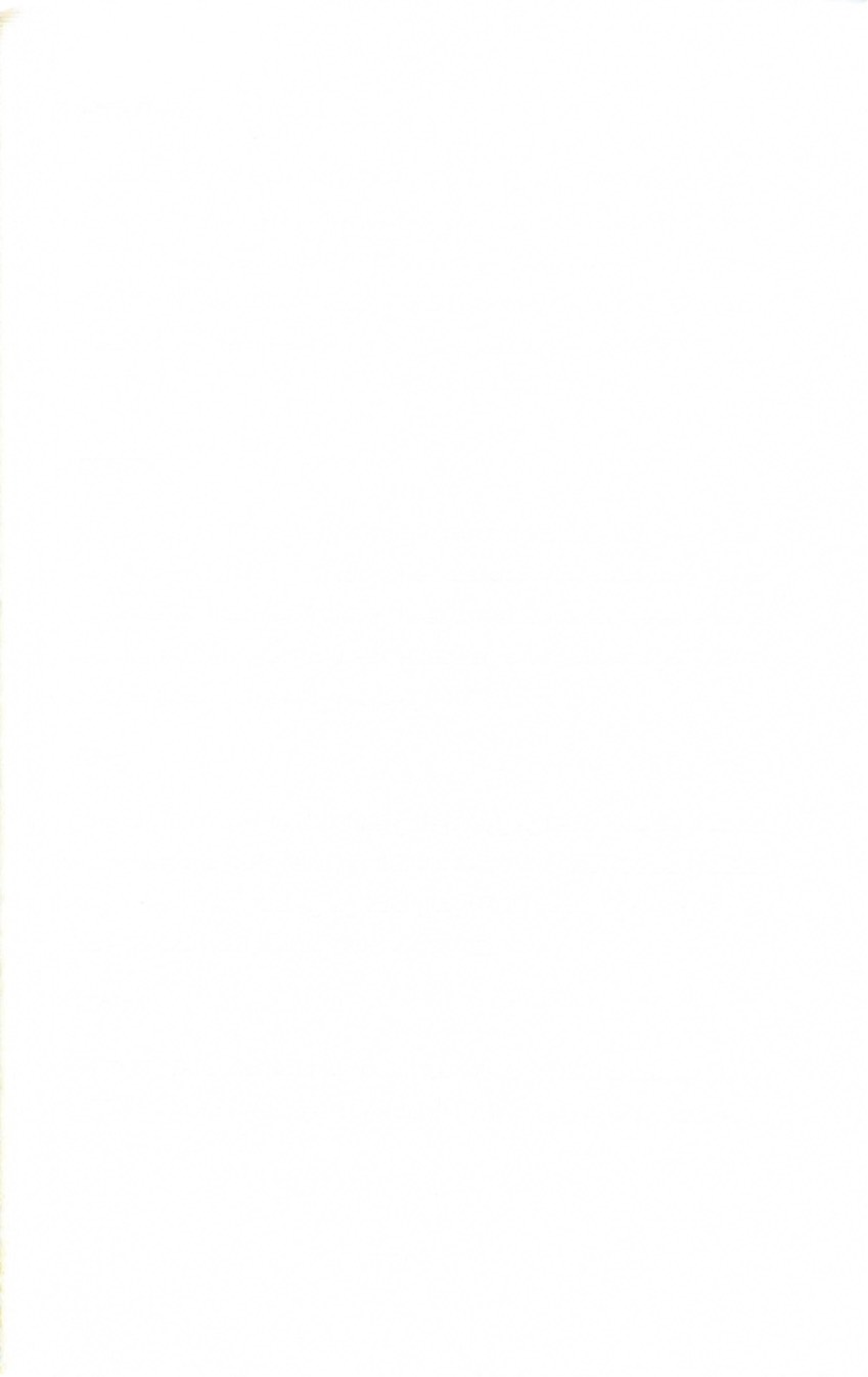
إنَّ كتاب جين (2017) هو عبارة عن دراسة مطوّلة عن كراهية النساء عبر الإنترنت. وتعرض دراسة درودي (2017 ط 2) نتائج دراسة استقصائية أجرتها منظّمة العفو الدولية حول إساءة معاملة النساء عبر الإنترنت في الدنمارك وإيطاليا ونيوزيلندا وبولندا وإسبانيا والسويد والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. وللاطلاع على دراسة استقصائية حول الجندر والتواصل عبر الكمبيوتر، اقرأ هيرينج وستوبرجر (2014).

الدين

تدرس بيان (2006) بروز الخطاب الديني في الموجة الأولى من الحركة النسوية في الولايات المتحدة، في حين تنظر جول (2006) في الطالبات الصامتات في كلية اللاهوت الأمريكية المعاصرة. ويبحث الفصل السادس من كتاب والش (2001) تهميش الراهبات في كنيسة إنجلاند. وراجع أيضاً الفصل السادس لكتاب جول (2018).

التعليم

للاطلاع على لمحات عامة جيّدة عن قضايا اللغة والجندر في البيئات التعليمية، انظر سوان (2003)، ومينارد-واريك، وموري وويليامز (2014)، والفصل الرابع من كتاب جول (2018).



11

اللغة والجندر والنشاط الجنسي

يركز هذا الفصل على الأعمال الحديثة المتأثّرة بالتطوّرات النظرية في اللغة والجندر، وهو بحث مدعوم بفكرة أنَّ الهوية يتمُّ تأديتها. إنَّه يركز على طبيعية المغايرة الجنسية، مع إيلاء اهتمام خاص لإظهار المغايرة الجنسية في الجماعات الذكورية، ولطرح تعريفات الرضا الجنسي والاغتصاب، والهويّات المهمّشة غير المعيارية.

تحريف الجندر

سبق لي أن اقترحت في الفصل السابع أن ننظر إلى هويّة الشخص على أنَّها جماعة من المواقف الموضوعية المتقاطعة التي تمنحها الخطابات. ولمواجهة أيّ انطباع بالسلبية، قدّمت فكرة الهويّة على أساس الجندر بوصفها "إنجازاً أدائياً" (بتلر 1999: 179). ثمَّ عرّجت في مناقشتي للنزعة الاستهلاكية في الفصل الثامن نحو النظر في بعض ممارسات التأنيث التي تنخرط فيها النساء والفتيات في أثناء عملهنَّ بنشاط على هويّاتهنَّ الأنثوية. ففي المجتمع الاستهلاكي، يعدُّ استهلاك السلع من صناعات الموضة ومستحضرات التجميل مكوّناً مهمّاً في إنجاز الجندر. ومع ذلك، فإنَّ إنجاز الجندر مسألة تفوق بكثير شراء الملابس والماكياج. فهي تشتمل أيضاً على الطريقة التي يتعامل بها الأشخاص مع ذواتهم، بما في ذلك عند اتخاذ وضعية للجسد وفيما يشار به من إيماءات. وانظر إلى المقتطف التالي من رواية تغييرات ضئيلة، وهي رواية كتبتها مارج بيرسي (1987 [1972]) التي تتعلّم فيها فرقة مسرحية كيفيّة وضع الجسد وتحريكه:

أوضحت كيف يجلس الرجال وكيف تجلس النساء على المقاعد في مترو الأنفاق. يتمدّد الرجال في المساحة المتاحة لهم. لقد تمدّدوا، أو جلسوا بأرجل ممدودة. وضعوا أذرعهم على ذراعي الكراسي. وضعوا ساقاً على ركبة الساق الأخرى. وسيطروا على المكان بانبساط أبدانهم.

فيما تنحصر النساء. وقد عقدن أرجلهنَّ بوضع ساق على الأخرى وبجانبها. أبقت النساء المرافق على جوانبهنَّ، وشغلن أقلَّ مساحة ممكنة. لقد تصرّفن كما لو كان من واجبهنَّ عدم الاحتكاك، عدم اللمس، عدم الاصطدام بالرجل. وإذا حدث اتصال، تنحسر المرأة. وإذا اصطدمت امرأة برجل، فقد يفسّر هو الأمر كدعوة منها له. جلست النساء جلسة المدافعات عن أنفسهنَّ، مستخدمات المرفقين ليس للسيطرة على الفضاء، وليس لتحديد المنطقة، ولكن لحماية أنسجتهنَّ الرخوة. (بيرسي 1987: 350)

فنحن نؤدّي الجندر في الأماكن العامّة، في طريقة شغلنا لمقعد في مترو الأنفاق أو في مقعد بحديقة من الحدائق. وبالطبع، جزء من أداء الجندر هو اشتغال علاقات القوّة.

فالجندر من منظور الأداء، هو فعل طقسي ويتمُ التحكّم في الأداء اليومي له: "الجندر هو القولبة المتكرّرة للجسم، جملة من الأفعال المتكرّرة ضمن إطار تنظيمي شديد الصرامة، إطار يتجمّد بمرور الوقت لإنتاج مظهر الجوهر، مظهر الجانب الطبيعي من الوجود" (بتلر 1999: 43-4). ويعرف الإطار التنظيمي على أنَّه "المصفوفة الثقافيّة التي أصبحت هويّة الجندر بفضلها هويّة مفهومة" (ص23). وبالنسبة لبتلر، فإنَّ التصنيف الطبيعي، التصنيف إلى مذكّر ومؤنث، هو نابع من "تأثيرات الحقيقة" لخطاب مهيمن على الجندر، ممّا يجعل المذكّر والمؤنث في تعارض غير متكافئ (ص174). هذا الفهم يفضح زيف التصور القائل بأنَّ بعض أشكال التعبير الجندري أكثر أصالة من غيرها.

تجادل بتلر بأنّه عندما يدخل رضيع حديث الولادة إلى العالم، فإنَّه يُجبر على فئة جنسية أو جندرية بعينها من ثنائية الجندر. فالتصريح "إنَّها فتاة!" ليس تصريحاً تقريرياً (بياناً للحقيقة)، ولكنَّه كلام أدائي ينطلق من عملية كاملة "لتكوين الفتاة" (بتلر 1993: 232). وفي تجريدها للمفاهيم المهيمنة للجندر من سمتها الطبيعي، تستخدم بتلر مثال عروض الممثلين

المقلّدين للإناث. وتجادل بأنَّ هذه العروض تكشف الاختلاق الكامن من وراء الأنوثة. كما توضّح أنَّ ما يبدو بشكل عام طبيعياً وعفوياً هو في الواقع مختلق ويعاد اختلاقه إلى ما لا نهاية: هو أداء متكرّر. وتقول بأنَّه "عند تقليد الجندر تكشف العروض ضمنياً عن بنية الجندر المقلّدة نفسها، وكذلك طابعها الطارئ" (ص175). ذلك أنَّ ثنائية المذكّر والمؤنث هي الدعامة التي تدعم المغايرة الجنسية (سينفيلد 1994: 169، مقتبس في كتاب ريتشاردسون 2009). وإنَّ الكشف عنها يشكّل تهديداً لمعيار المغايرة.

قيام هذه العروض بفضح عملية اختلاق الأنوثة، قد تمَّ تبيانها بمهارة في دراسة حول العروض الأفريقية الأمريكية التي يقلّد فيها الممثّلون الرجال النساء. وفيها يستخدم رستي باريت، وهو لغوي أمريكي، التركيب المهيمن للسلوك "شبه الأنثوي" الذي حدّدته لاكوف (وتمّت مناقشته في الفصل الثالث). ونجد ذلك فيما يقوم به المؤدّي من تحطيم لوهم احترامه لأنثوية الطبقة الوسطى بلغة التابو، التي هي لغة ليست أنثوية تماماً، كما يرد في هذا المقتطف:

هل أنت مستعد لرؤية بعض العضلات؟ [الجمهور يصرخ]... وبعض من القضيب؟ معذرةً، ليس من المفترض أن أقول ذلك...

كلمات من هذا القبيل في الميكروفون...

مثل القرف، اللعنة، وكلّ ذلك، أفلا تعرف؟

إنّني امرأة مسيحية.

أذهب إلى الكنيسة.

ودائماً بحاجة للعون.

(باريت 1999: 324)

يشير التفسير المزدوج الفكاهي في السطر الأخير ظاهريّاً إلى الإخلاص الديني، ولكنَّ نطقه بلسان رجل مقلّد لأنثى في حانة للمثليين يحمل معنى واضحاً لأداء لعق القضيب، الذي، مثل القسم، هو أيضاً "ليس أنثوياً" بشكل واضح. وكما يقول باريت، من خلال "إنشاء صوتين

متناقضين في خطاب واحد، يلعب المؤدّي دوراً في الفصل بين الهويّة المؤداة ("الأنثوية") وهويّة السيرة الذاتية ("الذكورية")" (ص324).

إذاً، يمكن أن يقال إنَّ عروض تقليد الإناث "تحرّف" الطبيعية الواضحة للأنوثة. وبالنسبة إلى بتلر، على حدِّ تعبير بوكولتز وهوول (2004: 501)، فإنَّ "الرجال مقلّدي الإناث هم جنود مشاة في طليعة ثورة الجندر، يكافحون التصوّر القائل بأنَّ الجندر مكوّن بيولوجياً". ومع ذلك، كما أوضحوا، "التقليد هو ممارسة وكذلك نظرية، و... قد يكون مقلّدو الإناث مهتمّين في الأقل بتكوين هويّاتهم الخاصة كما هو الحال في تحدّيهم لهويات الآخرين (ص501). وقد يكون لأداء تقليد الإناث تأثير إثبات عدم طبيعية الجندر، ولكنَّ المؤدّي يعبّر عن رغبة مثلي الجنس.

وفي كتابها "التراجع عن الجندر"، تنخرط بتلر مطوّلاً في الحديث عن التعدّدية الجنسية والتحوّل الجنسي بعدِّهما تخريباً للهويّة. وهذا له جاذبية كبيرة من وجهة نظر فلسفية، لكنَّه، مع ذلك، لا يعمل على تقييم التجارب الحيّة. إنَّ الاحتفال بالتحوّل الجنسي في الملخّص أمر جيّد، لكنَّ الوقوف عند هذا الحد، إنَّما يدفن الحقائق الاجتماعية والاقتصادية الوحشية التي يواجهها الأشخاص المتحوّلون جنسياً، كما لاحظ النقّاد (على سبيل المثال، كونيل 2012، ناماست 2009). ومع ذلك، كان للنظرية الكويرية تأثير كبير على دراسة علاقة اللغة بالجندر في السنوات الأخيرة. لقد حفّزت التدقيق في النماذج الثنائية وتحدّيات التهميش، وزيادة الاهتمام بثقافات المثليين. ويُقصد بالاختصار LGBT (أو LGBTQ، الذي يعني المثليات، والمثليين، ومزدوجي الميل الجنسي، والمتحوّلين، والكوير) التأكيد على تنوّع الأنشطة الجنسية والهويّات الجندرية، على الرغم من أنَّ وضع هؤلاء معاً ينطوي على مخاطر افتراضات غير مبرّرة حول القيم والمسائل والاهتمامات المشتركة.

طبيعية المغايرة

قامت دراسة أجريت في مدرسة ابتدائية في شمال كاليفورنيا ببحث دخول الأطفال قبل سن المراهقة إلى "سوق المغايرة الجنسية" (إيكرت 2006، 2011). هذا الدخول يؤثّر على كلٍّ من الأولاد والبنات، ولكن بطرق مختلفة، إذ تختلف الموارد المتاحة لهم داخل النظام الاجتماعي للمغايرة الجنسية. يمكن للأولاد الاستمرار في تنمية الإنجازات نفسها بشكل أساسي

كما هو الحال في الطفولة، في حين أنَّ الفتيات، إذا أردن الاستثمار في المغايرة الجنسية، يجب أن يتخلّين عن انشغالاتهنَّ القديمة. وهكذا تميل الفتيات إلى أن يضحين ملاحظات لألعاب الصبيان، بعد أن كنَّ منشغلات باللعب النشط في ساحة اللعب على سبيل المثال. إذ تتعلّق اهتماماتهنَّ الجديدة بممارسات التأنيث، بما في ذلك فرض أسلوب على أجسادهنَّ واستعمال أسلوب لغوي مفتن:

> **إنَّ الانتقال إلى النظام الاجتماعي للمغايرة الجنسية يجعل الفتيان والفتيات مشاركين معاً وعن عمد في عملية التفريق على أساس الجندر، إذ تنتقل الفتيات إلى مسار إتقان وضع أنفسهنَّ في قالب مُفتن. وحجر الأساس في هذا الإتقان هو تطوير أسلوب لغوي فاتن، لا ينفصل عن الاستخدام المبدئي للجوانب الأخرى للأسلوب الجندري مثل استعمال طلاء الأظافر، ولمعان الشفاه، وتسريحة الشعر وطرق المشي الجديدة.** (إيكرت 2006: 195)

ومع ذلك، لا يستثمر الجميع بإخلاص في سوق المغايرة الجنسية. فالجندر مُراقب، يعاقب عليه إذا لم يتمّ بشكل صحيح. ومثل غيره من الأمور الكثيرة، غالباً ما يتمُّ تعلّمه فقط من خلال تجربة مؤلمة. وتؤدّي الأعراف المؤسسة على الجندر "عنفاً يومياً" (بتلر 1999: الصفحة العشرين). وتقدّم حكاية في دراسة باربت (2004) مثالاً غير ضار نسبياً. فعند مشاهدة فيلم شيرلي تمبل للمرّة الأولى عندما كان طفلاً صغيراً، يروي باربت إعجابه الشديد بمدى جدّية تعامل الكبار معها. وبرأيه فإنَّ الطريقة الأضمن لكسب احترامهم تمثّلت في "التصرّف مثل شيرلي تمبل قدر الإمكان" (ص296). وللأسف، ومع ذلك، فإنَّ قوله المستوحى من شيرلي تمبل "أوه، أبي، إنّهم رائعون!" في محيط سوبر ماركت مزدحم لم يحقّق النتيجة المرجوّة على الإطلاق! على العكس من ذلك، فقد أثار الرعب المطلق. ومع ذلك، وفي وقت سابق من الصيف نفسه، كان قد أثار ضحك البالغين عندما نطق بسذاجة بكلمة محرّمة وهي "وضيع". لقد كان مرتبكاً وفي كرب بسبب فزع والده الشديد من انتحاله لشخصية شيرلي تمبل:

> **شعرت كما لو خدعتني مؤامرة الكبار الرهيبة. كيف يمكن أن يؤدّي نطقي لكلمة وضيع (التي هي كلمة لا يريد الكبار منّي فهمها تمام الفهم) إلى أن يتسبّب في انطلاق الضحكات، لكنَّ كلمة غير مؤذية فيما يبدو مثل كلمة محبوب قد تتسبّب في مثل هذا الخوف والغضب.** (باربت 2004: 297)

بالتأكيد لم يكن يؤدّي الجندر بشكل صحيح. (للحصول على وصف آخر عن "عدم فهم الأمر بشكل صحيح"، راجع كتاب موريش وسونتسون 2007).

تستمر عمليّة ضبط الأعراف الجندرية في مرحلة البلوغ، على الرغم من أنَّ الأشخاص الذين ينتهكونها هم من يلاحظون وجودها، مثل المتشبّهين بالنساء والمتحوّلين جنسياً. وتقدّم مناقشة هالبيرشتام (1998 :20) "مشكلة الحمَّام" وصفاً مضيئاً للأسئلة والتحدّيات الروتينية التي تحدّق بالأشخاص الذين يتجاوزون الحدود بين الجنسين في المرافق العامة.

خلفية المحادثة: شخصية مغايرة صاخبة

تدافع سيليا كيتزينغر، النسوية البريطانيّة التي تعمل على تحليل المحادثة، عن فائدة تحليل المحادثة في دراسة الأمور المسلّم بها في التفاعلات اليومية. وللحصول على أدلّة، بحثت في بيانات تحليل المحادثة التي تمَّ جمعها على مدى عقدين من الزمن. لقد وجدت البيانات الأكثر دلالة وإثارة للاهتمام عندما كانت المغايرة الجنسية هي الخلفية المسلّم بها (كيتسينجر 2006: 173). وتمَّ استخدام الفئات العائلية مثل "الزوج" و"الزوجة" و"الأصهار" وما إلى ذلك بشكل روتيني فيما يتمُ يومياً بعدّه "التصرف بشكل طبيعي"؛ أي تقديم نفسه على أنّه شخص عادي وطبيعي ومقبول. هذه الفئات لها وظيفة تفاعليّة. فعلى سبيل المثال، قال رجل يتصل هاتفياً بخط المساعدة لمنع الانتحار: "لقد فقدت زوجتي للتوِ وأشعر بالاكتئاب الشديد". لا يلزم تقديم توضيح أو تفسير للرابط الموجود بين هاتين العبارتين، لأنَّ الزوج "يستحضر الاستنتاجات المفهومة ثقافياً بشأن علاقة ملؤها الرعاية والود، إذ يؤدّي فقدان أحد طرفيها إلى جعل اكتئاب المتصل أمراً مفهوماً" (ص175). وفي عيّنة أخرى، ليس لدى المرأة التي تعرب عن قلقها البالغ بشأن زوجها حاجة تفاعلية لتقديم أيِّ مبرّر لزعمها. فعلى النقيض، تجد المتصلة التي تتصل نيابةً عن "صديقة محض" نفسها تشرح سبب قيامها بإجراء المكالمة وليس أحد أفراد العائلة. والفكرة التي توضّحها كيتزينغر هنا هي أنَّ الفئات الأسرية لم تكن متاحة بسهولة كمورد للأزواج من الجنس نفسه في بياناتها: "لا تتمتّع المثليات والمثليون بسهولة الوصول إلى مصطلح مرجعي لشخص مثل (الزوج) أو (الزوجة) ينفي أهمّية تقديم مبرّر (ساكس 1995: 23-4) يتذرّع به المتصل" (كيتسينجر 2006: 176). مثل هذه الوقائع، "التافهة والمألوفة"، لها وقع "المغايرة الجنسية الصاخبة" (ص187) بالنسبة للمثليات والمثليين.

وبالمثل، فإنَّ نظام القرابة المتضمّن للعلاقة الزوجية بين شخصين مختلفين هو الذي يتوافر على فئات مثل زوجة الابن، الفئات التي ليس فيها فئة واحدة متاحة كمورد للأزواج من الجنس نفسه. وتشير كيتزينغر إلى اختراع مصطلحات تلفت الانتباه إلى استبعاد الأزواج من الجنس نفسه من نظام القرابة القائم، مثل فئة زوجة خارج القانون Daughter out of law التي اخترعها والداها كـ"إشارة غير معترف بها" لشريكتها (ص179). ضع في اعتبارك أيضاً الإشارة الحزينة لكاتبة مثليّة إلى شقيق عشيقتها باعتباره شقيقاً إذا توافر قانون Brother-if-there-were-a-law (ماكليان 1995، مقتبس في كيتسينغر 2006). وتتغيّر المواقف ببطء في بعض أنحاء العالم. ففي عام 2018، على سبيل المثال، اعترفت خمس عشرة دولة من دول الاتحاد الأوروبي بزواج المثليين وأجرت زواجاً من الجنس نفسه، على الرغم من أنَّ هذا التغيير لم يحدث، بالطبع، من دون مقاومة (انظر على سبيل المثال تيرنر وآخرون 2018).

إنَّني أواصل الاهتمام بطبيعية المغايرة الجنسية في القسمين التاليين، وأنتقل بعد ذلك إلى تأثير أيديولوجية التغاير الجنسي على جماعات الرجال.

الجماعية المتماثلة بين طلاب الجامعة الذكور

أوضحت في الفصل التاسع أهمّية المغايرة الجنسية بالنسبة للذكورة المهيمنة، موضّحة القضية بأمثلة من دراسة أمريكية حول الحديث التعاوني للشباب بشأن زملاء الدراسة المثليين ومن دراسة كتالونية حول المبارزة اللفظية. وكانت التأكيدات الضمنية للمغايرة الجنسية محورية في الدراستين. وإليكم مثال آخر، هذه المرّة بعض الطلاب الصينيين الذين يدرسون في بريطانيا وكانوا يتحادثون على العشاء. كانت عيّنة الحديث جزءاً من مجموعة من البيانات سجّلها المشاركون لزميل طالب، وهو بيي تيان، قام بنسخها وترجمتها من لغة الماندرين. وفي السطور من 1 إلى 6، يظهر رجلان من الرجال الثلاثة بشكل لا لبس فيه توجّهاً جنسياً مختلفاً. إنَّهم يفعلون ذلك من خلال سرد ذكريات مشتركة لامرأة كانا يتطلّعان إليها على جسر المدينة. والرجل الثالث غير راغب في المشاركة ويعبّر عن رفضه (السطر 7 و 8) ممّا يتسبب في مشكلة بالنسبة له:

1. أ: تذكر ذات يوم رأينا فتاة لطيفة على الجسر؟
2. (..) الجحيم الدامي كانت ساخنة

3. ب: أية فتاة أوه أتذكرها (.) الفتاة ذات الثديين الكبيرين (.)
4. ثدياها مثل البالونات المتفجرة (1.0)
5. أكثر ما افتقده هو مؤخرتها
6. لقد بديا لنا تقريباً عندما مررنا بجانبها

]

7. ج: توقفوا عن الحديث القذر أيها المنحرفان (.) أليس لديكم يا رفاق
8. أموراً أفضل لتفعلوها بدلاً من الحديث عن الفتيات
9. ج: نحن منحرفان؟ (..) لا (.) لا يوجد لدينا وجه جميل (.)
10. نحن طبيعيان جداً بتفضيلنا الجنسي وجنسنا
11. (.) ولكن الآن يجب أن أتساءل عمَّا إذا كان
12. تفضيلك الجنسي يختلف عن تفضيلاتنا
13. (.) أتساءل ما الذي سيكون (ح)
14. ب: هههه إنَّه مهتم فقط بالرجال، هههه
15. يستمتع بأن يصفع مثل العاهرة

(مقتبس من بي 2006: 22)

لا ينضم الشخص (ج) إلى "حديثهم القذر"، بحسب وصفه لذكرياتهم القبيحة، ويصفهما بـ"المنحرفين" لانخراطهما فيها. وتؤدّي هذه الإهانة إلى اعتراض من الشخص (أ). ولعلَّ عبارة "الوجه الجميل" في السطر التاسع تلمح إلى التكاثر ويتبعها الشخص (أ) عن طريق الاستعلام صراحة عن التوجّه الجنسي للشخص (ج). إنَّ عدم رغبة (ج) في المشاركة في محادثة قصيرة- عندما يتعلّق الأمر بتجسيد امرأة وأجزاء جسدها- يكون كافياً لتمييزه كمثلي الجنس. فإذا لم يشارك في الحديث الجنسي عن النساء، فهو لا ينجذب إليهنَّ. ومن ثمَّ، كما يوضّح الشخص (ب) في السطر 14، فهو "مهتم بالرجال فقط" (ليس هذا فقط ولكن، كما هو مقترح في السطر 15، يستمتع بالإساءة، وهو اقتراح عنيف يبدو أنَّه يحتوي على أكثر من مجرّد الإشارة إلى الخطر) . ويخلص الشخص (ج) نفسه، مع ذلك، بشتمه لشخص آخر معروف بمثليته:

16. ج: أنتما الاثنان لتذهبان إلى الجحيم (.) أنا لست كريس
17. أ: من كريس

18. ب: إنَّه ذلك الفتى المثلي اللعين =

19. أ: = مثلي؟

20. ج: نعم (..)

21. إنَّه الرجل الذي يرتدي دائماً سراويل ضيقة

22. يتحدّث بصوت ناعم (.) بل ويطلي أظافره

23. (.) لا أستطيع أن أفهم سبب وجود مثل هؤلاء الأشخاص

24. في العالم (.) إذا كنت أرتدي هذا القرف اللعين

25. سأفضّل ألّا أخرج من غرفتي

26. ب: نعم أوافق (.) أريد أن أتقيأ عندما أراه

27. لا أستطيع تحمّل هؤلاء الأشخاص

28. ج: اللعنة (.) لا أصدق أنَّ لدينا هذا النوع من الأشخاص في كليتنا

(مقتبس من بي 2006: 22)

يشرع (ج) في بعض "الضربات الشاذة" اللفظية، مشيراً إلى ما يعدّه أكثر علامات الشذوذ أهمية: السراويل الضيّقة، والصوت الناعم، وطلاء الأظافر. وتناول رفاقه هذا الموضوع بحماس، حتَّى ينجح في إعادة دمج نفسه معهم.

عند مناقشة الذكورة المهيمنة في الفصل التاسع، نظرت أيضاً في الهيكل الهرمي لأخوّة جامعية أمريكية، مع التركيز على الهيمنة والسيطرة في مساهمات الطلاب الذكور في الاجتماع الانتخابي. هنا أعود إلى دراسة الأخوّة، لكنَّ هذه المرّة أبحث تحديداً في الحفاظ على العلاقة الجنسية بين جنسين مختلفين في جماعات الرجال فقط. وكمجتمع للممارسة، يتمُّ تنظيم الإخوة حول الاختلاف الجنسي والعلاقات الجنسية بين جنسين مختلفين (كيسلينج 2006: 118). ويتجلّى هذا بشكل لافت للنظر في التقسيم الصارخ إلى جماعتي الذكور والإناث (أي إلى الإخوة والجمعيات النسائية). وتشمل الممارسات على مجموعة من الأنشطة والطقوس المنتظمة والاستراتيجيات اللفظية للهيمنة التي تعتمد بشكل كبير على أيديولوجيا المغايرة في الجنس. فعندما يتواصل الطلاب والطالبات معاً، يُنظر إليهم على أنَّهم يشاركون في أحداث اجتماعية مختلفة تُعرف باسم "الاختلاط". وبعد ذلك يعقد أعضاء الإخوة اجتماعات منتظمة تعرف باجتماعات "المطرقة"، ويسرد فيها المشاركون أنشطتهم. والفكرة المهمّة في

اجتماعات المطرقة هي أداء أنواع متميّزة تُعرف باسم "قصص اللعنة" و"قصص حالة السكر". ويلاحظ كيسلينج أنّه لم يُسمح له بتسجيل اجتماعات المطرقة، ممّا يشير إلى "مدى أهمّية جلسة القصة المذكورة بالنسبة لتحقيق التماسك الاجتماعي للجماعة، إنّها شكل من أشكال القيل والقال الطقسية التي لا تتخلّى عنها الجماعة أبداً. فالقصص هي وسيلة قويّة لبناء نموذج ثقافي والإعلاء من قيمته"(ص122). وتعلي العروض السردية في اجتماعات المطرقة نوعاً معيّناً من العلاقات الجنسية بين جنسين مختلفين. ويكتسب الرواة مكانة بأدائهم لها، لأنّهم بذلك لا يتباهون فحسب ببراعتهم الجنسية، بل يزوّدون أقرانهم أيضاً بنوع من الترفيه عالي القيمة. ومن خلال هذه الأنشطة، من الملفت رؤية المدى الذي تكون به المغايرة الجنسية معايشة بين متماثلين.

إنَّ الإخوة في التنظيم بارعون في استخدام الاستراتيجيات اللفظية للهيمنة فيما بينهم، تلك التي تعتمد على العلاقات الاجتماعية للممارسة الجنسية بين مختلفين من النوع التقليدي وغير المتكافئ. وبعبارة أخرى، فإنّهم يحطّون من قدر الرجال الآخرين بتصويرهم على أنهم نساء.

ويتمُّ استخدام كلمة "مؤنّث" بدلالات متعدّدة. ويشيع استعمال المفردات "عاهرة" و"الفتى العاهرة": ولا يخضع الأخير بسبب جندره، بل وبسبب العمر والعرق أيضاً. وقد يتمُّ وضع الأعضاء المبتدئين مجازياً كتُبّع بتسميتهم بالنساء. على سبيل المثال، تمَّ تسمية أحدهم- أسابيع من القيام بالتنظيف الروتيني لعديد من الطلاب الأكبر سناً- باسم هازيل، على اسم عاملة نظافة منزلية متخيّلة. وفي مناسبة أخرى، يضع أحد الإخوة أحد أقرانه في وضعية التابع والأنثى بمناداته "عزيزتي أنا في المنزل!" في مناسبة في لعبة مونوبولي. وفي الحالتين كلتيهما، يتمُّ استحضار إحالات الثقافة الشعبيّة، بالاعتماد على الإلمام المشترك بالتصوّرات النمطية للعائلة من المسلسلات الكوميدية الأمريكية في الخمسينيات من القرن الماضي.

السياسة الجنسية للرضا

أتناول في هذا القسم جانباً مهمّاً من طبيعية المغايرة: تعريف الرضا الجنسي والاغتصاب. تشير كيتسينجر وفرث (1999) إلى حماقة برامج التدريب على الرفض ("فقط قولي لا") التي تستند إلى الجهل بكيفية أداء الأشخاص للرفض فعلياً. ففي اللغة الإنكليزية، نادراً ما يقول

الناس لا، لأنَّه في معظم المواقف سيكون وقحاً للغاية! وهو ما يوضّحه التحليل الدقيق للتفاعل المنطوق الذي يتضمّن الرفض. وتميل حالات الرفض إلى أن تكون غير مباشرة ويتمُ إنتاجها غالباً مع استعمال أدوات التحوّطات والتردّد وعناصر التخفيف الأخرى (حسناً، سيكون هذا لطيفاً نوعاً ما ولكن). ومع وضع هذا في الاعتبار، فإنَّ النصيحة بـ"قولي لا فقط" هي أمر سخيف:

> **إنَّ إصرار معلّمات التوعية بالاغتصاب على مجرّد أهمية قول "لا" يأتي بنتائج عكسية من حيث أنّه يتطلّب من المرأة الانخراط في محادثات غير طبيعية ويسمح للمغتصب مواصلة الزعم بأنَّ عدم قول المرأة لا فعلاً (بنبرة الصوت الصحيحة مع لغة الجسد الصحيحة)، فإنَّها في الو اقع لم ترفض ممارسة الجنس معه.**
> (كيتسينجر 2000: 181)

هذه النصيحة ليست فقط غافلة عن التفاصيل الدقيقة للتفاعل المنطوق، ولكنَّها لا تفعل شيئاً لمواجهة الافتراضات غير المتجانسة القوية حول اللقاءات الجنسيّة.

لقد تمَّ تكريس الهويات والعلاقات الجنسية غير المتجانسة في الأدب الرومانسي عند هرليكوين ميلز وبون. إذ يأخذ الرجال زمام المبادرة. والبطل الرومانسي نشط ومندفع. والنساء هنَّ المتلقّيات السلبيات لرغبة الذكور، ومقاومتهنَّ لها ظاهرية، ولكنهنَّ يتقن لها من أعماقهنَّ. وتتجلّى رغبة البطلة الرومانسية كرد فعل على الحضور الكاريزمي للبطل، ويجب قمعها (تالبوت 1995، ط1، 1997، ط1). ومع وجود أبطال مثل هؤلاء، لا مفر من أن تعني كلمة "لا" في النهاية "نعم".

ومع ذلك، فإنَّ افتراضات طبيعية المغايرة حول النشاط الجنسي للذكور والإناث تنتشر في العالم الحقيقي أيضاً، بما في ذلك في نظام العدالة وفي التغطية الإعلامية. ففي الخطاب السائد حول الاغتصاب، يرتكب "الاغتصاب الفعلي" شخص غريب في الأماكن العامة. ونادراً ما يتمُ عرض جريمة الاغتصاب التي يرتكبها شخص معروف للمحاكمة. فاغتصاب الغرباء للنساء، على الرغم من قلّة تواتره، يتمُ مقاضاته في أغلب الأحيان. ومن المرجّح أن يُنظر إلى ضحايا اغتصاب الغرباء على أنهنَّ ضحايا "شرعيين"، بل وعند تقديمهنَّ للمحاكمة، فإنَّ المهاجمين ليسوا بالضرورة مسؤولين عن أفعالهم. ويمكن النظر إلى محاكمة الاغتصاب على

أنّها آلية للسلطة التأديبية بالمعنى الفوكوي للكلمة (ليس 1997، مقتبس في إرليش 2002: 6). وهو ما يدفع النساء إلى اللجوء إلى ضبط ومراقبة أنفسهنّ ذاتياً. ويمكن للمرأة التي تعرّضت للاغتصاب من قبل شخص معروف أن تفكّر مرّتين قبل الإبلاغ عن ذلك. فالخوف من الاعتداء يغرس الخوف من الأماكن العامّة ويفرض على النساء المراقبة الذاتية؛ أي مراقبة النساء لتنقّلاتهنّ وسلوكهنّ فيها.

قضية المحكمة الكندية

تقدّم دراسة حول الإجراءات في محكمة جامعية كندية توضيحاً مؤلماً للصعوبات التي يحتمل أن تواجه المشتكيات من اغتصاب المعارف (إرليش 2006). وتابعت المحكمة التأديبية شكوتين من التحرّش الجنسي حدثت في سكن للطلاب. إذ وجّهت طالبتان اتهامات إلى أحد الطلاب. ففي كلِّ مناسبة، كانت مجموعات مختلطة من الطلاب تبيت في غرفة طالبة من الطالبات. وهيمنت رواية المدّعى عليه للأحداث- وتعريفه للموافقة- على الإجراءات. ففي روايته لما حدث، كانت الحالتان كلتاهما عبارة عن لقاءين جنسيين بالتراضي، وليسا اعتداءً جنسيّاً غير مرغوب فيه كما ادعت الطالبتان. ونظراً لأنّه "يعرّف" الموافقة "على أنّها عدم وجود مقاومة بالعنف أعقاب كلّ استدراج جنسي، فإنّه بذلك يؤكّد أن تصعيد اعتدائه الجنسي له ما يبرّره" (ص201- 2). وتمّ استجواب المشتكيات حول مدى "إشارتهنّ" إلى عدم موافقتهنّ. وفي المقتطف التالي، تفسّر عضو في المحكمة (عضو هيئة تدريس) رواية الطالبة مارج كدليل على ضعف قدرتها على التعبير عن رغباتها (السطور 4-14):

م ب: المشتكية

ع. م: عضو المحكمة

1. م ب: ظلّلت أقول "دعنا فقط ننام". ولم أكن أعرف بصدق ما الذي
2. يجول في خاطري لكي أقوم بفعله في ذلك الوقت. بالنسبة لي كان هذا كل ما بوسعي
3. أن أقوم به لأخبره بأنّني لا أرغب في فعل أي شيء.
4. ع.م: وهل تمّ اغتصابك بسبب التصرّف الملح بحيث
5. لم تكن إشاراتك بصوت عالٍ وواضح، وأن تقولي
6. "لا أعبر عمّا أريد وما لا أريده؟"

7. هل خطر ببالك القول "أريد أن أقف وأقول شيئاً".
8. و"إنّني بحاجة إلى دفعه إلى الأرض؟" هذا هو كل شيء عن
9. اختلاط الإشارات. نحن جميعاً نتواصل اجتماعياً بطريقة أو
10. بأخرى لقراءة الإشارات وإعطاء الإشارات. وفي هذا
11. السياق المحدّد، هل كنت قلقة من أنَّ إشاراتك لم
12. يتم فهمها فهماً دقيقاً وهل تعتقدين أنّه لم يتم فهم الإشارات
13. بشكل صحيح بالنسبة لك، "هل يجب أن أفعل شيئاً مختلفاً باستخدام
14. إشاراتي؟"

يبدو أنَّ عضو المحكمة قد قرّرت على الفور أنَّ سوء الفهم هو جوهر القضية؛ مهتمّة بالتنشئة الجندرية (السطور 9-10) وتشير بقوّة إلى أن تواصل مارج كان ضعيفاً. وفي السطر 12، تفترض أنَّ "إشارات" مارج "لم تُفهم بشكل صحيح" (بدلاً من افتراض تجاهل المدّعى عليه لها). وتوضّح مارج بأنّها حاولت "فعل شيء مختلف":

15. م.ب: فعلت. لقد جعلني أشعر بأنّني لا أقول أي شيء، وأنّني
16. لم أكن أقول "لا" ولهذا طلبت التحدّث إلى بوب، وفكّرت
17. إذا لم أتمكّن من إخباره، فربّما يستطيع بوب إخباره. جاء بوب إلى الغرفة
18. وقال إنَّ كل شيء على ما يرام فقط لينسى الأمر ويعود
19. للنوم. حاولت ذلك. أخبرت "مات"، وقلت لو كانت الظروف
20. مختلفة. كانت كذبة لكنّها
21. طريقة أخرى بالنسبة لي لمحاولة أن أقول له "لا". أعني من الواضح
22. أنني أردت فقط الذهاب للنوم. ولم ينجح الأمر لذا جرّبت
23. طريقة مختلفة. وفي بالي أمل أن
24. تنجح. أعني. كنت أوضّح الأمر بقدر ما أستطيع.
25. لست متأكّدة ممّا إذا كانت إجاباتي وافية للرد على سؤالك أم لا ولكن... (إرليش 2006: 205)

يبدو أنَّ سائلها غير متأثّر، ومرّة أخرى يستدعي التنشئة القائمة على أساس الجندر لتوضيح التفسيرات المختلفة لـ"إشارات" مارج (السطور 31-2):

26. ج.ك: لا، لأنّه من هناك حتّى النهاية، كنت قد شعرت
27. بأنّك لم توضّحي ذلك لأنّك في النهاية قلت إنّك
28. على استعداد للكذب وإعطائه رقم الهاتف والتخلص
29. منه. لذلك طوال الطريق شعرت أنّ إشاراتك لم تفهم
30. بشكل صحيح. لكنّ الأمر برمّته، كما تعلمين، الذي يهمّنا جميعاً
31. هو أنّ الإشارات، كما تعلمين، القائمة بين الرجال والنساء هي
32. فقط، لا يتمّ فهمها بشكل صحيح ولا أتساءل عمّن هو
33. الكاذب ومن يخبر بالحقيقة لأنّه ليس لي أن أقول ذلك
34. فجوهر المسألة هو لماذا، شعرت في ذلك الوقت
35. أنّ إشاراتك لم تفهم بشكل صحيح؟

تذكر في السطور 32-3 أنّها ليست في وضع يسمح لها بالحكم على ما إذا كان أحد الطرفين يكذب، على الرغم من طبيعة القضية، التي تثير حتماً كلام شخص ضد آخر (ومع ذلك، فقد شككت للتوّ في صحّة ادعاء صاحب الشكوى حول "إشاراتها" في السطور 29-30، قائلة إنّها تعرف "طوال الوقت" أنّه لم يتم "قراءتها بشكل صحيح"). كما يعلّق إيرليش، "يبدو أنّه يؤيّد نموذج" مختلف، لكن متساوٍ "لسوء التواصل" في هذه المرحلة، إذ "لا يتعلّق الأمر بشخص كاذب والآخر يقول الحقيقة؛ بدلاً من ذلك، يتمُّ تفسير "الإشارات" بشكل مختلف من قبل هؤلاء الأفراد (إرليش 2006: 206). لقد حدّدت تفسير "الاختلاف" المحايد، الذي يمنع مشكلات القوّة المحتملة ويسمح للمدّعى عليه بالخروج من المأزق. ولكن، على أيّ حال، لم يكن مات مسؤولاً بشكل متساوٍ عن فشله في تفسير نوايا النساء؛ في الواقع، تمَّ تغذيته بالقول بأنّ "هناك أزمة اتصال" في أثناء إجراءات التقاضي (ص 207). وفي أماكن أخرى، يبدو أنّ عضو المحكمة تعمل بنموذج "العجز" (السطور 4-14 و26-30)، الذي يحمل المشتكية اللوم لإبلاغها بعدم موافقتها بشكل غير فعّال. ولم تظهر روايتا صاحبي الشكوى للأحداث في هذه القضية، ولكن بصعوبة بالغة. ردَّ كلاهما على سؤال حول "قصور" تواصلهما مع روايات عن محنتهما الليلية: الشعور بالشلل بسبب الخوف، والإذلال. ذكرت مارج أنّها كانت "خائفة للغاية من التعرّض للأذى" و"لا تريد الدخول في معركة كبيرة" (ص206). تميل مبرّرات السلبية إلى التجاهل (ص212- 13). وجدت إيرليش، إذاً، أنّ ضحايا الاعتداء الجنسي عرضة للمساءلة عن التواصل غير الفعّال في "الفشل في الإشارة إلى عدم موافقتهم بوضوح وبشكل لا

لبس فيه" (ص209). وفي هذه الحالة بالذات، أدين المدّعى عليه في النهاية؛ ومع ذلك، فإنَّ توصية الجامعة بطرده لم يتبعها أعضاء المحكمة، الذين قرّروا فقط منعه من دخول الحرم الجامعي (ص210).

التنافس والنضال في المجتمعات الأفريقية الأصلية

في سياق علاقات القوة المتغيّرة بين النساء والرجال في المجتمعات الأفريقية الأصلية، هناك قضية مشحونة للغاية وهي مفهوم الاغتصاب الزوجي. تمَّ استكشاف هذا من قبل عالم لغوي من جنوب أفريقيا، الراحل بولينج هانونج، الذي أجرى مشروعاً بحثياً حول قضايا الجندر في مجتمعات السكّان الأصليين في جنوب أفريقيا. تركز بشكل خاص على خطابات النشاط الجنسي وتقدّم دراستها نظرة ثاقبة للصعوبة الشديدة التي تواجهها نساء جنوب أفريقيا من السكّان الأصليين في مواجهة إحجام الرجال عن التخلّي عن الامتيازات التي تمنحها التقاليد. وتمَّ جمع البيانات من المتحدّثين بلغات السكّان الأصليين عن طريق مجموعات المناقشة وجلسات المقابلات في ثلاث جامعات. ما أقدّمه هنا هو عيّنة من مناقشة جماعية واحدة بعد مشاهد من التغطية التلفزيونية لقضية محكمة اغتصاب زوجي. يتحدّث المشاركون لغة السيسوتو، مع بعض التبديل إلى اللغة الإنكليزية. وفي المقتطف، يسيطر رجلان، جو وسيفو، على الحديث ويعدّان بوضوح أنَّ مفهوم الاغتصاب الزوجي مثير للجدل إلى حدٍّ كبير. ويستخدم جو أسلوباً بلاغياً قوياً للإجابة على الأسئلة، ويحشّد بصوت عالٍ دعم الرجال الآخرين في الجماعة:

1. هل باستطاعة الرجل المتزوّج
2. أن يغتصب زوجته (.)
3. كيف؟ (1.0)
4. للرجل الحق في مضاجعة
5. زوجته كلّما أراد ذلك
6. (0.2) ولو كنت مخطئاً فلم
7. توقّفني؟ (.)
8. ذلك ما يبرّر أنَّ الحقوق الزوجية في الزواج
9. هي قضية مهمّة.

10. في الحقيقة تعدُّ حقوق الزوج
11. **هي حقَّه في**
12. الجماع (0.5)

(مقتبس من هانونج 2006: 204)

إنه يدّعي أنَّ الحرمان من هذا الحق المزعوم غير قانوني؛ فالزوجة، على ما يبدو، عليها التزامات فقط. هذه آراء تقليدية للغاية. وتقاطع ثاتو، وهي امرأة، للاعتراض عليهم في السطور 17-18 و23-24:

13. جو: حسناً أخبرني (.) إذا لم تطع
14. الزوجة **القانون**
15. والثقافة
((حديث صاخب في وقت واحد))
16. أعني ذلك بالضبط (.)
17. ثاتو: يا إلهي أنت تتحدّث
18. تماماً مثلما أخبرني
19. زوج موسوثو عندما
20. تحرمه من حقوقه
21. (.) كيف تتوقّع أن يعيش
22. هذا الرجل الإلهي ؟
23. ثاتو: هل المرأة
24. ليست إلهية؟

(مقتبس من هانونج 2006: 205)

إنَّ عبارة ("هذا رجل الله") عبارة محبّبة. ولعلَّ دعوة ثاتو لجو لتوسيع استخدامه للعبارة لتشمل النساء هي لفتة تصالحية (ص206). وتشير هانونج إلى أنَّ مساهمات النساء في مناقشات الجماعة البؤرية محدودة ومقتصرة إلى حدٍّ كبير على الاحتجاجات والنداءات المطالبة بالهدوء، مثل ثاتو هنا. فالنساء مقيّدات بHlonipa، وهي ذخيرة لغوية لـ"لغة الاحترام" التي تعيق مساهماتهن في الكلام. إنّها لغة تتسم بضبط النفس والصمت والتعبيرات الملطفة

والتعبيرات الغامضة، بما في ذلك الإشارة إلى الأمور الجنسية. إنَّها تضعف المرأة في المحاكم، لأنَّها تفرض قيوداً شديدة على قدرتهن على التحدّث علانية (فينلايسون 1995؛ مويكيتسي 1999؛ كلاهما مقتبس في هانونج 2006: 200). وفي جماعات النقاش، تتدخّل النساء للشكوى من آراء الرجال وسلوكياتهم، على عكس أسلوب النقاش المتهوّر الذي يهيمن به الرجال على الحوار. ومع استمرار المقتطف، يستحوذ سيفو على الكلمة:

25. أجيبي عن سؤال الأخ جو (.)
26. إلى أين يذهب الزوج
27. إذا رفضته زوجته؟
28. يا أخي الأكبر هل تدرك
29. الآن أنَّ بكين
30. وضعتنا في مشاكل؟
31. فالنساء الآن
32. يفرضن عقوبات علينا
((تذمر وضحك)) (3.0)

إنَّ سيفو يؤسّس للتضامن بين الرجال في الجماعة من خلال استخدامه لمصطلحات القرابة، باستعماله عبارة ("الأخ جو") في السطر 25 و("الأخ الأكبر") في السطر 28. ويلقي باللوم على بكين (حيث انعقد مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الرابع المعني بالمرأة في عام 1995) بسبب مزاعم الاغتصاب الزوجي موضع النقاش. وتتدخّل امرأة أخرى:

33. باليسا: بمعنى آخر لا يقول القانون
34. أي شيء عن حقوق
35. المرأة؟
36. إذا أراد الرجل أووه (.) . هـ هـ
37. بطانيات لكن زوجته
38. لا تريد أوه أوه
]
39. سيفو: كيف يمكنها أن ترفض (.) فمهر الزوجة

40. مدفوع بالماشية؟

41. إلّا إذا كانت هي الآن

42. سيّد المنزل

(مقتبس من هانونج 2006: 204-205)

إنَّ عبارة باليسا ("يريد البطانيات") في السطور 36- 7 هي تعبير ملطّف للمطالبة بالجنس. وقد استهلتها بأدوات التردّد والتوقّف التي توحي بصعوبة قول العبارة، والغاية منها التصالح. وفي المقابل، يصرخ سيفو في السطور 40-41 وهو يستحضر نظام قبيلة لوبولا (مهر العروس، يتمُ دفعه تقليدياً بالماشية). وعند استحضاره لذلك، فإنَّه "ينشئ علاقة هرمية على أساس الجندر في الأسرة الأفريقية- فالزوجة التي دُفع فيها مهر ليس لها الحق في حرمان زوجها من ممارسة الجنس، وبالتالي لا يمكنها تقديم أيّة ادعاءات بالاغتصاب، وبالتالي يتمُ إسكات صوتها ضمنياً" (هانونج 2006: 206). إنَّ فهم الرجال للاستحقاق قوي، وضبط النفس الذي تفرضه المرأة على نفسها لا يؤهّلها جيّداً للطعن على ذلك الفهم. فالنساء محرومات في ساحة النقاش بسبب التوقّعات الثقافية القائمة حول سلوكهن اللفظي.

من الواضح جدّاً أنَّ الرجال منزعجون من اضطراب التسلسل الهرمي التقليدي القائم على أساس الجندر. وفي جماعة نقاش أخرى، تمَّ رفض القضايا الجندرية المدرجة على جدول الأعمال بعدِّها "نوعاً جديداً من الاستعمار الثقافي" وتلا ذلك الشكوى من أنَّ "النساء الأفريقيات يتصرّفن الآن مثل البيض" (ص 208). هذه رؤية تمَّ التلميح إليها في سخرية سيفو من "فرض المرأة عقوبات علينا" (السطر 32 من المقتطف). وبالنسبة لهؤلاء الرجال، يعدُّ التأثير الدولي للنسوية ضاراً و"غير عادل"، لأنَّه يطرح قضايا مثل أحقّية الزوجة في اختيار ممارسة الجنس مع زوجها. وبالنسبة للنساء في مجتمعات السكّان الأصليين، قد تكون تكلفة السعي من أجل التغيير الاجتماعي مرتفعة للغاية، إذ لا يكون أمامهنَّ خيار سوى التواطؤ مع التقاليد الأبوية القمعية. فأنظمة مثل نظام لابولا- مهر العروس- "تجبر النساء على التواطؤ مع الرجال بسبب الخوف من الانتقام الفردي وتفكّك التماسك المجتمعي" (مايتسي 2000، مقتبس في هانونج 2006: 210).

مقاومة طبيعية المغايرة

إنَّ اصطلاح الجندر المطابق لجنسه Cis-Gender هو نحت حديث لتسمية قاعدة غير مرئية. وبعدّه علامة وصفية لشخص لم يتحوّل جنسياً، فإنّه مصطلح يحدّد هؤلاء الأشخاص الذين بقوا "في الجانب نفسه"، أي احتفظوا بالجنس الذي ولدوا به. إنَّه مثال على التصنيف الذي يتمُّ استخدامه كفعل مقاومة من المجتمع المتحوّل جنسياً، لأنَّه يلفت الانتباه إلى أمر يعدّه الأشخاص من خارجه أمراً مفروغاً منه. ولقد ظهرت أيضاً مصطلحات أخرى لتوصيف مجتمع الجندر المثلي "Genderqueer" الذي يرفض التقسيم الثنائي بين الجنسين في السنوات الأخيرة. وفي محيط العلاقات الجنسية المغايرة كلها في العالم بأسره، يجب على المثليين وثنائيي الجنس والمتحوّلين جنسياً أن يصنعوا هويّاتهم غير المعيارية. والهويات لا يصنعها الأفراد المنعزلون في فراغ اجتماعي. إنَّها "حصيلة ممارسات وأيديولوجيات تفاوضية جماعية" (بوكوهلز وهال 2004: 493). ويركز هذا القسم الأخير على التأكيد والتحقّق من الهويّات الجنسية والجندرية غير المعيارية. وأعاين فيه القصص المنشورة عبر الإنترنت، والمحادثات بين الأصدقاء، والإعلانات الشخصية في المجلات. وأختتم بقسم فرعي مخصص بشكل خاص للهويّات المتحوّلة.

نشأت قصص الخروج كنوع فرعي من السرد الشخصي. وبالنسبة للمثليّات والمثليّين ومزدوجي الميل الجنسي، فإنَّهم يبيحون فيها بتوجّههم الجنسي. وبالنسبة للأشخاص المتحوّلين جنسياً، فإنَّهم يبوحون بالتحوّل؛ ولا يكشفون عن الهويّة الجندرية بقدر ما يكشفون عن تاريخ جندر معيّن. وعند سرد قصّة الخروج، "لا يصف الرواة فقط عملية بناء الهويّة، ولكنَّهم أيضاً يقرّون في الوقت ذاته تلك الهويّة من خلال سرد القصة" (ساونتسن 2015). ويصف لال زيمان (2009: 56) هذا النوع السردي بأنَّه "موضع يتمُّ فيه إقرار الهويّات الموصومة والتفاوض بشأنها، وبالتالي يسهم في بناء التضامن بين الأعضاء، والتواصل الاجتماعي مع من هم جدد في الجماعة، والطعن في الأيديولوجيات القويّة التي تهمّش الهويّات الشاذّة".

تقدّم دراسة لقصص موقع الويب قام بها لغويان بريطانيان، ليز موريش وهيلين ساونتسون، بعض الأمثلة المباشرة كنقطة انطلاق. وفيما يلي بعض الرواة الذين يرسمون ملامح التشابه الاجتماعي مع الآخرين في الجامعة وعبر الإنترنت:

عندما التحقت بالجامعة أدركت أنّني لست وحدي، وأنَّ عدداً أكبر أدركوا أنّهم مثليّ الجنس... . وفي ذلك الوقت، كنت أقوم بتكوين الكثير من الصداقات عبر الإنترنت واكتشفت أنّني لم أكن غريباً أو فاسداً في نهاية المطاف، ولكنَّ الكثير من الأخرين مثلي تماماً. (موريش وساونتسون 2007: 69، 80)

وفي قصص الخروج، فعل الرواة عكس ذلك؛ لقد أسّسوا التميّز، كما في هذين المثالين اللذين ينقدان تمثيلات وسائل الإعلام:

لم أكن أعرف سوى الرجل المثلي النمطي الذي يراه المرء في الأفلام والتلفزيون في كثير من الأحيان ولم يكن مثلي على الإطلاق، لذلك افترضت أنّني لست مثلياً حقّاً... أعتقد أن وسائل الإعلام جعلت المثلية الجنسية تبدو وكأنّها عربدة كبيرة ومليئة بالفيروسات والأمراض القاتلة. والحال ليس كذلك. (موريش وساونتسون 2007: 79)

إذاً، يوجد زوجان من التكتيكات للتركيز على درجة التشابه: بداية من التشابه الكلّي إلى التميّز التام. وهنا توظّف موريش وساونتسون فكرة بوكولتز وهال عن "تكتيكات الجماعية": وهي عبارة عن أدوات تحليلية للتحقق ممّا يؤكّد الهويّات غير الطبيعية في المجتمع الأكبر (بوكوهلز وهال 2004). وحدّدت بوكوهلز وهال ثلاثة أزواج من التكتيكات معاً، التي تتعلّق بتأكيد درجات التشابه ودرجات المصداقية ودرجات التحقّق المؤسّسي. بعبارة أخرى، تتضمّن التكتيكات إبراز التشابه أو الاختلاف، الأصالة أو الزيف، وإمّا الاعتراف المؤسّسي أو التهميش.

وفي المثال التالي، يفيد الراوي بأنّه يشعر بالإجبار على التظاهر بالهويّة الجنسية مع عائلته. ولما يقوم بذلك، فإنّه يفتقد إلى الأصالة:

والداي وأخي وليل أختي [أختي صغيرة] جميعهم يعدّون الشخص المثلي "مثيراً للاشمئزاز" لذلك احتفظت بصديقة لإخفاء مشاعري الحقيقية. (موريش وساونتسون 2007: 73)

إنَّ عائلة الفرد لها تأثير رئيس عليه وهي منبع شعوره بالاستقرار العاطفي، إذ تزداد المخاطر بمجرّد الخروج منها. ويعدُّ الدين أيضاً من الضوابط القويّة، فهناك بعض القصص

"التي يتم فيها تقديم (المسيحية) و(الدين) كمرادفين لرهاب المثلية الجنسية" (ص75). وفي المقتطف التالي، يشير راويان بأنَّ الكنيسة لا تقرُّ بالمثلية الجنسية:

فالمثلي= حامل الخطيئة= الدرجة الأولى من الجحيم، أليس كذلك؟

كنت دائماً أخشى الاعتراف بأنّي مثلي بسبب نشأتي الدينية. لقد نشأت في كنيسة محافظة جدّاً وبسبب ذلك قيل لي دائماً الخطيئة هي أن تكون مثليّاً. (موريش وساونتسون 2007: 76)

وفقاً لمصطلحات بوكوهلز وهال (2004: 504)، فإنَّ المثليّة الجنسيّة غير شرعية: "يلفت الإقرار النظر إلى الهويّات التي تتلقّى عقوبات مؤسّسية؛ وعلى النقيض من ذلك، فإنَّ عدم الشرعية يلفت الانتباه إلى الهويّات التي حُرمت من مثل هذا الاعتراف".

وداخل حركة تحرير المثليين، تمَّ الترحيب بقصص الخروج بعدِّها نشاطاً سياسيّاً، كأداة للتغيير الاجتماعي. وفي دراسة أمريكية أخرى، وجد أندرو وونج استعارة متكرّرة لكلمة "الخروج" كرحلة تؤدّي إلى تحوّل الذات وتغيّر العلاقات مع الآخرين؛ وخلص إلى أنَّ القصص التي حملت هذه الاستعارة كانت "أشبه بشهادات عامّة أكثر من كونها قصصاً شخصية" (وونج 2009: 1).

أنتقل الآن إلى دراسة المحادثات بين المثليّات (موريش وساونتسون 2007). ففي إحداها، تمَّ التأكيد على الهويّات المثليّة بشكل صريح وتعاوني على أنَّها مختلفة عن "المغايرة الجنسيّة". ويتحدّث المشاركون في أثناء مشاهدة برنامج غرف التغيير (برنامج بريطاني حول تصميم المنازل) على شاشة التلفزيون. ويدركون طبيعية المغايرة ويردّون عليها. يبدأ المقتطف بتكتيك "تمييز" في السطر الأول، ثم ينتقل فوراً إلى التركيز على التشابه الجماعي:

1. ج: إنَّهم جميعاً أشخاص طبيعيون الذين ينتهجون ذلك النهج
2. أ: نعم، أعتقد أنَّه يجب علينا جميعاً الاستمرار فيه
3. ب: نعم يمكننا إنشاء غرفة تغيير سحاقية
4. أ: نعم وبدلاً من إخبار الجمهور بكلِّ شيء عن أطفالنا
5. يمكننا إخبارهم جميعاً عن قططنا

6. الكل: (يضحكون)
7. أ: سيكون الأمر كما لو كنت- وهذه شريكتي-
8. ونحن نعيش مع طفلينا القطين فلوفي وتايجر
9. الجميع : (في حالة ضحك) (مقتبس من موريش وساونتسون 2007: 36)

وفي هذا المقطع، يبرز المشاركون هويّة المثليّات الجماعية باستخدام تكتيك "الملاءمة" (أي من خلال إبراز "التشابه الملائم")، والمتحقّق جزئياً باستعمال الضمير **نحن** (السطور2 و3 و5 و8). وعند حديثهنّ عن اشتراكهنّ معاً في إنشاء نسخة متخيّلة من غرف التغيير، أكّدوا الهويّة المثليّة باستبدال الأطفال بالقطط، وفي وقت لاحق في المحادثة، يستبدلن "ورق الحائط" و"الباستيل" بـ"رموز السد الكبيرة على جدران بعضهنّ البعض". إنهنّ ينخرطن في تخريب مرح لهيكل أسرة المغايرة الجنسيّة: "إنَّ التأثير الأكثر أهمية لهذا هو الفكاهة- فالمتكلّمون يقلّلون، وبالتالي يقوّضون، مفهوم الأسرة الغربيّة المغايرة جنسيّاً بإدخال معانٍ غير مناسبة أو غير لائقة في بنيتها" (موريش وساونتسون 2007: 37). وكما تشير موريش وساونتسون، فإنَّ الإدخال غير الملائم لبعض الحيوانات الأليفة الأخرى- دعنا نقول، الكلاب- لن ينجح بمقدار النصف أيضاً، لأنّه لن يؤدّي إلى مزحة مثليّة. وفي مقتطف آخر، يتحدّث المتحدّثون نفسهم عن زيارتهم الأخيرة إلى حانة محلّية للمثليين. والمقتطف هو مثال للمعايير المحلّية داخل مجتمع ممارسة مثلي الجنس:

1. ج: لم تصدق تانيا وصديقتها أنَّ الحارس
2. في حانة واو wow أنثى في الليلة الماضية
3. ب: نعم لقد واصلن المسير نحوها إنَّه رجل إنَّه رجل
4. أ: وفي النهاية أصبح الأمر مربكاً حقّاً لأنهنَّ ذهبن للحارسة
5. وقد أخذن يحدّقن فيها ليتبين لهما حقيقتها
6. ب: نعم وكنّا نظنُّ بأنَّها ستضربنا
7. لأنَّها شرسة للغاية ومخيفة (مقتبس من موريش وسونتسون 2007: 39)

ما يثير الاهتمام في هذا الحوار هو حقيقة أنَّ الحادث يُذكر بشكل سلبي، بعدّه "مربكاً حقّاً". وبعيداً عن كونه غير شرعي، فإنَّ السلوك الجنسي غير المعياري مسموح به ومقبول على النحو المناسب في بار المثليين:

إنَّ الأيديولوجية التي يتمُ نقلها هنا هي أنَّه من المقبول والطبيعي، في حانات المثليين، أن تنظر المرأة وتتصرّف بطريقة ذكورية معترف بها ثقافياً والعكس صحيح. وفضلاً عن ذلك، من الخطأ التشكيك أو الاعتراض على هذه التوجّهات الجندرية غير الطبيعية إذا كنت سترتاد هذه الأماكن ولاسيّما إذا كنت، أنت نفسك، مثلي الجنس. (موريش وساونتسون 2007: 40)

إذاً المقتطف من حوار حانة واو هو مثال على تكتيك "الإقرار".

سأختم ببعض الملاحظات من دراسة أجرتها عالمة اللغة الفرنسية، الراحلة آنا ليفيا، حول الإعلانات الشخصية في مجلة المثليّات. ففي الأعمدة الشخصية، يكون التركيز الكبير على عملية تشكيل الذات والآخر. وهذا يجعلها مفيدة، ومثيرة للاهتمام حقّاً، لحضور بناء الهوية. فضلاً عن ذلك، فإنَّ قرّاء الإعلانات الشخصية في مجلة للمثليّات يشاركون في مجتمع لا يعمل وفقاً لنموذج المغايرة الجنسيّة القائم في عموم المجتمع، مثلهم مثل الأشخاص الذين يتردّدون على حانة المثليين.

تتكوّن الإعلانات الشخصية عادةً من ثلاثة أجزاء، فهي تبدأ بوصف ذاتي أوّلاً، متبوعاً بوصف الآخر المطلوب وقائمة بالاستثناءات. ويتمُ تمييز البنية المكوّنة من ثلاثة أجزاء بالأرقام الرومانية في هذا المثال:

i. 30 عاماً، برج الميزان، مخنّثة، تبحث عن أنثى متوازنة الوزن ومتناغمة في رزانتها وفي الملاطفة

ii. وزن الريشة أو وزن قليل أو الوزن المتوسط.

iii. المصارعات، سائقات شاحنات يمتنعن. (ليفيا 2002: 194)

إنَّ كاتب هذا الإعلان يبحث عن شريك محتمل له بنية أنثوية نحيفة. وتشير غالبية الإعلانات إلى الأسلوب الذكوري وترسّخه في قائمة الاستثناءات. وفي الواقع، ينتهي العديد منها باستثناء معتمد: "سائقات الشاحنات لسن في حاجة للتقديم". ويتمُ الإشارة إلى كراهية أن يتقدّم للإعلان الجندر الذكوري بطرق أخرى أيضاً: على سبيل المثال، يطلب كاتب إعلان آخر "دبّة شديدة اللعق" ويرجو ألّا يتقدم "الغرير"- مجازياً الكسول. وفي سياق العمود الشخصي للمجلّة، فإنَّ التناقض بين الغرير- والدبة يرمز إلى الاختلاف بين الجنسين، فعلى الرغم من

عدم تقديم تفسير للجمع بين الغرير والأنوثة. ومع ذلك، فإنَّ الارتباط بين الدببة والذكورة واضح تماماً: "لا يُعدُّ الدب غير متحضّر وشديد الغباء فحسب، بل أيضاً عدواني ومفترس، مثل الرجل النمطي" (ليفيا 2002: 195). وفي "مجتمع" المثليّات في هذه المجلّة الفرنسية، يبدو أنّه يتمُّ تداول خطاب مناهض للمسترجلات. فالهويّات المثليّة المسترجلة غير شرعية، حتى داخل الجماعة المهمّشة.

ومن المثير للاهتمام، أنَّ نقيض هذا الرفض لرجولة الإناث قد لوحظ بين الرجال المثليين وتمَّ تعريفه بـ"رهاب المؤنّث". وتجادل نيال ريتشاردسون، وهي بريطانية من منظّري نظرية مثليّة المرأة، بأنَّ الخوف من التأنّث "ينبثق من القلق بشأن كونك مناهضاً للاندماج و"غير ملائم" للثقافة غير المتجانسة" (ريتشاردسون 2009: 536). فالرجال الذين يتصرّفون بشكل مؤنّث يشكّلون مشكلة لحاجة السكّان المثليين إلى "التوافق". وعند انتهاك ثنائية الجنس، يمثّل أداء "السحاق" تهديداً لطبيعية المغايرة الجنسيّة. فضلاً عن ذلك، يُنظر إلى التأنّث على أنّه "نقص في كبرياء المثليين وبالتالي فهو يتعارض بشكل مباشر مع سياسات استيعاب المثليين" (ص 536). يبدو، إذاً، أنَّ معايير ثقافة المغايرة الجنسيّة السائدة لن تختفي.

وفيما يلي ملاحظة أخيرة حول استيعاب المثليّة في نسق طبيعية المغايرة الجنسيّة داخل التلفزيون الشعبي. ضع في اعتبارك طبيعية المغايرة الجنسيّة الثابتة في عروض التجميل؛ مثل عرض جوك وان **كيف تبدو عارياً على نحو جيّد** أو عرض **عين سحاقية للشخص الطبيعي** في الولايات المتحدة. وحتّى مع المضيفين المثليين، فإنَّ تغيير طراز المشاركين يهدف دائماً إلى انجذاب الشريك المغاير. ويتمُّ اختزال الهويّة الجنسيّة للمضيّفين أنفسهم إلى مجرّد طراز.

لا ينتقد الأشخاص العابرون بالضرورة معايير الجندر أيضاً. والسؤال لماذا يجب أن يفعلوا ذلك؟ فقد يشعرون بالأحرى بأنَّ المعايير "الخاطئة" هي التي يتمُّ تطبيقها عليهم. وهذا يعني أنَّ الاعتراف بالتناقض بين جنسهم المتجسّد وتصوّرهم الخاص لجندرهم هو الذي يؤدّي إلى الإكراه على "الانتقال".

الهويّات العابرة

إنَّ الثنائيات المسلّم بها إناث وذكور، والمؤنّث والمذكر هي جزء من رؤية العالم في الغرب التي فرضها المحتلّون الأوروبيّون على ثقافات السكّان الأصليين. وتمارس هذه الثنائيات ضغطاً

ساحقاً للتوافق، إمّا أن تكون في طرف منها أو أن تكون في الطرف الآخر. ولكن كان هناك دائماً أشخاص متحوّلون في أنحاء العالم جميعاً: السكّان الأصليون الأمريكيون ذوو الروحين، والهجرا Hijra في الهند، والترافست Travesti في البرازيل، وشعب كاثوي في تايلاند، والعذارى المحلّفات في ألبانيا.

يوجد الآن انتشار للمصطلحات الخاصة بالأشخاص غير المطابقين للجندر- غير المطابقين لجندرهم Transgender، وغير المطابقين لجنسهم Transsexual، ومختلط الجنس Intersex، مرتدي الملبس المغايرة لجنسهم Cross-dresser، ومقلّد الأنثى أو مقلّدة الذكر Drag queen/king، والجامع بين الجنسين Androgenous، والمحايد جندريّاً Genderless، وخارج التصنيف الجندري Genderqueer، ومتعدّدي الجندر Bigender، وربّما يوجد آخرون- وقد يجمع البعض بين أكثر من نمط. إنّهم جميعاً يتحدّون ثنائية الجنس البيولوجي وبنية الجندر، سواء عن طريق فصل الجنس عن الجندر أو عن طريق رفض التصنيف الجندري تماماً. ويتمُّ استخدام اصطلاح المتحوّلين جنسياً والمتحوّلين جندرياً أحياناً بالتبادل، لكنّهما ليسا مترادفين ومن المفيد التمييز بينهما. وعند النظر في الهويّات العابرة، فإنَّ هذا يساعد على التمييز بين الجندر- "بنية تنطبق على العلامات الاجتماعية والسلوكية التي تجعل"المرأة" و"الرجل" و"المتحوّلين جنسياً" فئات"-، والجنس- "بنية تنطبق على الجسد وعلامات جسدية تجعل "أنثى" و"ذكر" و"مزدوجي الجنس" كفئات- (كوليش 2016). و**المتحوّلون جنسيّاً** هو المصطلح الأكثر تحديداً وله أساس طبّي. ومع ذلك، علينا أن نتذكّر أنَّ الجنس والجندر مستمران وأنَّ محاولات الادعاء بأنَّ أحدهما يسبق الآخر لا تصمد في النهاية (انظر الفصل الأوّل للمناقشة).

وبالنسبة لشخص متحوّل جنسياً، قد يكون هناك تمييز حاد بين هويّة الجندر وجنس الجسد. وتقدّم رايوين كونيل (2012: 867) وصفاً مؤثّراً للرعب الناتج عن التعايش مع هذا التناقض، الذي سأقدّمه بشيء من التفصيل:

> **هذا الاعتراف أمر مخيف، لأنَّ التناقض المركزي في التحوّل الجنسي قوي جدّاً. تتعارض هذه الحقيقة تماماً مع ما يعرفه كلُّ شخص عمّن حوله، ومع ما تعرفه المرأة المتحوّلة جنسيّاً أيضاً، إذ يمكن التعرّف عليها أيضاً كرجل (أو فتى، لأنَّ هذا يحدث غالباً بين الشباب). ولا يوجد مهرب من هذا الرعب: فالجندر عنيد، سواء**

كبنية للمجتمع أو كبنية للحياة الشخصية. ويجب معالجة التناقض، والتعامل معه جسدياً، لأنّه ينشأ في عملية التجسيد.

لذلك، يجب على المرأة المتحوّلة أن تقوم بفعل ما، بداية من الشعور بالتجسيد المتناقض وحتّى لحظة الاعتراف. ما الذي يجب فعله؟ يحاول البعض إبقاء التناقض داخل جلودهم والتخلّص من الرعب. وتمكّن البعض من عيش بقية حياته بهذه الطريقة؛ إذا ساعد العلاج النفسي الطبقة الوسطى. والبعض يقتل نفسه... وقد يكون لدى المرأة المتحوّلة جنسياً قدر هائل من عدم اليقين بشأن ما عليها القيام به. إنّها تمارس التحوّل الجنسي وتخرج منه، فتبدأ في ارتداء ملابس الرجال وتتوقّف عنها، وتبدأ في إيذاء نفسها وتتوقّف عنه.

وفي العالم بأسره، يتعرّض الأشخاص المتحوّلون للإقصاء والتهميش والتمييز والقمع المؤسّسي. ويساعد المنظور متعدّد الجوانب في الاهتمام بالدرجة العالية من المضايقات والعنف الذي يتعرّضون له. فالعداء الذي قد ينبع ليس فقط من رهاب التحوّل الجنسي، ولكنّه يتأتّى أيضاً من العنصرية والتمييز الجندري وصور الاضطهاد الأخرى المتعدّدة في وقت واحد. وفي وسائل الإعلام يتمُّ تشخيصهم بشكل روتيني ومرضي وتتكاثر التمثيلات السلبية عنهم (فيشر 2018؛ ليستر 2015). في الآونة الأخيرة، بدت بعض علامات القبول، لاسيّما من خلال زيادة ظهور "المشاهير" الفاتنين في وسائل الإعلام الرئيسة- على سبيل المثال الممثّلة الأمريكية لافيرن كوكس على غلاف مجلة تايم في عام 2014 أو الرياضيّة الأمريكية كايتلين جينر على غلاف مجلة فانيتي فير في عام 2015-. ومن الملاحظ أنَّ المرأتين كلتيهما تتوافقان مع أشكال المغايرة الجنسية في أدائهما المصقول للأنوثة عالية الصيانة (العروض التي تتجاوز إمكانيات معظم النساء، سواء المطابقات أو المتحوّلات). بالكاد يمكن قول هذا عن كونشيتا ورست، الفائزة النمساوية في مسابقة الأغنية الأوروبية في عام 2014. وصفت المتسابقة بأنّها "نوع من بيونسيه الملتحية"، إذ تحدّت التصنيف الجندري: "توجّت كونشيتا ملكة أوروبا، لكنّها متشبّهة بالرجال، مسترجلة، سيّدة ملتحية، امرأة متحوّلة الجنس أم ماذا؟ وهل هذا مهم حقّاً؟ (ليس 2014).

مزيد من القراءات

اللغة والجندر

أعيد طبع عديد من الدراسات المشار إليها في هذا الفصل في كتاب كاميرون وكوليك (2006). ويقدّم هذا الكتاب مسحاً شاملاً ولمحة تاريخية عن المجال. وهناك الآن مجموعة من المجلّدات المتاحة: كاميرون وكوليك (2003)، كامبل كيبلر وآخرون. (2002)، ليفيا وهال (1997)، وموريش وساونتسون (2007). في حين أنَّ كتاب هال وباريت (2019) كتيب حديث وشامل يحدّد الأساليب والمفاهيم والممارسات في هذا المجال. وتوفّر الموسوعة التي حرّرتها نابليس (2016) تغطية واسعة تشير إلى قراءات إضافية واسعة النطاق.

وللاطلاع على نظرية الكوير ودراسات المخنّثين، يراجع كتاب جاجوس (1997)، وسوليفان (2003)، ومييم (2013). وللحصول على عدد خاص من المجلّة حول اللغويات الكويرية، اطلع على عدد مجلة الخطاب والمجتمع 24 (5) 2013. ويركز كتاب باريت (2017) على الثقافات الفرعية للذكور المثليين.

ويطرح كتاب كونيل (2012) تفصيلات العلاقة المتقطّعة بين النسوية والمرأة المتحوّلة على مرِّ السنين، بينما يحدّد كتاب كوليش (2016) تطوّر حركة المتحوّلين جنسياً في الولايات المتحدة. ويتناول كتاب زيمان (2017) قضايا إصلاح لغة المتحوّلين جنسيّاً. وقد يكون هذان الموقعان مفيدان: www.transstudent.org و http://genderqueerid.com.

وللاطلاع على دراسات الجندر واللغة بين الترافيستي والهيجرا، يراجع كتاب بوربا وأوسترمان (2007) وهال (2005، 2009) على التوالي.

الأداء

هناك كتابان للاطلاع على رؤية عامّة لجهود بتلر وهما كتاب لويد (2007) وكتاب صالح (2002). وللقراءة حول موضوع الأداء، حاول الاطلاع على جاغر (2008) وخمسة مقالات في الجزء الأول من صالح وبتلر (2004).

توجد دراسة مثيرة للاهتمام عن الدراق والأداء لم يتم ذكرها هنا بالفعل وهي دراسة باربت (1995وأعيد طبعها في كتاب كاميرون وكوليك 2006).

إعلانات المواعدة

إنَّ موضوع تسليع الذات والآخر في الإعلانات الشخصية هو موضوع عديد من الدراسات التي لم أذكرها من قبل، بما في ذلك شالوم (1997) وكوبلاند (1996، أعيد طبعها في كاميرون وكوليك 2006). ويدرس هوجبين وكوبلاند في شكل ملفت من أشكال الإعلانات وهو إعلانات الأبوة والأمومة المخنّثة للشركاء المنجبين.

الرضا الجنسي والاغتصاب

لمزيد من القراءات حول محاكمات الاغتصاب وتعريفات الرضا الجنسي، يراجع كتاب كروفورد (1995) وايرليش (2001، 2003). يراجع أيضاً كاميرون (2006، ط2) بشأن إرشادات الكلّيات الأمريكية للطلاب. ويمكن العثور على قراءات حول ممارسة الرفض والاغتصاب في كيتسينجر وفريث (1999) وفي كتاب كيتسينجر (2000). كما تتوافر مناقشة في كتاب سبير (2005). ولتحليل التقارير الإعلامية عن الاغتصاب، يراجع كتاب كلارك (1992، أعيد طبعه في كتاب كاميرون 1998). وتوجد مواقع حول أزمات الاغتصاب تقدّم خدماتها للعديد من البلدان في أنحاء جميعاً العالم، على سبيل المثال: www.rapecrisis.org.uk في إنكلترا وويلز، وموقع www.rapecri sis.org.za في جنوب أفريقيا وموقع www.rapecrisis.com في الولايات المتحدة.

12

استعادة اللغة

حقّقت النسوية تقدّماً كبيراً في كفاحها الطويل ضدَّ الممارسات الجنسيّة، لاسيّما في مكان العمل والتعليم. في ختام الفصل التاسع حول الذكوريّة، نظرت إلى التدخّلات النسوية التي تقضي على سلطة الرجل وامتيازاته وفي صيحات الغضب المثارة. هذا النضال المستمر هو محور هذا الفصل الأخير. أدرس فيه الصراعات داخل الخطاب وحوله، مع إيلاء اهتمام خاص لمحاولات استئصال التحيّز الجنسي من اللغة الإنكليزية. يتناول الفصل عمليّات الاحتواء والنضال، بما في ذلك خطاب "الصوابية السياسية" والمؤسّسات التي تحدث فيها هذه العمليات. وأبدأ بالوقوف على صور النضال ضدَّ التحيّز الجنسي في اللغة الإنكليزية، وأين تحدث، والأشكال التي تتخذها. ثم أفكّر في المقاومة المضادّة، أي محاولات الحفاظ على الوضع اللغوي الراهن. أخيراً، أنتقل إلى ظاهرة "الصوابية السياسية" وأسأل: ما هي وكيف أصبح اسمها للتعبير عن الإساءة؟

أنماط النضال

تحدث محاولات النضال داخل اللغة وحولها طوال الوقت، في عديد من الأوضاع المختلفة. وتشمل هذه المحاولات النضال ضد التحيّز الجنسي في اللغة الإنكليزية كلاً من الطعون الفردية والمقاومة المنظّمة: بدايةً من الاعتراض على الحرمان من الكلام، مروراً بالتعريفات المهينة، حتَّى المعاملة بطرق رعائية. وفي المجالات العامة للإعلام والتعليم والنشر، ما تزال هناك جهود لإقناع "حرّاس بوّابات اللغة"- الأشخاص الموجودون في المؤسّسات الذين يقرّرون ما يعدُّ مقبولاً لغويّاً وما هو غير مقبول- لاستخدام بدائل غير متحيّزة جنسيّاً. ومع

جماعياً، يتمُ مقاومة التميز الجنسي والطعن عليه. وقبل بضع سنوات، كان المشهد المألوف للمسافرين في مترو أنفاق لندن هو الملصقات التي تقول "هذا الملصق يحطُ من قدر النساء" وهي توضع بشكل مناسب على المواد الإعلانية المخالفة على طول السلالم المتحركة. وتتذكّر إحدى الناشطات، وهي لويز غرايسل، حملتها على الملصقات:

كنّا نصادف، مثلاً، في الخامسة والنصف أو السادسة صباحاً في محطة مترو أنفاق سلون سكوير بحزم من هذه الملصقات... كنّا نتخذ مسار المنطقة وسنركب إلى داغينهام وما وراءها، وننزل بين الحين والآخر ونركب السلّم الكهربائي لأعلى ولأسفل، ونضع ملصقات على الإعلانات ونحاول تجنّب ألّا يتمّ القبض علينا.
(واندور 1990: 130).

لقد كانت حملة فعالة للغاية.

النضال من أجل الوصول

اشتملت الصور الأخرى من العمل الجماعي الفعّال الذي حرّضت عليه النسويات على صراعات حول حصول النساء على حقِ الكلام. مثلاً، لا تشعر عديد من النساء بالارتياح تجاه أشكال الحديث العام التي تتميّز تقليدياً بالقدرة التنافسية واستعراض الذات. ونجحت المقاومة الواعية للأنماط الهرمية التقليدية للتفاعل والضغط من أجل تغييرها في إحداث تغييرات. وتحوّلت بعض التجمّعات- تجمّعات النقابات العماليّة مثلاً- بالتحوّل من حديث الرئيس والخطباء الرسميين أو "المتحدّثين الجيّدين" في الاجتماعات إلى قيام الرئيس بالتمهيد الجيّد. كما أنَّ الانتقال من نمط التفاعل الهرمي إلى نمط التفاعل التعاوني ذا الطابع الجماعي أكثر، قد ساعد النساء على أن يكن لهنَّ صوت في المجال العام. وقد عرض الفصل السابع لدراسة أجريت على حلقة نقاش تلفزيونية أمريكية، وقد بيّنت ما قامت به امرأتان أمريكيتان من أصل أفريقي من تحدّى بأعراف المقابلات التي فرضها منسّقها. لقد كنَّ يقوّضن سلطته المؤسّسية ويفرضن أعرافاً حوارية أكثر عدالة. ولعلَّ هناك استراتيجية أخرى لمساعدة النساء على التعبير عن آرائهنَّ وهي استراتيجية الانفصال. فقد اقتضت الحاجة أحياناً لبيئات للحديث عن القضايا ذات الأهمية بالنسبة للمرأة العمل على إنشاء جماعات مخصّصة للنساء فقط.

لقد تمَّ استبعاد النساء من المجال العام لفترة طويلة (تمَّت مناقشة هذا في الفصل العاشر). وحتَّى وقت قريب كنَّ محرومات من الالتحاق بعديد من الخطابات المهنيّة المتميّزة؛ وضع في اعتبارك، مثلاً، جهود المرأة لاقتحام مهنة الطب. وكما ذكرت في الفصل السابع، فإنَّ الدخول في مهنة الطب هو مسألة دخول في الخطاب الطبّي.

وما تزال المرأة تفتقر إلى المساواة في الوصول إلى خطابات المهن المتميّزة أو إلى مناصب المتحدّثين من أصحاب الهيمنة. وما تزال المرأة ممثّلة تمثيلاً ناقصاً في المناصب العليا في قطّاعي الطب والجامعات، مثلاً. ونتيجة لذلك، ما زلن يكافحن من أجل إسماع صوتهنَّ وخدمة مصالحهن. (ومع ذلك، فإنَّ وجود نساء في مناصب عليا لا يفيدهنَّ بالضرورة. فكّر في حالة مارجريت تاتشر أو تيريزا ماي: إنَّهما السيدتان الوحيدتان اللواتي شغلن منصب رئيس وزراء في بريطانيا، ولكن لم تنم سياستهنَّ عن أيّ توجه نسوي). كذلك توجد صورة أخرى من صور الصراع من أجل الالتحاق بالمجال العام وهي الصراع مع حرّاس البوّابات في المؤسّسات العامّة- أي الصراع حول من يُسمح له بالدخول إلى هذه المؤسسات-. فمثلاً، في أحد الأقسام الجامعية، من يمكنهم إجراء المقابلة عند التعيين هم الذين يتمُّ توظيفهم. فالحصول على وظيفة، بشكل حاسم، مسألة مرتبطة باللغة، وبالدخول في الخطاب، ومواقع السلطة التي يشغلها من هم بالفعل داخلها (أو المحجوبون عنها).

تدخّلات

إنَّ حملات "أنا أيضاً"، و"لا مجال لصفحة ثالثة أخرى"، و"ارفعوا مجلات الرجال"، و"مشروع التمييز الجنسي اليومي" حملات أربع تتحدّى سلطة الرجل وامتيازاته التي أشرت إليها نهاية الفصل التاسع. ولعلَّ اختراع كلمة "التمييز الجنسي" مثال على التدخّل المباشر. ولقد كان مصطلحاً جديداً، تمّت صياغته لملء فجوة معجمية. كذلك فإنَّ مصطلح الجندر المطابق لجنسه Cis-Gender هو تدخّل آخر (وما يرتبط به من وجود طبيعية المطابقة بين الجندر والجنس). ومن المصطلحات الجديدة التي وجدت سبيلها بهدوء في الاستخدام الشائع هو مصطلح "**الوالدية**"، الذي حلَّ الآن محل مصطلح **الأمومة** في بعض السياقات. هذا المشتق الجديد يدخل الآباء إلى ساحة تربية الأطفال قديمة الأمد (على عكس مصطلح الأبوّة، وهو المرتبط بالعمل اللحظي!). وإلى جوار ذلك يوجد احتمال آخر وهو توسيع مجال التعبيرات الحالية، كما فعلت نساء فيتون هيل بالنسبة لمصطلح "منحلّة".

إنَّ التجارب الروائية هي طريقة أخرى للتدخّل في اللغة المتحيّزة جنسيّاً. فأحياناً ما يتلاعب كتّاب الروايات باللغة الإنكليزية، ويبتكرون ضمائر بديلة، مثلاً، أو يصوغون مصطلحات جديدة لملء الفجوات المعجمية. وتعدُّ روايات الخيال العلمي النسوي من الأعمال الملفتة في هذا الصدد. ففي أوّل رواية خيال علمي لها، وهي **رواية امرأة على حافّة الزمن**، تستخدم الروائية مارج بيرسي ضمير الغائب الذي لا يشير إلى جندر الشخص المشار إليه. وتقدّم في تلك الرواية المجتمع المثالي، ماتابوِيست، الذي ألغى سكّانه الجندر. فلم يحدّدوا جنس الضمير أبداً، كما نفعل مع الضمائر هو/ له، هي/ لها. ففي مجتمع ماتابويست، تستعمل الكلمة "شخص" للإشارة لضمير الغائب؛ وفي المواضع الأخرى يستعملون اختصار كلمة شخص بالإنكليزية وهو Per. هذا لا يلغي الهويّة الجنسيّة، لكنّه يضعها في الخلفية. وفيما يلي مثالان على ضمير الغائب عملياً:

لقد صاغ (صاغت) صافو بشخصه (بشخصها) تلك الحكاية منذ مدّة طويلة. وكان جاكرابيت يشاهد المرأة العجوز بإعجاب. "كثير من الناس الآن يروون تلك القصة، ولكن ما من رواية أفضل. وفي آيسبريكينج، قمت بتسجيل رواية كل **شخص**".

"لم يكن أسلوب الشخص للتسلّل إلى أسرة الآخرين مثمرة دائماً"، قال أحد الشباب وهو يقف على قدم واحدة. "جاءني جاكرابيت مرَّة بعد رقصة ثم لم يجئ أبداً. وشعرت بأنّني **تفّاحة** An apple person قد تناولوا قضمة منها وبصقوا علها.

"كان **الشخص** فضولياً للغاية، وقيامه ببناء الصداقات أكبر من سعيه للحفاظ علها"، عبارة قالها بوليفار بجفاف، من دون أن يرفع رأسه.

(بيرسي 1979: 132، 312)

لا تشير الشخصيات في الحوار إلى جنس الشخص الذي تشير إليه، لكنَّ القارئ ما يزال بإمكانه التمييز بين النساء والرجال، لأنَّ الراوية (هي امرأة من عالمنا) تستخدم ضمائر وأسماء وضمائر الملكية. لذلك تمكّنت بيرسي من استعمالها في اتجاه المذكّر واتجاه المؤنّث. ونتيجةً لذلك، أطلَّ القارئ على مجتمع من الرجال والنساء لا اختلافات جندريّة فيه. ولعلَّ الإبداع اللغوي والتجريب من هذا النوع وسيلة لجذب الانتباه إلى الوضع الراهن. وهناك مثال أحدث على هذا التجريب الإبداعي ويمضي في الاتجاه المعاكس. ففي رواية من روايات الفضاء

الخارجي، وهي رواية **عدالة ثانوية** للروائية آن ليكي، تعدُّ الثقافة السائدة هي ثقافة "إمبراطورية رادش"، التي لا علاقة لها بالجندر. فعلى عكس لغات الثقافات التابعة، لا تحدّد لغة رادش الأشخاص على أساس جندرهم. ويستخدم الراوي االضمير "هي" طوال الوقت.

إنَّ أسلوبا آخر من أساليب التدخل المباشر في التمييز الجنسي باللغة الإنكليزية هو الوارد في الكتابة القاموسية. إذ يتمُّ التعامل مع القواميس وكأنَّها منقوشة على حجر. فالناس تراها كمستودعات للحقائق اللغوية. هذا أمر لا مفرّ منه إذا كنت تتعلّم لغةً من اللغات، لكنَّ المتحدّثين الأصليين لتلك اللغة يرون القواميس بالطريقة نفسها أيضاً. وفي الواقع، قد تعكس القواميس تحيّزات جامعيها وثقافة عصرهم. وتبدو هذه التحيّزات من بعيد واضحة للعيان. انظر إلى مادة الفعل **يتحضّر** من قاموس نُشر عام 1931: "يتحضّر: ينتقل من البربرية إلى الحضارة، وصولاً للرقي الاجتماعي والأخلاقي وتعزيزه بين: المتوحّشين الذين تحضّروا غالباً بفضل المبشّرين" (مذكورة في كتاب موون 1989: 89). فما الثقافة التي تعدُّ بربرية، ويعيش عليها المتوحّشون؟ بالنسبة لمعظم الناس في الوقت الحاضر، فإنَّ الآراء المتضمّنة في التعريف والمثال آراء إشكالية للغاية، إن لم تكن مسيئة تمام الإساءة. إنَّها تنمُّ عن تصوّر ضيّق للحضارة.

يحاول صنَّاع المعاجم هذه الأيام وضع قواميس تتجنّب المركزية العرقية، وكذلك التمييز الجنسي. وهناك عدد من المشكلات المتضمّنة في وضع القواميس الجديدة. فالعرف القائم عند وضع القواميس يتمثّل في تحديد الاستخدامات المسيئة أو المبتذلة. كما يتمُّ تحديد الاستخدامات التي يراها بعض السكّان مسيئة (مثلاً استعمال كلمة **فتاة** بالنسبة لامرأة بالغة أو استخدام **امرأة عجوز** بالنسبة لرجل صعب الإرضاء). وعند وضع القواميس البديلة، يحتاج صنّاع المعاجم أيضاً إلى تجنّب القوالب الذهنية في الأمثلة الموضوعة، كما في المادّة المذكورة أعلاه. ومن المهم وضع القاموس في ضوء مجموعة واسعة من الاستخدامات اللغوية، ولا يتمّ الاستناد فقط إلى المصادر المكتوبة التي يهيمن الذكور عليها، كما كان معتاداً في الماضي. وفي الثمانينيات، كانت هناك قواميس متخصّصة مختلفة، ليس المقصود منها أن تكون بدائل، ولكن إمّا كمكمّلات توفّر المصطلحات المحذوفة من القواميس التقليدية- مثل قاموس ماجي هام- قاموس النظرية النسوية (1989)- أو كتعليق بارع- مثلاً القاموس النسوي الذي وضعته كرامارا وتريشلر (1985).

كما يتوافر أسلوب آخر من أساليب التدخّل المباشر وهو ضبط اللغة العامة فيما يتصل بالتمييز الجنسي والعنصرية. هذا منتشر الآن في العالم الناطق باللغة الإنكليزية. إذ يقوم الناشرون بإزالة المواد التي يحتمل أن تكون مسيئة من المخطوطات. وتشارك الحكومة المحلّية والخدمات الاجتماعية في تعزيز المساواة بين الجنسين بوسائل مختلفة، كما تفعل مجموعة واسعة من الهيئات الأخرى: أرباب العمل في الأعمال التجارية، والمنظمات المهنيّة والمؤسّسات التعليمية. ولدى معظمها الآن سياسات وقواعد ممارسة وإجراءات لتقديم الشكاوى وتوجيهات لخلق تكافؤ الفرص. وتمثّلت الأمثلة المبكّرة في الولايات المتحدة في توصيات إصلاح المناهج والمبادئ التوجيهية لتجنّب التمييز الجنسي في المنشورات التي وضعها المجلس الوطني لمدرّسي اللغة الإنكليزية. ويتجلّى المثال البريطاني في مدوّنة السلوك الخاصة بالاتحاد الوطني المخصّصة للصحفيين، التي تتضمّن بعض المبادئ التوجيهية للاستخدام غير المتحيّز جنسيّاً. وفيما يلي بعض الاقتراحات:

صوت رجال فورد	صوت عمال فورد
المرض male nurse	المرض nurse
الطبيبة woman doctor	الطبيبة doctor
ربة البيت housewife	تعني أحياناً، البائعة، والمستهلكة، والطباخة
أمهات	تعني أحياناً العائلات
الفتيات (لأكثر من 18)	النساء (لاسيّما في الألعاب الرياضية)
العانس/ المطلقة	لا ينبغي استعمال هاتين الكلمتين على سبيل السب

تناقش هذه المبادئ التوجيهية أيضاً الصور النمطية بمختلف أنواعها، وتقدّم المشورة حول كيفية تجنّبها، وتشير إلى التمثيل الناقص للمرأة كعاملة أو ككائن اجتماعي مبدع وصارم.

لدى المؤسسات العامة جميعاً الآن قواعد ممارسة، ولديها أدلّة الأساليب اللغوية التي تراعي القانون في كثير من الأحيان. هذه المراجع ذات الصلة بتكافؤ الفرص لها أهمّيتها بشكل مباشر. مثلاً، عندما كنت أقوم بالتدريس بجامعة سندرلاند، كان لدى الجامعة وثيقة بعنوان "تكافؤ الفرص: دليل للممارسات الجيّدة واستخدام اللغة" وقد قدّمت الوثيقة رؤيتها كواجب على الموظفين والطلاب جميعاً "لمكافحة الهياكل والممارسات التمييزية". وركزت الوثيقة على احترام الآخرين وعلى "الحساسية تجاه قضاياهم الحسّاسة". عند وضع "الخطاب المدني" بشكل كبير. وكانت الإشارة إلى القضايا القانونية ضمنية طوال الوقت، بما في ذلك القسم الخاص بالتوجه الجنسي (الذي تمَّ اقتباسه في الواقع من دليل الجامعة المفتوحة):

> **كأعضاء متساوين في المجتمع، يجب وصف المثليّات والمثليين بعبارات لا تقلّل منهم أو تحطّ من قدرهم، ولا تشجّع على التمييز ضدّهم أو تقديم صور مشوّهة عن حياتهم، ولا إثارة الحسّاسية تجاه أنشطتهم أو الإيحاء بعدم شرعيّتها. ولا ينبغي استبعادهم: بتجاهل خبراتهم- في حالة اختلافها- التي لا تقرُّ بها الدورات التدريبية والمواد الأخرى، وتلمح إلى أنَّها لا تستحق التضمين. ولا تعرض قضايا التوجّه الجنسي من دون مبرّر؛ بل حسب مقتضى الحال، إذ يتمّ تضمينها بطريقة عادلة وموضوعية.**

كلّ عام يشكو قليل من الطلاب الجامعيين من هذا الدليل، ولا شكَّ أنَّ هذا راجع بشكل خاص إلى الاستخدام السلطوي للأوامر وأسلوب الوجوب في جنباته كلّها. وبشكل عام، يبدو أنَّ الطلاب راضون عنه (بقدر وعيهم به).

منذ أوائل الثمانينيات، "كان المتحدّثون باللغة الإنكليزية في وضع يسمح لهم بمراقبة حرب عصابات لغوية تدور في كلِّ مكان حولهم" (كاميرون 1995، ط2: 118). وحرّضت النسويات على هذه الأنشطة العسكرية، لكنَّ سرعان ما انضمّت إليها أخريات. وفي بعض النواحي، يمكن القول إنَّ العصابات اللغوية قد حقّقت انتصاراً كبيراً. أصبح حرّاس البوّابة على وجه الخصوص الآن على دراية كبيرة بالقضايا المتعلّقة بالجندر والعرق والقدرة الجسديّة، ومؤخّراً، التوجّه الجنسي. وبصورة أعم، فإنَّ الناس على دراية بالمخالفة باستخدام مصطلحات وأشكال معيّنة من صور المخاطبة. وما حقّقه المتشدّدون اللغويون هو تسييس مصطلحات كانت تبدو في السابق محايدة. وما يزال من الممكن لأيِّ شخص استخدام النماذج

القديمة، ولكن لا يمكن استخدام هذه النماذج بطريقة تبدو محايدة بعد الآن. مثلاً، قد تشير كلمة رجل Man- على نحوٍ تقليدي قديم، مثلاً- إلى امرأة تترأس اجتماعاً كرئيس Chairman (أو حتّى كـ"سيّدتي الرئيس"!). لكن من المستحيل عليه أن يفعل ذلك بطريقة محايدة. وعند اختيار كلمة الرئيس Chairman بدلاً من الرئيسة Chairwomen أو الشخص الرئيس Chair Person أو رئيس Chair، فإنَّه يعرب عن مواقفه تجاه النساء، التي يمكن بعد ذلك أن يحاسب عليها. إنَّه بلا شك قد يجد هذا الوضع بغيضاً للغاية.

بالنسبة لقضيّة برزت في الآونة الأخيرة، ضع في اعتبارك نضالات الأشخاص المتحوّلين من أجل الاعتراف بهم في سياق ثقافي منحاز لطبيعية توافق الجنس. فالأشخاص الذين لا يتوافقون مع جنسهم الذي ولدوا به يفقدون جندرهم، أي أنَّه قد يتمَّ التعرّف على جندرهم بشكل خاطئ. وبالتالي قد يواجهون تحدّيات، متعمّدة أو غير متعمّدة، لشرعية الهوية الجندرية التي يدعونها. وبالنسبة للفرد الذي تعرّض لسوء تحديد جندره، فإنَّ التدخّل صعب للغاية. يجب أن يكون التدخّل الفعّال على المستوى المؤسّسي. وتتيح بعض الجامعات الأمريكية الآن تعليق "دبابيس الضمائر"، ممّا يتيح للطلاب الفرصة للإشارة إلى ما إذا كانوا يفضّلون مخاطبتهم بالضمير هو أو هي أو هم. وتعدُّ قضايا إصلاح اللغة مصدر قلق مركزي للنشطاء المتحوّلين، الذين تكتسب حملتهم من أجل تبنّي لغة احتوائية عبر الجامعات زخماً في الجامعات الأمريكية. هذه الحملة، بالطبع، يمكن أن يصوّرها منتقدوها على أنّها "صوابية سياسية".

مقاومة مضادّة

امتثل كثير من الناس، على مضض أحياناً، للضغط من أجل التغيير الذي مارسه المقاتلون اللغويون. بالنسبة للبعض، كان هذا يعني ببساطة تغيير المصدر المحتمل للجريمة، كما هو الحال في محاولات مؤلّف خيالي لإعادة استخدام "نكات عن غير البيض" كـ"نكات عن القبيحين". وهناك عديد من الأمثلة على هذا النوع من الامتثال على مضض من دون فهم في مواضع أخرى، وليس آخرها الصحافة. ومع ذلك، لم يكن الجميع بالخصم الضعيف، فقد القتال شرساً في بعض المواضع.

تمَّ التعبير عن مقاومة التدخّل اللغوي في وسائل الإعلام منذ البداية. لقد أسعد النقّاد كثيراً بالسخرية من الإصلاحات المقترحة، وانقضَّ الصحفيّون في الصحف بسعادة على التجاوزات المتصوّرة بغضِّ النظر عن أصولها أو نطاقها أو تأثيرها. كان للصحافة البريطانية يوم مشهود، مثلاً، عندما قام العاملون في سوبر ماركت محلّي بإعادة تسمية بسكويت الزنجبيل المعمول على شكل رجل Gingerbread man إلى بسكويت الزنجبيل المصنوع على صورة شخص Gingerbread person. هذه النوعية من الأخبار أتاحت للمحرّرين المساعدين صياغة عناوين فرعية فيها تلاعب بالألفاظ مثل "بسكويت الزنجبيل حصل على البسكويت" (ويكلي تلغراف) (إذا كان هناك شيء "يحصل على البسكويت" فهو مثال صارخ على العبثية).

كانت هناك صراعات داخل مؤسّسة الصحافة أيضاً. وقد جرى وضع "دليل أسلوب المساواة" (المشار إليه أعلاه) الخاص بالاتحاد الوطني للصحفيين (NUJ) أوائل الثمانينيات من القرن الماضي على يد أقلّية صغيرة في الاتحاد، ووجّه الأعضاء الآخرون مقاومة كبيرة له. ويقترح أحد الصحفيين، دينيس سيرل، أنَّ السبب الرئيس للفعالية المحدودة لهذه الإرشادات هو خوف القيادة من أن يُنظر إليها على أنّها رقيب (سيرل 1988: 255). فقد يتمُّ الهجوم على الحملة الساعية من أجل تطبيق المبادئ التوجيهية غير المتحيّزة جنسيّاً، أو الرامية لإزالة الصور العارية، بعدِّها تهديداً لحرّية الصحافة. وإذا تمَّ فرض مدوّنة السلوكيّات، فقد تفرض على مجموعة محدودة من أعضاء النقابة فغالباً ما يتمُّ تجاهلها. ومن الناحية العمليّة، من غير المحتمل أن يتمَّ التذرّع بها على الإطلاق لأنّه سيتعيّن على أعضاء النقابة في إحدى الصحف محاربة رئيس التحرير. يعطي سيرل مثالاً على أعضاء الاتحاد الوطني للصحفيين الذين عملوا لصالح جريدة النجمة التي يشكون من تدهورها إلى "صحيفة إباحية" ومع ذلك لم يتدخّلوا، لأنَّ تحديد محتوى الصحيفة هو من مهمّات رئيس التحرير (ص255). ومن المثير للاهتمام، أنّه تمَّ "تنظيف" الصحيفة في النهاية بعد ضغوط من المعلنين. فقد أدّى التهديد بفقدان عائدات الإعلانات إلى إجبار مؤسّسة صحف إكسبريس، أي مالكو الصحيفة، على إقالة رئيس التحرير. أمّا بالنسبة للصحيفة "الإباحية" البريطانية الأخرى، وهي الشمس، فقد تمَّ إيقاف نشر صورة فتاة الصفحة الثالثة بهدوء في عام 2015، بعد موجة دعم كبيرة لحملة لا مزيد من الصفحة الثالثة.

وبالنظر إلى المقاومة المضادّة على نطاق أوسع، فإنّه بدءاً من التسعينيات فصاعداً، أعادت صناعة المجلات صياغة الذكورة التقليدية المتمثّلة في شكل "الفتى الجديد"، كما أشرت في الفصل الثامن الذي دار حول النزعة الاستهلاكية. كان هذا التأكيد الذي يبعث على الحنين ردّاً على الضغط الذي مارسته النسويّة. وبالمناسبة، ظهر استهلاك الصور الإباحية بشكل بارز. إذ مالت صناعة الإعلان إلى أن تكون أكثر دقّة في إيجاد طرق للتعامل مع المواقف المتغيّرة. استحوذ الإعلان على النقد النسوي، ممّا أدّى إلى تقويضه. مثلاً، على نحو غير محتمل إلى حدٍّ ما، قامت شركات مستحضرات التجميل بتشغيل إعلانات يبدو أنّها تقلّل من أهمّية الجمال، كما يمكن رؤيته في إعلان إليزابيث آردن: "أفضل ميزة لديّ هي عقلي الكبير والجميل والمثير". تتمتّع هذه الاستراتيجية الإعلانية "بميزة تيسير التصوير المستمر لعارضات الأزياء كاملات الأوصاف جنباً إلى جنب وجود النسخ المكتوبة التي تشير إلى أنّ جمالهنّ ليس هو المراد" (جيل 2007: 84). كما أنّها تسخر بمكر من النسويّة؛ ولا يقتصر الأمر على الاستحواذ على الحركة النسويّة فحسب، بل تسويتها، وربّما يجعلها ذلك مثالاً على دعاية "ما بعد النسويّة". كما يوجد استراتيجية أخرى هي "الذاتية الجنسيّة" (على عكس التشيُّؤ)، التي تمنح المرأة "حالة الذات النشطة إذ يمكنها بعد ذلك اختيار أن تصبح موضوعات جنسيّة لأنّ هذا يناسب اهتماماتها "المحرّرة". وبهذه الطريقة، يمكن تقديم التشيُّؤ الجنسي ليس كشيء يقوم به بعض الرجال للنساء، ولكن بعدّه الرغبة المختارة بحرّية للموضوعات الأنثوية النشطة (الواثقة والحازمة) (ص91).

الأكاديميا

ما تزال عملية مقاومة التغيير قائمة في مواضع أخرى. فقد اشتعلت صراعات طويلة الأمد داخل التعليم والمجتمع الأكاديمي. وتضمّنت المقاومة المضادة علماء لغويين على جانبي المحيط الأطلسي. ونشبت مناوشة مبكّرة للغاية وهي النقاش الذي دار عام 1971 في صفحة الرسائل لمجلّة، هارفارد كريمسون، حول استخدام الضمير **هو** وكلمتي الإنسان والبشرية كضمائر وأسماء عامّة (أي للإشارة إلى الإنسانيّة بشكل عام، كلّ من الذكور والإناث). والوصف والمقتطفات أدناه مأخوذة من مارتينا (1983). بدأ هذا العراك عندما أخذ أعضاء هيئة تدريس اللسانيات على عاتقهم انتقاد محاولة قام بها فصل لاهوتي لاستئصال اللغة المتحيّزة جنسياً من مناقشاته:

إنَّ حقيقة أنَّ المذكر هو الجنس غير المميّز في اللغة الإنكليزية... هي مجرّد سمة من سمات القواعد النحوية. ومن غير المحتمل أن يكون عائقاً لتغيير أنماط التقسيم الجنسي للعمل الذي قد يرغب مجتمعنا في التطوّر نحوه. فلا يوجد سبب حقيقي للقلق أو حسد الضمائر من جانب أولئك الذين يسعون لمثل هذه التغييرات. (مارتينا 1983: 27)

يدّعي اللغويون في جامعة هارفارد أنَّ المذكّر العام هو مجرّد ميزة نحوية، لا علاقة لها بمسألة التمييز الجنسي. واستجاب بعض طلاب اللغويات (بشجاعة إلى حدٍّ ما، على ما أعتقد!) لهذه الرسالة. وطرحوا في ردهم الموقف الافتراضي التالي:

وفي ثقافة الحرف عين، تعدُّ اللغة هي اختلاف الضمائر بحسب لون الأشخاص المعنيين، وليس جنسهم... إنَّ الضمير غير المميّز هو الذي يستخدم للأشخاص البيض. فضلاً عن ذلك، فإنَّ الملوّنين يمثّلون جماعة مضطهدة. وتخيّل الآن أنَّ هذه الجماعة المضطهدة أخذت في الشكوى من استخدام الضمير الأبيض للإشارة إلى كلِّ الناس. فمن المفترض إذاً أن يقول اللغويون لدينا، "الآن، الآن ليس هناك حقّاً سبب للقلق أو حسد الضمائر". (مارتينا 1983: 28)

من المفترض أنَّ الحرف "عين" يشير إلى "عنصري". والمعنى الضمني هو أنَّ المذكّر العام، بعيداً عن كونه سمة من السمات النحوية فحسب، فهو جانب من جوانب التمييز الجنسي في المجتمع ويساهم في إعادة إنتاجه. ولسوء الحظ، التقطت وسائل الإعلام هذا النقاش. وكان موضوعاً للسخرية في مجلة نيوزويك في عمود بعنوان "**حسد الضمير**". ولاحظ الفطنة في التقليل من أهمّية القضية وإضفاء الطابع الجنسي على الإصلاحيين.

وحدثت مناوشة مبكّرة أخرى، حول الضمائر من بين موضوعات أخرى، بين أعضاء جمعية اللغويات في بريطانيا العظمى (LAGB). وفي عام 1984 عارض أعضاء الجمعية مقترحات من أعضاء آخرين لتعديل دستورهم. وتضمّنت هذه المقترحات إزالة ضمائر المذكّر العامة، ورفضت المقترحات على أساس أنَّه ليس من اختصاص اللغويين الانخراط في ممارسات إرشادية. ففي المحاضرات التمهيدية في علم اللغة، غالباً ما يتمّ إخبار الطلاب أنَّ علم اللغة يتعلّق بالوصف وليس بالتوجيه؛ فهو علم يدور حول وصف ما هو موجود في

اللغة، وليس وضع قواعد لكيفية استخدامها أو إصدار أحكام قيمية حول استخدام الأشخاص الآخرين لها.

وفي حين أنَّ هذا أمر جيّد لرفض بعض التصريحات المتغطرسة حول اللغة الإنكليزية "السيّئة"، إلّا أنّه ليس صحيحاً تماماً. ففي الواقع، يضع اللغويون القانون، بطريقة أو بأخرى (لمناقشة مفصّلة، انظر كاميرون 1995، ط2). ومن الأعمال الكلاسيكية لوصف اللغة، مثلاً، عمل دانيال جونز (1909) **نطق اللغة الإنكليزية**. وقد تمَّ تأليف هذا الكتاب المتخصّص في الصوتيات- والموضوع في الأساس لوصف نطق المستلم، أي لهجة الطبقة العليا البريطانية- لفائدة طلاب ومعلّمي اللغة الإنكليزية، وبشكل خاص طلاب كلّيات التدريب [كذا] والمعلمون الذين يسعون لتصحيح طرق النطق التي تنسب لأهل شرق لندن أو غيرها من صور النطق غير المرغوب فيها لدى طلابهم" (جونز 1909: ص7). وما تزال قواميس النطق تستخدم هذه الطريقة، كما هو حال في القواعد النحوية والمعاجم. إذ يتردّد زعم يقول بأنّها عبارة عن وصف لغوي، ولكنّها يتمُّ التعامل معها بعدِّها ثابتة ويتمُّ فرض محتوياتها. هذا الفرض لنطق بعينه أو لقواعد مخصّصة هو فرض لمعايير اللغة. هي بمثابة نماذج لسياسات اللغة عملياً، أي "شكل من أشكال النشاط الاجتماعي الذي يهدف إلى التلاعب الرسمي باستخدام الناس للغة من خلال استخدام المراسيم التوجيهية وتدبيرات العقاب" (مي 1989: 334).

يوصي المروّجون للأجندات المناهضة للتحيّز الجنسي والأجندات ذات الصلة بتجنّب التعبيرات الجنسية. هذا يجبر الناس على التفكير في اختياراتهم للكلمات، وتسيسهم لها. والأشخاص الذين لا يحبّون أن يوضعوا في هذا الموقف يردّون بانتقاد التوصيات بعدّها مفرطة وغير ضرورية ومثيرة للسخرية. وفي السنوات الأخيرة، تمَّت صياغة التنديدات الموجّهة ضد الإصلاحات اللغوية النسوية من منظور "ص س"- أي الصوابية السياسية-، الذي سننتقل إليه لاحقاً.

الخطر الوهمي

لننظر في الاستقالتين التاليتين. كلاهما كانا في أخبار الصفحة الأولى وجذبت اهتماماً إعلامياً كبيراً؛ وجاء كلاهما ردّاً على الإهانة العنصرية المزعومة في شكل استخدام حقيقي أو متخيّل لكلمة زنجي. وقد جرى الحدث الأول في الولايات المتحدة عام 1999. ففي أثناء مناقشة

حول التمويل مع ثلاثة من الموظفين، اثنان منهم من السود، ذكر ديفيد هوارد، مساعد رئيس البلدية الأبيض في واشنطن العاصمة، أنَّهم كفريق واحد، كانا على وشك أن يكونا "بخلاء" Niggardly معهم. وعندما وجد هذا التعبير الصادم، اعتذر على الفور عن أيّة إهانة وجّهت منه. ومع ذلك، انتشرت الشائعات حول الافتراء العنصري بسرعة. ونظراً لعدم وجود تسجيل لهذا الحدث، لا يمكنني إلَّا التكهّن بالتمييز الصوتي- وجود أو عدم وجود حرف دي الساكن- بين الكلمة المنطوقة والكلمة المتوقّعة. ومع ذلك، فمن الأجدى أن نفترض أنَّ التجربة الحيّة للعنصرية بالنسبة للمستمعين هي جزء من السياق الذي يفهمون فيه تفاعلاتهم اليومية مع الأشخاص البيض. فمن المفترض أنَّ هذا هو ما أثار فهماً عنصرياً للكلمة غير المألوفة Niggardly. وقد وافق أنتوني ويليامز، العمدة الأسود المعيّن حديثاً، في البداية على استقالة هوارد على أساس مزاعم بأنَّه أدلى بتصريح عنصري. وحينما عرف المزيد عن الحادث، عرض على هوارد العودة لوظيفته. واعترف بأنَّه تصرّف "على عجل للغاية" بقبوله الاستقالة (راندال 1999)، مشيراً إلى أنَّ واشنطن بها "مناخ عنصري يحتاج إلى مزيد من الجهد" (اقتبس في مارتن 1999).

والتقطت وسائل الإعلام هذا الحادث المسمّى بلغو كلمة Niggardly (كما أطلقت عليها سي إن إن) بحماس وسخرية. وكانت جنبات الصحف والإنترنت مليئة بتعريفات قاموسية ومقتطفات من المعلومات حول الأصل الإنكليزي للكلمة. وتمَّ إخبار القرّاء بالمرادفات مثل البخل والشح، ومتشابهاتهما في الأيسلندية القديمة، وما إلى ذلك. وفي هذه الأثناء، تعرّض موظفو هوارد السود للتوبيخ لجهلهم باللغة الإنكليزية. فقد ادعى منشور مطوّل، مثلاً، أنَّ "التعصّب العنصري والجهل والصوابية السياسية التي في غير محلّها قد كلّفت مساعد رئيس البلدية الأبيض وظيفته" ووصف المنشور الوضع بأنَّه "مثال مجنون ومحزن للجهل والتعصّب العنصري" (منشور على موقع Adversity.Net™). قدّم الكاتب كمثال على "التمييز العكسي"، وأشار إلى أنَّ "60% من سكّان واشنطن العاصمة من السود، وقد انتقد مواطنوها بشدّة رئيس البلدية ويليامز لأنَّه "لم يكن أسود بدرجة كافية"، لأنَّه وظّف عديداً من البيض المؤهّلين جيّداً لمساعدته في إدارة هذه المدينة المضطربة (موقع Adversity.Net™).

يجب النظر إلى هذا الحدث في سياق الصراع المستمر حول اللهجات المختلفة للغة الإنكليزية. تعرض مجموعة الأخبار نفسها بانتظام مقالات حول الإيبونيك (إنكليزية الأمريكيين

السود). مثلاً، كان هناك مقال غاضب بعنوان "نكات إيبونك غير قانونية! بحسب لجنة تكافؤ فرص العمل في أمريكا: لا حرّية تعبير هنا!". باختصار، ما كان غير مريح للوهلة بين مجموعة من موظّفي سيتي هول City Hall أصبح مثالاً على أسوأ تجاوزات الصوابية السياسيّة. وفي الوقت نفسه، تمَّ استخدامه كذريعة لعرض رأس المال اللغوي وكدعم للمزاعم حول التمييز بين السود ضد البيض. والشيء الآخر الذي تسبّبت فيه كلمة "البخل" بشكل واضح في سياق الولايات المتحدة هو تسليط الضوء على مادة التورية المحتملة المتعلّقة بالجرائم العنصرية الأخرى. كما قال كاتب عمود في ذلك الوقت: "هل من شك في مدى قيام الأغبياء المحسّنة مفرداتهم حديثاً في مكان ما في أمريكا بأن يطلبوا من النادلات السود ألّا يكنَّ "بخيلات" فيما يقدّمنه من قهوة هذا الأسبوع؟" (بونيفوزيك 1999).

في حين حدث المثال الثاني للاستقالة بسبب إهانات عنصريّة في المملكة المتحدة في عام 2004. كان رون أتكينسون، "خبير كرة القدم" في وسائل الإعلام البريطانية، المعلّق في مباراة خسر فيها تشيلسي أمام موناكو، في بثٍّ مباشر للمستمعين المغتربين على قناة عربية. فالرجل لم يكن على علم بأنَّ الميكروفون ما يزال يعمل بعد انتهاء المباراة، وقد انطلق في صخب غاضب، وركز بشكل أساسي على الأداء الضعيف للاعب واحد، وهو مارسيل ديسايي، الذي سمّاه (وفقاً لصحيفة صن) الزنجي الكبير والكسول اللعين (سيسون 2004). وفي تناقض حاد مع المثال السابق، لم تظهر الصوابية السياسيّة بشكل بارز في تغطية وسائل الإعلام للحدث. فلم يرد ما قاله الرجل في التغطية الأولية في الصحافة الوطنية. إنَّ الإشارات العرضية للصوابية السياسيّة، عند حدوثها، تعمل على وجه التحديد على منع الصوابية السياسيّة. مثلاً، نقلت صحيفة إقليمية، وهي صحيفة نورثرن إيكو The Northern Echo، تعليقاً من بيارا بوار مدير حملة تخلّص من العنصرية في كرة القدم Kick It Out (حملة كروية لمناهضة العنصرية): لسنا مهتمّين بإدارة حملة صواب سياسي، لكن هناك أشياء معيّنة في عام 2004 لا ينبغي قولها "(نورثرن إيكو، 22 أبريل 2004).

استخدمت الصحافة "الصوابية السياسية" على نطاق واسع في تغطية الاستقالة الأولى المقدّمة هنا، إذ كانت تهمة العنصرية لا أساس لها من الصحة، ولكنّها لم تلجأ إليها في تغطية هذا المثال الثاني، إذ كانت عنصرية المخالفين واضحة للغاية. لقد اخترتها كمثال توضيحي ملائم لنقطتين متصلتين: أنَّ مصطلح "الصوابية السياسية" يستخدم بشكل أساسي من قبل

منتقديه؛ وأنَّه يُنظر إليه بشكل سلبي. ومن غير المحتمل أن يتمَّ ذكره في التوصيات الخاصة بالاحتواء والأخلاق والممارسات العامة الجيدة في وسائل الإعلام (مثلاً عالية 2004).

"الصوابية السياسية": استخدامه وأصوله

إذاً ما الصوابية السياسية؟ لقد قورنت بالمكارثية في الخمسينيات من القرن الماضي وحرق الكتب النازية في ثلاثينيات القرن الماضي، وأقسم جورج بوش الأب، كرئيس، أن يحمي حرّية التعبير منها (أنيت 1994). وفي عام 1997، قبل وقت قصير من بدء الحملة الانتخابية في بريطانيا، أعلن وزير الصحة عبر الإذاعة أنَّه "يتخذ خطوات لإزالة الصوابية السياسية من عملية التبنّي". وفي الآونة الأخيرة، غرّد ترامب، كمرشّح رئاسي، أنَّه "يجب سحق الصوابية السياسية، وأمريكا فقط هي التي يمكنها فعل ذلك!". كما جرى تشبيهها بعديد من الظواهر السياسية- الستالينية، والثورة الثقافية، والطاعون العظيم وتمَّ تحميلها المسؤولية عن كلِّ قيد أو شكوى يمكن تخيّلها. ومنذ وقت قريب، رأيت سبّورة خارج حانة تقول: "إذا ظننت أنَّ الموسيقى صاخبة، فأنت صائب سياسياً جداً!".

إذاً ما هذا بحقِّ السماء؟ حسناً، ربَّما يكون المنظور المفيد الذي يمكن البدء منه هو كيف يمكن أن يراها "مشاهير علماء أنثروبولوجيا المريخ" الذين تصوّرتهم كاميرون (1995، ط2: 123). وسيكون لدى علماء المرّيخ الفضوليين بشأن ثقافة الأرض، سيكون لديهم انطباع بأنَّ "الصوابية السياسية" حركة سياسية قويّة مقرّها في الجامعات والمؤسّسات الثقافية الأخرى، مثل المنظّمات الخضر ومهن الخدمة العامة. ويبدو أنَّ هذه الحركة القويّة ملتزمة بفرض الأرثوذكسية على أساس أنظمة اعتقادية غامضة تسمّى "التفكيك" و"ما بعد البنيوية" و"النسوية" و"الماركسية" و"البيئة". ويبدو أنَّ لها هدفين محدّدين في التعليم: الأوّل هو استبدال جوهر الثقافة التقليدي الراسخ بعناصر هامشية (تعليم أليس والكر بدلاً من شكسبير، مثلاً) والآخر للإعلاء من قيمة بعض الفئات (النساء والأقلّيات العرقية، والمعوّقين) على غيرهم. وفي التعليم وما سواه، يوجد هدف واضح آخر يتمثّل في مراقبة وضبط كل اللغات المستخدمة للتحدّث عن تلك الفئات نفسها.

تلاحظ كاميرون أنَّ علماء أنثروبولوجيا المرّيخ سيشعرون بالحيرة من حقيقة أنَّ معارضي الصوابية السياسية هم المصدر الوحيد لكمِّ المعلومات المتاحة أمامهم كلّها (1995، ط2:

124). وسوف يكتشفون في النهاية أنَّ هذا المصطلح، "الصوابية السياسية"، لا يستخدم من قبل أنصاره. في الواقع، فالأشخاص الذين يُفترض فيهم نصرته له، هم ناكرون له، ويرفضونه تماماً. كيف هذا؟ حسناً، لفهم هذا الوضع الغريب، من الضروري النظر إلى مصدر هذا الخطاب المعادي للصوابية السياسية وما الذي يتمُّ الاعتراض عليه بشأنها بالفعل. في الواقع، فإنَّ الخطاب المناهض للصوابية السياسية هو جزء من المقاومة المضادّة التي تناولتها توّاً. فطوال الثمانينيات، ازداد العداء تجاه التدخّلات الحاصلة في اللغة التمييزية من النوع المبيّن سابقاً. كان أوّل هجوم كبير على القطّاع الجامعي، الذي يُزعم بأنّه قطاع من قطاعات الصوابية السياسية، قد جاء من كتاب بعنوان **نهاية العالم: انغلاق العقل الأمريكي: كيف أفشل التعليم العالي الديمقراطية و أفقر أرواح طلاب اليوم** (بلوم 1987). وأصبح من أكثر الكتب مبيعاً. وهجوم آخر على قطّاع الجامعة جاء من كتاب روجر كيمبال (1990) **الراديكاليون الدائمون: كيف أفسدت السياسة التعليم العالي**. ويعدُّ دينيش دي سوزا أحد المعارضين الصريحين للصوابية السياسية في المجتمع الأكاديمي بالولايات المتحدة، ولقد جعله كتابه ***"التعليم غير الليبرالي: سياسة العرقية والتمييز الجنسي في الحرم الجامعي"*** (دي سوزا 1991) من المشاهير في وسائل الإعلام لفترة من الوقت. وبعد ذلك، انتشرت حمّى مكافحة الصوابية السياسية في صفحات الصحافة الأمريكية.

كلُّ هذا الخطاب المناهض للصوابية السياسية يأتي من اليمين السياسي. وتوضّح هذه الكتب (من بين كتب أخرى) المقاومة الشرسة للتغييرات التي جرت في التعليم منذ الستينيات. ضع في اعتبارك أنواع التغييرات التي حدثت. فلقد وُضعت في بعض الجامعات برامج للعمل الإيجابي لتشجيع الأقلّيات على الالتحاق؛ وشجب دي سوزا هذه البرامج ووصفها بأنَّها هجوم على المعايير الأكاديمية. وانفتحت المناهج الدراسية، لاسيَّما في تدريس الأدب (بتدريس أليس ووكر وكذلك شكسبير) وكذلك في طرق تدريس التاريخ، إذ غدت عديد من كلّيات الآداب والعلوم الإنسانية تعزّز المساواة العرقية والجنسية؛ واستهزأ كيمبال من إنشاء أقسام لدراسات الأمريكيين من أصول إفريقية ودراسات المرأة. وبُذلت جهود لتحفيز التغيير الاجتماعي من خلال تدابير الإصلاح اللغوي التي تهدف إلى توعية الناس بالممارسات التمييزية من خلال التوصية بالبدائل. وحدثت هذه التغييرات بسبب الضغط المستمر من "أسفل"، ليس أقلّه من الطلاب؛ كما يفعل بلوم، من خلال استمالة الطلاب. وأذكر الجدل المبكّر في

جامعة هارفارد حول المذكّر العام في القسم الأخير. وقد قاده الطلاب. ووردت شكاوى من الطلاب من محاضرات الأدب التي تتناول فحسب أعمال "الموتى من البيض".

هذه البرامج الاجتماعية يعارضها كثيرون، الذين جمعوا معاً مجموعة واسعة من القضايا والمواقف النظرية والمواقف السياسية (التفكيك، والعمل الإيجابي، والنسوية، والتعدّدية الثقافية...) ووصفوها بـ"الصوابية السياسية" من أجل رفضها. وأصبحت تسمية "الصوابية السياسية" وسيلة للتشكيك، وطريقة سهلة لرفض تحدّيات الوضع الراهن. وكما يلاحظ جيفري ويليامز (جيفري ويليامز 1995: 2)، يمكن للناقد "استبعاد هذه المواقف، بعدِّها سخيفة أو استبدادية، وتختصر أيَّ نوع من الجدل أو النقاش الأكثر تفصيلاً"، وذلك من خلال البكاء على الصوابية السياسية.

وفي المملكة المتحدة، ظهر الخطاب المناهض للصوابية السياسية للمرّة الأولى في سياق السخرية من مجلس لندن الكبرى. وفي عام 1981، انتُخب كين ليفينغستون، الجناح اليساري من حزب العمّال، رئيساً لمجلس لندن الكبرى. تبع ذلك مدّة أربع سنوات من التشريعات المتضافرة والإنفاق المخطّط لتعزيز التعدّدية الثقافية والتسامح والعمل الإيجابي في منطقة لندن الكبرى. كما تمَّ التطرّق إلى القضايا البيئية. مثلاً، كان أيُّ زائر إلى لندن في ذلك الوقت على علم بحملة "تخفيض سعر الأجرة" الخاصة بالنقل في لندن. وأكّدت هذه الحملة على قضايا عديدة، كان من بينها التأكيد على أهمية المصلحة العامة على الجشع الخاص. بدأ كلُّ هذا خلال مدّة ولاية تاتشر الأولى، التي كان لها أجندة مختلفة تماماً: الخصخصة. كان مقر مجلس لندن الكبرى في كاونتي هول، مباشرة على الجانب الآخر من مقر البرلمان بالضفّة المقابلة لنهر التايمز. وكما لاحظت ميرا سيال، ممثّلة وكاتبة، "لابدَّ أنَّ المحافظين قد بدا لهم أنّه بعد كلِّ سياسة دفعوا بها، كان صوت النعيق والضوضاء الصاخبة تنجرف عبر الماء" (سيال 1994: 129). وتتذكّر سيال، بصفتها بريطانية آسيوية، الشعور بالارتياح الذي غمر المجتمعات؛ الارتياح لوجود مجلس منتخب تصدّى بالفعل للعنصرية وعدم المساواة.

وأطلقت الصحافة (وبشكل أكثر تحديداً صحيفة لندن لأخبار المساء) حملة واسعة النطاق ضد الصوابية السياسية موجّهة إلى مجلس لندن الكبرى. ولعلَّ محاكاة سايال للإثارة في وسائل الإعلام أكثر تسلية من السخافات الأصلية:

إنَّ عناوين الصحف الشعبية الصاخبة: "طرد عامل المجلس لطلبه قهوة سوداء!"، و"عاملة الكانتين المقدّمة لوجبة الغداء في المدرسة معلّقة لقيامها بتهجئة كلمة (السموس) خطأ!"، وكذلك صور حاضنات الأطفال الباكيات وهنَّ يزلن كتاب نودي Noddy من أرففهم، ولقطات تلفزيونية لنساء متجهّمات بشعر قصير وبزيِّ عامل ينتزعن دمية سوداء من أحضان الأطفال النائحين ... فضلاً عن النكات الموجودة حول المعوّقين جسدياً، وحول المصابين بالصلع وقصار القامة، ويرويها الأغبياء بسعادة بالغة عادة، وتسخر من اليساريين المهرة الذين لم يتمكّنوا من السماح للأشخاص العاديين أن ينطقوا بالحق. ومع ذلك، تراوحت التغطية الصحفية ما بين "عشرين شيئاً لم تعرفها أبداً عن الجزر الأبيض" و"زوج من الحلمات الممسوحة"، لكنَّني أعرف رد الفعل العنيف عندما أرى واحدة منها. (سيال 1994: 118)

أدَّت حملة تشويه الصحافة للصوابية السياسية إلى تدمير مجلس لندن الكبرى (هول 1994). ولم يقتصر رد الفعل العنيف على مجلس لندن الكبرى بأيِّ حال من الأحوال. فقد توالت عديد من الهجمات الأخرى على الإجراءات المناهضة للعنصرية في الصحافة التي كان لها آثار مدمّرة للغاية. مثلاً تمَّ شن حملة تشهير على إجراء تدريب الأخصائيين الاجتماعيين، وأصدرت الحكومة بعد ذلك تعليمات للمجلس المركزي للتعليم والتدريب في مجال العمل الاجتماعي أوامرها برفع المحتوى التدريبي المناهض للعنصرية من المناهج الدراسية لأنَّه من الصوابية السياسية (أليباهي-براون 1994: 67-68).

إنَّ الخطاب المناهض للصوابية السياسية هو استجابة للتدخّلات المباشرة في الممارسات الجنسية والتمييزية الأخرى التي نوقشت سابقاً. وآثاره تتمثّل في تقويضها. لنتذكّر فقط ما يتمُّ مهاجمته فعلياً: مراقبة اللغة العامة بحثاً عن ممارسات التحيز الجنسي والعنصرية؛ وتحرير المواد التي يحتمل أن تكون مسيئة ورفعها من المخطوطات من قبل الناشرين؛ وتعزيز المساواة بين الجنسين وما شابه ذلك على يد الحكومة المحلّية وأرباب العمل والمنظّمات المهنية والجامعات؛ وفرض سياسات تكافؤ الفرص؛ وقواعد الممارسة وإجراءات الشكاوى؛ وانفتاح مناهج العلوم الإنسانية حتَّى لا يتم تهميش مصالح الأقلّيات، كلّ هذه التدخّلات رآها البعض

شوكة في الجسد، بغضِّ النظر عن فعّاليتها أو عدم فعّاليتها. كما جرى رفضها جميعاً بعدِّها من الصوابية السياسية.

يغيّر الإطار الجديد للصوابية السياسية تصوّرنا للقضايا القديمة. وفي جوهرها السلبية والتقييد والمبالغة. ويبدو أنَّ الإفراط أو "الذهاب بعيداً" جزء من ذلك، كما جادلت في مكان آخر (تالبوت 2007، ط1). وتختزل الصوابية السياسية إصلاحات اللغة إلى مسألة عبثية، ويعيد صياغة المخاوف بشأن الاحترام والاعتبار كأشكال من الاضطهاد. فكّر فقط في: ربَّما يبدو قول "لا تكن صائباً من الناحية السياسية" قولاً معقولاً. لكن تخيّل قول "لا تكن مناهضاً للعنصرية"! حينها تمثّل الصوابية السياسية اختياراً وهمياً بين الإصلاحات اللغوية والأشياء المهمّة الحقيقية مثل المساواة في الأجور (انظر، مثلاً، مقدّمة بيرد وسيرفس (1992) لكتابهما الساخر الموجز والقاموس الرسمي للصوابية السياسية). وتمَّ تقديم التعامل مع الأدب ومناهج التاريخ وما إلى ذلك كمحاولات لتدمير الحضارة الغربية كما نعرفها.

وكما تلاحظ روبن لاكوف (2000: 91)، فإنَّ إجراءات إصلاح اللغة شكّلت تهديداً لأنَّها فرضت قدراً من السيطرة على التمثيلات، ولاسيّما ممارسات التسمية، وجعلتها في أيدي الأقل قوّة. فقد روّج هؤلاء "لطرق جديدة في استخدام اللغة ورؤيتها ومنتجاتها، وكلّها تشترك في ملكية واحدة":

إنَّها أشكال لغوية أنتجت لتجسيد رؤية عالم وخبرات الجماعات التي كانت في السابق لا تملك القدرة على إنشاء اللغة أو عمل التفسيرات أو التحكّم في المعنى. وهنا يكمن رعبهم وكرههم لأولئك الذين كانوا يمتلكون سابقاً هذه الحقوق من جانب واحد، والذين أعطوا الصوابية السياسية معناها الحالي وجعلوها في حوارنا مصدر كلّ داء.

هذا الخوف مفهوم (من منظور فوكو) كإعادة توظيف للسلطة التصنيفية الناشرة للخطابات العامة. وأصبحت التسمية التحقيرية "الصوابية السياسية" وسيلة للنقد ونزع الشرعية عن هذه القوّة التصنيفية المكتشفة حديثاً.

ومع ذلك، وبعيداً عن كونها فريدة بالنسبة إلى "متعصّبي الصوابية السياسية"، فإنَّ التدخّلات في طرق استخدام الأشخاص للغة شائعة للغاية. ويعطي فيركلاف (2003: 21)

مثالاً على إعادة تسمية "الحسابات المصرفية" على أنّها "منتجات مالية". ويشير إلى أنّ محاولات العبث بالطريقة التي يفكّر بها الناس في الأشياء من خلال التغيير الهندسي للمفردات ليس بأيّ حال من الأحوال المجال الحصري لممارسي الصوابية السياسية المفترضين. ومن الأمثلة البريطانية الأخرى إعادة تصنيف الركاب في وسائل النقل العام والمرضى في الخدمة الصحية الوطنية على أنّهم "عملاء". والاختلاف المهم هو أنّ الصوابية السياسية يتمُّ تمييزها على أنّها "سياسية"، بينما من منظور الليبرالية الجديدة، فإنّ التسليع والتسويق ليسا كذلك. ومن منظور الاقتصاد السياسي، هي سياسية بعمق واضح. ويحدّد فيركلاف (ص21) مشروع نيوليبرالي خفي للتغيير الاجتماعي: "تعميم الأسواق وشكل السلع، والتمويل، والخدمات العامة، ومعظم الحياة الاجتماعية المعاصرة التي تعدُّ عملية إعادة التسمية جزءاً من تغيير "سياسي" بارز. وما ينطوي عليه الأمر ليس مجرّد مسألة تغيير سطحي للتسمية؛ بل تحوّل في الخطاب. والفارق الرئيس بين التلاعب الليبرالي الجديد الخفي والهندسة اللغوية التي تقوم بها النسويات والمناهضون للعنصرية هو أنّ الأخيرة تتمُّ علانية.

إنّ أصول مصطلح "الصوابية السياسية" في حدِّ ذاتها ليست مؤكّدة تماماً. فمن الواضح أنّها لم تبدأ في الظهور كعصا للتغلّب على النسوية (جنباً إلى جنب مع مناهضة العنصرية وغيرها من الميول اليسارية). ووفقاً لجيفري هيوز (2011)، فقد نشأت في ثلاثينيات القرن الماضي، في الشيوعية الصينية. وفي اللغة الإنكليزية، يبدو أنّها نشأت من الحركات السياسية اليسارية الأمريكية. وتحدّد روث بيري أوّل اقتباس مطبوع في مناقشة التحيّز الجنسي في السياسة السوداء، في مقال كتبه توني كادي عام 1970: "لا يمكن للرجل أن يكون صائباً سياسياً وشوفينياً أيضاً" (كيد، تمَّ الاستشهاد به في بيري 1992: 73). ومع ذلك، يبدو أنّه تمَّ استخدام المصطلح بطريقة ساخرة وهازئة بالذات بدلاً من استخدامها بجدّية. لقد تمَّ تداولها على نطاق أوسع بمجرّد أن بدأ نقّاد جامعات "الصوابية السياسية" في الولايات المتحدة في استخدامها بازدراء. ويصادف معظم الأشخاص المصطلح للمرّة الأولى في وسائل الإعلام، في كتابات لا تقدّم تعريفاً به، وفي سياق لا يمكنك فيه طلب التوضيح. ولعلَّ معظم الأمثلة على "فظائع الصوابية السياسية" في وسائل الإعلام إما ملفقة أو مبالغ فيها بشكل صارخ: إنّها من مختلقات الإثارة الإعلامية. وقد تمَّ تفسير معنى الصوابية السياسية على أساس معلومات واهية للغاية. وخضعت الصوابية السياسية لقدر كبير من "الانجراف الخطابي" (كاميرون 1995، ب:127). وكما تلاحظ روبن لاكوف (2000: 92)، "هناك كثير من المفارقات في تاريخ

الصوابية السياسية. فقد قام أنصار اليمين الجديد بطبع ونشر المصطلح بعدّه مصطلحاً خاصاً بهم، ومع ذلك فإنَّهم لم يبتدعوه، لكنَّهم اقترضوه من عدوّهم، أعني اليسار القديم.

كما قلت من قبل، فإنَّ الإطار الجديد للصوابية السياسية يغيّر تصوّر الناس للقضايا القديمة. وفي المناخ السياسي الذي يسيطر على الغرب الصناعي، يمكن رفض الانتقادات الاشتراكية أو الشعبوية بعدّها صائبة سياسياً. يمكن رفض مفاهيم المساواة بعدّها صائبة سياسياً. كما يلاحظ ويليامز (1995: 5) بشكل قاتم، "إنَّ ذعر الصوابية السياسية هو لعبة قوّة أيديولوجية ذكية تنكر أيّة معارضة أو نقد منذ البداية، وهي حملة علاقات عامة ناجحة للغاية تسند وتبرر إعادة توزيع الشركات الحالية للثروة وتنظيم الحياة".

"يجب سحق الصوابية السياسية!"

استمرّت "الحرب الثقافية" في اندلاعها في التسعينيات. وهناك بعض الأدلّة على تراجع استخدام مصطلح "الصوابية السياسية" في منتصف التسعينيات، في وقت أبكر قليلاً في الولايات المتحدة عنه في بريطانيا. وتوضّح دراسة لقاعدة بيانات أمريكية هذا التراجع منذ عام 1995 في (لاكوف 2000: 94-100). وفي سياق المملكة المتحدة، تشير دراسة مستندة إلى مجموعة وثائق لثلاث صحف بريطانية إلى انخفاض حاد بعد انتصار ساحق لحزب العمال عام 1997 (جونسون، كالبيبر، وسوهر 2003). ويبدو أنَّ هاتين الدراستين تسجّلان التقلّبات حسب المناخ السياسي. وكشفت دراستان أخريتان تستخدمان مادّة مجمّعة عن التأخّر النسبي لوصول المصطلح في ألمانيا وفرنسا، وفي الحالتين كلتيهما كان يوجد خطاب كامل مناهض للصوابية السياسية، ولكن مع وجود اختلافات محلّية. مثلاً، في دراسة لصحيفة لوموند الفرنسية، وجد مايكل تولان (2003) أنَّ مفهوم الصوابية السياسية أقل كثافة في الاستعمال في التعليقات الثقافية من أيِّ مكان آخر، وأحياناً يتمُّ تمييزه على أنَّه مفهوم أجنبي ولا يستخدم في القضايا السياسية.

وفي العالم الناطق باللغة الإنكليزية، ما يزال برنامج مكافحة الصوابية السياسية قيد الاستخدام المنتظم، إذ يتمُّ توظيفه لتقويض المخاوف بشأن عدم المساواة الاجتماعية والمبادرات المصمّمة لمعالجتها. وعلى وجه الخصوص، ما يزال يستخدم من قبل السياسيين والصحفيين اليمينيين. ورسم مويرا ويجل (2016) تراجعاً بعد عام 2001، عندما تحوّلت

الحجج العامة نحو الإسلام والإرهاب، لاسيَّما في الولايات المتحدة. وتلاحظ عودة ظهور الخطاب المناهض للصوابية السياسية في السنوات الأخيرة من رئاسة أوباما والاستجابة لحركة حياة السود مهمّة Black Lives Matter وللنشطاء الرافضين للعنف الجنسي.

الآن يوظَّف الخطاب المناهض للصوابية السياسية على نطاق واسع في الخطاب المعادي للمسلمين. مثلاً، رأت وسائل الإعلام في الصوابية السياسية السبب الجذري لإهمال الشرطة في فضيحة إساءة معاملة الأطفال في شمال إنكلترا التي تضمّنت "عصابة التخلّص من المسلمين". كما سلّطت القضية الضوء على انتشار الاستغلال الجنسي للأطفال الإناث المستضعفات تحت الرعاية. وعندما علمت الصحافة بذلك، اجتمعت على إدانة الانتهاكات وتوجيه أصابع الاتهام إلى الشرطة لغضّها الطرف عنها خوفاً من وصفها بالعنصرية. وتمَّ التقاط الفضيحة دولياً. مثلاً، نشرت صحيفة واشنطن بوست هذا العنوان: "ربَّما تكون الصوابية السياسية بشأن المسلمين قد دفعت المسؤولين في المملكة المتحدة إلى تجاهل تقارير الاعتداء الجنسي" (جروندي 2014، مقتبس في توفيل 2015: 32). ونظراً لتاريخ متابعة مجتمعات الأقلّيات في بريطانيا، فمن المشكوك فيه، في أقل تقدير، أن تخشى الشرطة من وصفها بالعنصرية. وفي الواقع، تشير شهادات الضحايا في القضية إلى أنَّ الشرطة رفضت أقوالهم "بازدراء" (جاي 2014، مقتبس في توفيل 2015: 33). كما يلاحظ توفيل في تلخيصه، "قد تكون الحقيقة غير المستساغة هي أنَّ ازدراء ضبّاط الشرطة في كثير من الأحيان لجماعات الأقلّيات قد تجاوز الحدود في هذه الحالات بازدرائها لأولاء الفتيات الصغيرات الضعيفات" (ص 36).

ثمَّ، في عام 2016، خاض مرشّح مناهض للصوابية السياسية الحملة الرئاسية الأمريكية. واستخدم ترامب الصوابية السياسية كسلاح ضدَّ خصومه. وعندما قتل مسلّح تسعة وأربعين شخصاً في ملهى ليلي في أورلاندو، حمّل هوس كلينتون وأوباما المزعوم بالصوابية السياسية المسؤولية: "لقد جعلوا الصوابية السياسية أعلى كعباً من الفطرة السليمة، وفوق سلامتك قبل كل شيء" (ترامب، اقتبس في فيجيل 2016). ولقد وضع ترامب الصوابية السياسية في مواجهة كلّ ما عدّه "الفطرة السليمة" (أقرب تعريف له على الإطلاق)، كان "منعه للمسلمين" أحد الأمثلة. وفي العام الماضي، أطلق حملته الرئاسية بشن هجوم على المكسيك "لإرسال أشخاص [إلى الولايات المتحدة] لديهم الكثير من المشاكل، وهم يجلبون لنا

هذه المشاكل. إنّهم يجلبون المخدّرات، ويجلبون الجريمة، والمغتصبين (ترامب، مقتبس في نيت وستافورد 2015). كان هذا عندما قدم ترامب أيضاً اقتراحاً بأن تموّل المكسيك "سور الصين العظيم". ورداً على ملاحظة "المغتصبين" المكسيكيين، قطعت شبكة إن بي سي التلفزيونية علاقتها طويلة الأمد مع ترامب. وكان ردّه كالتالي: "إن بي سي ضعيفة، ومثلها مثل أي شخص آخر يحاول أن يكون على صواب سياسياً" (ترامب، اقتبس في ويجل 2016).

كان خطاب ترامب المناهض للصوابية السياسية يطرح شيئاً جديداً. وعلى عكس ما حدث في الثمانينيات والتسعينيات، لم يكن يتعامل مع الجامعات والأكاديميين، ولكن مع السياسيين ووسائل الإعلام. وأطلق مرحلة جديدة من مكافحة الصوابية السياسية. بادئ ذي بدء، من خلال الحديث المستمر عن الصوابية السياسية، "أسّس الأسطورة القائلة بأنّ لديه أعداء غير أمناء وأقوياء أرادوا منعه من مواجهة التحدّيات الصعبة التي تواجه الأمة" (ويجيل 2016). وتمّ إسكاته (ولكن بصوت عالٍ جداً...). ثانياً، كان يستهزئ بمعايير السلوك اللائق بشكل شائن؟ وعندما أعرب بوش الأب عن مخاوفه بشأن تهديد الصوابية السياسية لحرّية التعبير، فعل ذلك ضمن معايير الخطاب الأهلي والمدني:

> **لم يختر ممارسة حقوقه في حرّية التعبير عن طريق السخرية العلنية من رجل معاق أو وصف المهاجرين المكسيكيين بأنّهم مغتصبون كما فعل ترامب. وبعد أن رفع قدرات الصوابية السياسية إلى مرتبة أسطورية، سخر الملياردير المتهرب من التجنيد، ابن مالك العقارات، من والديّ جندي قتيل وادعى أنّ قسوته وحقده كانا في الواقع شجاعة.** (ويجل 2016)

وبالطبع، لم يكن لدى بوش الأب التفاعل المعزّز للإنترنت لتعميم وتضخيم رسالته المناهضة للصوابية السياسية، كما فعل ترامب.

مزيد من القراءات

إصلاح اللغة والمبادئ التوجيهية

يتمُّ تناول قضايا إصلاح اللغة النسوية في كتاب باويل (1998، 2003). وحول قضايا أخلاقيات الإعلام، انظر عاليا (2004). وتتوفّر إرشادات اليونسكو حول اللغة المحايدة بين الجنسين للتنزيل من موقع اليونسكو على unesco.org.

"الصوابية السياسية"

بعض القراءات الإضافية حول "الصوابية السياسية" تتمثّل في كتاب تالبوت (2007، ط1) وعدد خاص من مجلّة الخطاب والمجتمع، المجلّد 14، العدد 1، (2003). ويضم كتاب بيرمان (1992)، ونيوفيلد (2018) وويليامز (1995) مجموعات انتقائية من الفصول حول جدل الصوابية السياسية في التسعينيات. وللاطلاع على الرؤية التفصيلية، اطلع على كتاب هوجز (2011). وأحدث هجوم شعبوي على "مرض الصوابية السياسية" هو كتاب آدامز (2016). وللحصول على وصف للردود على مكالمات المستمعين الغاضبين حول هذا الموضوع في برنامج ترفيهي يتلقى المكالمات، اقرأ الفصل الرابع من كتاب أوبراين (2018).

References

Abrahamson, David and Prior-Miller, Marcia R. (eds) (2018) *The Routledge Handbook of Magazine Research: The Future of the Magazine Form*. Routledge.

Adams, Nick (2016) *Retaking America: Crushing Political Correctness*. Simon & Schuster.

Adams, Peter, Towns, Alison and Gavey, Nicola (1995) Dominance and entitlement: The rhetoric men use to discuss their violence towards women, *Discourse & Society* 6(3): 387–406.

Alexander, Elizabeth M. and Linda M. McMullen (2015) Constructions of motherhood and fatherhood in newspaper articles on maternal and paternal postpartum depression, *Gender and Language* 9(2): 143–66.

Alia, Valerie (2004) *Media Ethics and Social Change*. Edinburgh University Press.

Alibhai-Brown, Yasmin (1994) The great backlash. In Dunant 1994.

Andrews, Maggie and Talbot, Mary (eds) (2000) *'All the World and her Husband': Women in Twentieth-Century Consumer Culture*. Cassell.

Annette, John (1994) The culture wars on the American campus. In Dunant 1994.

Ashbourne, Lynda M., Daly, Kerry J. and Brown, Jaime L. (2011) Responsiveness in father–child relationships: The experience of fathers, *Fathering* 9(1): 69–86.

Atkinson, Karen, Oerton, Sarah and Burns, Diane (1998) Happy families? Single mothers, the press and the politicians, *Capital and Class* 64: 1–11.

Azman, Azura (1986) Malaysian students' compliment responses. Unpublished term paper, Victoria University of Wellington.

Azul, David (2013) How do voices become gendered? A critical examination of everyday and medical constructions of the relationship between voice, sex, and gender identity. In Malin Ah-King (ed.), *Challenging Popular Myths of Sex, Gender and Biology*. Springer.

Baker, Paul (2005) *Public Discourses of Gay Men*. Routledge.

Baker, Paul (2008) *Sexed Texts: Language, Gender and Sexuality*. Equinox.

Bakhtin, Mikhail (1981) *The Dialogic Imagination*, trans. C. Emerson and M. Holquist. University of Texas Press.

Ballaster, Ros, Beetham, Margaret, Frazer, Elizabeth and Hebron, Sandra (1991) *Women's Worlds: Ideology, Femininity and the Woman's Magazine*. Macmillan.

Baron-Cohen, Simon (2003) *The Essential Difference: The Truth about the Male and Female Brain*. Basic Books.

Barrett, Rusty (1995) Supermodels of the world unite! Political economy and the language of performance among African American drag queens. In William Leap (ed.), *Beyond the Lavender Lexicon: Authenticity, Imagination and Appropriation in Lesbian and Gay Languages*. Gordon and Breach.

Barrett, Rusty (1999) Indexing polyphonous identity in the speech of African American drag queens. In Bucholtz, Liang and Sutton 1999.

Barrett, Rusty (2004) As much as we use language: Lakoff's queer augury. In Lakoff 2004b.

Barrett, Rusty (2017) *From Drag Queens to Leathermen: Language, Gender, and Gay Male Subcultures*. Oxford University Press.

Baxter, Judith (2003) *Positioning Gender in Discourse*. Palgrave Macmillan.

Baxter, Judith (ed.) (2006) *Speaking Out: The Female Voice in Public Contexts.* Palgrave Macmillan.

Baxter, Judith (2010) *The Language of Female Leadership.* Palgrave Macmillan.

Baxter, Judith (2013) How to beat the female leadership stereotypes. *Guardian,* 9 December. www.theguardian.com/women-in-leadership/2013/dec/09/beat-female-leadership-stereotypes.

Baxter, Judith (2018) *Women Leaders and Gender Stereotyping in the UK Press: A Poststructuralist Approach.* Palgrave Macmillan.

Bean, Judith Mattson (2006) Gaining a public voice: A historical perspective on American women's public speaking. In Baxter 2006.

Beard, Henry and Cerf, Christopher (1992) *The Official Politically Correct Dictionary and Handbook.* Grafton.

Beard, Mary (2017) *Women and Power: A Manifesto.* London: Profile Books.

Beetham, Margaret (1996) *A Magazine of Her Own? Domesticity and Desire in the Woman's Magazine, 1800–1914.* Routledge.

Belkin, Lisa (2003) The opt-out revolution. *New York Times Magazine,* 26 October, pp. 42–7, 58, 85.

Bem, Sandra Lipsitz (1993) *The Lenses of Gender: Transforming the Debate on Sexual Inequality.* Yale University Press.

Bennett, Lisa (2008) Media hall of shame calls out sexist offenders. National Organization for Women (NOW). No longer available.

Bentham, Jeremy (1791) *Panopticon.* T. Payne.

Benwell, Bethan (2001) Male gossip and language play in the letters pages of men's lifestyle magazines, *Journal of Popular Culture* 34(4): 19–33.

Benwell, Bethan (2002) Is there anything 'new' about these lads? The textual and visual construction of masculinity in men's magazines. In Litosseliti and Sunderland 2002.

Benwell, Bethan (ed.) (2003) *Masculinity and Men's Lifestyle Magazines.* Blackwell.

Benwell, Bethan (2004) Ironic discourse: Evasive masculinity in British men's lifestyle magazines, *Men and Masculinities* 7(1): 3–21.

Benwell, Bethan (2005) 'Lucky this is anonymous': Ethnographies of reception in men's lifestyle magazines', *Discourse & Society* 16(2): 147–72.

Benwell, Bethan (2014) Language and masculinity. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Benwell, Bethan and Stokoe, Elizabeth (2006) *Discourse and Identity.* Edinburgh University Press.

Benyon, John (2002) *Masculinities and Culture.* Open University Press.

Bergvall, Victoria (1996) Constructing and enacting gender through discourse: Negotiating multiple roles as female engineering students. In Bergvall, Bing and Freed 1996.

Bergvall, Victoria, Bing, Janet M. and Freed, Alice F. (eds) (1996) *Rethinking Language and Gender Research: Theory and Practice.* Longman.

Berman, Paul (ed.) (1992) *Debating PC: The Controversy over Political Correctness on College Campuses.* Laurel.

Bing, Janet M. and Bergvall, Victoria L. (1996) The question of questions: Beyond binary thinking. In Bergvall, Bing and Freed 1996.

Black, Maria and Coward, Rosalind (1998) [1981] Linguistic, social and sexual relations: A review of Dale Spender's *Man Made Language*.

Bloom, Allan (1987) *The Closing of the American Mind: How Higher Education Has Failed Democracy and Impoverished the Souls of Today's Students*. Simon & Schuster.

Blum-Kulka, Shoshana (1993) 'You gotta know how to tell a story': Telling, tales and tellers in American and Israeli narrative events at dinner. *Language in Society* 22: 361–402.

Blum-Kulka, Shoshana (1997) *Dinner Talk: Cultural Patterns of Sociability and Socialization in Family Discourse*. Lawrence Erlbaum.

Bodine, Ann (1975) Sex differentiation in language. In Thorne and Henley 1975.

Borba, Rodrigo and Ostermann, Ana C. (2007) Do bodies matter? Travestis' embodiment of (trans)gender identity through the manipulation of the Brazilian Portuguese grammatical gender system, *Gender and Language* 1: 131–47.

Born, Georgina (2002) Reflexivity and ambivalence: Culture, creativity and government in the BBC, *Cultural Values* 6(1/2): 65–90.

Born, Georgina (2004) *Uncertain Vision: Birt, Dyke and the Reinvention of the BBC*. Secker & Warburg.

Brizendine, Louann (2006) *The Female Brain*. Morgan Road Books.

Brockes, Emma (2008) After the tears and the triumphs, Hillary's last stand. *Guardian*, 1 March.

Brookes, Gavin, Harvey, Kevin and Mullany, Louise (2016) 'Off to the best start'? A multimodal critique of breast and formula feeding health promotional discourse, *Gender and Language* 10(3): 340–63.

Brown, Penelope and Levinson, Stephen (1987) *Universals in Language Usage: Politeness Phenomena.* Cambridge University Press.

Bucholtz, Mary (1996) Black feminist theory and African American women's linguistic practice. In Bergvall, Bing and Freed 1996.

Bucholtz, Mary (1999) Purchasing power: The gender and class imaginary on the shopping channel. In Bucholtz, Liang and Sutton 1999.

Bucholtz, Mary (2000) 'Thanks for stopping by': Gender and power on the shopping channel. In Andrews and Talbot 2000.

Bucholtz, Mary (2014) The feminist foundations of language, gender, and sexuality research. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Bucholtz, Mary and Hall, Kira (2004) Theorizing identity in language and sexuality research, *Language in Society* 33(4): 469–515.

Bucholtz, Mary, Liang, Anita C. and Sutton, Laura (eds) (1999) *Reinventing Identities: The Gendered Self in Discourse.* Oxford University Press.

Butler, Judith (1993) *Bodies that Matter: On the Discursive Limits of 'Sex'.* Routledge.

Butler, Judith (1997) *Excitable Speech: A Politics of the Performative.* Routledge.

Butler, Judith (1999) *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity* (10th anniversary edn). Routledge.

Butler, Judith (2010) Performative agency. *Journal of Cultural Economy* 3(2): 147–61.

Byerly, Carolyn and Ross, Karen (2006) *Women & Media: A Critical Introduction*. Blackwell.

Caldas-Coulthard, Carmen Rosa (1996) 'Women who pay for sex. And enjoy it': Transgression versus morality in women's magazines. In Caldas-Coulthard and Coulthard 1996.

Caldas-Coulthard, Carmen Rosa and Coulthard, Malcolm (eds) (1996) *Texts and Practices: Readings in Critical Discourse Analysis*. Routledge.

Cameron, Deborah (ed.) (1990) *The Feminist Critique of Language: A Reader*. London: Routledge. [2nd edn 1998.]

Cameron, Deborah (1992a) *Feminism and Linguistic Theory* (2nd edn). Macmillan.

Cameron, Deborah (1992b) Review of Tannen 1991. In *Feminism and Psychology* 2–3: 465–89.

Cameron, Deborah (1995a) Rethinking language and gender studies: Some issues for the 90s. In Mills 1995b.

Cameron, Deborah (1995b) *Verbal Hygiene*. Routledge.

Cameron, Deborah (1996) The language–gender interface: Challenging cooptation. In Bergvall, Bing and Freed 1996.

Cameron, Deborah (1997) Performing gender identity: Young men's talk and the construction of heterosexual masculinity. In Johnson and Meinhof 1997.

Cameron, Deborah (1998) 'Is there any ketchup, Vera?' Gender, power and pragmatics, *Discourse & Society* 9(4): 437–55.

Cameron, Deborah (2000) A self off the shelf? Consuming women's empowerment. In Andrews and Talbot 2000.

Cameron, Deborah (2006a) *On Language and Sexual Politics*. Routledge.

Cameron, Deborah (2006b) Degrees of consent: The Antioch College sexual offense policy. In Cameron and Kulik 2006.

Cameron, Deborah (2006c) Theorising the female voice in public contexts. In Baxter 2006.

Cameron, Deborah (2007) *The Myth of Mars and Venus*. Oxford University Press

Cameron, Deborah (2009) Sex/gender, language and the new biologism, *Applied Linguistics*, 31(2): 173–92.

Cameron, Deborah (2014) Gender and language ideologies. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Cameron, Deborah (2018a) The kids are alright, *Language: A Feminist Guide*. https://debuk.wordpress.com/2018/09/06/the-kids-are-alright.

Cameron, Deborah (2018b) The illusion of inclusion, *Language: A Feminist Guide*. https://debuk.wordpress.com/2018/08/05/the-illusion-of-inclusion.

Cameron, Deborah and Coates, Jennifer (1988) Some problems in the sociolinguistic explanation of sex differences. In Coates and Cameron 1988.

Cameron, Deborah and Kulik, Don (2003) *Language and Sexuality*. Cambridge University Press.

Cameron, Deborah and Kulik, Don (eds) (2006) *Language and Sexuality: A Reader.* London: Routledge.

Cameron, Deborah and Shaw, Sylvia (2016) *Gender, Power and Political Speech: Women and Language in the 2015 UK General Election.* Palgrave Macmillan.

Campbell-Kibler, Kathryn, Podesva, Robert J., Roberts, Sarah J. and Wong, Andrew (eds) (2002) *Language and Sexuality: Contesting Meaning in Theory and Practice.* CSLI Publications.

Cheshire, Jenny and Trudgill, Peter (eds) (1998) *The Sociolinguistics Reader,* vol. 2: *Gender and Discourse.* Arnold.

Childs, Sarah (2004) A feminised style of politics? Women MPs in the House of Commons, *British Journal of Politics and International Relations* 6(1): 441–57.

Chodorow, Nancy (1978) *The Reproduction of Mothering: Psychoanalysis and the Sociology of Gender.* University of California Press.

Christie, Christine (2000) *Gender and Language: Towards a Feminist Pragmatics.* Edinburgh University Press.

Clark, Kate (1992) The linguistics of blame. In Michael Toolan (ed.), *Language, Text and Context.* Routledge.

Clayman, Steven E. (2002) Tribune of the people: Maintaining the legitimacy of aggressive journalism, *Media, Culture and Society,* 24: 197–216.

Clelend, J., Magrath, E. and Kian, E. (2018) The Internet as a site of decreasing cultural homophobia in association football: An online response by fans to the coming out of Thomas Hitzlsperger, *Men and Masculinities* 21(1): 91–111.

Clews, Claire (2013) Normal birth and its meaning: A discussion paper. *Evidence-Based Midwifery* 11(1): 16–20.

Clinton, Hillary Rodham (2003) *Living History*. Headline.

Coates, Jennifer (1988) Gossip revisited: Language in all-female groups. In Coates and Cameron 1988.

Coates, Jennifer (1995) Language, gender and career. In Mills 1995b.

Coates, Jennifer (1996) *Women Talk: Conversation between Women Friends*. Blackwell.

Coates, Jennifer (ed.) (1998) *Language and Gender: A Reader*. Routledge.

Coates, Jennifer (2003) *Men Talk: Stories in the Making of Masculinities*. Blackwell.

Coates, Jennifer (2005) Masculinity, collaborative narrative and the heterosexual couple. In Thornborrow and Coates 2005.

Coates, Jennifer (2016) *Women, Men and Language: A Sociolinguistic Account of Gender Differences in Language* (3rd edn). Routledge.

Coates, Jennifer and Cameron, Deborah (eds) (1988) *Women in Their Speech Communities*. Longman.

Cockburn, Cynthia (1983) *Brothers: Male Dominance and Technological Change*. London: Pluto Press.

Collins, Patricia Hill (1990) *Black Feminist Thought*. Unwin Hyman.

Collins, Patricia Hill and Bilge, Sirma (2016) *Intersectionality*. Polity.

Connell, Raewyn (1987) *Gender and Power: Society, the Person and Sexual Politics*. Polity.

Connell, Raewyn (2005) *Masculinities* (2nd edn). Polity.

Connell, Raewyn (2012) Transsexual women and feminist thought: Towards new understanding and new politics, *Signs: Journal of Women in Culture and Society* 37(4): 857–81.

Connell, Raewyn and Pearse, Rebecca (2014) *Gender: In World Perspective* (3rd edn). Polity.

Cook, Guy (ed.) (2008) *The Language of Advertising*, 4 vols. Routledge.

Coupland, Justine (1996) Dating advertisements: Discourses of the commodified self, *Discourse & Society* 7(2): 187–207.

Coupland, Justine (2007) Gendered discourses on the 'problem' of ageing: Consumerized solutions, *Discourse and Communication* 1: 37–61.

Coupland, Nikolas and Jaworski, Adam (eds) (1997) *Sociolinguistics: A Reader and Coursebook*. Macmillan.

Coupland, Nikolas and Jaworski, Adam (eds) (2009) *Sociolinguistics*. Routledge.

Coward, Rosalind (1984) *Female Desire: Women's Sexuality Today*. Paladin.

Cowhig, M. (1986) *A Quantitative Analysis of Phonological Variables in the Speech of Newcastle Schoolchildren*. Unpublished doctoral dissertation, Department of Speech, University of Newcastle.

Crawford, Mary (1995) *Talking Difference: On Gender and Language*. SAGE.

Crenshaw, Kimberlé (1989) Demarginalizing the intersection of race and sex: A black feminist critique of antidiscrimination doctrine, feminist theory and antiracist politics, *University of Chicago Legal Forum* 140: 139–67.

Crenshaw, Kimberlé (1991) Mapping the margins: Intersectionality, identity politics and violence against women of color, *Stanford Law Review* 43(6): 1241–99.

Crenshaw, Kimberlé (2019) *On Intersectionality: The Essential Writings of Kimberlé Cranshaw.* New Press.

Crittenden, Ann (2001) *The Price of Motherhood: Why the Most Important Job in the World Is Still the Least Valued.* Henry Holt.

Davies, Bronwen and Harré, Rom (1990) Positioning: The discursive production of selves, *Journal for the Theory of Social Behaviour* 20: 43–63.

Davies, Catherine Evans (2004) 'Women's Language' and Martha Stewart: From a room of one's own to a home of one's own to a corporation of one's own. In Lakoff 2004b.

Davis, Mark (2018) *Consumer Culture and Society: A Critical Introduction.* Routledge.

Day, Elizabeth (2008) Mother-to-be who signalled the changing of the guard, *Observer,* 20 April. https://www.theguardian.com/world/2008/apr/20/spain.gender.

DeFrancisco, Victoria L. (1991) The sounds of silence: How men silence women in marital relations, *Discourse & Society* 2(4): 413–23.

Delin, J. (2000) *The Language of Everyday Life.* SAGE.

Dendrinos, Bessie and Pedro, Emilia Ribeiro (1994) Giving directions: The silent role of women. Paper presented at the 11th Sociolinguistics Symposium, Lancaster University.

Deuchar, Margaret (1987) Sociolinguistics. In John Lyons, Richard Coates, Margaret Deuchar and Gerald Gazdar (eds), *New Horizons in Linguistics,* vol. 2. Penguin.

Dhrodia, Azmina (2017a) Unsocial media: Tracking Twitter abuse against women MPs, Amnesty Global Insights, 3 September. https://medium.com/@AmnestyInsights/unsocial-media-tracking-twitter-abuse-against-women-mps-fc28aeca498a.

Dhrodia, Azmina (2017b) Unsocial media: The real toll of online abuse against women. Amnesty Global Insights, 20 November. https://medium.com/amnesty-insights/unsocial-media-the-real-toll-of-online-abuse-against-women-37134ddab3f4.

Dill, Bonnie Thornton (1983) Race, class and gender: Prospects for an all-inclusive sisterhood, *Feminist Studies* 9 (1): 131–50.

Donald, Robyn (1990) *No Guarantees.* Mills & Boon.

Donovan, Paul (1997) *All Our Todays.* Jonathan Cape.

Douché, J. and Carryer, J. (2011) Caesarean section in the absence of need: A pathologising paradox for public health? *Nursing Inquiry* 18(2): 143–53.

D'Souza, Dinesh (1991) *Illiberal Education: The Politics of Race and Sex on Campus.* Free Press.

Dunant, Sarah (ed.) (1994) *The War of the Words: The Political Correctness Debate.* Virago.

Dundes, Alan, Leach, Jerry and Özkök, Bora (1972) The strategy of Turkish boys' verbal dueling rhymes. In John Gumperz and Dell Hymes (eds), *Directions in Sociolinguistics.* Holt, Rinehart and Winston.

Dunn, Louise (1988) A study of tag questions in women's friendly interaction. Unpublished term paper, Lancaster University.

Eckert, Penelope (1989) The whole woman: Sex and gender differences in variation, *Language Variation and Change* 1(1): 245–67.

Eckert, Penelope (1998) Gender and sociolinguistic variation. In Coates 1998.

Eckert, Penelope (2004) The good woman. In Lakoff 2004b.

Eckert, Penelope (2006) Vowels and nail polish: The emergence of linguistic style in the preadolescent heterosexual marketplace. In Cameron and Kulik 2006.

Eckert, Penelope (2011) Language and power in the preadolescent heterosexual market, *American Speech* 86(1): 85–97.

Eckert, Penelope and McConnell-Ginet, Sally (1992) Think practically and look locally: Language and gender as community-based practice. *Annual Review of Anthropology* 21: 461–90.

Eckert, Penelope and McConnell-Ginet, Sally (2003) *Language and Gender.* Cambridge University Press.

Eder, Donna (1990) Serious and playful disputes: Variation in conflict talk among female adolescents. In Allen D. Grimshaw (ed.), *Conflict Talk: Sociolinguistic Investigations of Arguments in Conversations.* Cambridge University Press.

Edley, Nigel (2001) Analysing masculinity: Interpretative repertoires, ideological dilemmas and subject positions. In Wetherell, Taylor and Yates 2001.

Edley, Nigel (2017) *Men and Masculinity: The Basics.* Routledge.

Edley, Nigel and Margaret Wetherell (2001) Jekyll and Hyde: Men's constructions of feminism and feminists, *Feminism & Psychology* 11(4): 439–57.

Edwards, T. (1997) *Men in the Mirror: Men's Fashions, Masculinity and Consumer Society.* Cassell.

Eggins, Suzanne and Slade, Diane (2005) *Analysing Casual Conversation*. Equinox.

Ehrlich, Susan (2001) *Representing Rape: Language and Sexual Consent*. Routledge.

Ehrlich, Susan (2002) Guest editorial: Discourse, gender and sexual violence, *Discourse & Society* 13(1): 5–7.

Ehrlich, Susan (2003) Coercing gender: Language in sexual assault adjudication processes. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Ehrlich, Susan (2006) The discursive reconstruction of sexual consent. In Cameron and Kulik 2006.

Ehrlich, Susan and Levesque, Susan (2011) The strategic marginalization of working-class masculinity in a batterers' treatment programme, *Gender and Language* 5(2): 271–301.

Ehrlich, Susan, Meyerhoff, Miriam and Holmes, Janet (eds) (2014) *The Handbook of Language, Gender and Sexuality*. Wiley Blackwell.

Ellece, Sibonile E. (2019) Competing sexuality discourses in Botswana media. In Hall and Barrett 2019.

Fairclough, Norman L. (1992) *Discourse and Social Change*. Polity.

Fairclough, Norman L. (1995) *Media Discourse*. Edward Arnold.

Fairclough, Norman L. (1998) Political discourse in the media: An analytical framework. In Allan Bell and Paul Garrett (eds), *Approaches to Media Discourse*. Blackwell.

Fairclough, Norman L. (2001) *Language and Power* (2nd edn). Longman.

Fairclough, Norman L. (2003) 'Political correctness': The politics of culture and language, *Discourse and Society* 14(1): 17–28.

Fairclough, Norman L.,Mulderrig, Jane and Wodak, Ruth (2011) Critical discourse analysis. In Teun A. van Dijk (ed.), *Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*. SAGE.

Fant, Gunnar (1966) A note on vocal tract size factors and non-uniform F-pattern scalings, *STL-QPSR* 7(4): 22–30. http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.415.3901&rep=rep1&type=pdf.

Fausto-Sterling, Anne (2000) *Sexing the Body: Gender Politics and the Construction of Sexuality*. Basic Books.

Fausto-Sterling, Anne (2005) The bare bones of sex. Part 1: Sex and gender, *Signs: Journal of Women in Culture and Society* 30(2): 1491–527.

Ferguson, Marjorie (1983) *Forever Feminine: Women's Magazines and the Cult of Femininity*. Heinemann.

Fine, Cordelia (2008) Will working mothers' brains explode? The popular new genre of neurosexism. *Neuroethics* 1: 69–72.

Fine, Cordelia (2010) *Delusions of Gender: How Our Minds, Society, and Neurosexism Create Difference*. W.W. Norton.

Finlayson, R. (1995) Women's language of respect: Isihlonipho sabafazi. In R. Mesthrie (ed.), *Language and Social History: Studies in South African Sociolinguistics*. David Philip.

Fischer, Mia (2018) Queer and feminist approaches to transgender media studies. In Dustin Harp, Jaime Loke and Ingrid Bachmann (eds), *Feminist Approaches to Media Theory and Research.* Palgrave Macmillan.

Fishman, Pamela (1983) Interaction: The work women do. In Thorne, Kramarae and Henley 1983.

Fishman, Pamela (1998) Conversational insecurity. In Cameron 1998.

Formato, Frederica (2017) 'Ci sono troie in giro in Parlamento che farebbero di tutto': Italian female politicians seen through a sexual lens, *Gender & Language* 11(3): 389–414.

Fortune, David and Fortune, Gretchen (1987) Karajá literary acquisition and sociocultural effects on a rapidly changing culture, *Journal of Multilingual and Multicultural Development* 8(6): 469–90.

Fortune, Gretchen (1995) Gender marking in Karajá. Paper presented at Lancaster University, Linguistics Department, 10 March.

Foucault, Michel (1972) *The Archaeology of Knowledge.* Tavistock.

Foucault, Michel (1979) *Discipline and Punish: The Birth of the Prison,* trans. Alan Sheridan. Random House.

Foucault, Michel (1986) *The Foucault Reader,* ed. Paul Rainbow. Penguin.

Foucault, Michel (1990) *The History of Sexuality,* trans. Robert Hurley. Penguin.

Freed, Alice (1992) We understand perfectly: A critique of Tannen's view of cross-sex communication. In Hall, Bucholtz and Moonwomon 1992.

Freed, Alice (1996a) Language and gender research in an experimental setting. In Bergvall, Bing and Freed 1996.

Freed, Alice (1996b) The language of pregnancy: Women and medical experience. In Natasha Warner, Jocelyn Ahlers, Leela Bilmes, Monica Oliver, Suzanne Wertheim and Melinda Chen (eds), *Women and Belief Systems: Proceedings of the 1996 Berkeley Women and Language Conference*. Berkeley Women and Language Group.

Freed, Alice (1999) Communities of practice and pregnant women: Is there a connection? *Language in Society* 28(2): 257–71.

Freed, Alice (2014) The public view of language and gender: Still wrong after all these years. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Frost, Julie A., Binder, Jeffrey R., Springer, Jane A., Hammeke, Thomas A. and Bellgowan, Patrick S. F. (1999) Language processing is strongly left lateralized in both sexes: Evidence from functional MRI, *Brain* 122: 199–208.

García-Favaro, Laura and Rosalind Gill (2016) 'Emsculation nation has arrived': Sexism rearticulated in online responses to Lose the Lads' Mags campaign, *Feminist Media Studies* 16(3): 379–97.

Gardiner, Judith Kegan (ed.) (2002) *Masculinity Studies and Feminist Theory: New Directions*. Columbia University Press.

Gaudio, Rudolf (1994) Sounding gay: Pitch properties in the speech of gay and straight men, *American Speech* 69(1): 30–7.

Gill, Rosalind (2007) *Gender and the Media*. Polity.

Goffman, Erving (1978) *Gender Advertisements*. Macmillan.

Goffman, Erving (1981) *Forms of Talk*. Blackwell.

Goldstein, Donna and Hall, Kira (2017) Postelection surrealism and nostalgic racism in the hands of Donald Trump, *HAU: Journal of Ethnographic Theory* 7(1): 397–406.

Goodwin, Marjorie Harness (1980) Directive-response speech sequences in girls' and boys' task activities. In McConnell-Ginet, Borker and Furman 1980.

Goodwin, Marjorie Harness (1993) *He Said/She Said.* Indiana University Press.

Goodwin, Marjorie Harness (2003) The relevance of ethnicity, class, and gender in children's peer negotiations. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Goodwin, Marjorie Harness (2007) *The Hidden Life of Girls: Games of Stance, Status and Exclusion.* Wiley Blackwell.

Gough, Val and Talbot, Mary (1996) 'Guilt over games boys play': Coherence as a focus for examining the constitution of heterosexual subjectivity. In Caldas-Coulthard and Coulthard 1996.

Graddol, David and Swann, Joan (1983) Speaking fundamental frequency: Some social and physical correlates, *Language and Speech* 26: 351–66.

Graddol, David and Swann, Joan (1989) *Gender Voices.* Blackwell.

Grundy, T. (2014) Political correctness about Muslims may have led UK officials to ignore reports of sex abuse, *Washington Post*, 28 August.

Guendouzi, Jackie (2001) 'You'll think we're always bitching': The functions of cooperativity and competition in women's gossip, *Discourse Studies* 3: 29–51.

Gumperz, John (ed.) (1982) *Language and Social Identity.* Cambridge University Press.

Halberstam, Jack (1998) *Female Masculinity.* Duke University Press.

Hall, Kira (1995) Lip service on the fantasy lines. In Hall and Bucholtz 1995.

Hall, Kira (2003) Exceptional speakers. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Hall, Kira (2005) Intertextual sexuality: Parodies of class, identity and desire in liminal Delhi, *Journal of Linguistic Anthropology* 15(1): 125–44.

Hall, Kira (2009) Boys' talk: Hindi moustaches and masculinity in New Delhi. In Pia Pischler and Eva Eppler (eds), *Gender and Spoken Interaction*. Palgrave Macmillan.

Hall, Kira (2014) Exceptional speakers: Contested and problematized gender identities. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Hall, Kira and Barrett, Rusty (eds) (2019) *The Oxford Handbook of Language and Sexuality*. Oxford University Press.

Hall, Kira and Bucholtz, Mary (eds) (1995) *Gender Articulated: Language and the Socially Constructed Self*. Routledge.

Hall, Kira, Bucholtz, Mary and Moonwomon, Birch (eds) (1992) *Locating Power: Proceedings of the Second Berkeley Women and Language Conference*. Berkeley Women and Language Group.

Hall, Kira, Goldstein, Donna and Ingram Matthew Bruce (2016) The hands of Donald Trump: Entertainment, gesture, spectacle, *HAU: Journal of Ethnographic Theory* 6(2): 71–100.

Hall, Stuart (1994) Some 'politically incorrect' pathways through PC. In Dunant 1994.

Hall, Stuart (1997) The spectacle of the 'other'. In Stuart Hall (ed.), *Representation: Cultural Representations and Signifying Practices*. SAGE.

Halpern, D. F. (1992) *Sex Differences in Cognitive Abilities*. Lawrence Erlbaum.

Hancock, Ange-Marie (2016) *Intersectionality: An Intellectual History*. Oxford University Press.

Hanong, Puleng (2006) Culture, voice and the public sphere: A critical analysis of the female voices on sexuality in indigenous South African society. In Baxter 2006.

Harrison, Claire (2008) Real men do wear mascara: Advertising discourse and masculine identity, *Critical Discourse Studies* 5(1): 55–74.

Harvey, Keith and Shalom, Celia (eds) (1997) *Language and Desire*. Routledge.

Hearn, Jeff (1998) *The Violences of Men*. SAGE.

Hellinger, Marlis and Pauwels, Anne (2007a) Language and sexism. In Hellinger and Pauwels 2007b.

Hellinger, Marlis and Pauwels, Anne (eds) (2007b) *Language and Communication: Diversity and Change*. Mouton de Gruyter.

Henton, C. G. and Bladon, A. W. (1985) Breathiness in normal female speech: Inefficiency versus desirability, *Language and Communication* 5: 221–7.

Herbert, James (1979) *Lair*. New English Library.

Heritage, Stuart (2014) Are you a sexy dad? *Guardian*, 8 November.

Hermes, Joke (1995) *Reading Women's Magazines: An Analysis of Everyday Media Use*. Polity.

Herring, Susan, Johnson, Deborah A. and DiBenedetto, Tamra (1995) 'This discussion is going too far!' Male resistance to female participation on the Internet. In Hall and Bucholtz 1995.

Herring, Susan and Stoerger, Sharon (2014) Gender and (a)nonymity in computer-mediated communication. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Hewitt, Roger (1997) 'Box-out' and 'Taxing'. In Johnson and Meinhof 1997.

Higgins, Michael (2010) The 'public inquisitor' as media celebrity, *Cultural Politics* 6(1): 93–110.

Higgins, Michael and Smith, Angela (2017) *Belligerent Broadcasting: Synthetic Argument in Broadcast Talk*. Routledge.

Hogben, Susan and Coupland, Justine (2000) Egg seeks sperm. End of story...? Articulating gay parenting in small ads for reproductive partners, *Discourse & Society* 11(4): 459–85.

Holmes, Janet (1984) Hedging your bets and sitting on the fence: Some evidence for hedges as support structures, *Te Reo: Journal of the Linguistic Society of New Zealand* 27: 47–62.

Holmes, Janet (1986) Compliments and compliment responses in New Zealand English, *Anthropological Linguistics* 28(4): 485–508.

Holmes, Janet (1992) *An Introduction to Sociolinguistics*. Longman.

Holmes, Janet (1995) *Women, Men and Politeness*. Longman.

Holmes, Janet (2000) Politeness, power and provocation: How humour functions in the workplace, *Discourse Studies* 2(2): 159–85.

Holmes, Janet (2005) Power and discourse at work: Is gender relevant? In Lazar 2005a.

Holmes, Janet (2006) *Gendered Talk at Work*. Blackwell.

Holmes, Janet (2014) Language and gender in the workplace. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Holmes, Janet, Marra, Meredith and Vine, Bernadette (2011) *Leadership, Discourse and Ethnicity*. Oxford University Press.

Holmes, Janet, Marra, Meredith and Lazzaro-Salazar, Mariana (2017) Negotiating the tall poppy syndrome in New Zealand workplaces: Women leaders managing the challenge, *Gender and Language* 11(1): 1–29.

Holmes, Janet and Meyerhoff, Miriam (eds) (2003) *The Handbook of Language and Gender*. Blackwell.

Holmes, Janet and Schnurr, Stephanie (2005) Politeness, humor and gender in the workplace: Negotiating norms and identity contestation, *Journal of Politeness Research* 1(1): 121–49.

Holmes, Janet and Stubbe, Maria (2003a) 'Feminine' workplaces: Stereotype and reality. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Holmes, Janet and Stubbe, Maria (2003b) *Power and Politeness in the Workplace: A Sociolinguistic Analysis of Talk at Work*. Longman.

hooks, bell (1984) *Feminist Theory: From Margin to Center*. South End Press.

House of Commons Information Office (2009) Some Traditions and Customs of the House (Factsheet G7). https://www.parliament.uk/documents/commons-information-office/g07.pdf.

Hughes, Geoffrey (2011) *Political Correctness: A History of Semantics and Culture*. Wiley Blackwell.

Humm, Maggie (1989) *The Dictionary of Feminist Theory*. Harvester Wheatsheaf.

Hutchby, Ian (2006) *Media Talk: Conversation Analysis and the Study of Broadcasting*. Open University Press.

Hyde, Janet Shibley and McKinley, Nita (1997) Gender differences in cognition: Results from meta-analyses. In P. J. Caplan, Mary Crawford, Janet Shibley Hyde and J.

T. E. Richardson (eds), *Gender Differences in Human Cognition.* Oxford University Press.

Jackson, Peter, Stevenson, Nick and Brooks, Kate (2001) *Making Sense of Men's Magazines.* Polity.

Jagger, Gill (2008) *Judith Butler: Sexual Politics, Social Change and the Power of the Performative.* Routledge.

Jagose, Annamarie (1997) *Queer Theory: An Introduction.* New York University Press.

James, Deborah (1996) Women, men and prestige speech forms: A critical review. In Bergvall, Bing and Freed 1996.

Jamieson, Kathleen (1988) *Eloquence in an Electronic Age.* Oxford University Press.

Jane, Emma (2017) *Online Misogyny: A Short (and Brutish) History.* SAGE.

Jankowski, Glen S., Fawkner, Helen, Slater, Amy and Tiggemann, Marika (2014) 'Appearance potent'? A content analysis of UK gay and straight men's magazines, *Body Image* 11(4): 474–81.

Jay, A. (2014) *Independent Inquiry into Child Sexual Exploitation in Rotherham.* Rotherham Metropolitan Borough Council.

Jespersen, Otto (1922) *Language: Its Nature, Development and Origin.* Allen & Unwin.

Johnson, Sally, Culpeper, Jonathan and Suhr, Stephanie (2003) From 'political correct councillors' to 'Blairite nonsense': Discourses of 'political correctness' in three British newspapers, *Discourse & Society* 14(1): 29–48.

Johnson, Sally and Finlay, Frank (1997) Do men gossip? An analysis of football talk on television. In Johnson and Meinhof 1997.

Johnson, Sally and Meinhof, Ulrike Hanna (eds) (1997) *Language and Masculinity*. Blackwell.

Johnstone, Barbara (1990) *Stories, Community and Place: Narratives from Middle America*. Indiana University Press.

Johnstone, Barbara (1993) Community and contest: Midwestern men and women creating their worlds in conversational storytelling. In Deborah Tannen (ed.), *Gender and Conversational Interaction*. Oxford University Press.

Jones, Daniel (1909) *The Pronunciation of English*. Cambridge University Press.

Jones, Deborah (1990) [1980] Gossip: Notes on women's oral culture. In Cameron 1990. [Reprinted from *Women's Studies International Quarterly* 3: 193–8.]

Jones, Lucy, Mills, Sara, Paterson, Laura L., Turner, Georgina and Coffey-Glover, Laura (2017) Identity and naming practices in British marriage and civil partnerships. *Gender and Language* 11(3): 309–35.

Jordan-Young, Rebecca M. (2010) *Brain Storm: The Flaws in the Science of Sex Differences*. Harvard University Press.

Jugaku, Akiko (1979) *Nihongo to onna* [*The Japanese Language and Women*]. Iwanami.

Jule, Allyson (2006) Silence as morality: Lecturing at a theological college. In Baxter 2006.

Jule, Allyson (2018) *Speaking Up: Understanding Language and Gender*. Multilingual Matters.

Kan, M. Y., Sullivan, O. and Gershuny, J. (2011) Gender convergence in domestic work: Discerning the effects of interactional and institutional barriers from large-scale data, *Sociology* 45: 234–51.

Kendall, Shari (2003) Creating gendered demeanors of authority at work and at home. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Kendall, Shari (2006) 'Honey, I'm home': Framing in family dinnertime homecomings, *Interdisciplinary Journal for the Study of Discourse* 26: 411–41.

Kiær, Sarah (1990) *The construction of motherhood in the discourse of antenatal care*. Unpublished MA dissertation, Lancaster University.

Kiesling, Scott Fabius (1997) Power and the language of men. In Johnson and Meinhof 1997.

Kiesling, Scott Fabius (2006) Playing the straight man: Displaying and maintaining male heterosexuality in discourse. In Cameron and Kulik 2006.

Kiesling, Scott Fabius (2011) The interactional construction of desire as gender, *Gender and Language* 5: 213–39.

Kimball, Roger (1990) *Tenured Radicals: How Politics Has Corrupted Higher Education*. Harper & Row.

Kimmel, Michael, Hearn, Jeff and Connell, Raewyn (eds) (2004) *Handbook of Studies on Men and Masculinities*. SAGE.

Kimmel, Michael and Mahler, Matthew (2003) Adolescent masculinity, homophobia and violence: Random school shootings, 1982–2001, *American Behavioral Scientist* 46(10): 1439–58.

King, Oona (2005) Review of Somes et al., *Women in Parliament: The New Suffragettes*. Oona King Baroness King of Bow. [Downloaded on 17 March 2009 from Oona King's website but no longer available.]

Kitzinger, Celia (2000) Doing feminist conversation analysis, *Feminism and Psychology* 10: 163–93.

Kitzinger, Celia (2006) 'Speaking as a heterosexual': (How) does sexuality matter for talk-in-interaction? In Cameron and Kulik 2006.

Kitzinger, Celia and Frith, H. (1999) Just say no? The use of conversation analysis in developing a feminist perspective on sexual refusal, *Discourse & Society* 10(3): 293–316.

Knecht, S., Deppe, M., Dräger, B., Bobe, L., Lohmann, H., Ringelstein, E.-B. and Henningsen, H. (2000) Language lateralization in healthy right-handers, *Brain* 123: 74–81.

Kolysh, Simone (2016) Transgender movements in the United States. In Naples 2016.
https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/10.1002/9781118663219.wbegss759.

Kramarae, Cheris and Treichler, Paula (1985) *A Feminist Dictionary*. Pandora.

Kress, Gunther (1985) *Linguistic Processes in Sociocultural Practice*. Deakin University Press.

Kuiper, Koenraad (1991) Sporting formulae in New Zealand English: Two models of male solidarity. In Jenny Cheshire (ed.), *English around the World: Sociolinguistic Perspectives*. Cambridge University Press.

Kuo, S. (2008) A woman warrior or a forgotten concubine? Verbal construction of a feminist politician in Taiwan. In Doreen Wu (ed.), *Discourses of Cultural China in the Globalizing Age*. Hong Kong University Press.

Labov, William (1966) *The Social Stratification of English in New York City*. Center for Applied Linguistics.

Labov, William (1972a) *Language in the Inner City*. University of Pennsylvania Press.

Labov, William (1972b) Rules for ritual insults. In T. Kochman (ed.), *Rappin' and Stylin' Out*. University of Illinois Press.

Labov, William (1982) Objectivity and commitment in linguistic science: The case of the Black English trial in Ann Arbor. *Language in Society* 11: 165–201.

Labov, William (1990) The intersection of sex and social class in the course of linguistic change, *Language, Variation and Change* 2(2): 205–54.

Labov, William and Waletzky, J. (1967) Narrative analysis: Oral versions of personal experience. In J. Helm (ed.), *Essays on the Verbal and Visual Arts*. University of Washington Press.

Lakoff, Robin (1975) *Language and Woman's Place*. Harper & Row.

Lakoff, Robin (1995) Cries and whispers: The shattering of the silence. In Hall and Bucholtz 1995.

Lakoff, Robin (2000) *The Language War*. University of California Press.

Lakoff, Robin (2003) Language, gender, and politics: putting 'women' and 'power' in the same sentence. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Lakoff, Robin (2004a) Language and woman's place. In Lakoff 2004b.

Lakoff, Robin (2004b) *Language and Woman's Place: Text and Commentaries*, ed. Mary Bucholtz. Oxford University Press.

Lave, J. and Wenger, E. (1991) *Situated Learning: Legitimate Peripheral Participation*. Cambridge University Press.

Laver, John (1994) *Principles of Phonetics*. Cambridge University Press.

Layard, Richard and Dunn, Judy (2009) *A Good Childhood: Searching for Values in a Competitive Age*. Penguin.

Lazar, Michelle (2000) Gender, discourse and semiotics: The politics of parenthood representations, *Discourse & Society* 11(3): 373–409.

Lazar, Michelle (ed.) (2005a) *Feminist Critical Discourse Analysis: Gender, Power and Ideology in Discourse*. Palgrave Macmillan.

Lazar, Michelle (2005b) Performing state fatherhood: The remaking of hegemony. In Lazar 2005a.

Lazar, Michelle (2007) Feminist critical discourse analysis: Articulating a feminist discourse praxis, *Critical Discourse Studies* 4(2): 141–64.

Lazar, Michelle (2008) Language, communication and the public sphere: A perspective from feminist critical discourse analysis. In Ruth Wodak and Veronika Koller (eds), *Handbook of Communication in the Public Sphere*. Mouton de Gruyter.

Lazar, Michelle (2014) Feminist critical discourse analysis: Relevance for current language and gender research. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Lazar, Michelle (2015) Construing the new oppressed: Masculinity in crisis and the backlash against feminism. In Milani 2015.

Lees, Paris (2014) Drag queen? Transgender? Conchita's an ambassador and that's what matters. *Guardian,* 12 May. https://www.theguardian.com/commentisfree/2014/may/12/conchita-drag-queen-transgender-ambassador-eurovision-winner-trans-gender-diversity.

Lees, S. (1997) *Ruling Passions: Sexual Violence, Reputation, and the Law.* Open University Press.

Leiss, William, Asquith, Kyle, Kline, Stephen, Jhally, Sut and Botterill, Jackie (2018) *Social Communication in Advertising* (4th edn). Routledge.

Leman, Joy (1980) 'The advice of a real friend': Codes of intimacy and oppression in women's magazines, 1937–1955, *Women's Studies Quarterly* 3: 63–78.

Lester, Paul Martin (2015) From abomination to indifference: A visual analysis of transgender stereotypes in the media. In Leland G. Spencer and Jamie Capuzza, (eds), *Transgender Communication Studies: Histories, Trends and Trajectories.* Lexington Books.

Lindström, Anna, Näslund, Shirley and Rubertsson, Christine (2015) The interactional organisation of sex assignment after childbirth, *Gender and Language* 9(2): 189–222.

Litosseliti, Lia and Sunderland, Jane (eds) (2002) *Gender Identity and Discourse Analysis.* John Benjamins

Livia, Anna (2002) *Camionneuses s'abstenir.* Lesbian community creation through the personals. In Campbell-Kibler et al. 2002.

Livia, Anna and Hall, Kira (1997) *Queerly Phrased: Language, Gender, and Sexuality.* Oxford University Press.

Lloyd, Moya (2007) *Judith Butler.* Polity.

Lorenzo-Dus, Nuria (2009) *Television Discourse: Analysing Language in the Media*. Palgrave Macmillan.

Macdonald, Myra (1995) *Representing Women: Myths of Femininity in the Popular Media*. Arnold.

MacErlane, Siobhan (1989) *The Ideology at Work in a Feature Article from New Woman: 'Learning to talk ... to your lover',* New Woman *Tells Us How*. Unpublished BA dissertation, Lancaster University (Human Communication Research Project).

MacGregor, Sue (2002) *A Woman of Today*. Headline.

Machin, David and Mayr, Andrea (2012) *How to Do Critical Discourse Analysis*. SAGE.

Machin, David and Thornborrow, Joanne (2003) Branding and discourse: The case of *Cosmopolitan, Discourse & Society* 14(4): 453–72.

Machin, David and Thornborrow, Joanne (2006) Lifestyle and the depoliticisation of agency: Sex as power in women's magazines, *Social Semiotics* 16(1): 173–88.

Machin, David and Van Leeuwen, Theo (2009) Toys as discourse: Children's war toys and the war on terror, *Critical Discourse Studies* 6(1): 51–63.

MacKinnon, Catherine (1982) Feminism, Marxism, method, and the state: An agenda for theory, *Signs* 7(3): 515–44.

MacLean, J. (1995) An afternoon with my if-there-were-a-laws. In K. Jay (ed.), *Dyke Life: A Celebration of the Lesbian Experience*. HarperCollins.

Maitse, T. (2000) Revealing silence: Voices from South Africa. In S. Jacobs, R. Jacobson and J. Marchbank (eds), *States of Conflict: Gender, Violence and Resistance*. Zed Books.

Maltz, Daniel and Borker, Ruth (1982) A cultural approach to male–female miscommunication. In Gumperz 1982.

Marra, Meredith, Schnurr, Stephanie and Holmes, Janet (2006) Effective leadership in New Zealand workplaces: Balancing gender and role. In Baxter 2006.

Marshall, Harriette and Woollett, Anne (2000) Fit to reproduce? The regulative role of pregnancy texts, *Feminism and Psychology* 10(3): 351–66.

Martin, John P. (1999) Williams to investigate, *Washington Post*, 27 January.

Martín Rojo, Luisa and Esteban, Concepción Gómez (2005) The gender of power: the female style in labour organizations. In Lazar 2005a.

Martyna, Wendy (1983) Beyond the 'he/man' approach: The case for nonsexist language. In Thorne, Kramarae and Henley 1983.

Matheson, Donald (2005) *Media Discourses: Analysing Media Texts*. Open University Press.

McConnell-Ginet, Sally, Borker, Ruth and Furman, Nellie (eds) (1980) *Women and Language in Literature and Society*. Praeger.

McDowell, Joanne (2015) Talk in feminised occupations: Exploring male nurses' linguistic behaviour, *Gender and Language* 9(3): 365–89.

McElhinny, Bonnie S. (1995) Challenging hegemonic masculinities: Female and male police officers handling domestic violence. In Hall and Bucholtz 1995.

McElhinny, Bonnie S. (2002) Armed robbers, assholes and agency: Ideology in the interactions of police officers. In Sarah Benor, Mary Rose, Devyani Sharma, Julie Sweetland and Qing Zhang (eds), *Gendered Practices in Language*. CSLI Publications.

McElhinny, Bonnie S. (2014) Theorizing gender in sociolinguistics and linguistic anthropology. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

McLoughlin, Linda (1993) *Reverse discourse: Young women's sex talk: Coping tactics to deal with sexual harassment and challenges to displays of masculinity.* Unpublished MA dissertation, Lancaster University.

McLoughlin, Linda (2000) *The Language of Magazines.* Routledge.

McLoughlin, Linda (2008) The construction of female sexuality in the 'sex special': Transgression or containment in magazines' information on sexuality for girls? *Gender and Language* 2(2): 171–96.

McRobbie, Angela (1978) *Jackie:* An ideology of adolescent femininity. Occasional paper presented at the Centre for Contemporary Cultural Studies (CCCS), University of Birmingham.

Meem, Deborah T. (2013) *Finding Out: An Introduction to LGBT Studies* (2nd edn). SAGE.

Menard-Warwick, Julia, Mori, Miki and Williams, Serena (2014) Language and gender in educational contexts. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes (2014).

Mesthrie, Rajend, Swann, Joan, Deumert, Andrea and Leap, William (2009) *Introducing Sociolinguistics* (2nd edn). Edinburgh University Press.

Mey, Jacob L. (1989) 'Saying it don't make it so': The 'una grande libre' of language politics, *Multilingua* 8(4): 333–55.

Milani, Tommaso (2013) Are 'queers' really 'queer'? Language, identity and same-sex desire in a South African online community, *Discourse & Society* 24: 615–33.

Milani, Tommaso (ed.) (2015) *Language and Masculinities: Performances, Intersections, Dislocations.* Routledge.

Mills, Sara (ed.) (1994) *Gendering the Reader.* Harvester Wheatsheaf.

Mills, Sara (1995a) *Feminist Stylistics.* Routledge.

Mills, Sara (ed.) (1995b) *Language and Gender: Interdisciplinary Perspectives.* Longman.

Mills, Sara (2002) Rethinking politeness, impoliteness and gender identity. In Litosseliti and Sunderland 2002.

Mills, Sara (2003) *Gender and Politeness.* Cambridge University Press.

Mills, Sara (2005) Gender and impoliteness, *Journal of Politeness Research* 1(2): 263–80.

Mills, Sara (2008) *Language and Sexism.* Cambridge University Press.

Mills, Sara and Mullany, Louise (2011) *Language, Gender and Feminism: Theory, Methodology and Practice.* Routledge.

Milroy, James and Milroy, Lesley (1993) Mechanisms of change in urban dialects: The role of class, social network and gender, *International Journal of Applied Linguistics* 3(1): 57–77.

Milroy, Lesley (1992) New perspectives in the analysis of sex differentiation in language. In K. Bolton and H. Kwok (eds), *Sociolinguistics Today: International Perspectives.* Routledge.

Moeketsi, R. (1999) *Discourse in a Multilingual and Multicultural Courtroom: A Court Interpreter's Guide.* J. L. van Schaik.

Moon, Rosamund (1989) Objective or objectionable? Ideological aspects of dictionaries, *English Language Research Journal* 3: 59–94.

Morrish, Liz and Sauntson, Helen (2007) *New Perspectives on Language and Sexual Identity*. Palgrave Macmillan.

Mouffe, C. (1992) Feminism, citizenship and radical democratic politics. In Judith Butler and J. W. Scott (eds), *Feminists Theorise the Political*. Routledge.

Mullany, Louise (2007) *Gendered Discourse in the Professional Workplace*. Palgrave Macmillan.

Murray, Charles and Herrnstein, Richard (1994) *The Bell Curve: Intelligence and Class Structure in American Life*. Free Press.

Murray, Denise (1995) *Knowledge Machines: Language and Information in a Technological Society*. Longman.

Nakamura, Momoko (2005) 'Let's dress a little girlishly!' or 'Conquer short pants!' Constructing gendered communities in fashion magazines for young people. In Shigeko Okamoto and Janet S. Shibamoto Smith (eds), *Japanese Language, Gender and Ideology: Cultural Models and Real People*. Oxford University Press.

Namaste, Viviane (2009) Undoing theory: The transgender question and the epistemic violence of Anglo-American feminist theory, *Hypatia* 24(3): 11–32.

Naples, Nancy A. (ed.) (2016) *The Wiley Blackwell Encyclopedia of Gender and Sexuality Studies*. Wiley Blackwell.

Neate, Rupert and Stafford, Zach (2015) Donald Trump dropped by NBC over candidate's comments about Mexico, *Guardian*, 30 June.

Neff van Aertselaer, JoAnne (1997) 'Aceptarlo con hombría': Representations of masculinity in Spanish political discourse. In Johnson and Meinhof 1997.

Newfield, Christopher (ed.) (2018) *After Political Correctness: The Humanities and Society in the 1990s*. Routledge.

Nichols, Patricia (1983) Linguistic options and choices for black women in the rural south. In Thorne, Kramarae and Henley 1983.

Nilsen, Aileen P., Bosmajian, Haig, Gershuny, H. Lee and Stanley, Julia P. (eds) (1977) *Sexism and Language*. National Council of Teachers of English.

Oakley, Ann (1972) *Sex, Gender and Society*. Temple Smith.

Oakley, Ann (1982) *Subject Women*. Fontana.

Oakley, Ann (1984) *The Captured Womb: A History of the Medical Care of Pregnant Women*. Blackwell.

O'Brien, James (2018) *How to Be Right ... in a World Gone Wrong*. Ebury Publishing.

Ochs, Elinor and Capps, Lisa (2001) *Living Narrative: Creating Lives in Everyday Storytelling*. Harvard University Press.

Ochs, Elinor and Taylor, Carolyn (1992a) Family narrative as political activity. *Discourse & Society* 3(3): 301–40.

Ochs, Elinor and Taylor, Carolyn (1992b) Mothers' role in the everyday reconstruction of 'father knows best'. In Hall, Bucholtz and Moonwomon 1992.

Ochs, Elinor and Taylor, Carolyn (1995) The 'father knows best' dynamic in dinnertime narratives. In Hall and Bucholtz 1995.

Okamoto, Shigeko (1995) 'Tasteless' Japanese: Less 'feminine' speech among young Japanese women. In Hall and Bucholtz 1995.

Osterman, Ana Cristina and Keller-Cohen, Deborah (1998) 'Good girls go to heaven; bad girls...' learn to be good: Quizzes in American and Brazilian teenage girls' magazines, *Discourse & Society* 9(4): 531–58.

Page, Ruth (2003) 'Cherie: Lawyer, wife, mum': Contradictory patterns of representation in media reports of Cherie Booth/Blair, *Discourse & Society* 14(5): 559–79.

Paugh, Amy (2005) Learning about work at dinnertime: Language socialization in dual-earner American families, *Discourse & Society* 16(1): 55–78.

Pauwels, Anne (1998) *Women Changing Language*. London: Longman.

Pauwels, Anne (2003) Linguistics sexism and feminist linguistic activism. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Pei Tian (2006) The performance of hegemonic masculinity in all-male conversation. Unpublished term paper, University of Sunderland.

Pelissier Kingfisher, Catherine (1996a) *Women in the American Welfare Trap*. University of Pennsylvania Press.

Pelissier Kingfisher, Catherine (1996b) Women on welfare: Conversational sites of acquiescence and dissent, *Discourse & Society* 7(4): 531–57.

Perry, Ruth (1992) A short history of the term *politically correct*. In Patricia Aufderheide (ed.), *Beyond PC: Toward a Politics of Understanding*. Graywolf Press.

Philips, Susan, Steele, Susan and Tanz, Christine (eds) (1987) *Language, Gender and Sex in Comparative Perspective*. Cambridge University Press.

Pichler, Pia and Coates, Jennifer (eds) (2011) *Language and Gender: A Reader* (2nd edn). Wiley Blackwell.

Piercy, Marge (1979) [1976] *Woman on the Edge of Time*. Women's Press.

Piercy, Marge (1987) [1972] *Small Changes*. Penguin.

Pilkington, Jane (1998) Don't try and make out that I'm nice! The different strategies women and men use when gossiping. In Coates 1998.

Podesva, Robert J. and Kajino, Sakiko (2014) Sociophonetics, gender and sexuality. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Polanyi, Livia (1985) *Telling the American Story*. Ablex.

Poniewozik, James (1999) The little N-word. *Salon*, 3 February. https://www.salon.com/1999/02/02/poni_8/

Pujolar, Joan (1997a) Masculinities in a multilingual setting. In Johnson and Meinhof 1997.

Pujolar, Joan (1997b) De què vas, tio? Gènere i llengua en la cultura juvenil ['Who do you think you are, mate? Gender and language in youth culture']. Editorial Empúries.

Pujolar, Joan (2001) *Gender, Heteroglossia and Power: A Sociolinguistic Study of Youth Culture*. Mouton de Gruyter.

Randall, Gene (1999) DC aide in 'niggardly' flap will return to City Hall. CNN. com, 4 February.

Reeser, T.W. (2010) *Masculinities in Theory: An Introduction*. Wiley Blackwell.

Richardson, Kay (1997) Twenty-first-century commerce: The case of QVC, *Text* 17(2): 199–223.

Richardson, Niall (2009) Effeminophobia, misogyny and queer friendship: The cultural themes of Channel 4's 'Playing It Straight', *Sexualities* 12: 525–44.

Rigg, L. (1987) *A quantitative study of sociolinguistic patterns of variation in adult Tyneside speakers.* Unpublished doctoral dissertation, Department of Speech, University of Newcastle.

Ringrow, Helen (2016) *The Language of Cosmetics Advertising.* Palgrave Macmillan.

Rivers, Caryl (2007) *Selling Anxiety: How the News Media Scare Women.* University Press of New England.

Roderick, Ian (2016) *Critical Discourse Studies and Technology: A Multimodal Approach to Analysing Technoculture.* Bloomsbury.

Romaine, Suzanne (1994) *Language in Society: An Introduction to Sociolinguistics.* Oxford University Press.

Romaniuk, Tanya (2013) Interviewee laughter and disaffiliation in broadcast news interviews. In P. Glenn and E. Holt (eds), *On Laughing: Studies of Laughter in Interaction.* Bloomsbury Press, p201–220.

Romaniuk, Tanya (2014) Text trajectories and media discourse: Tracking gendered representations in presidential politics, *Gender and Language* 8(2): 245–67.

Romaniuk, Tanya (2016) On the relevance of gender in the analysis of discourse: A case study from Hillary Rodham Clinton's presidential bid in 2007–2008, *Discourse & Society* 27(5): 533–53.

Rúdolfsdóttir, Annadis Greta (2000) 'I am not a patient, and I am not a child': The institutionalization and experience of pregnancy, *Feminism and Psychology* 10(3): 337–50.

Sachs, Jacqueline (1975) Cues to the identification of sex in children's speech. In Thorne and Henley 1975.

Sachs, Jacqueline, Lieberman, P. and Erickson, D. (1973) Anatomical and cultural determinants of male and female speech. In R. W. Shuy and R. W. Fasold (eds), *Language Attitudes: Current Trends and Prospects*. Georgetown University Press.

Sacks, Harvey (1995) *Lectures on Conversation*, vol. 1. Blackwell.

Salih, Sara (2002) *Judith Butler*. Routledge.

Salih, Sara with Butler, Judith (eds) (2004) *The Judith Butler Reader*. Routledge.

Sauntson, Helen (2015) Coming out stories. In Patricia Whelehan and Anne Bolin (eds), *International Encyclopedia of Human Sexuality*. Wiley Blackwell.

Schulz, Muriel (1975) The semantic derogation of women. In Thorne and Henley 1975.

Searle, Denise (1988) The National Union of Journalists' attitude to controlling media sexism. In Gail Chester and Julienne Dickey (eds), *Feminism and Censorship*. Prism.

Segal, Lynne (1994) [1987] *Is the Future Female? Troubled Thoughts on Contemporary Feminism*. Virago.

Segal, Lynne (2006) *Slow Motion: Changing Masculinities, Changing Men* (3rd edn). Palgrave Macmillan.

Sellers, Patricia (2003) Power: Do women really want it? *Fortune*, 13 October, pp. 80–100.

Shalom, Celia (1997) That great supermarket of desire: Attributes of the desired other in dating advertisements. In Harvey and Shalom 1997.

Shaw, Sylvia (2000) Language, gender and floor apportionment in political debates, *Discourse & Society* 11(2): 401–18.

Shaw, Sylvia (2006) Governed by the rules? The female voice in parliamentary debates. In Baxter 2006.

Silberstein, Sandra (1988) Ideology as process: Gender ideology in courtship narratives. In Todd and Fisher 1988.

Simpson, Mark (2006) Here come the mirror men. https://marksimpson.com/here-come-the-mirror-men..

Sinfield, Alan (1994) *The Wilde Century: Effeminacy, Oscar Wilde and the Queer Moment.* Cassell.

Smith, Angela (2015) Mediated political masculinities: The commander-in-chief vs the new man, *Social Semiotics* 26(1): 94–110.

Smith, Angela (2017) Bulging biceps and tender kisses: The sexualisation of fatherhood, *Social Semiotics* 28(3): 315–29.

Smith, Angela and Higgins, Michael (2013) 'My husband, my hero': Selling political spouses in the 2010 general election, *Journal of Political Marketing* 12(2/3): 197–210.

Smith, Angela and Higgins, Michael (2014) Belligerent broadcasting: Antagonism in media talk, *SemiotiX* XN-12. https://semioticon.com/semiotix/2014/06/belligerent-broadcasting-antagonism-in-media-talk.

Smith, Dorothy (1988) Femininity as discourse. In Leslie G. Roman and Linda K. Christian-Smith (eds), *Becoming Feminine: The Politics of Popular Culture.* Falmer Press.

Smith, Philip (1985) *Language, the Sexes and Society*. Blackwell.

Smyth, Ron, Jacobs, Greg and Rogers, Henry (2003) Male voices and perceived sexual orientation: An experimental and theoretical approach, *Language in Society* 32: 329–350.

Solomon, Catherine R. (2014) 'I feel like a rock star': Fatherhood for stay-at-home fathers, *Fathering* 12(1): 52–70.

Somerset, Laura (2006) Whose experience is it anyway? Unpublished term paper, University of Sunderland.

Somes, Boni with Moran, Margaret and Lovenduski, Joni (2005) *Women in Parliament: The New Suffragettes*. Politico.

Speer, Susan (2005) *Gender Talk: Feminism, Discourse and Conversation Analysis*. Routledge.

Spender, Dale (1985) *Man Made Language* (2nd edn). Routledge & Kegan Paul.

Spender, Dale (1995) *Nattering on the Net: Women, Power and Cyberspace*. Spinifex.

Sullivan, Nikki (2003) *A Critical Introduction to Queer Theory*. New York University Press.

Sunderland, Jane (2002) Baby entertainer, bumbling assistant and line manager: Discourses of paternal identity in parentcraft texts. In Litosseliti and Sunderland 2002.

Sunderland, Jane (2006) 'Parenting' or mothering'? The case of modern childcare, *Discourse & Society* 17(4): 505–28.

Sutton, Laurel A. (1995) Bitches and skankly hobags: The place of women in contemporary slang. In Hall and Bucholtz 1995.

Swann, Joan (2003) Schooled language: language and gender in educational settings. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Syal, Meera (1994) PC: GLC. In Dunant 1994.

Syson, Neil (2004) Bigot Ron: Shamed ITV pundit quits over racist slur, *Sun*, 22 April.

Talbot, Mary (1990) *Language, Intertextuality and Subjectivity: Voices in the Construction of Consumer Femininity*. Unpublished doctoral dissertation, Lancaster University.

Talbot, Mary (1992a) 'I wish you'd stop interrupting me!': Interruptions and asymmetries in speaker-rights in 'equal encounters', *Journal of Pragmatics* 18: 451–66.

Talbot, Mary (1992b) The construction of gender in a teenage magazine. In Norman Fairclough (ed.), *Critical Language Awareness*. Longman.

Talbot, Mary (1995a) *Fictions at Work: Language and Social Practice in Fiction.* Longman.

Talbot, Mary (1995b) A synthetic sisterhood: False friends in a teenage magazine. In Hall and Bucholtz 1995.

Talbot, Mary (1997a) 'An explosion deep inside her': Women's desire in popular romance fiction. In Harvey and Shalom 1997.

Talbot, Mary (1997b) 'Randy fish boss branded a stinker': Coherence and the construction of masculinities in a British tabloid newspaper. In Johnson and Meinhof 1997.

Talbot, Mary (2003) Gender stereotypes: Reproduction and challenge. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Talbot, Mary (2005) Choosing to refuse to be a victim: 'Power feminism' and the intertextuality of victimhood and choice. In Lazar 2005a.

Talbot, Mary (2007a) Political correctness and freedom of speech. In Hellinger and Pauwels 2007b.

Talbot, Mary (2007b) *Media Discourse: Representation and Interaction.* Edinburgh University Press.

Talbot, Mary (2008) 'It's good to talk'? The undermining of feminism in a British Telecom advertisement. In Cook 2008, vol. 3.

Talbot, Mary (2010) *Language, Intertextuality and Subjectivity: Voices in the Construction of Consumer Femininity.* Lambert Academic Publishing.

Talbot, Mary (2012) 'Will you sing along, Tina?' Zoo format and women's place on Radio One, *Culture, Society and Masculinities* 4(2): 155–66.

Talbot, Mary (2014) Language, gender and popular culture. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Talbot, Mary, Atkinson, Karen and Atkinson, David (eds) (2003) *Language and Power in the Modern World.* Edinburgh University Press.

Tannen, Deborah (1984) *Conversational Style: Analyzing Talk among Friends.* Ablex.

Tannen, Deborah (1986) *That's Not What I Meant.* Dent.

Tannen, Deborah (1990) Gender differences in conversational coherence: Physical alignment and topical cohesion. In Bruce Dorval (ed.), *Conversational Organization and its Development*. Ablex.

Tannen, Deborah (1991) *You Just Don't Understand*. Virago.

Tannen, Deborah (1994) *Gender and Discourse*. Oxford University Press.

Tannen, Deborah (1995) *Talking from 9 to 5*. Virago.

Tannen, Deborah (2014) Gender and family interaction. In Ehrlich, Meyerhoff and Holmes 2014.

Tetlow, Helen (1991) *The Re-invented man: Constructions of Masculinity in One Issue of Arena Magazine*. Unpublished MA dissertation, Lancaster University.

Tew, Marjorie (1990) *Safer Childbirth? A Critical History of Maternity Care*. Chapman & Hall.

Thornborrow, Joanne and Coates, Jennifer (eds) (2005) *The Sociolinguistics of Narrative*. John Benjamins.

Thorne, Barrie (1993) *Gender Play*. Open University Press.

Thorne, Barrie and Henley, Nancy (eds) (1975) *Language and Sex: Difference and Dominance*. Newbury House.

Thorne, Barrie, Kramarae, Cheris and Henley, Nancy (eds) (1983) *Language, Gender and Society*. Newbury House.

Todd, Alexandra Dundas and Fisher, Sue (eds) (1988) *Gender and Discourse: The Power of Talk*. Ablex.

Tolson, Andrew (2006) *Media Talk: Spoken Discourse on TV and Radio*. Edinburgh University Press.

Tolton, Laura (2011) 'He beat her so hard she fell head over heels': Normalising wife abuse in Colombia. In Danijela Majstorovic and Lassen, Inger (eds), *Living with Patriarchy*. Benjamins.

Toolan, Michael (2003) Le politiquement correct dans le monde français, *Discourse & Society* 14(1): 69–86.

Trömel-Plötz, Senta (1991) Review essay: Selling the apolitical. *Discourse & Society* 2(4): 489–502.

Trudgill, Peter (1972) Sex, covert prestige and linguistic change in the urban British English of Norwich. Language and Society 1: 179–95.

Trudgill, Peter (1995) *Sociolinguistics* (3rd edn). Penguin.

Trudgill, Peter and Cheshire, Jenny (eds) (1998) *The Sociolinguistics Reader*, vol. 1: *Multilingualism and Variation*. Arnold.

Tufail, Waqas (2015) Rotherham, Rochdale and the racialised threat of the 'Muslim Grooming Gang', *International Journal for Crime, Justice and Social Democracy* 4(3): 30–43.

Turner, Georgina, Mills, Sara, van der Bom, Isabelle, Coffey-Glover, Laura, Paterson, Laura L. and Jones, Lucy (2018) Opposition as victimhood in newspaper debates about same-sex marriage, *Discourse & Society* 29(2): 180–97.

Turner, P. (1988) *A quantitative study of sociolinguistic patterns of vowel variation in adult Tyneside speakers*. Unpublished doctoral dissertation, Department of Speech, University of Newcastle.

Uchida, Aki (1992) When 'difference' is 'dominance': A critique of the 'anti-powerbased' cultural approach to sex differences. *Language in Society* 21: 547–68.

van Zoonen, L. (1998) One of the girls? The changing gender of journalism. In C. Carter, G. Branston and S. Allan (eds), *News, Gender and Power*. Routledge.

Vavrus, Mary Douglas (2007) Opting-out moms in the news, *Feminist Media Studies* 7(1): 47–63.

Vivar, Maria Teresa Herrera (ed.) (2011) *Framing Intersectionality: Debates on a Multi-Faceted Concept in Gender Studies*. Routledge.

Wallace, A. (1992) Bulletin board brought light in LA's dark hour. *San José Mercury News*, 15 July, pp. 8E, 15E.

Walsh, Clare (2001) *Gender and Discourse: Language and Power in Politics, the Church and Organisations*. Longman.

Walsh, Clare (2006) Gender and the genre of the broadcast political interview. In Baxter 2006.

Wandor, Michelene (1990) *Once a Feminist: Stories of a Generation*. Virago.

Weedon, Chris (1997) *Feminist Practice and Poststructuralist Theory* (2nd edn). Blackwell.

Weigel, Moira (2016) Political correctness: How the right invented a phantom enemy, *Guardian*, 30 November.

Wenner, Lawrence A. (ed.) (2014) *Fallen Sports Heroes, Media, and Celebrity Culture*. Peter Lang.

West, Candace and Zimmerman, Don (1983) Small insults: A study of interruptions in cross-sex conversations between unacquainted persons. In Thorne, Kramarae and Henley 1983.

Wetherell, Margaret and Edley, Nigel (1999) Negotiating hegemonic masculinity: Imaginary positions and psycho-discursive practices, *Feminism and Psychology* 9: 335–56.

Wetherell, Margaret and Edley, Nigel (2014) A discursive psychological framework for analyzing men and masculinities. *Psychology of Men & Masculinities* 15(4): 355–64.

Wetherell, Margaret, Taylor, Stephanie and Yates, Simeon (eds) (2001) *Discourse as Data: A Guide for Analysis.* SAGE.

White, Cynthia (1970) *Women's Magazines, 1693–1968.* Michael Joseph.

White, Michael (2008) Fond farewell to 'battleaxe' Dunwoody at Westminster, *Guardian*, 9 May.

https://www.theguardian.com/politics/2008/may/09/gwynethdunwoody.

Williams, Jeffrey (ed.) (1995) *PC Wars: Politics and Theory in the Academy.* Routledge.

Willis, Paul (1977) *Learning to Labour.* Saxon House.

Wilmot, Helen (1991) *Jackie: An Investigation of the Text and the Readers.* Unpublished BA special study, Bristol Polytechnic.

Winship, Janice (1987) *Inside Women's Magazines.* London: Pandora.

Winter, Joanne (1993) Gender and the political interview in an Australian context, *Journal of Pragmatics* 20: 117–39.

Wodak, Ruth (2003) Multiple identities: The roles of female parliamentarians in the EU Parliament. In Holmes and Meyerhoff 2003.

Wodak, Ruth and Meyer, Michael (2001) *Methods of Critical Discourse Analysis*. SAGE.

Wolf, Naomi (1990) *The Beauty Myth*. Vintage.

Wong, Andrew (2009) Coming out stories and the 'gay imaginary', *Sociolinguistic Studies* 3(1): 1–34.

Young, Linda Wai Ling (1982) Inscrutability revisited. In Gumperz 1982.

Young, Lynne and Fitzgerald, Brigid (2006) *The Power of Language: How Discourse Influences Society*. Equinox.

Yuval-Davis, Nira (2016) Power, intersectionality and the politics of belonging. In W. Harcourt (ed.), *The Palgrave Handbook of Gender and Development*. Palgrave Macmillan.

Zimman, Lal (2009) 'The other kind of coming out': Transgender people and the coming out narrative genre, *Gender and Language* 3(1): 53–80.

Zimman, Lal (2017) Transgender language reform: Some challenges and strategies for promoting trans-affirming, gender-inclusive language, *Journal of Language and Discrimination* 1(1): 84–105.

Zimmerman, Don and West, Candace (1975) Sex roles, interruptions and silences in conversation. In Thorne and Henley 1975.



الفهرس



اللغة والجندر

الخطاب والتمايز اللغوي بين الجنسين

سياسياً، تعدُّ أجندة هذا الكتاب أجندة نسوية. والنسوية هي شكل من أشكال السياسة مكرّس لإحداث تغييرات اجتماعية، وكبح إعادة إنتاج صور وأشكال عدم المساواة النسقية بين الرجال والنساء. ففضلاً عن اهتمام النسوية بدور الممارسات الاجتماعية والمؤسّسات في ترسيخ دعائم التمييز بين الجنسين، تنشغل النسوية بعلاقة اللغة بالتقسيم الجندري بالنظر إلى ما تلعبه اللغة من دور معقّد في تعزيز أشكال التقسيم الجندري في المجتمع وخلقها والحفاظ عليها والتفكير فيها. هذا الدور الذي تلعبه اللغة هو موضوع الكتاب الحالي. دراستنا له ستجعلنا نخوض في مجموعة واسعة من القضايا، بدايةً من التوقّعات القائمة حول كيف يجب على النساء والرجال التحدّث حتّى القيود المفروضة على وصول المرأة إلى صور الحديث العامة، وتقسيم "العمل" الحواري بين طرفي الحديث، وتمثّلات الذكورة والأنوثة في وسائل الإعلام، وغير ذلك من قضايا.

يبحث الجزء الأول والمعنون بـ"التمهيدات: بثّ الصور النمطيّة والنماذج المبكّرة" في بعض الأعمال المبكرة التي دارت حول الفروق بين الجنسين في استخدام اللغة كما يبحث القوالب النمطيّة عن النساء. وتوفّر فصوله الثلاثة مقدّمة تعريفية بالأعمال المبكّرة في هذا المجال وتمييزه المحوري، بل والإشكالي، بين الجنس والجندر.

يقدّم الجزء الثاني المعنون بـ"التفاعل بين النساء والرجال" مجموعة من الدراسات حول التراث الإمبيريقي الأنجلو أمريكي الذي يدور في إطار ما يُسمّى غالباً بإطار الاختلاف والهيمنة. ويغطّي هذا الجزء البحث في جوانب محدّدة من التفاعل المنطوق، بما في ذلك الادعاءات التي تمّ طرحها حول الفروق بين الجنسين بشكل مفصّل.

ينتقل الجزء الثالث، المعنون بـ"الخطاب والجندر: البناء والأداء"، إلى المنظورات النقديّة حول الجندر واللغة والجنس. يقدّم هذا الجزء الختامي مقاربة متناقضة في دراسة اللغة والجندر، مقاربة ترتكز على خلفية نظرية مختلفة وتطرح أنواعاً متباينة من الأسئلة.



Designed by Maher Adnan



حكاية في كتاب ...